

الإنسان المعجزة والبيان

أ.د/ حنفي محمود

مدبولى

رئيس قسم الفيروسات

كلية الطب البيطري جامعة بني سويف
ليسانس أصول الدين قسم التفسير- جامعة
الأزهر 1999

جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم البيولوجية
2002

براءة اختراع لتحضير اللقاحات الفيروسية 2008
مصر

عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن
والسنة

2016

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفبه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من
شور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مَسْلُومُونَ) (102) سورة آل عمران، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (1) سورة النساء، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) سورة الأحزاب

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
ثم أما بعد :

إن أعظم مخلوق على الأرض هو الإنسان خلقه الله عز وجل بيده ونفخ فيه من
روحه وأسجد له ملائكته وخلق الكون كله من أجله وسخره له للإستفادة منه
قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) سورة الجاثية ، فهو سبحانه وحده الذى
خلق اللّون وما حوى والإنسان وما وعى وسخر الكون لخدمته ته : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ
لَكُمْ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ
تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) سورة ابراهيم ، وقال
تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ
مُنِيرٍ" (20) سورة لقمان.

والله سبحانه وتعالى خلق الإنس والجن لعبادته قال تعالى " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (57) إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) سورة الذاريات. وهذه العبادة قائمة على
ما أنزل الله عز وجل وتقدست أسماؤه من كتاب وحكمة وقام الرسل عليهم
جميعا أفضل الصلاة والسلام بتبليغ ما أنزله الله عليهم فأكمل الله الدين وأتم
على عباده النعمة ورضى لجميع خلقه الاسلام دينا قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) سورة المائدة

فللكون كله بما فيه ومن فيه يشهد له بالوحدانية والربوبية والألوهية ، ويسبح له كل شيء فى الوجود بحمده عز وجل لأنه الخالق والرازق والمحى والمميت ، له صفات الكمال ونعوت الجلال ، لا إله غيره ولا رب سواه ، يتحدى المعاندين والمتكبرين والظالمين ببدیع خلقه واتقان صنعته فيقول لهم : **(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (11) سورة لقمان.** ويذكر الناس جميعا بعظيم نعمه وفيوضات رحمته وأنه لا يقدر على ذلك إلا هو فيقول لهم : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) سورة فاطر.** وبين لهم أنه قائم بذاته بائن عن خلقه قادر على الذهاب بجميع خلقه والاتيان بخلق جديد يعرفون حق ربوبيته متذللين إليه بطاعته فيقول لهم : **(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) سورة فاطر**

فنعم الرب ربنا فسبحه وتذلل لعظمته وقدرته " **(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5) سورة الأعلى ، (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (9) سورة السجدة.**

هذا الكتاب بفضل الله تعالى يبين أوجه الإعجاز العلمى فى خلق الإنسان بالآيات التى وردت فى كتاب الله عز وجل ، وبالأحاديث الصحيحة التى وردت عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبما شهد به العلم الحديث بعد أن توفرت أدواته فى القرن العشرين فاكتشف بها العلماء مراحل تكوين الجنين فى بطن أمه والأطوار التى يتقلب فيها حتى يخرج من بطن أمه ويهل صارخا ثم هذه الرحلة المباركة فى حياته الدنيا حتى يصير شيخا كبيرا ضعيفا .

ومن المعلوم أن الآيات التى تتكلم عن خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام كثيرة وإفرة فى كتاب الله عز وجل ، وكذلك أحاديث كثيرة فى سنة نبه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينها ربنا باستفاضة لأنه أمر بهم كل إنسان ويسأل عنه العوام فضلا عن العلماء . كما أن خلق ذرية آدم عليه السلام من بعده فهى من الوفرة بمكان وقد بلغها النبى صلى الله عليه وسلم منذ 1437 سنة . وهذه الآيات أو الأحاديث التى بلغها النبى صلى الله عليه وسلم تشمل المراحل والأطوار التى يمر بها الجنين فى بطن أمه من النطفة ثم العلقة والمضغة والعظام

وكسوة العظام باللحم ثم النشأة الآخرة والتسوية حتى يصبح جنينا له القدرة على الحركة والتنفس وتلقى الغذاء وكلها مفصلة ومبينة في كتاب الله تعالى.

ولقد شهد علماء الغرب المتخصصين والتميزين في علم التشريح والأجنة أمثال كيث مور⁽¹⁾ ومارشال جونسون⁽²⁾ بأن هذه الآيات وهذه الأحاديث التي بلغها النبي محمد صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان هي كلام الله عز وجل لأنها فوق طاقات ومعرفة البشر خصوصا في الوقت الذي بلغها فيه هذا النبي العربي الأُمى منذ 1437 سنة.

إن قضية خلق الإنسان مهما استفاض فيها العلماء من بيان فستظل كرنزا من كنوز العلم لا تتفض عجايبه . فالإنسان مازال ذلك المجهول وإن ملأت أبحاث العلماء عنه مكبات الأرض من مشرقها إلى مغربها . إنه الإنسان الخليفة الذي جعله الله معمر هذا الكون المعجز في خلقه الأول آدم عليه السلام ، وفي خلق أمنا حواء عليها السلام من ضلعه ، وفي خلق عيسى بن مريم عليه السلام بدون أب ، وفي خلق الذرية من آدم وحواء ، إنه الإنسان المعجز في خلقه وفي تركيبه وتفكيره ، وفي وظائف أعضائه ، ووفى سكونه وحركاته ، وفي علمه وتخطيطه . إن هذا الكتاب يدل على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال اكتشافات العلم الحديث في مسألة خلق الإنسان التي بلغها النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في آيات وأحاديث شريفة تتكلم عن خلق الجنين والمراحل والأطوار التي يمر بها في وقت لم تكن الدراسات وأدوات العلم متوفرة حتى يتكلم بهذا الكلام المعجز من تلقاء نفسه أو بما درسه من علوم لم تتوفر في زمانه مع الحضارات القائمة آنذاك كحضارة الفرس والروم ، ومع علم الناس في زمانه أنه نبي عربي أُمى ما خرج عن البادية أو الصحراء وما تعلم من علوم البشر هذه من شيء ، إنما هو علم علمه إياه الله العليم الخبير . وكذلك فإن هذا الكتاب يفتح الأفاق للفكر الإنساني لاستخراج كنوز القرآن الكريم من الآيات التي تتحدث عن الدلالات العلمية على خلق الإنسان بل على خلق هذا الكون وما

⁽¹⁾ أستاذ علم التشريح والأجنة ، نال جائزة جرانت جى.سى.بى من الجمعية الكندية لاختصاصى علم التشريح والأجنة

⁽²⁾ أستاذ علم التشريح وعلم الأحياء التطويرى بجامعة توماس جيفرسون، فيلادلفيا ، بنسلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية

يحتويه من آفاق (سُتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (53) سورة فصلت.

وهذا الكتاب يقع فى اثنين وثلاثين فصلا ، وهو عبارة عن رحلة ايمانية مباركة بإذن الله تعالى . وقد بينت فيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المخرجة فى مواضعها والمعلومات العلمية الحديثة قدرة الله عز وجل فى خلق آدم وحواء عليهما السلام والعبر والعظات المستخرجة من خلقهما ، وخلق عيسى بن مريم عليه السلام ، وخلق الذرية ومراحل وأطوار خلق الجنين فى بطن أمه من النطفة إلى العلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم و النشأة الآخرة ، وكيفية اخراجه طفلا . وبينت المعانى الدقيقة فى التصوير فى الأرحام والقرار المكين للنطف الثلاث المذكورة فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من نطفة الرجل وبويضة المرأة إلى ال نطفة الأمشاج. وبينت الظلمات الثلاث التى تحيط بالجنين فى بطن أمه وبينت كيفية تحديد جنس الجنين ، وأن الذكر ليس كالأنثى ، والعلماء الذين أسلموا بسبب آيات خلق الجنين ، ثم ختمت بنهاية رحلة الإنسان فى هذا الكون من مرحلة الشيخوخة إلى مرحلة أزدل العمر. وبينت فى هذه الرحلة المباركة أوجه الإعجاز العلمى والسبق العلمى فى كل مراحلها والأدلة على صدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم من خلال خير شاهد يطمئن إليه الناس وهو شاهد العلم . وهكذا تمضى بنا الرحلة كما يبرها ربنا عز وجل فى قوله تعالى: **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَلَغْتُمْ تَعْوَذُونَ (29) سورة الأعراف.**

وقد استعنت بالله العظيم على كتابته وتأليفه وهذا جهد المقل الراجى عفوره عز وجل فإن كان فيه من صواب فله الفضل والحمد والمنة ، وإن كان غير ذلك فمن نفسى والشيطان وأرجوا الله عز وجل أن يغفر لى تقصيرى وخطأى ونسيانى ويشملنى بعفوه وكرمه.

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يتغمدى برحمته ويجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة ، وأن ينفع به الناس ويجعله قرينة لى ولهم إليه سبحانه وتعالى إلى يوم الدين ، وأن يجعلنا مستبصرين بقدرته وعظمته ، متيقنين بحوله وقوته ، مخلصين له فى عبادته ، شاكرين لنعمايه **(بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) سورة الزمر ، ومؤمنين بصدق رسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم إنى اشهدك واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك**

أنت أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم
عبدك ورسولك شهادة أسالك بأنك أنت الحق أن تدخرها لى عندك إلى يوم
الدين (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) سورة
الشعراء... آمين يارب العالمين.

الراجى عفوره حنفي محمود مدبولى

2016

الفصل الأول

طلاقة القدرة فى خلق الإنسان

إن من أعظم الآيات والشواهد والدلالات على وجود الحق سبحانه وتعالى وعلى قيوميته على خلقه وعلى وحدانيته ، هذا العالم من حولنا وما يحتويه من آفاق فى الأرض وما عليها من جبال وأنهار وبحار ومحيطات ، وبحيرات ووديان وسهول وعيون وبرك ومستنقعات ، وما فى بطنها من معادن شتى وبتروول ، وما فى السماء من أبراج ومجرات وشموس واقمار ونجوم نيرات ، وما فى البحار من شتى أنواع الكائنات البحرية دقيقةا (كالبتريا والطحالب) وجليلها كالحياتان وشتى أنواع الأسماك والقشريات والجوفمعيات وغيرها مما يحيط ها الله وحده بعلمه وقدرته ، ومما أخرجه منها لعباده للانتفاع به ، و هذه المحيطات على عمقها واتساعها وما فى قعرها من براكين ملتهبة لشاهدة أيضا على وحدانية الله تعالى. والنفس البشرية وما تحويه من أسرار الخلق والقدرة المطلقة لله رب العالمين ، كل هذه الدلالات شواهد حق على وجود الله القادر المقدر ، وعلى قيوميته على خلقه وعلى رحمته بهم لكى يعرفوه ويعبدوه ويفردوه وحده بالعبادة ولذلك قال الله تعالى **"(سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) سورة فصلت** ."

هذه النفس البشرية بدعا من خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام من الطين (من دون ذكر أو أنثى ومن دون رحم) وتصويره بهذه الصورة التى عليها الآن ذرئته من بعده ، ثم تحويل هذا الطين إلى دم ولحم وعظم وعصب وأجهزة فى غاية التعقيد فى تركيبها ووظائفها (الجهاز الدورى ، الجهاز الهضمى وملحقاته ، الجهاز التنفسى ، الجهاز البولى ، الجهاز التناسلى ، الجهاز العصبى ، الجهاز الحركى ، الغدد الصماء....) كل منها يدل على الواحد الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

بل إن خلق أمنا حواء عليها السلام من آدم عليه السلام لدلالة جديدة على قدرة الخالق المبدع سبحانه وتعالى ، فهى مخلوقة من ضلع آدم عليه السلام ، أى من

ذكر دون أثنى أو رحم أو نطفة مع اختلاف ها عن آدم عليه السلام فى بعض التركيب التشريحي والفسولوجى (علم وظائف الأعضاء) إلا أنها تحتوى على أصل صفات الجنس البشرى التى أخذتها من آدم عليه السلام .

وخلق عيسى بن مريم عليه السلام من أثنى دون ذكر مع تقلبه جنينا فى رحمها لدلالة قاطعة على القدرة المطلقة للخالق سبحانه وتعالى . وأخيرا خلق الذرية من نطفة الذكر ونطفة الأثنى والتى لا ترى إلا تحت الميكروسكوب بعد تكبيرهما آلاف المرات وما فيهما من عجائب الخلق وطلاقة القدرة والتصوير فى الأرحام ما يدل على القادر المقتدر المحى والمميت (**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)** سورة الأعراف.

إن علم الأجنة الذى ظهر منذ القرن العشرين كعلم معترف به لم يصل حتى الآن إلى مكنون النفس البشرية ، بل جل بها توصل إليه العلماء المتخصصين وهو كيفية تكوين الأجنة فى الأرحام من النطفة إلى اكتمال نموها وصورتها جنينا يتقلب فى رحم أمه ، وكيفية ثباتها أو سقوطها او خروجها طفلا غضا طريا يحتاج إلى من يرعاه ويربيه . لقد بين الله عز وجل تفاصيل هذه الرحلة فى كلمات موجزة مختصرة تفيد المعانى الاصطلاحية العلمية لها (نطفة - علقة - مضغة - عظاما - لحما - خلقا آخر) فتبارك الله أحسن الخالقين . بل بين الله عز وجل فى كتابه العظيم الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مكنون النفس البشرية (النفس السوية - والنفس الراضية المرضية - والنفس الأمارة بالسوء - والنفس اللوامة) كل هذا فى أبسط العبارات وأوجزها ، وأكملها فى الدلالة على معانيها وعلى قدرته عز وجل .

أنماط خلق الانسان كما بينها القرآن:

من يقرأ القرآن الكريم يتبين له أن الله عز وجل ذو القدرة المطلقة فى خلق الإنسان ، وأن أنماط خلق الإنسان فى القرآن الكريم جاءت جميعها فى سورة النساء على النحو التالى:

1- خلق الإنسان الأول (آدم عليه السلام) بدون الحاجة إلى ذكر وأثنى بل خلقه من تراب

2- الخلق من الذكر بدون أنثى أو رحم كما هو الحال فى خلق حواء من آدم عليه السلام

3- الخلق من الأنثى بدون ذكر كما هو الحال فى خلق عيسى بن مريم عليه السلام

4- الخلق من الذكر والأنثى كما هو الحال من خلق ذرية آدم وحواء عليهما السلام

هذا وقد ذكر الله عز وجل ثلاثة أنماط من هذه القدرة المطلقة على الخلق فى قوله عز وجل فى صدر سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ، وذكر النمط الرابع من الخلق وهو خلق عيسى بن مريم عليه السلام من أنثى دون الحاجة إلى ذكر فى نهاية سورة النساء ونسبه إلى أمه مريم بنت عمران البكر البتول المطهرة رضى الله عنها وأرضاها ، وبين سبحانه وتعالى أن عيسى بن مريم وأمّه والملائكة ما استنكفوا عن عبادة الله وليس كما زعم أهل الشرك من النصارى أنه ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة فرد عليهم افتراءهم هذا فى آيات نيرات لمن أ راد أن يذكر أو اراد شكورا فقال سبحانه وتعالى : " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173)

حوار بين الله عز وجل وبين ملائكته فى خلق آدم عليه السلام:

بين الله عز وجل لملائكته الكرام عظيم خلقه وطلاقة قدرته فى الخلق والايجاد من العدم فاعلمهم بخلق جديد ليس من قبل الخلق الأول منهم أو من الجن بل هو مخلوق متميز عنهم وبين لهم الهدف من خلق هذا المخلوق الجديد فقال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ
فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ نَبِيٌّ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ
مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا
مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ
هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَعَى
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)

آيات وعبر وعظات من هذه الآيات :

- 1- أن الله عز وجل أعلم الملائكة بهذا الخلق الجديد وبين لهم مباشرة أن الهدف من خلق آدم عليه السلام هو جعله خليفة في الأرض ، وكلمة خليفة لها معنيين عند علماء التفسير ، والمعنى الأول منهما أنه يخلف بعضه بعضا في الأرض ، ذرية بعضها من بعض وجيلا من بعد جيل فلا تندثر الصفات الوراثية من آدم الأول إلى آخر انسان قدر الله له الوجود في الأرض حتى تقوم الساعة وهذه وحدها تحتاج إلى نظرة للتأمل ، أما المعنى الثانى لكلمة خليفة هو أنه يحكم بما أنزل الله فلا خلافة بدون الحكم بما أنزل الله عز وجل (3)
- 2- أن رد الملائكة يشير إلى فهمهم أن هذا الخليفة يكون من غيرهم وذهبوا بفكرهم هذا إلى الجن الذين من صفاتهم وطبائعهم على الأغلب سفك الدماء والفساد فى الأرض وهذا من خلال علمهم المشاهد عن الجن ولذلك كان ردهم : " قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

(3) تفسير ابن كثير صفحة القرآن رقم 6

- 3- الأمر الثانى من رد الملائكة أنهم قالوا على وجه التلميح دون التصريح بأن هذا الخليفة يكون منهم ويفهم ذلك من قولهم : " **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**"
- 4- رد الله على الملائكة أن هذا الخليفة غير ما تظنون بل هو مخلوق جديد متميز عن غيره من الجن أو حتى أنتم أيتها الملائكة الكرام وذلك من قوله عز وجل : " **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**"
- 5- بيان ميزة هذا المخلوق الجديد وهو آدم عليه السلام عن الجن والملائكة وهى قدرته على العلم والتعلم والتفكير والتحليل والاستنباط وبين سبحانه وتعالى هذا بالدليل العملى بتميز آدم عليه السلام عن الجن وعنهم لبناء اليقين فى نفوس الملائكة ومن كان معهم من الجن وهو ابل يس عليه لعنة الله . وهذا الدليل هو علم مسميات الأشياء وهذه مسألة فى غاية الصعوبة على من كان من الجن أو الملائكة إذ كيف يتم استنباط اسم ا لشيء له صفات أو خصائص يتم التعارف عليه ا بين الخلق ؟ . جاء هذا الدليل العملى لبيان لهم القدرة التى أودعها الله فى آدم عليه السلام وميزه بها عن الجن والملائكة وهى علم الأسماء فقال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة : " **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(33)**"
- 6- أن العلم الذى علم الله به آدم عليه السلام ميزه به عن الملائكة وتيقنت الملائكة من ذلك عندما علم الله آدم الأسماء كلها ثم عرض هم على الملائكة فقال سبحانه وهو العليم الحكيم : " **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31)**"
- 7- أن الملائكة عجزوا أن يأتوا بمسميات هذه الأشياء كما بين ربنا عز وجل : **(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)**
- 8- فلما أمر الله عز وجل آدم عليه السلام أن ينبأهم بأسمائهم فأنبأهم بها ، بين الله عز وجل فضيلة هذا الانسان وبين لهم أنه سبحانه وتعالى يعلم غيب السموات والأرض ويعلم ما أبده من بيان فساد الجن فى الأرض وقياس هذا الانسان على فعل الجن ، كما بين لهم أنه يعلم ما يكتُمون

قال الله تعالى : **قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ : "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(33)**

9- ويبرز هنا سؤال مهم جدا ألا وهو : لماذا هذا الحوار بين الله وملائكته فى مسألة خلق آدم عليه السلام ؟ والجواب : أن الملائكة سوف يقومون بخدمة هذا الانسان فمنهم من هو موكل بنزول الماء من السماء لإخراج الزروع والثمار التى يتغذى عليها هذا الانسان وتتغذى عليها بهيمة الانعام والطيور التى يستفيد الانسان منها بعد ذلك ، فيأكل من لحمها ويشرب من لبنها ويستخدم أصوافها وأوبارها وجلودها أاثا وملعنا إلى حين فى حال سفره وإقامته ، ومنهم من هو موكل بنفخ الروح فى الجنين وهو فى بطن أمه ، ومنهم من هو موكل بكتابة الحسنات والسيئات التى تصدر من هذا الانسان ، ومنهم من هو موكل بنزول الوحي من السماء كجبريل عليه السلام والذى به "أى بالوحي" تكون الخلافة فى الأرض لكى يتعايش الناس فى أمن وأمان وسلام وإسلام ماداموا على تطبيق شرع الله ، أما إذا خالفوا شرع الله فسدوا وأفسدوا وقتلوا وقتلوا ونهبوا وانهبوا إلى غير ذلك من المفاسد المهلكة ، ومنهم من هو موكل بقبض الأرواح كملك الموت وأعوانه على ذلك ، ومنهم من هو خازن للجرم ومن معه من الملائكة الكرام الذين يستقبلون المؤمنين الصالحين عند دخولهم الجنة : قال تعالى : **"وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(73)** سورة الزمر ، ومنهم من هو خازن للنار كمالك وأعوانه الذين يقومون بتعذيب العصاة المذنبين **"وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ مَكِينُونَ (77)** سورة الزخرف .

من هنا يتضح أهمية اعلام الملائكة بهذا الانسان معمر هذا الكون وكان ولا بد من بيان فضله وميزته حتى تقوم الملائكة بواجباتها طواعية لله عز وجل ، ورضا واعترافا منها بعلمه وفضله الذى امتن به على آدم عليه السلام ، وهذا يتضح من فعلها عندما أمرهم الله أن يسجدوا لآدم عليه السلام فسجدوا إلا ابليس المعاند المكابر

10- من هنا يتضح الهدف من قصة خلق آدم عليه السلام أما تفاصيل وكيفية الخلق فقد وردت فيه آيات كثيرة مذكورة فى أكثر من سورة ونبينا للرد

على الذين يشكُّون في القرآن وأنه فيه آيات تتعارض مع بعضها البعض مثل الآيات التي وردت في خلق الانسان ، وحتى لا يقول مدع أن آدم عليه السلام مخلوق من تراب أم من طين أم من طين لازب أم من حمأ مسنون أم من صلصال كالغفار ؟ وهو لا يدري أن التراب إذا مزج بالماء يكون طينا فإذا ما توك فترة من الأيام يكون طينا لازبا أي ذو لزوجة ، فإذا ترك فترة أخرى يكون حمأ مسنونا أي له رائحة بعد تخمره ثم إذا ترك فترة أخرى يجف منه بعض الماء فيكون صلصالا كالغفار بعد تشكله اشكالا كالأواني الفخارية

11 - أن الملائكة استجابوا لأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام بعد تسويته ونفخ الروح فيه

12 - أما ابليس اللعين عليه لعنة الله في كل زمان ومكان ، ناصب آدم عليه السلام العداوة والبغضاء ورفض السجود له وهذا ما بينه الله عز وجل في قوله : **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)** سورة البقرة ، وبين الله عز وجل عداوة ابليس لآدم وزوجه حواء عليهما السلام لقوله تعالى **(فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)** سورة طه

13 ومع هذا البيان الساطع لآدم وزوجه إلا أنهما عصيا الله عز وجل بأكلهما من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها وهذا بعد وسوسة الشيطان لهما وقسمه لهما أنه لهما لمن الناصحين قال الله تعالى : **(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19)** قوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين **(20)** وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين **(21)** فدلاهما يغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكم إن الشيطان لكم عدو مبين **(22)** قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين **(23)** قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين **(24)** قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون **(25)** سورة الأعراف

14 - وبين الله عز وجل أنه عهد إلى آدم عليه السلام أن لا يجوع فى الجنة ولا يعرى، وأن لا يظماً فيها ولا يضحى ، وأن الشيطان له ولزوجه عدو فلا يخرجهما من الجنة فيشقى قال الله تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِيفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) سورة طه

15 - أن الله تعالى بين لآدم وحواء أن إبليس عدوهما حتى فى الأرض وأن السبب فى هبوطهما من الجنة إلى الأرض هو معصية الله عز وجل بطاعة إبليس ووساوسه وأنهما يعودان إلى الجنة مرة أخرى بطاعتها لله وعصيانها لإبليس عليه لعنة الله فى كل مكان وزمان قال الله تعالى : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) سورة طه.

16 لابد وأن نعلم أن المعصية تخفض صاحبها كما حدث مع آدم وحواء عليهما السلام فبسبب المعصية أهبطا من الجنة إلى الأرض ، والتوبة والطاعة ترفع صاحبها لأعلى عليين وهذا ما وعد الله عز وجل به عباده.

17 - وبعد أن بين الله عز وجل عداوة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام كان من رحمة سبحانه وتعالى النبيين أيضا لذرية آدم وحواء أن الشيطان عدوا لهم لكى يحذروه إلى أن تقوم الساعة قال تعالى : (أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) سورة يس

18 - بين ربنا عز وجل أن المهتدى هو الذى يتبع طريق الرسل وهو طريق الهدى وأن الخاسر هو الذى يتبع الشيطان وهو طريق الضلال قال تعالى : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) سورة طه

19 - من هذا السرد البياني يتضح أن الله عز وجل نصح أبو البشر آدم عليه السلام وزوجه أمنا حواء عليها السلام ، كما أنه سبحانه وتعالى بالغ فى النصح لذريتهما من بعدهما من عداوة هذا الشيطان اللعين ، وحذرهم من وساوسه. بل إن من رحمته عز وجل أرسل الرسل وأنزل مع هم الكتاب والحكمة ليكونوا هداية للبشر إلى رب العالمين وحتى لا يتركهم فريسة للشيطان الرجيم قال تعالى فى سورة آل عمران : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(83).

20 - يبين من هذا كله ميزة آدم وحواء وذريتهما من بعدهما على الجن والملائكة بفضيلة العلم الذى استودعه الله فيهم جميعا ، وبيان رحمة الله عز وجل بآدم وحواء وذريتهما من بعدهما بالتحذير من الشيطان الرجيم ورحمته أيضا بإرسال الرسل وانزال الكتاب والحكمة عليهم ليدلوا الناس إلى طريق رب العالمين

الفصل الثاني

بيان كيفية خلق الإنسان

بين القرآن الكريم كيفية خلق الإنسان ابتداء من خلق آدم عليه السلام إلى خلق ذريته من بعده ، وهذا البيان جاء على وجه التفصيل فى خلق آدم عليه السلام ، وحواء عليها السلام ، وخلق الذرية منهما ومن بعدهما . وبين الله عز وجل أن خلق آدم عليه السلام تم على مرحلتين أساسيتين وهما خلق الجسد من التراب والماء ليؤونا الطين الذى يتشكل منه الجسد ، ثم المرحلة الثانية بعد تسوية المرحلة الأولى وهى النفخ فيه من روح الله عز وجل ليتحول هذا الجسد بحول الله وقوته وعظيم قدرته من الطين إلى دم ولحم وعظم وشحم وعصب فتدب فيه الحياة فتتحرك الأجهزة والأعضاء وتعمل بقدرة الله عز وجل لتلا عم وظيفة الإنسان فى الوجود فيفكر ويخطط وينفذ ويعمر ويخلف بعضه بعضا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ

السَّاجِدِينَ (31) سورة الحجر ، وقوله تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ لِمَا خَلَقْتُ مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ (76) سورة ص. فيالها من قدرة مبنية على علم أزلى ينم عن الخبرة فهو سبحانه وحده العليم الخبير بهذه النفس البشرية وبكل ما خلق ، وبالها من حكمة مبنية على علم العليم الحكيم وعلى لطفه بخلقه فهو سبحانه وحده اللطيف الخبير (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) سورة الملك.

أولا : خلق جسد آدم عليه السلام:

بين الله عز وجل أنه خلق آدم عليه السلام من جسد وبعد أن أتم خلق الجسد وسواه نفخ فيه من روحه . وهكذا الإنسان عبارة عن جسد وروح ، وبين الله عز وجل المادة التي خلق منها الجسد وهي كما يلي : الأرض ، التراب ، الماء ، الطين ، الطين الازب ، الحمأ المسنون ، الصلصال كالفخار

ثانيا : مرحلة النفخ فى الروح

وهنا بحول الله وقوته وقدرته وعظمته يتحول هذا الجسد الذى من الطين وهو عبارة عن هيكل أجوف له صلصلة عند الطرق عليه إلى دم ولحم وشحم وعظم وعصب وعروق بعد نفخ الروح فيه ولا يقدر على ذلك إلا الله العليم الخبير. ولذلك أمر الله عز وجل الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه وليس قبلها " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) سورة ص. وهذا دليل على أن السجود فى الحقيقة كان لقدرة الله عز وجل الذى حول الطين إلى دم ولحم وعظم وشحم وعصب وعرق بعد النفخ فيه من روحه التى هى سر الخلق والوجود والملكوت : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83) سورة يس

خلق آدم من التراب والماء

آيات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى خلق الانسان الأول وهو آدم عليه السلام وذريته من بعده من الأرض ، التراب ، والماء ، والطين ، والطين اللابز ، والحمأ المسنون ، والصلصال كالفخار هذه الآيات بيانها كالتالى:

الخلق من الماء:

1 - من قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) سورة الفرقان

الخلق من الأرض: من قوله تعالى

- 1 - (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) سورة هود
- 2 - (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) سورة طه
- 3 - هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى (32) سورة النجم
- 4 - وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) سورة نوح

الخلق من التراب: من قوله تعالى

- 1 - (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) سورة آل عمران
- 2 - (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) سورة الكهف
- 3 - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ.... (5) سورة الحج
- 4 - (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) سورة الروم
- 5 - (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) سورة فاطر

6- (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) سورة غافر

الخلق من الطين: من قوله تعالى

- 1- (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) سورة الأنعام
- 2- (قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) سورة الأعراف
- 3- (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) سورة المؤمنون
- 4- (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) سورة السجدة
- 5- (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) سورة الصافات
- 6- (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) سورة ص
- 7- (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) سورة ص

الخلق من الحمأ المسنون والصلصال: من قوله تعالى

- 1- (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) سورة الحجر
- 2- (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) سورة الحجر
- 3- (قَالَ لَمْ أَكُنْ لِسَاجِدٍ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) سورة الحجر
- 4- (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) سورة الرحمن

من هذه الآيات يتضح أن المادة التي خلق الله عز وجل منها الانسان هي الأرض ، والأرض تحتوى على التراب والماء ، وباختلاطهما يتكون الطين فإذا صار الطين ذو لزوجة أصبح طينا لازبا ، وإذا ترك فصار له رائحة متغيرة بعد تخمره اصبح حمأ مسنونا ، فإذا تبخر منه بعض الماء وتشكل أشكالا صار صلصالا كالفخار وهذا معروف ومشهود ومحسوس فى دنيا الناس.

وحيث أن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين فلا بد من معرفة هذه المواد التى خلق منها الانسان من حيث اللغة

خلق آدم من قبضة من الأرض : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك(4)

والأرض فى اللغة : هى الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، ولا تجيء مجموعة فى القرآن (5)، ويعبر بها عن أسفل الشيء ، كما يعبر بالسماء عن أعلاه.

وقوله تعالى: **(اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (17)** سورة الحديد هو عبارة عن كل تكوين بعد إفساد وعود بعد بدء، ويقال: أرض أريضة، أي: حسنة النبت(6). وتأرض النبت: تمكن على الأرض فكثرت، وتأرض الجدي: إذا تناول نبت الأرض، والأرضة: الدودة التى تقع فى الخشب من الأرض(7). وقال الزمخشري: يقال: هو أفسد من الأرضة(8). يقال: أرضت الخشبة فهي مأروضة. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه خلق آدم عليه السلام من قبضة من الأرض ويعنى بها قبضة من تراب الأرض وهو من قشرة الأرض

التراب:

يقول تعالى فى سورة آل عمران : **(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كُنْ فَيَكُونُ (59)** ، جاء فى المعجم الوسيط: التراب: ما نعم من أديم الأرض: والتربة: جزء الأرض السطحي الصالح لأن يكون مهداً للنبات، وجاء فى لسان العرب: تربة الأرض: طاهرها.

الطين:

⁴ أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حديث صحيح

⁵ انظر: المجلد 1/92

⁶ انظر: المجلد 2/92؛ والعين 55/7

⁷ راجع اللسان(أرض) 113/7؛ والعين 56/7

⁸ راجع أساس البلاغة ص5

يقول تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (12)** سورة المؤمنون ،
جاء في المعجم الوسيط : الطين: التراب المختلط بالماء، وقد يسمى بذلك وإن
زالت عنه رطوبة الماء، وجاء في لسان العرب: الطين: الوحل

الطين اللازب:

قال الله تعالى: **(أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازبٍ (11)**
سورة الصافات، جاء في المعجم الوسيط : والطين اللازب: الطين اللزج أو
اللاصق

سلالة من طين :

أما قوله تعالى: **(مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ)** فقال قتادة: استل آدم من طين فسمي
سلالة. وفي كتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني : وقوله تعالى: **(مِنْ
سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ)** [المؤمنون/12]، أي: من الصفو الذي يسيل من الأرض، وقيل :
السلالة كناية عن النطفة تصور دونه صفو ما يحصل منه

وفي مختار الصحاح : و سلال الشيء ما * استل * منه والنطفة * سلالة *
الإنسان ، والسلالة هي انتقاء أفضل عناصر التراب وليس كل العناصر الموجودة
في التراب لأن التراب به شوائب كثيرة ، وهذا من مناط الاعجاز العلمي في
الآيات التي تتكلم عن خلق النسان من سلالة من طين وليس من كل الطين لأن
الطين يحتوى على النافع والضار واستل الإنسان من النافع فيه

الحمأ المسنون:

جاء في سورة الحجر قوله تعالى : **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ
مَسْنُونٍ(26)** وجاء في مادة الحمأ : والحمأ: الطين الأسود المتين، وجاء في
مادة سنن: المسنون: المصور، أو المملىس أو المتين، وقوله تعالى : **(مِنْ حَمَإٍ
مَسْنُونٍ)** قال أبو عمرو: أي متغير متين، وقال بن عباس : هو الرطب، وقال أبو
عبدة: المسنون المصوب، ويقال : المسنون المصوب، ويقال : المسنون
المصوب على صورة، وسنتت التراب صببته صباً سهلاً.

الصلصال الفخار:

يقول تعالى في سورة الرحمن : **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14))** والصلصال كما جاء في لسان العرب : هو الطين اليابس الذي يصل من ييسه أي يصوت وجاء أيضاً : الصلصال من الطين ما لم يجعل خزفاً ، وقال الجوهري : الصلصال الطين الحر خلط برمل فصار يتصلصل إذا جف فإذا طبخ بالنار فهو الفخار.

الطين وصفاته

بين الله عز وجل في كتابه الحكيم أن الإنسان خلق من سلالة من طين وليس هنا أي تعارض بين الآيات التي تتكلم عن أصل الخلق من الأرض ومن التراب والماء لأن مزج التراب بالماء يصير طينا وهذا مشاهد محسوس لجميع الناس فيقول الله عز وجل : **(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7))** سورة السجدة ، فتدل الآية على أن بداية خلق وتشكيل الجسد من الطين لأنه لا يتم تشكيل أشكال معلومة لها صفة الشكلية من التراب أو من الماء وهذا أيضا من مناسبات الإعجاز العلمي والبياني في القرآن الكريم وبين الله عز وجل صفات الطين بعد أن تم خلط التراب بالماء فتارة يكون طينا لازبا وأخرى يكون حمأ مسنونا وثالثة يكون له صلصلة كال فخار بعد أن يجف ويتبخر منه بعض الماء فيقول الله عز وجل : **(أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11))** سورة الصافات.

الطين اللازب يجف فيكون فخارا له صلصلة

وهكذا تمضى بنا الآيات في كتاب الله عز وجل على نسق وترتيب وبيان انتقال التراب بعد خلطه بالماء من حال إلى حال ، وذلك قبل نفخ الروح في هذا الجسد المتاييس الذي أصبح له صلصلة كصلصلة الفخار عند الطرق عليه ، وهذا دليل على أن الإنسان بعد تكوين الجسد وكونه له صلصلة كصلصلة الفخار عند الطرق عليه كان أجوفا ، فيقول الله عز وجل في سورة الرحمن : **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14))** .

تفسير الآيات التي تتكلم عن خلق الإنسان

تفسير ابن كثير⁽⁹⁾

1 - النشأة من الأرض

قوله تعالى في سورة هود : **{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مَّحِيبٌ}**(61). **{هو أنشأكم من الأرض}** أي ابتداء خلقكم منها خلق منها أبائكم آدم **{واستعمركم فيها}** أي جعلكم عمارة تعمرونها وتستغلونها **{فاستغفروها}** لسالف ذنوبكم **{ثم توبوا إليه}** فيما تستقبلونه **{إن ربي قريب مجيب}** كما قال تعالى : **{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}** سورة البقرة / 186.

وقوله تعالى في سورة النجم: **{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَتَمَّ أَجِنَّةً فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكَّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}**(32). **{هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض}** أي هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم ، وتقع منكم حين أنشأ أبائكم من الأرض ، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين : فريقاً للجنة وفريقاً للسعير . وكذا قوله : **{وإذ أتمم أجنة في بطون أمهاتكم}** قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ؟ قال مكحول : كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط ، وكنا فيمن بقي ثم كنا مرضع فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك ، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فماذا بعد هذا نتنظر؟⁽¹⁰⁾.

2 - الخلق من تراب:

قوله تعالى في سورة الروم : **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}** (20)

يقول تعالى: **{ومن آياته}** الدالة على عظمته وكمال قدرته ، أنه خلق أبائكم آدم من تراب **{ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}** فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علة ثم مضغة ، ثم صار عظاماً شكله على شكل الإنسان ، ثم كسا

⁽⁹⁾ تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير للحافظ /سما عيل بن عمر بن كثير وهو أجل مؤلفاته فقد تناقلته الأمة بالقبول ويعتبر أصح تفسير للقرآن
⁽¹⁰⁾ رواه ابن أبي حاتم عنه

الله تلك العظام لحمًا ، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار بيني المدائن والحصون ، ويسافر في أقطار الأقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ، ويتكسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ودهاء ومكر ورأي وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب ، وفاوت بينهم في العلوم والفكر ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة، ولهذا قال تعالى: **{ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}**.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد وغندر قالوا: حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن وبين ذلك»(11)

وقوله تعالى في سورة فاطر: **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}**(11)

وقوله تبارك وتعالى: **{والله خلقكم من تراب ثم من نطفة}** أي ابتداء خلق أبيكم من تراب ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين **{ثم جعلكم أزواجاً}** أي ذكراً وأنثى، لطفاً منه ورحمة أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا إليها.

وقوله تعالى في سورة غافر: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّى مِنَ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** (67)

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان ، وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه في قوله جلت عظمته : **{هو الذي خلقكم من تراب ثم من**

(11) رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي بوقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً أي هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له ، وعن أمره وتدييره وتقديره يكون ذلك {ومنكم من يتوفى من قبل} أي من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم بل تسقطه أمه سقطاً ومنهم من يتوفى صغيراً وشاباً وكهلاً قبل الشيخوخة كقوله تعالى: {لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى} وقال عز وجل وهنا : {ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون} قال ابن جريج تذكرون البعث

3 - الخلق من الطين

قوله تعالى في سورة الأنعام: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) (2) وقوله تعالى: {هو الذي خلقكم من طين} يعني أباهم آدم ، الذي هو أصلهم ، ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغرب!

قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) سورة المؤمنون

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون. وقال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس {من سلالة من طين} قال: من صفوة الماء. وقال مجاهد: من سلالة أي من مني آدم . وقال ابن جرير: إنما سمي آدم طيناً لأنه مخلوق منه وقال قتادة: استل آدم من الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق ، فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب ، وهو الصلصال من الحمأ المسنون ، وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى: {ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود

وبين ذلك، والخيث والطيب وبين ذلك»⁽¹²⁾ {ثم جعلناه نطفة} هذا الضمير عائد على جنس الإنسان كما قال في الآية الأخرى : {وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين} أي ضعيف ، كما قال: {ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين} يعني الرحم معد لذلك مهياً له {إلى قدر معلوم فقدربنا فنعم القادرون} أي مدة معلومة وأجل معين حتى استحكمت وتقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة ، ولهذا قال ههنا: {ثم خلقنا النطفة علقه} أي ثم صيرنا النطفة ، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره ، وترائب المرأة وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة ، فصارت علقه حمراء على شكل العلقه مستطيلة ، قال عكرمة : وهي دم {فخلقنا العلقه مضغة} وهي قطعة كالبيض من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط {فخلقنا المضغة عظاماً} يعني شكلناها ذات رأس ويدان ورجلين بعظامها وعصيا وعروقها. وقرأ آخرون {فخلقنا المضغة عظماً} قال ابن عباس : وهو عظم الصلب ، {فكسونا العظام لحماً} أي وجعلنا على ذلك ما يستتره ويشده ويقويه {ثم أنشأناه خلقاً آخر} أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب {فتبارك الله أحسن الخالقين}. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا نمت النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث⁽¹³⁾ ، فذلك قوله: {ثم أنشأناه خلقاً آخر} يعني نفخنا فيه الروح ، وروي عن أبي سعيد الخدري أنه نفخ الروح ، قال ابن عباس {ثم أنشأناه خلقاً آخر} يعني فنفخنا فيه الروح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد ، واختاره ابن جرير. وقال العوفي عن ابن عباس {ثم أنشأناه خلقاً آخر} يعني تنقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلاً ثم نشأ صغيراً ، ثم احتلم ثم صار شاباً ، ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا. وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ، ولا منافاة فإنه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والأحوال ، والله أعلم. قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم

⁽¹²⁾ المرجع السابق

⁽¹³⁾ رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر يعني ابن كثير مولى بني هاشم حدثنا زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب

يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها»⁽¹⁴⁾.

وروى ابن أبي حاتم بسنده قال عبد الله - يعني ابن مسعود - إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر، فتمكث أربعين يوماً، ثم تعود في الرحم فتكون علقة⁽¹⁵⁾. وذكر الإمام أحمد: "مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاءه حتى جلس، فقال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ فقال «يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم» فقال: هكذا كان يقول من قبلك⁽¹⁶⁾. وفي هذا الحديث أوجه كثيرة من الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة نذكره في حينه إن شاء الله عز وجل.

وروى الإمام أحمد بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة، فيقول: يا رب ماذا؟ أشقي أم سعيد، أذكر أم أثنى؟ فيقول الله، فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه، ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص»⁽¹⁷⁾.

⁽¹⁴⁾ أخرجه من حديث سليمان بن مهران الأعمش
⁽¹⁵⁾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثم بن عبد الله بن مسعود
⁽¹⁶⁾ وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود
⁽¹⁷⁾ وروى الإمام أحمد: حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به نحوه ومن طريق أخرى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري وهو أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عبيد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله وكل بالرحم ملكاً، فيقول: أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله خلقها قال: أي رب ، ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ قال: فذلك يكتب في بطن أمه»⁽¹⁸⁾. وقوله: **{فتبارك الله أحسن الخالقين}** يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق ، قال: **{فتبارك الله أحسن الخالقين}** ، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن عمر ، يعني ابن الخطاب رضي الله عنه قال: وافقت ربي ووافقني في أربع : نزلت هذه الآية **{ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين }** الآية ، قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت **{فتبارك الله أحسن الخالقين}**⁽¹⁹⁾. وقوله: **{ثم إنكم بعد ذلك لميتون}** يعني بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت **{ثم إنكم يوم القيامة تبعثون}** يعني النشأة الآخرة **{ثم الله ينشئ النشأة الآخرة }** يعني يوم المعاد. وقيام الأرواح إلى الأجساد ، فيحاسب الخلائق ، وبوفى كل عامل عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال الدكتور عبد الفتاح محمد طيرة⁽²⁰⁾ خلق الإنسان من طين لا يستلزم خلقه من كل الطين ، وإنما يكفي أنه يخلق من أحد محتويات الطين أو من أحد مكوناته . يشبه ذلك قول أحدها أنه يسكن في القاهرة أو أنه من القاهرة ، بمعنى أنه يسكن في حي منها ، بل في شارع ، بل في منزل واحد . لهذا قالت الآية 12 من سورة المؤمنون: **{ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين}**، أي من مواد تتسلل من الطين فهي محتواة فيه . التسلل هو الحركة الخفيفة ، واللص المتسلل هو الذي يتحرك فلا يراه أحد . صيغة " فعالة " تدل على الشيء يفعل فيه فعل ما ، فالسلالة ما يسل ويخرج في خفاء ، والسلالة ما يسلت من شيء آخر ويفصل عنه⁽²¹⁾، والخلاصة هي ما يستخلصه وينقي مما يختلط به الطين الذي تتكون

⁽¹⁸⁾ أخرجه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد.

⁽¹⁹⁾ وروى ابن أبي حاتم بسنده حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال عن عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه

⁽²⁰⁾ خلق الإنسان من طين في ضوء القرآن/عبد الفتاح طيرةكلية الطب جامعة القاهرة موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن

⁽²¹⁾ (القاموس المحيط للفيروزآبادي)

حبيباته من سيلكات الألومونيوم فيه مسافات تكون 50% من حجمه ، وتحتوي ما يمكن أن يحرك ويستخلص ، وهو " السلالة " التي عرفنا بالوسائل العلمية أنها ماء ذابت فيه غازات وأيونات وجزيئات صغيرة من أصل عضوي وبعض الأملاح . ولأهمية المسافات البينية والمسام الموجودة في الطين وصف القرآن هذا الطين (صلصال كالفخار)، وذلك في الآية 14 من سورة الرحمن . من ذا الذي لا يعرف أن الإناء الفخاري يتسلل الماء من داخله إلى خارجه فيخر ليبرد الإناء وما فيه؟! وإذا كان الماء محتويًا على ملح أو سكر مذاب ترسبت بعض بلوراته على السطح الخارجي بعد تسلسها من داخله ، وقيل حينئذ إن الإناء نضح بما فيه ، وفي الأمثال " كل إناء بما فيه ينضح " . والصلصلة هي الرنين وهي ترجيع الشيء للصوت إذا نقرت عليه أو قرعته كصلصلة الجرس . الفخار الجاف يصلصل لوجود الهواء في مسافته البينية ، بينما لا تسمع صلصلة إذا نقرت على قطعة من الجرانيت الذي تكون سيلكات الألومونيوم 60% منه ، وذلك لتراكم حبيباته والتصاقها بغير مسافات بينية . كذلك لا تصلصل قطعة من حجر الإردواز، و هو صخر متحول من سيلكات الألومونيوم الخالصة فقد مسافته البينية بالحرارة والضغط . ومن الطرائف العجيبة أن أتعشم أن تحظى باهتمام وعناية بعض اللغويين ما لاحظته في دراستي هذه من تشابه واضح بين بعض الألفاظ العربية وبعض الألفاظ الأجنبية في المبنى والمعنى .

(السلالة)هي ما يسلت كما يدل على نض ح الملح والسكر على سطح الإناء الفخاري . الاسم الإنجليزي للمادة المذابة القابلة للنض ح هو لفظ " Solute " والتشابه في النطق بين سلاته وسوليوت تشابه لافت للنظر . والمادة العضوية المتحللة التي تختلط بالتربة في كثير من اللغات الأوربية " Humus " ، والمتكلمون بهذه اللغات ينطقون (الحاء)العربية (هاء) تكتب وتنطق إذن : " همأ " أي " Humu " وإضافة حرف (S) في اللغة اللاتينية إلى آخر الكلمات تكاد تكون شيئًا ثابتًا ، فنيكولا تكتب وتنطق (نيكولاس)، وبوليو تكتب وتنطق (يوليوس) . تفاعل اللغتين اللاتينية والعربية في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا في عصر النهضة (أو الإستارة) أمر لا يمكن تجاهله ، وهو العصر الذي بدأ الأوروبيون فيه ينقلون علومهم عن العربية .

4 - الخلق من الطين اللازب

قوله تعالى :

فقال: {إنا خلقناهم من طين لازب} قال تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (11) سورة الصافات : قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك : هو الجيد الذي يلتزق بعبه ببعض ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذي يلزق باليد.

5 - الخلق من الحمأ المسنون

قوله تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (26) وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ (27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) سورة الحجر

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس ، والظاهر أنه كقوله تعالى : { خلق الإنسان من صلصال كالفخار } وعن مجاهد أيضاً {الصلصال} المتن ، وتفسير الآية بالآية أولى . قوله: {من حمأ مسنون} أي الصلصال من حمأ ، وهو الطين . والمسنون: الأملس ، كما قال الشاعر : ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون أي أملس صقيل ، ولهذا روي عن ابن عباس أنه قال : هو التراب الرطب ، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك: أن الحمأ المسنون هو المتن . وقيل: المراد بالمسنون ههنا المصبوب . وقد ورد في الصحيح «خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجن من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» . والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارة محتده.

قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(32) قَالَ لَمْ أَكُن لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ(33) سورة الحجر

يذكر تعالى تنويبه بذكر آدم في ملائكت ه قبل خلقه وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له ، ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة

حسدًا وكفرًا وعنادًا واستكبارًا وافتخارًا بالباطل ، ولهذا قال: {لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماءٍ مسنون} كقوله {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} وقوله: {أرايتك هذا الذي كرّمت عليّ} الآية

6- الخلق من صلصال كالفخار

قوله تعالى (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) (14) سورة الرحمن : يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلقه الجان من مارج من نار ، وهو طرف لهبها ، قاله الضحاك عن ابن عباس ، وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد ، وقال العوفي عن ابن عباس : من مارج من نار من لهب النار من أحسنها ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : من مارج من نار من خالص النار ، وكذلك قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم . وروى الإمام أحمد بسرده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»⁽²²⁾.

تفسير أضواء البيان للشنقيطي (23) : قوله تعالى {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ}. الصلصال: الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة ، أي صوت إذا قرع بشيء ، وقيل الصلصال المتتن ، والفخار الطين المطبوخ ، وهذه الآية بين الله فيها طورًا من أطوار التراب الذي خلق منه آدم ، فيبين في آيات أنه خلقه من تراب كقوله تعالى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} وقوله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بِشُرٍ تَتَشَرَّبُونَ} وقوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} وقوله تعالى {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ} وقد بينا في قوله تعالى {فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} وقوله {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها ، لأنه أصلهم وهم فروعه ، ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالماء فصار طينًا ، ولذا

²² قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة ، ورواه مسلم عن

محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به ²³ (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط. الجمع) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي

<http://waqfeya.com/book.php?bid=770>

قال {أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} وقال {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ} وقال تعالى {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ}. وقال {أَمْ مِّنْ خَلْقِنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ} وقال تعالى: {إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ} ثم خمر هذا الطين فصار حمًا مسنونًا، أي طينًا أسود متغير الريح ، كما قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}. قال تعالى {إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} وقال عن إبليس {قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} والمسنون قيل المتغير وقيل المصور وقيل الأملس ، ثم يبس هذا الطين فصار صلصالًا. كما قال هنا: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ} وقال {الْجَانُّ} أي وخلق الجن وهو أبو الجن، وقيل هو إبليس . وقيل: هو الواحد من الجن. وعليه فالألف واللام للجنس، والمارج: اللهب الذي لا دخان فيه ، وقوله {مِّنْ نَّارٍ} بيان لمارج. أي من لهب صاف كائن من النار.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه تعالى خلق الجن من النار، جاء موضحًا في غير هذا الموضع كقوله تعالى في الحجر {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ} وقوله تعالى {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} . نجد هنا أن الإمام الشنقيطي عليه رحمة الله قد ج مع آيات مراحل خلق الإنسان من التراب إلى الصلصال كالفخار

اختلاف المفسرين :

لقد اختلف المفسرون الذين فسروا آيات خلق آدم عليه السلام في تعاملهم مع هذا التنوع والتعدد في الكلمات والمفردات التي أوردها القرآن الكريم بشأن أصل المادة التي خلق الله منها آدم:

أما الأستاذ سيد قطب (24) فيقول في تفسير الآية السابقة : (فالتعبير قابل لأن يفهم منه أن الطين كان بداءة وكان في المرحلة الأولى ولم يحدد عدد الأطوار التي تلت تلك المرحلة ولا مداها ولا زمنها، فالباب مفتوح لأي تحقيق صحيح ، وبخاصة حين يضم النص إلى نص القرآني الآخر في سورة المؤمنون : (خلق الإنسان من سلاله من طين) ، فيمكن أن يفهم منه إشارة إلى تسلسل في

(24) في ظلال القرآن

مرحلة النشأة الإنسانية يرجع أصلاً إلى مرحلة الطين (، ويقول في تفسير قوله تعالى: **(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)**: ..والصلصال: الطين إذا يبس وصار له صوت وصلصلة عند الضرب عليه ، وقد تكون هذه حلقة في سلسلة النشأة من الطين أو من التراب).

وكما جاء في تفسير الكشاف للزمخشري - في تفسير قوله تعالى : **(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)**: (... فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا، وذلك قوله - عز وجل - : **(من حمأ مسنون)**، **(من تراب)**، قلت: هو متفق المعنى ومفيد أنه خ لقه من تراب وجعله طيناً ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصلاً). وهو نفس المعنى الذي أورده القرطبي في تفسير الآية السابقة حيث يقول : وقال هنا : **(من صلصال كالفخار)**، وقال هناك : **(إنا خلقناهم من طين لازب)**، وقال: **(كمثل آدم خلقه من تراب)**، وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصلاً كالفخار).

وأما في القرن العشرين يقول موريس بوكاي (25) وهو طبيب فرنسي من أصل يهودي - في حديثه عن ماهية التراب الذي تكون منه الإنسان انطلاقاً من قوله - عز وجل - : **(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين(7) سورة السجدة)**. (وعلياً أن تتوقف قليلاً عند ذكر بداية الخلق ، بدأ بالطين من الواضح أنه إذا كان القرآن الكريم قد ذكر هنا بداية الخلق ذلك أن مرحلة ثانية ستبعتها).

الخلاصة: من خلال الآيات والنصوص التي أوردناها نستطيع القول بأن المادة الترابية التي خلق منها الإنسان قد مرت بثلاث مراحل هي:

1 - **المرحلة الطينية** وهي المرحلة الأولى حيث يستفاد من آية سورة السجدة أن بداية الخلق كانت من مادة الطين **(وبدأ خلق الإنسان من طين)**، هذا الطين يتميز بخاصية وصفة اللزوجة **(طين لازب)** كما هو واضح في آية سورة الصافات.

2 - **المرحلة الحمئية:** وهي ثانية المراحل حيث تحول الطين إلى مادة أخرى مشتقة منه هي الحمأ أي الطين المتغير أو الطين المتتن كما سبق ورأيناه.

(25) ذكر ذلك في كتابه " العلم بين التوراة والإنجيل والقرآن" وهو كتاب مفيد

3 - المرحلة الصلصالية: وهي المرحلة الثالثة والأخيرة في هذه السلسلة حيث انتقلت مادة الحمأ المسنون - كما جاء في سورة الحجر - إلى صلصال وتخبرنا آية سورة الرحمن أن هذه المادة الصلصالية تشبه مادة الفخار وهو الطين الذي تم طبخه وشبهه كما ورد في فقرة سابقة.

ومن هنا يمكن القول أن آدم عليه السلام في مرحلة خلق الجسد قد مر بعدة مراحل بدءاً من الطين ونهاية بالصلصال الفخار ، وكل هذا نشأ من التراب الذي خلط بالماء فصار طينا وكما بينت من قبل أن التراب لا يمكن تشكله لأنه ناعم أملس غير متماسك وكذلك الماء لا يمكن تشكله ل خصوصية انسيابه بينما الطين اللزج والحمأ المسنون يمكن تشكله فلا اشكال إذن فيما ورد في اختلاف الألفاظ في الآيات التي تتكلم عن خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام لأن جميعها تعبر عن أصل الخلق وهو التراب والماء ثم من سلسلة من المراحل التي مر بها الطين فالأصل واحد وتطور المراحل من نفس الأصل.

الأدلة العلمية على خلق الانسان من التراب والماء

الأدلة العلمية على خلق الإنسان من التراب والماء من خلال ثلاثة ركائز أساسية وهي:

أولاً: تحليل العناصر في جسم الانسان والأرض

ثانياً: حالة التيسس الرمي بعد الوفاة

ثالثاً: تغذية الإنسان من النطفة إلى اللحد من التراب والماء

واليك تفصيل كل ركيزة من هذه الركائز الثلاثة

أولاً: تحليل العناصر في جسم الانسان والأرض

1 - يتركب جسم الانسان من عناصر من التراب والماء قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ) (20) سورة الروم ، وقال تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) (54)

(سورة الفرقان ، ففي الآية الأولى إشارة على خلق الإنسان من تراب وفي

الثانية من الماء

- 2- في آيات كثيرة تبين خلق الانسان من طين على اختلاف مراحلها منها قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين(12) سورة المؤمنون : وما الطين سوى مزيج من التراب والماء
- 3- و هكذا ففي الآيات السابقة إشارة إلى أن أصل الإنسان ومعدنه الأساسي هو من طينة هذه الأرض والطين من تراب مخلوط بالماء والتراب يحتوي على مجموعة من العناصر تصل إلى مائة عنصر ويزيد
- 4- إذا كان التراب به أكثر من مائة عنصر فهل جسم الانسان به كل هذه العناصر ؟ وتجب الآية من سورة المؤمنون على هذا التساؤل وبشكل دقيق للغاية من قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) والسلالة هي الخلاصة. إذن كلمة "سلالة" تعنى خلاصة مافى الأرض من أفضل عناصرها ، وفى مختار الصحاح : سلال الشيء ما * استل * منه والنطفة * سلالة * الإنسان . وقوله تعالى: [من سلالة من طين] أي: من الصفو الذي يسيل من الأرض، وقيل: السلالة كناية عن النطفة تصور دونه صفو ما يحصل منه (26). وهذا المعنى "سلالة" يستخدم عند انتخاب السلالات النقية من الحيوانات والطيور والأسماك كما يوضح علماء الانتاج الحيوانى والداجنى والهندسة الوراثية عند بيان كلمة "سلالة" فهي تعنى انتقاء أفضل السلالات ليتم التهجين منها لتنتقل أفضل العناصر من كل سلالة إلى الذرية منهما وبذلك يتم انتقاء وانتخاب سلالة عالية الجودة فى الانتاج
- 5- ويمثل الماء أعلى نسبة فى مكونات الجسم ويتكون الماء من أكسجين (O) وهيدروجين (H) ، ونسبة الماء 65-70% من وزن الجسم ، ويدخل الماء فى تكوين الدم وخلايا الأنسجة الطلائية والمبطنة لأجهزة الجسم والخلايا الإفرازية التى تفرز الهرمونات والانزيمات ، كما يدخل فى تكوين النخاع والسوائل المصلية فى الجسم وفى تركيب خلايا العضلات ، ومن هنا نجد أهمية الماء بالنسبة إلى الجسم فلا يستطيع الإنسان أن يستمر حياً أكثر من أربعة أيام بدون ماء ، رغم ما يمتلكه من إمكانيات التأقلم مع الجفاف ، و ينطبق ذلك على جميع الكائنات الحية فتبارك الله إذ يقول (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا

(26) مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني

أَقْلًا يُؤْمِنُونَ(30) سورة الأنبياء، فالماء هو عصب الحياة وبدونه تتوقف الحياة ومن رحمة الله بخلقه أنه جعل ما يقرب من 5/4 اليابسة ماء وهذه النسبة تقريبا هي التي توجد في الإنسان وفي معظم الكائنات الحية فسبحان الخالق المقتر.

6- لم يكتشف سوى 25 عنصراً رئيسياً في تركيب جسم الإنسان، وقد أشار لذلك القرآن حيث قال : **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ)** وقد بينا أن السلالة هي انتقاء أفضل العناصر التي موجودة في التراب فماذا يقول لنا المخبر عن ذلك ؟

7- يقول التحليل المخبري : إنه لو أرجعنا الإنسان إلى عناصره الأولية ، لوجدناه أشبه بمنجم صغير، يشترك في تركيبه حوالي (25) عنصراً، رئيسياً وهي (أ)- أكسجين (O) ، هيدروجين (H) على شكل ماء .(ب) - كربون (C) ، وهيدروجين (H) وأكسجين (O) وتشكل أساس المركبات العضوية من سكريات ودهون ، وبروتينات وفيتامينات ، وهرمونات أو خمائر (ت) - مواد جافة:- منها سبعة مواد أساسية : الكلور (CL) ، الكبريت (S) ، الفسفور (P) ، والكالسيوم (Ca) والمغنسيوم (MG) والبوتاسيوم (K) ، والصوديوم (Na) ، وهي تشكل 60 - 80 % من المواد الجافة ، ومنها ست مواد بنسبة أقل هي : الحديد (Fe) ، والنحاس (Cu) واليود (I) والمانجنيز (MN) والكوبالت (Co) ، والزنك (Zn) والموليبيدوم (MO) ، ومنها ستة عناصر بشكل زهيد هي : الفلور (F) ، والألمنيوم (AL) ، والبوروم (B) ، والسيلينيوم (Se) ، الكاديوم (Cd) والكروم (C) . أما نسب هذه العناصر في جسم الإنسان فهو يتكون أساساً من الماء (65% إلى أكثر من 75%) بالإضافة إلى نسبة من الدهون (من 14% إلى 26%)، والبروتينات (من 11% إلى 17%)، والكربوهيدرات (في حدود 1%) وعدد من العناصر والمركبات غير العضوية (تتراوح نسبتها بين 5% - 6%). ويرد كل ذلك إلى عناصره الأولى يتضح أن جسم الإنسان يتكون من العناصر التالية: الأكسجين 65% ، الكربون 18 % الهيدروجين 10% ، النيتروجين 3% الكالسيوم 1.4% ، الفوسفور 0.7% الكبريت 0.2% البوتاسيوم 0.18% ، الصوديوم 0.10% ، الكلور 0.10% ، المغنسيوم 0.045% ،

عناصر نادرة 0.014 % وتشمل العناصر النادرة كلا من اليود ، الفلور ، البروم ، الحديد ، النحاس ، المنجنيز ، الزنك ، الكروم ، الكوبالت ، النيكل ، الموليبيدينوم ، القصدير ، الكاديوم ، والألومنيوم . وهذا التركيب يشبه في مجموعه التركيب الكيميائي لتراب الأرض المختلط بالماء- أي الطين⁽²⁷⁾.

8- إن العناصر التي كانت موجودة في جسد أينا آدم (عليه السلام) منذ خلقه من تراب الأرض ، هي التي موجودة في نسله إلى أن تقوم الساعة وذلك لأن جميع بنيه من عهده إلى اليوم وحتى قيام الساعة كانوا في صلبه لحظة خلقه

لقول الله عز وجل في سورة الأعراف : **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173)**

9- إن الجنين في بطن أمه يتغذى على دمه المستمد من الغذاء الذي تأكله المستمد من التراب

10 - إن نمو الطفل بعد ميلاده على لبن أمه لمدة عامين مستمد من غذائها المستمد من التراب

11 - نمو الطفل بعد فطامه إلى وفاته على ما يتناول من طعام مستمد أصلاً من تراب الأرض

ثانياً: حالة التيسر الرمي بعد الوفاة

شاهد علمي آخر على أن الإنسان خلق من الطين وهو حالة التيسر والتحلل الرمي بعد الوفاة فنجد الصورة العكسية للخلق بدءاً من خروج الروح وتحلل جسده يعود إلى تراب الأرض.

فسلسلة الطعام تبدأ من تراب الأرض وتنتهي إليه وكذلك سلسلة الخلق تبدأ من تراب الأرض وتعود إليه ، وهذا مشاهد ومحسوس في دنيا الناس ، ولذلك نجد بعد خروج الروح انتفاخ الجسد فإذا ما قرعته تسمع له صلصلة ، ثم يتحول هذا الجسد المنفوخ إلى طين أسود تنن وهو يشبه الحمأ المسنون ، ثم يتحول هذا

⁽²⁷⁾ مع الطب في القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الحميد دياب الدكتور أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن

الطين الأسود التين إلى طين لازب ثم يتبخر الماء منه فيعود ترابا يختلط بتراب الأرض ولذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ) (20)** سورة الروم ، وقال تعالى فى سورة طه : **(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (55)**. وقال تعالى فى سورة هود: **(وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (61)** . وقال تعالى فى سورة نوح : **(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (18)**

ولذلك أيضا أخرج الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك" (28)

ثالثا: تغذية الإنسان من النطفة إلى اللحد من التراب والماء

الإنسان يتغذى على ما يخرج من الأرض من خضر وبقل وثمار وفاكهة وكل ذلك بدوره يتغذى ويكون محتوياته على عناصر الأرض والماء قال تعالى فى سورة الأنعام: **(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَنِعْ هِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (99)**. كما أنه يتغذى على ما أحل الله من لحوم الأنعام والطيور وكلا منهما يتغذى على ما يخرج من الأرض والماء ، وكذلك الألبان ومنتجاتها وهى خلاصة ما يتغذى عليه الحيوان من الأرض يقول الله تعالى فى سورة النحل : **(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْتٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) (66)** **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)**. كما أنه يتغذى على ما

²⁸ (وأخرج مثل هذا الحديث كل من أبي داود والترمذي عن عوف الاعرابي..

يخرج من بطون النحل وهى بدورها تتغذى على رحيق الأزهار وهى بدورها تتغذى على مافى الأرض من عناصر الأرض لقوله عز وجل فى سورة النحل :
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69). كما أنه

يتغذى على الكائنات البحرية وما يخرج من البحار والأنهار لقوله عز وجل فى سورة فاطر: **(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)** والكائنات البحرية تتغذى على ما ينبت

على شواطئ البحار والأنهار وفى أعماقها وجميعها ينبت من الأرض والماء وهذا يؤكد أن غذاء الإنسان من عناصر الأرض ومن الماء وهذه الأغذية هى التى تكون جسده ، فيكون غذاء الجسد على المادة التى خلق منها ولا يكون بأى حال من الأحوال على غيرها وإلا كان الضرر.

إن خلايا التكاثر فى الإنسان مستمدة من غذائه ، وغذاؤه مستمد من تراب الأرض

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى تكاثر الإنسان عن طريق التزاوج بين ذكر وأنثى حيث تتلاقح النطف الذكورية من الأب مع النطف الأنثوية من الأم ، وكلاهما من خلايا الجسد التى تتكون وتنمو عن طريق التغذية المستمدة أصلا من تراب الأرض ومائها. وتكون هذه النطاف ، وتسلسلها من الأصل الواحد وهو آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة هو من أعظم الدلائل على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة فى الخلق ، والتقاء النطفة الذكورية بالنطفة الأنثوية فى نطفة مختلطة يسميها القرآن الكريم باسم النطفة الأمشاج يخلق منها الجنين فتعطي هذا التنوع البديع فى الخلق من أصل واحد (خلق من تراب الأرض) هو من الآيات الناطقة بالشهادة للخالق سبحانه وتعالى بكمال العلم والحكمة ، وطلاقة القدرة ، وتعظيم اتقان الصنعة ، وهى من صفات الألوهية والربوبية ، ومن دلائل الوجدانية المطلقة للإله الخالق الذى خلقهم فى زوجية واضحة من اللبنة الأولية للمادة إلى الإنسان حتى يبقى ربنا تبارك وتعالى متفردا بالوجدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

وباستمرار التناسل من الأصل الواحد للإنسان الذى خلقه الله تعالى ابتداء من التراب وباستمرار تغذية ذلك الإنسان ونموه ، وتكون جميع خلايا جسده ومنها

خلايا التكاثر من تراب الأرض انتشر الجنس البشري في كل من المكان والزمان حتى وصل عدد سكان الأرض اليوم إلى سبعة مليارات نسمة ، هذا عدا المليارات التي عاشت وماتت ، والمليارات التي سوف تأتي من بعدنا إلى قيام الساعة ، وكلها جاءت من صلب رجل واحد هو آدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى من تراب. ولذلك قال ربنا تبارك وتعالى في سورة الروم: **(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون(20))** . إن كل هذه المليارات من البشر التي عاشت وماتت من قبل والتي تعيش الآن ، والتي تأتي بعد ذلك إلى قيام الساعة (وهي في صورة أبيها آدم عليه السلام وهو الإنسان الأول) جاءت في أحسن تقويم وأتم قامة واعتدالا لم تتغير صورته ، ولم يمش على أربع ولم يكن في أي زمان أو مكان على بساط الأرض متحولا من قرد أو غيره من الحيوانات إلى إنسان بل هو الإنسان الأول بجيناته الموروثة ، وصفاته المألوفة ، ما تغيرت ولا تبدلت ولم يحدث ذلك في المستقبل ، لأن الذي حكم بذلك هو أحكم الحاكمين ربي وربكم ورب العالمين **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ (4) سورة التين**. كل هذه الشواهد هي الحق المبين الذي يشهد له وحده عز وجل بالربوبية والألوهية والوحدانية والكمال المطلق.

والآية الكريمة كما تنطبق على البشرية كلها وهي في صلب أبيها آدم (عليه السلام) لحظة خلقه ، تنطبق على تناسل الناس من بعده إلى اليوم ، وما يخرج من أصلابهم من ذريات تنتشر في المكان والزمان إلى يوم الدين ، وهي حقائق لم تصل إلى علم الإنسان إلا بعد تطور علم الوراثة الإنسانية في القرن العشرين . وورودها في كتاب أنزل على نبي أمي ولم تكن أدوات العلم في ذلك الوقت متوفرة بشهادة علماء الأرض قاطبة ، والسجلات الموثقة لتاريخ الأمم والشعوب ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل أربعة عشر قرنا ل ما يقطع بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسوله ، وحفظه بعهدته في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد ، وإلي أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها حتى يكون حجة على الناس جميعا إلى يوم الدين.

الإعجاز العلمي في الآيات التي تتكلم عن خلق الإنسان من التراب ومن الطين:
قوله تعالى في سورة الروم: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ(20))**

بين الله عز وجل فيما أوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منذ 1437 سنة أن آدم وحواء عليهما السلام وذريتهما من بعدهما خلقوا من تراب ، وجاء العلم الحديث فى القرن العشرين ليثبت هذه الحقيقة العلمية ، ويؤكد من خلال التحليل الكيميائى لجسد الإنسان فى المعامل المختصة بذلك أن العناصر التى يحتويها هى من بعض عناصر الأرض وليس كل عناصرها وهذا واضح فى قوله عز وجل (من سلالة من طين) أى من أفضل عناصر هذا الطين الذى هو عبارة عن تراب مخلوط بالماء . فهل كان محمد صلى الله عليه وسلم عنده علم بالتحليل الكيميائى للتراب حتى يقول هذا الكلام المعجز؟ وهل كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم مثل هذه العلوم وهذه الأجهزة الدقيقة للتحليل البيوكيميائى حتى يستشهد بها ؟ أبدا لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم عنده هذه العلوم ولا تعلمها من غيره من البشر وإنما هى وحى من العليم الخبير .

كما تبين من الأمر المشهود والمحسوس والمعروف لدى الناس جميعا أن الإنسان بعدما يوارى فى التراب يتحلل جسمه ويعود مرة أخرى إلى التراب ولذلك لا نعجب أبدا أن الذى دل قاييل على دفن أخيه هايل بعد أن قتله هو الغراب ، وهذه اشارة أخرى من الغراب الذى علمه ربه عز وجل أن يبين هذا لقاييل ليدله على أن الإنسان يعود إلى أصله وهو التراب مرة أخرى .

الإشارة الثالثة لبيان خلق الإنسان من التراب هو تغذيته على ما يخرج منها واختلاط عناصر هذا الغذاء بخلايا وأنسجة وسوائل جسمه ولو كانت هذه العناصر ضارة له ما قبلها هذا الجسم .

عبر وآيات وعظات من خلق آدم عليه السلام

- 1 - خلق الإنسان من التراب وهو شئ ضعيف يدل على مدى ضعف الإنسان وهذا ما بينه الله عز وجل فى قوله تعالى : **(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا 28)** سورة النساء
- 2 - لا يظن الإنسان مع ضعفه هذا أن الشيطان أقوى منه أو يستطيع أن يتغلب عليه وهذا ظن خاطئ بل الحقيقة أن كيد الشيطان دائما ضعيفا وقد بين الله عز وجل هذا فى قوله تعالى : **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا 76)** سورة النساء .
- 3 - أن الإنسان بإيمانه بربه وباخلاصه فى عبادته له ، هو أقوى من إبليس باعتراف إبليس نفسه بذلك ، وهذا ما بينه الله عز وجل فى كتابه العزيز

حاكيا هذا الحوار الذى دار بينه سبحانه وتعالى وبين إبليس اللعين عندما رفض السجود لآدم كما أمره الله تعالى وبين عداوته لآدم عليه السلام ولذريته من بعد ه : " قَالَ رَبِّ يَا أَعْوَيْتِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) سورة الحجر ، وفى قوله : قَالَ فَيَعِزَّتِكَ لِأَعْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) سورة ص . والمخلصون هم الذين أخلصوا العبادة لله رب العالمين ولم يشركوا أحدا مع الله فى عبادتهم ووافقوا سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يقول الله عز وجل "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (48) سورة النساء ، ويقول سبحانه وتعالى (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) سورة آل عمران ، وقال القاضى عياض وهومن قضاة المالكية إن الله لا يقبل عملا إلا إذا كان خالصا وصوابا ، وخالصا ليس فيه شرك وصوابا موافقا لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

4 - لقد شهدت الملائكة خلق آدم وشهد معهم إبليس فهل يستطيع أحد منهم أن يخلق مثل ما خلق الله عز وجل ؟ وبأتى الجواب شافيا كافيا من عند العليم الخبير يرد على الظالمين الجاحدين الذين يتخذون الملائكة أو النبيين أربابا من دون الله : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (11) سورة لقمان . وقوله تعالى: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) سورة آل عمران .

5 - وسؤال آخر فى غاية الأهمية هل يستطيع أحد كائنا ما كان أن يعدل أو يغير فى هذا الخلق ؟ وما هى النتيجة ؟ وتأتى الإجابة ساطعة مضيئة تثير الطريق للحيارى والمتخبطين فى ظلمات الجهل ، فيقول تعالى محذرا من مغبة ذلك: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) سورة الروم . ومن الشواهد الحسية المعلومة عند تغيير فطرة الحيوانات فى أوروبا من أكل العشب والكلا إلى أكل مسحوق اللحم والدم والعظم ظهر

عليها مرض جنون البقر والذي انتقل بدوره للإنسان الذي أكل من لحم و
هذه الأبقار من قبل أن تظهر عليها أعراض المرض (29) ، وعندما حاول
علماء بيولوجيا الخلية وعلماء التكاثر الاسرغناء عن أحد الزوجين في
الحيوانات عند عملية التزاوج واستبدلوها بالاستنساخ ظهرت النسخ
المشوهة وطالب العالم أجمع علماء ومفكر وه ، وعلماء الدين سواء
من اليهود أو المسيحيين أو الاسلاميين ، والساسة بعدم الخوض في
أبحاث الاستنساخ التكاثرى للمشاكل الخطيرة التي نجمت عنه (30)

6- تتضح عظمة الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته في خلق آدم عليه السلام
فما استطاع أحد ممن شهد خلقه أن يخلق مثله ، ولا يستطيع أحد مهما
أوتى من علم أن يغير في هذا الخلق لأنه فوق قدرة الخلق جميعا ويؤكد
الله عز وجل هذا المعنى بقوله : (أَقَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
(17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ
شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
(22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ
(23) سورة النحل.

7- بل لا يستطيع أى مخلوق أن يحيى أى شىء مات ولكن الإحياء والإماتة
هى بقدره الله عز وجل (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي
الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ (79) سورة يس ، وقوله تعالى فى سورة البقرة : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ تَمَّ بَعْتَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ
بَلْ لَبِثْتَ مِثَّةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) لأن الخلق والإحياء

(29) انظر بحثنا بعنوان "الخطر فى تغيير الفطر.. بين جنون البقر و جنون البشر" - كتاب المؤتمر العالمى الثامن
فى الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة النبوية (علوم الحياة) - بدولة الكويت 2006
(30) انظر بحثنا "الفصل فى الاستنساخ من الأصل - ندوة عن الإعجاز العلمى بدولة المغرب ابريل 2007) وهو
منشور فى موقع الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة لرابطة العالم الإسلامى على الانترنت

والإماتة هي من صفات ربوبية الله عز وجل ولا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى

8 - أن خلق الإنسان والتفكر في كيفية هذا الخلق لطريق عظيم يدل على وحدانية الله عز وجل . فكيف يعبد من لا يستطيع أن يخلق وهو مخلوق ويترك الخالق سبحانه وتعالى إن هذا لشيء عجاب !!!

9 - قد يعترف الإنسان بعجزه عن خلق مثله أو تعديل خلقه فهل يقدر على خلق ما هو دونه وتأتي الإجابة لتخبرنا بعجز الإنسان عن خلق ذبابة : قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَوِيٌّ عَزِيزٌ (74) سورة الحج.

10 - وإذا نظرنا إلى هدف الإنسان من الحياة وماذا يريد منها نجد أن الإنسان يريد شبعاً بلا جوع ، وكساءاً بلا عرى ، ورباً بلا ظمأ ، وظلاً بلا شمس يريد الإنسان الخلد والملك وبين الله عز وجل لآدم وحواء طريق الخلد ومعالمه بقوله عز وجل : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) سورة طه ، ولكن الإنسان خلق ضعيفاً ومن هذا الضعف التصديق بمن يقسم بالله حتى ولو جاء القسم من العدو وقد بين الله عز وجل هذه النقطة في قوله تعالى : (فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) سورة الأعراف.

11 - إن التفرير بآدم وحواء عليهما السلام من إبليس ووساوسه بيان طريق الخلد والملك: " فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120) " وبالقسم وأنه لهما ناصح أمين : " وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) " كانوا أسباباً لوقوعهما في المعصية لأن البديهي أن لا يقسم أحد بالله كذباً وزوراً وبهتاناً وهذا ما أخذ به آدم وحواء عليهما السلام ظناً منهما أن هذا اللعين إبليس لا يمكن أبداً أن

يقسم بالله كذبا وزورا لأن قدر الله عز وجل عندهما عظيم ، وهذا هو حال المؤمن بربه دائما أن يعرف قدر الله عز وجل ، بينما حال الكافر هو عدم تقديره لذات الله عز وجل وقد بين الله عز وجل ذلك فى كتابه العزيز : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ قَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74) سورة الحج . ومن هاتين الآيتين يتبين أن الشركاء والألهة من دون الله لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا لخلقهم بل لن يستطيعوا أن يستنقذوا ما سلبهم الذباب من طعامهم أو شرابهم أو أبدانهم أو من أى شىء هم يعرفوه وهم مع ذلك كله ما قدروا الله حق قدره وهو القوي العزيز.**

12- أن الله عز وجل بين أنه هو وحده خالق كل شىء وأنه سبحانه له مقاليد السموات والأرض ، وما ادعى أحد أنه قادر على الخلق والإيجاد أو أنه متصرف فى أمر السموات أو الأرض إلا أن الكافرين المعاندين والمستكبرين ما قدروا الله حق قدره فكيف يعبد غيره ؟ وكيف يؤمر بذلك؟ إن هذا لجهل عظيم بذات الله عز وجل . إن من يعبد الله وبشرك أحدا فى عبادته إياه يحبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين قال تعالى: **(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَحَبَطُنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهُ قَاعِبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) سورة الزمر.**

13- أن من ينكر رسالات الرسل ما قدر الله حق قدره ، وهو أرحم الراحمين بخلقه إذ أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتاب والحكمة ليدلوا الناس على طريق رب العالمين وعلى ما يسعدهم فى دنياهم وأخراهم فقال عز وجل : **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ**

اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارَكٌ مُصَدِّقٌ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92) سورة الأنعام . نعم ما قدروا الله
حق قدره في ذاته وهو سبحانه وتعالى في قبضته جميع الأرض وما فيها
ومن عليها والسموات بما فيها من مجرات ونجوم وكواكب مطويات بيمينه ،
وما قدروا الله حق قدره في أسمائه وصفاته وهو أرحم الراحمين بخلقه
إذ رحمهم بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والحكمة سبحانه وتعالى عما
يشركون

14 - أن المعصية تؤدي إلى تكشف السوءات وإلى التخبط والتهيه والحيرة
والغى والضلال وبدل على ذلك ما حدث لآدم وحواء عندما عصيا أمر الله
عز وجل فقد بدت لهما سوءاتهما يقول الله تعالى : " فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120)
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) سورة طه

15 عداوة إبليس للإنسان ظاهرة منذ أن خلق الله عز وجل آدم عليه السلام
وقد حذر الله منها آدم وحواء عليهما السلام : (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) سورة طه . ومع ذلك
عصى آدم ربه مع أنه أول أمر يتلقاه آدم عليه السلام من ربه عز وجل
وذلك لأن الشيطان استمر في الوسوسة والتغريب والوعد بالملك والخلد ،
ولكن رحمة الله عز وجل بآدم وبذريته من بعده أوسع وأشمل . نعم أن
رحمة الله عز وجل بعباده أوسع وأشمل وحلمه سبحانه وتعالى سبق
غضبه : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) سورة طه

16 - من رحمة الله عز وجل أن ه حذر بني آدم حتى لا يقعوا فريسة لهذا
الشيطان اللعين فقال سبحانه وتعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَن اٰعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
(61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) سورة يس ،
وقال تعالى : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ
لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) سورة فاطر . ومع ذلك فإن الشيطان
مستمر في قسمه بإغواء بني آدم . وأرحم الراحمين لم يجعل له سلطانا
على المومنين بل سلطانه على من اتبعه من الغاوين قال تعالى : (إِنَّهُ

لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ
عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) سورة النحل.

17 - اعلم عبد الله يرحمك الله أن الخير والشرخ طان متوازيان لا يلتقيان أبدا حتى تقوم الساعة فاختر لنفسك طريق الخير وهو طريق الرحمن الذي يبره على السنة رسله الكرام عليهم وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة والتسليم ، ولا تختار طريق الشر وهو طريق الشيطان الرجيم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . واعلم أن من رحمته عز وجل أنه فتح باب التوبة لعباده حتى تبلغ الروح الحلقوم فبادر بالتوبة يرحمك الله.

الفصل الثالث

فضل الإنسان بعلم الرحمن

لقد فضل الله عز وجل آدم على سائر الخلق من قبله بفضيلة العلم التي أودعها الله فيه ، وفضيلة العلم هذه هي التي جعلت آدم عليه السلام هو معمر هذا الكون ، ولولا هذه الفضيلة ما كان عمران ولا مدنية ولا ابتكار ولا اختراع ولا تطوير فبالعلم تحيا الأمم ولقد بين الله عز وجل هذه الفضيلة منذ نفخ الروح في آدم عليه السلام ، وبين فضيلة العلم والعلماء فيما أوحى من كتاب وسنة إلى أنبيائه ورسله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم

قال تعالى في سورة البقرة: **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْبَى أَعْلَمُ عَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(33)**

تفسير ابن كثير:

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك ،

فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا
 ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى : **{وعلم آدم**
الأسماء كلها} قال السدي عن حدثه عن ابن عباس **{وعلم آدم الأسماء كلها}**
 قال: علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب فقيل : هذا الحمار ، هذا الجمل ،
 هذا الفرس ، وقال الضحاك عن ابن عباس **{وعلم آدم الأسماء كلها}** قال: هي
 هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وسما وأرض وسهل وبحر
 وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ، وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من
 حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس **{وعلم آدم الأسماء**
كلها} قال علمه اسم الصخرة والقدر ، قال نعم حتى الفسوة والفسية ، وقال
 مجاهد **{وعلم آدم الأسماء كلها}** قال علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء ،
 كذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل
 شيء ، وقال الربيع في رواية عن أسماء الملائكة . وقال حميد الشامي أسماء
 النجوم. وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته كلهم ، واختار ابن جرير أنه
 علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لأنه قال **{ثم عرضهم}** وهذا عبارة عما
 يعقل وهذا الذي رجح به ليس بلازم ، فإنه لا ينبغي أن يدخل معهم غيرهم ،
 ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى : **(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ**
مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن
يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) سورة
 النور. وقد قرأ عبد الله بن مسعود ثم عرضهن ، وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها أي
 المسميات. والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما
 قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر
 والمصغر ، ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية (31) بسنده عن أنس بن مالك
 حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن
 قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يجتمع المؤمنون يوم
 القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك
 الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى

³¹ هكذا ساق الإمام البخاري هذا الحديث في كتابه التفسير وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو
 ابن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة بن سعيد والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي
 عروة عن قتادة

يربحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحي. اتتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتونه فيقول لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي فيقول اتتوا خليل الرحمن، فيأتونه فيقول لست هناكم ، فيقول اتتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة فيقول لست هناكم . فيذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه . فيقول اتتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناكم اتتوا محمداً عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنتقل حتى أستأذن على ربي فيأذن لي فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال : ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيجد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيجد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، ووجه إيراد ههنا ، والمقصود منه قوله صلى الله عليه وسلم "...فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء..". فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ، ولهذا قال **{ثم عرضهم على الملائكة}** يعني المسميات كما قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة ، قال ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة **{فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين}** وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة **{وعلم آدم الأسماء كلها}** ثم عرض الخلق على الملائكة ، وقال ابن جريج عن مجاهد ثم عرض أصحاب الأسماء على الملائكة ، وقال ابن جريج: عن الحسن وقتادة قال (32): علمه اسم كل شيء ، وجعل يسمي كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة أمة ، وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة في قوله تعالى : **{إن كنتم صادقين}** إني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، وقال الضحاك عن ابن عباس **{إن كنتم صادقين}** إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة ، وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، وقال ابن جريج وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ، ومعنى ذلك فقال

(32) قال بن جريزحدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر

أنبؤني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . من غيرنا أم منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك . إن كنتم صادقين في قيلكم إنني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وإن جعلتكم فيها أطمعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس . فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أخرى أن تكونوا غير عالمين **{ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم }** هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى ولهذا قالوا **{ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم }** أي العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام . قوله تعالى: **{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون }** قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت ميكائيل أنت إسرافيل حتى عدد الأسماء كلها حتى بلغ الغراب ، وقال مجاهد في قول الله **{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم }** قال اسم الحمامة والغراب واسم كل شيء ، وروي عن سعيد بن جبير والحسن وقتادة نحو ذلك ، فلما ظهر آدم عليه السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء ، قال الله تعالى للملائكة **{ ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون }** أي ألم أتقدم إليكم إني أعلم الغيب الظاهر والخفي كما قال تع **{ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى }** وكما قال إخباراً عن الهدهد أنه قال لسليمان **{ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (25) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (26) سورة النمل ، وقيل في قوله تعالى : {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} غير ما ذكرناه ، فروى الضحاك عن ابن عباس {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} قال يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز ، وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)** الآية، فهذا الذي أبدوا **{وما كنتم تكتمون}** يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك الثوري. واختار ذلك ابن جرير وقال أبو**

العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس **{وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون}** فكان الذي أبدوا هو قولهم : **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)** ، وكان الذي كتّموا بينهم هو قولهم لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم ، وقال ابن جرير: فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا له بالفضل . وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله تعالى : **{وأعلم ما تبدون}** وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض وما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في أنفسكم ، فلا يخفى علي أي شيء سواء عندي سرائركم وعلانياتكم والذي أظهره بألسنتهم قولهم : **(أتجعل فيها من يفسد فيها)** ، والذي كانوا يكتّمون ما كان عليه منطوباً إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته ، قال: وصح ذلك كما تقول العرب قتل الجيش وهزموا ، وإنما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض ، فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم كما قال تعالى : **{إن الذين ينادونك من وراء الحجرات}** ذكر أن الذي نادى إنما كان واحداً من بني تميم ، قال وكذلك قوله **{وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون}..**

تفسير الجلالين(33):

(وعلم آدم الأسماء) أي أسماء المسميات **(كلها)** بأن ألقى في قلبه علمها **(ثم عرضهم)** أي المسميات وفيه تغليب العقلاء **(على الملائكة فقال)** لهم تبيكتنا **(أنبئوني)** أخبروني **(بأسماء هؤلاء)** المسميات **(إن كنتم صادقين)** في أنني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة ، وجواب الشرط دل عليه ما قبله . **(قالوا سبحانك)** تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك **(لا علم لنا إلا ما علمتنا)** إياه **(إنك أنت)** تأكيد للكاف **(العليم الحكيم)** الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته **(قال)** تعالى **(يا آدم أنبئهم)** أي الملائكة **(بأسمائهم)** المسميات فسمى كل شيء

⁽³³⁾ تفسير الجلالين ولباب النقول في أسباب النزول على هامش القرآن الكريم للمؤلف: جلال الدين المحلي - جلال الدين السيوطي

باسمه وذكر حكمته التي خلق لها **(فلما أنبأهم بأسمائهم قال)** تعالى لهم موبخاً **(ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض)** ما غاب فيهما **(وأعلم ما تدون)** ما تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ **(وما كنتم تكتمون)** تُسِرُّون من قولكم لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: **"وعلم آدم الأسماء كلها"** (عَلَّمَ) عرّف. وتعليمه هنا إلهام علمه ضرورة. ويحتمل أن يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام، على ما يأتي. وقرئ: **"وعَلَّمَ"** غير مسمى الفاعل. والأول أظهر، على ما يأتي. قال علماء الصوفية: علمها بتعليم الحق إياه وحفظها بحفظه عليه ونسي ما عهد إليه، لأن وكله فيه إلى نفسه فقال: **"ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً"**. [طه: 115]. وقال ابن عطاء: لو لم يكشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة في الإخبار عنها. وهذا واضح. قال ابن خوزر منداد: في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفا، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلا. وكذلك قال ابن عباس: علمه أسماء كل شيء حتى الجفنة والمحلب. وروى شيبان عن قتادة قال: علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة، وسمي كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه. قال النحاس: وهذا أحسن ما روي في هذا. والمعنى علمه أسماء الأجناس وعرفه منافعها، هذا كذا، وهو يصلح لكذا.

واختلف في أول من تكلم باللسان العربي، فروي عن كعب الأحبار: أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها بالألسنة كلها آدم عليه السلام. وقاله غير كعب الأحبار

فإن قيل: قد روي عن كعب الأحبار من وجه حسن قال: أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام، ورواه ثور ابن زيد عن خالد بن معدان عن كعب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين)**. وقد روي أيضا: أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان، وقد روي غير ذلك. قلنا: الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام، والقرآن يشهد له، قال الله تعالى: **"وعلم آدم الأسماء"**

كلها [البقرة: 31] واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته وبهذا جاءت السنة، قال صلى الله عليه وسلم : (وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة) وما ذكره يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام . وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولا على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا، والله أعلم . وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علمها الله آدم أو جبريل، على ما تقدم، والله أعلم .

قوله تعالى : **"إن كنتم صادقين"** شرط، والجواب محذوف تقديره : إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض فأنبئوني، قاله المبرد . ومعنى **"صادقين"** عالمين، ولذلك لم يسغ للملائكة الاجتهاد وقالوا : **"سبحانك!"** حكاة النقاش قال: ولو لم يشترط عليهم إلا الصدق في الإنباء لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للذي أماته الله مائة عام حين قال له : **"كم لبثت"** فلم يشترط عليه الإصابة، فقال ولم يصب ولم يعنف، وهذا بين لا خفاء فيه . **{ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم }** قوله تعالى : **"سبحانك"** أي تنزيها لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك . وهذا جوابهم عن قوله: **"أنبئوني"** فأجابوا أنهم لا يعلمون إلا ما أعلمهم به ولم يتعاطوا ما لا علم لهم به كما يفعله الجهال منا . و**"ما"** في **"ما علمتنا"** بمعنى الذي، أي إلا الذي علمتنا، ويجوز أن تكون مصدرية بمعنى إلا تعليمك إيانا.

فائدة

الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم ولا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون . وأما ما ورد من الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فروى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي البقاع شر؟ قال : (لا أدري حتى أسأل جبريل) فسأل جبريل، فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق . وقال الصديق للجدة : ارجعي حتى أسأل الناس . وكان علي يقول : وأبردها على الكبد ، ثلاث مرات . قالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول : الله أعلم . وسأل ابن عمر

رجل عن مسألة فقال : لا علم لي بها ، فلما أدبر الرجل . قال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر، سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به ! ذكره الدارمي في مسنده . وفي صحيح مسلم عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل صاحب بهية قال : كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد، فقال يحيى للقاسم : يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه علم ولا فرج ، أو علم ولا مخرج؟ فقال له القاسم : وعم ذاك؟ قال : لأنك ابن إمامي هدى: ابن أبي بكر وعمر . قال يقول له القاسم : أقبح من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة . فسكت فما أجابه . وقال مالك بن أنس : سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلا في أيديهم ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري. وذكر الهيثم بن جميل قال : شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري.

قلت: ومثله كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين . وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسة وعدم الإنصاف في العلم . قال ابن عبد البر: من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه ، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم . روى يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت ابن وهب يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف.

قلت: هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام! وطلب فيه العلم للرياسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب وبورث الضغن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى . أين هذا مما روي عن عمر رضي الله عنه وقد قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبية - يعني يزيد بن الحصين الحارثي - فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال ، فقامت امرأة من صوب النساء طويلة فيها فطس فقالت : ما ذلك لك! قال: ولم؟ قالت لأن الله عز وجل يقول: **"وأنتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا"** [النساء: 20] فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ! وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال : سأل رجل عليا رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها ، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي : أصبت وأخطأت،

وفوق كل ذي علم عليم . وذكر أبو محمد قاسم بن أصبغ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس، فلما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مسدد، فقرأت عليه فيه يوما حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه قدم عليه قوم من مضر من مجتأبي النمار) فقال: إنما هو مجتأبي الثمار، فقلت إنما هو مجتأبي النمار، هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق، فقال لي : بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا! أو نحو هذا . ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ - لشيخ كان في المسجد - فإن له بمثل هذا علما ، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال : إنما هو مجتأبي النمار، كما قلت. وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة ، جيوبهم أمامهم. والنمار جمع نمرة. فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه : رغم أنفي للحق، رغم أنفي للحق. وانصرف.

{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون }

قوله تعالى: " **أنبئهم بأسمائهم** " أمره الله أن يعلمهم بأسمائهم بعد أن عرضهم على الملائكة ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه تنبيها على فضله وعلو شأنه ، فكان أفضل منهم بأن قدمه عليهم وأسجدهم له وجعلهم تلامذته وأمرهم بأن يتعلموا منه. فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجودا له، مختصا بالعلم. وفي هذه الآية دليل على فضل العلم وأهله ، وفي الحديث : (وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم) أي تخضع وتتواضع وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله ، لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأدبت بذلك الأدب . فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذلت إعظاما للعلم وأهله، ورضا منهم بالطلب له والشغل به . هذا في الطلاب منهم فكيف بالأخبار فيهم والربانيين منهم جعلنا الله منهم وفيهم ، إنه ذو فضل عظيم.

تفسير الشنقيطي:

{ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ } يعني مسميات الأسماء لا الأسماء كما يتوهم من ظاهر الآية . وقد أشار إلى أنها المسميات بقوله : **{ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ }** الآية ، كما هو ظاهر **{ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ }** لم يبين هنا هذا الذي كانوا يكتمون ، وقد قال

بعض العلماء : هو ما كان يضمرة إبليس من الكبر ، وعلى هذا القول فقد بينه قوله تعالى : **{إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ}** .

العبر والعظات من تفضيل آدم بالعلم

- 1 - أن الله عز وجل بين لملائكته الكرام بالدليل العملي أهمية خلق آدم عليه السلام والأسباب الرئيسة لخلافته في الأرض
- 2 - إن الله سبحانه وتعالى فضل آدم عليه السلام على بقية خلقه بأنه شرفه بخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه
- 3 - أن هذا الشرف لآدم عليه السلام أمام الملائكة لا بد من الدليل العملي عليه وهو التمحيص بالعلم حتى يكون المقام لآدم عليه السلام مقام تشریف واعزاز وقد حدث.
- 4 - أن العلم بالأسماء يقتضى العلم بخصائص وصفات المسميات حتى يستطيع آدم عليه السلام استنباط الأسماء، وهذا ما أودعه الله في آدم وذريته من بعده. ألا ترى استنباط أسماء لأشياء لم تكن معروفة من قبل مثل السيارة والطائرة والحاسوب ، والميكروسكوب بأنواعه وغير ذلك من مسميات فى ع صرنا هذا ، وسياتى إن شاء الله عصور من بعدنا لها مسميات لم تكن فى عصرنا وأسماء لم نعرفها وهكذا حتى تقوم الساعة وذرية آدم عليه السلام تستنبط الأسماء من صفات وخصائص مسمياتها وهذا كله بفضل هذا الشرف الرفيع لآدم عليه السلام عن بقية الخلق
- 5 - أن علم آدم بالأسماء كلها لقوله عز وجل "وعلم آدم الأسماء كلها" دليل على عدم وجود مسمى بلا اسم حتى تقوم الساعة
- 6 - عرض الأسماء على الملائكة دليل على عدم معرفة الملائكة باستنباط الأسماء من مسمياتها لأن هذه خصيصة اختص الله سبحانه وتعالى بها آدم عليه السلام ودليله قولهم **"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا"**
- 7 - قول الملائكة **"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا"** دليل على أن علم الملائكة محدود فى هذا الجانب وهذا يبين أن الله تعالى يعطى من فيوضات علمه من يشاء من عباده ويمنعه ممن يشاء
- 8 - قول الملائكة **"إنك أنت العليم الحكيم"** هو معرفة الملائكة بصفات الذات الإلهية وأنه سبحانه وتعالى يخلق عن علم وبحكمة ولحكمة ، علمها من علمها وجهلها من جهلها . فهو سبحانه وتعالى يعلم حكمة خلقه لهذا

الخليفة ، ويعلم حكمة خلقه للأنعام وبهيمة الأنعام والزواحف والطيور وكل مخلوق فى الأرض أو فى السماء خلقه لحكمة وخلقته بعلم
 9 - التجربة خير دليل والاختبار العملى أكد فى بيان الحق الذى لا مرية فيه وهذا جلى واضح فى هذا الموقف فى قوله تعالى "يا آدم أبنهم باسمائهم"

10 - مع علم الملائكة أن الله هو العليم الحكيم إلا أن الله عز وجل ذكرهم بهذا الأمر وبما هو أخص من ذلك فلا بد من التذكرة فإن فيها منفعة وهذا من قوله عز وجل "ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" فبإضافة علمه لغيب السموات والأرض إلى علمه بمكنون سرائرهم وعلانياتها تحذير لهم من مغبة عصيانه ولذلك عندما أمرهم بالسجود لآدم لبوا الأمر وسجدوا

11 - أن للملائكة حياء من الله فهى أسرت أمرا فى نفسها ما طلبته من الله عز وجل حياء منه ، وهذا واضح بالتلميح فى قولها "ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك" وهذا يعنى أنها أحق بالخلافة من آدم ، وذلك بعد التصريح بقولها "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قياسا على أفعال الجن لما يعلمونه من أخبارهم فى الإفساد فى الأرض وسفك الدماء وقد بين الله عز وجل لهم ما صرحوا به وما لمحوا به فقال سبحانه وتعالى لهم "وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" ويستفاد من هذا ان تتعلم الأدب مع الله عز وجل. وكذلك تتأدب فى الحديث مع من هم أعلم به منا

12 - وكذلك تتعلم أن التلميح فى بعض الأحيان يكون حفظا لماء الوجه ولذلك قال الله تعالى فى مسالة التعريض بخطبة النكاح "وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ الرِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ(235)سورة البقرة.

13 - أن سجد الملائكة لآدم عليه السلام هو فى الحقيقة سجد للعليم الحكيم الذى نفخ الروح فيه ، ولتعلم آدم عليه السلام هذا العلم وهو تشريف لمقام العلم والعلماء وتشريف لآدم عليه السلام . ويستفاد هذا من حديث النبى صلى الله عليه وسلم " إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع" وأن مجالس العلم هى مجالس الملائكة

- 14 - أن الصادق هو الذى يتكلم بالعلم وأن الكاذب هو الذى لا يتكلم بعلم وهذا من قوله "أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" ولذلك لم تعقب الملائكة إلا بقولها "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" ويستفاد من هذا عدم الفتيا أو التكلم بغير علم وهذا مشهود عن النبى صلى الله عليه وسلم لقول ربه عز وجل عنه " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" ومشهود من كبار الصحابة وتابعيهم والعلماء الربانيين الذين لا يتطلعون لدنيا ولا يتشرفون لرئاسة أو غيرها
- 15 - أن رفض ابليس السجود لآدم عليه السلام كما أمره الله هو دليل حقه وكرهه وبغضه وعداوته له ولذلك حذر الله عز وجل آدم وحواء من عداوة هذا الملعون فى كل زمان ومكان فى قوله تعالى " إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى " كما حذر ذرية آدم من بعده بقوله عز وجل " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَعْقُلُونَ(62) سورة يس
- 16 - أن اخبار الله تعالى للملائكة بفضيلة آدم على خلقه لهم وللجن هو اخبار بيان من العليم لمن دونه لأقامة الحجة عليهم ولتعليمنا أن تبليغ العلم حتى وإن كان للعلماء فضلا عن غيرهم لابد فيه من التلطف فى القول مع المخاطب لتهيئة نفسه لقبول العلم وعدم رفضه

الفصل الرابع

خلق حواء عليها السلام

خلقت حواء من آدم عليه السلام من ضلع من أضلاعه دون رحم وهذا النوع من الخلق من طلاقة القدرة لله عز وجل

معنى كلمة حواء في اللغة، وسبب تسميتها بهذا الاسم:

كلمة حواء في اللغة تحمل معنى السمرة ، وكذلك الحمرة التي يخالطها سواد . قال الجوهري: "والحوّة: سُمرةُ الشفة. يقال: رجلٌ أحوى ، وامرأةٌ حوّاءٌ" (34). وقال ابن منظور: "يقال: وامرأةٌ حوّاءٌ وقد حويت ، وقال ابن سيده: شفة حوّاء :

³⁴ (الصحاح في اللغة 1 / 1

حمراء تضرب إلى السواد ، وكثر في كلامهم حتى سموا كل أسود أحوى " (35).
وقال الزمخشري: "الأحوى: لون يضرب إلى سواد قليل ، وسميت أمنا حواء ؛
لأدمة كانت فيها" (36).

سبب تسمية حواء بهذا الاسم:

وردت مجموعة من الأقوال في كتب التفسير في سبب تسمية حواء بهذا الاسم،
ومن أبرز هذه الأقوال ما يلي:
أ- أنها خلقت من حيٍّ، ويمثله سميت امرأة؛ لأنها خلقت من المرء.
ب- لأنه كان على شفيتها حُوَّة (سمرة الشفة).
ج- لأنه كان في ذقنها حُوَّة (حُمرة مائلة إلى السواد).
د- لأن لونها كان يضرب إلى السُمرة.
هـ- لأنها أم كل حيٍّ.
و- لأن امرأة الرجل تحوي عليه وتستحمله، فيسمع منها في أغلب أمره (37)

الأدلة من الكتاب والسنة:

قد تصافرت الأدلة الشرعية من نصوص الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ومن
تبعهم من الأئمة على أن آدم عليه السلام أصل النوع البشري ، خلقه الله من
تراب ، ثم خلق منه زوجته حواء ، فبث منهما البشر جميعا . فقد بين الله عز وجل
عظيم قدرته على خلق أمنا حواء من نفس آدم عليه ال سلام فى العديد من
الآيات القرآنية ومنها :

(35) لسان العرب 206/14

(36) الفائق فى غريب الحديث و الأثر 212

(37) انظر: بحر العلوم للسمرقندي 1/357. تفسير اللباب لابن عادل 1/236. تاج العروس 1/6405. النهاية فى
غريب الأثر 2/1195. تفسير مقاتل 2/19. تفسير ابن عرفة 1/70. النكت والعيون 1/36. تفسير الرازي 5/35.
فتح القدير 1/77.

قوله تعالى في سورة النساء: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(1)"** ، وقوله تعالى في سورة الأعراف **"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189)"** ، وقوله تعالى في سورة الزمر **"خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي تُصْرَفُونَ (6)"**

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات على ثلاثة أقوال (38) منهم قولين مشهورين والثالث شاذ:

القول الأول: قوله تعالى: **{مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}** النفس الواحدة: هي آدم، وخلق من هذه النفس زوجها، وهي حواء ، فإنها أخرجت من آدم، أي من ضلعه ، كما يقتضيه ظاهر الآية في كلمة **{مِنْهَا}** . وهذا القول هو قول جمهور المفسرين، وممن قال بهذا القول منهم : قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: "خلق الله حواء من ضلع من أضلاع آدم القصرى " وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم ، والبيهقي عن ابن عباس قال: "خلقت المرأة من الرجل، فجعل نهمتها في الرجل ، وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض ، فاحبسوا نساءكم". وقال الطبري: أي خلق من هذه النفس الواحدة زوجها، ويعني بـ **(زوجها)**: الزوج الثاني للنفس ، وهي حواء، وقد خلقت من ضلعه. وقال ابن كثير معنى قوله تعالى: **{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}** وهي حواء عليها السلام ، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه ، وهو نائم ، فاستيقظ ، فرآها فأعجبته ، فأنس إليها وأنست إليه. وقال الزمخشري: ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيري رجل ، وجاء العطف بـ (ثم) للدلالة على مباينتها ، فضلاً ومزية ، فهو من التراخي في الحال والمنزلة ، لا من التراخي في الوجود . بمعنى : أنه تأخر خلق حواء عن خلق آدم ، وأن منزلتها أدنى من منزلته. وقال الألويسي: المراد من الزوج حواء ،

(38) يونس عبد الرب فاضل الطلوع <http://www.jameataleman.org/main/article>

وقد خلقت من ضلع آدم -عليه السلام- الأيسر، كما روي ذلك عن ابن عمر وغيره ، وقال أيضاً: والكيفية مجهولة لنا ، ولا يعجز الله تعالى شيء. ويمثل هذا القول القائل: أن حواء خلقت من آدم ، قد قال به كذلك آخرون من المفسرين غير من ذكرتهم سابقاً، ومنهم: الرازي، والبغوي، وابن الجوزي، والبيضاوي، وابن عاشور ، والسمرقندي ، وابن عادل ، والنسفي ، والسيوطي ، والخازن ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والنيسابوري ، وجلال الدين المحلي ، وأبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي ، وابن عجيبة ، وابن عبد السلام ، وأبو الحسن الواحدي ، وابن عطية ، والشوكاني ، والشنقيطي ، وأبو بكر الجزائري ، ومحمد سيد طنطاوي(39).

القول الثاني من أقوال المفسرين في خلق حواء عليها السلام:

أن المراد في قوله تعالى: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أن النفس الواحدة هي آدم ، وهي التي ابتداء الله خلقها ، وخلق من جنس هذه النفس زوجها ، أي أن حواء خلقت من نفس أخرى هي من جنس نفس آدم ، وليست حواء مخلوقة من آدم -عليهما السلام- .وأصحاب هذا القول القائل بأن حواء خلقت من جنس آدم ، وليست مخلوقة منه : ابن بحر، وأبو مسلم الأصفهاني، وقد حكى بعض المفسرين هذا القول عنهما ، من باب ذكر الأقوال في تفسير الآية.

وقال أبو حيان في شرحه لهذه الآية المتقدمة ، إما كون حواء خلقت من ضلع آدم ، وإما أن أزواجكم من جنسكم ونوعكم ، فمتى كان من الجنس، كان بينهما تألف ، بخلاف الجنسين ، فإنه يكون بينهما التنافر، وهذه الحكمة في بعث الرسل من جنس بني آدم(40).

القول الثالث: وزعم بعضهم أن حواء كانت حورية خلقت مما خلق منه الحور.

قلت: فلو كانت حواء مخلوقة مما خلقن منه الحور كما هو نص كلام الزاعم ، فسيكون بينها وبين آدم -عليه السلام- المخلوق من تراب الدنيا ، بُعد كَلْبِي ، يكون افتراقاً في الجنسية ، ويستدعي بُعد وقوع التنازل بينهما في هذه النشأة ،

(39) يونس عبد الرب فاضل الطلوع <http://www.jameataleman.org/main/article>

(40) تفسير البحر المحیط 76/9

وليس في الآيات ولا الأحاديث ما يتوهم منه الإشارة إليه أصلاً، فضلاً عن التصريح به (41)

الأدلة من السنة النبوية :

ب- السنة النبوية شارحة ومبينة لما أجمل في القرآن الكريم وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام صراحة في أحاديث كثيرة منها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»(42). وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوجٌ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طاقها»(43).

- وروى الشيخان في الحديث المتفق عليهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوجٌ»(44).

- وفي صحيح ابن حبان عن سمرة ابن جندب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع، فإن أقمتها كسرتها، فدارها تعش بها»(45). ومعنى المداراة: التساهل والملاينة فيما لا يضر بالدين.

وهذا بيان من السنة الصحيحة أن حواء خلقت من ضلع . ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كلها - إن صحت عنه - وألا يرد شيئاً منها ؛ لأن أحاديثه وسنته صلى الله عليه وسلم وحى من الله ، والذي يرد

(41) يونس عبد الرب فاضل الطلول. <http://www.jameataleman.org/main/articles>.

(42) صحيح البخاري 16/184 رقم 4787

(43) صحيح مسلم 7/400 رقم 2670

(44) صحيح البخاري 16/182 رقم 4786. صحيح مسلم 7/399 رقم 2669

(45) صحيح ابن حبان 17/349 رقم 4252

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رد الوحى من الله . فمبدأ البشر آدم ، ثم جاءت منه حواء ، ثم جاء منهما البشر جميعا . يوضح ذلك قوله تعالى فى سورة الزمر: (**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** (6). فقوله تعالى: (**ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**) واضح الدلالة على أن خلق آدم كان أولا ، ثم خلقت حواء منه بعد ذلك . وعبر بحرف العطف (ثم) الذي يدل على الترتيب والعطف الرتيب ؛ لبيان أن ترتيب الخلق هكذا : آدم أولا ، ثم حواء منه ، ثم سائر البشر منهما . وأكد ذلك بقوله (**نفس واحدة**) ليدل على أن أصل النوع البشري نفس واحدة ، لا نفسان . وفى ذلك دليل واضح على رد قول من يقول إن الله تعالى خلقهما معا .

أقوال بعض الأئمة

قال الإمام النووي رحمه الله فى شرحه للحديث المتقدم فى صحيح الإمام مسلم : " **وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم ، قال الله تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)** وبين النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت من ضلع " . وهذا من تمام قدرته سبحانه ومطلق مشيئته ؛ ليعلم المخلوق كيف كان أصله ، وما هو مبدأ خلقه ، وأن الله على كل شيء قدير ، فيعلم ضعفه وقلة حيلته ، ويعلم عظمة ربه فى قدرته ومشيئته ، فحري به بعد ذلك أن يؤمن به ويسلم له . وقال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله : " خلق سائر الخلق من ذكر وأنى ، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ؛ فإن حواء خلقت من ضلع آدم ، وهذا أعجب من خلق المسيح فى بطن مريم ، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا وهو أصل خلق حواء " (46) . أهـ .

وقال ابن القيم رحمه الله : " ... ليرى عباده أنه خالق أصناف الحيوان كلها كما يشاء وفى أي لون شاء ، فمنها المتشابهة الخلقة المتناسب الأعضاء ، ومنها المختلف التركيب والشكل والصورة ، كما يرى عباده قدرته التامة فى خلقه لنوع الإنسان على الأقسام الأربعة الدالة على أنه مخلوق بقدرته ومشيئته ، تابع لها ، فمنه ما خلق من غير أب ولا أم ، وهو أبو النوع الإنسانى ، ومنه ما خلق من ذكر بلا أنثى ، وهى أمهم التى خلقت من ضلع آدم ، ومنه ما خلق من أنثى بلا ذكر ، وهو المسيح ابن مريم ، ومنه ما خلق من ذكر وأنثى وهو سائر النوع الإنسانى ،

(46) الجواب الصحيح (4/ 54) لابن تيمية

فيرى عباده آياته ويتعرف إليهم بآلائه وقدرته وأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" (47) أ.هـ .

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: " من حكم خلقه عيسى من امرأة بغير زوج ليجعل ذلك آية للناس أي علامة دالة على كمال قدرته وأنه يخلق ما يشاء كيف يشاء ، إن شاء خلقه من أتى بدون ذكر كما فعل بعيسى ، وإن شاء خلقه من ذكر بدون أتى كما فعل بحواء ، كما نص على ذلك بقوله : (وخلق منها زوجها) النساء/1 ، أي خلق من تلك النفس التي هي آدم زوجها حواء ، وإن شاء خلقه بدون الذكر والأثني معا كما فعل بآدم ، وإن شاء خلقه من ذكر وأثني كما فعل بسائر بني آدم " (48) أ.هـ .

وعلى ذلك جمهور علماء المسلمين من السلف والخلف: أن الله تعالى خلق آدم أولاً ثم خلق منه حواء ، ثم خلق منهما البشر جميعاً : فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ " جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا قَالَ : خُلِقَتْ حَوَاءٌ مِنْ ضُلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ لَيْسَ كُنْ إِيَّهَا " (49) وعن مجاهد في قوله : (وخلق منها زوجها) قال: حواء، من فُصيري آدم وهو نائم". (50) ثم روى معناه عن ابن عباس والسدي وابن إسحاق . وقال البغوي رحمه الله: " خلق الله حواء من ضلع آدم " (51) وقال علماء اللجنة الدائمة (52): " ثبت في القرآن والسنة ما يدل على خلق آدم من تراب ، وخلق زوجه حواء منه " (53) أ.هـ . والله تعالى أعلم .

الخلاصة

- بين القرآن العظيم أن حواء خلقت من بعد آدم عليهما السلام ، وخلقت من نفس آدم عليه السلام
- وبين النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت من ضلع من أضلاع آدم ، ولم تبين السنة أي ضلع هو فتحدد الضلع بلا دليل تقول بغير علم .

(47) مفتاح دار السعادة (1/ 242)

(48) أضواء البيان" (4/ 259)

(49) تفسير ابن أبي حاتم (5/ 1631)

(50) تفسير الطبري" (7/ 515)

(51) تفسير البغوي" (7/ 186)

(52) <http://islamqa.info/ar/183039> موقع الإسلام سؤال وجواب

(53) "فتاوى اللجنة الدائمة (1/ 15)

- أنفاق جمهور المفسرين على ذلك
- أما القول بأنها خلقت من جنس آدم وليست منه يرده الأحاديث الصحيحة للنبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها آنفا.
- القول بأن حواء خلقت من حورية من حوريات الجنة ليس عليه دليل لا من القرآن ولا من السنة المطهرة ولا أجماع أهل العلم فهو قول شاذ

عبر وعظات من خلق حواء عليها السلام

- خلق حواء من ذكر وبدون التقاء للنطف وبدون رحم نمط آخر من قدرة الله عز وجل على الخلق والايجاد فقد خلق آدم من تراب دون التقاء للنطف أو وجود للرحم
- وخلق حواء من شئء حى أهون من خلق آدم من شئء جامد وهو التراب وليس هناك ما يصعب على قدرة الله القادر المقتدر.
- أن خلق حواء من ضلع قد يفتح المجال لمشروعات بحثية لدراسة نوعية الخلايا فى أعلى الضلع وخصائصها ومميزاتها عن غيرها خصوصا فى مجال التكاثر، لأنه ربما يفيد فى الاستنساخ العلاجى والاستنساخ الجينى وقد بينت بعض الأحاديث أن هذا الضلع فى الجانب الأيسر وأنه قصير وأنه من الخلف وهذا ليس تحديد للضلع نفسه وإنما للمكان الذى به الضلع .
- خلق حواء من نفس آدم عليهما السلام دليل على مدى ارتباط الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل ، ولا استغناء لأحدهما عن الآخر . ولهذا قالت زوجة ملك كندى لابنتها ليلة زفافها فى النصيحة المشهورة عنها أى بنية :
"النساء خلقن للرجال ولهن خلق الرجال"
- أن المرأة خلقت من أعلى الضلع وهو أضعف جزء منه ولذلك فإن التركيب التشريحي والفسىولوجى للمرأة ضعيف إذا قورنت بالرجل
- خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام قدرة الهية أخرى تبين عظمة الخالق سبحانه وتعالى إذ كيف تخلق امرأة ذات مواصفات تختلف إلى حد ما فى التركيب التشريحي والفسىولوجى عن التى خلقت منه إلا أنها تشترك فى التراكيب الأصلية مثل الاعتدال فى القامة والأجهزة الداخلية والعضلات والعظام مع بعض الاختلافات التى تتناسب مع طبيعتها كإمرأة

- وهذا الخلق ليس استنساخا كما يدعى البعض بأن الاستنساخ موجود فى القرآن فى صورة خلق حواء وكذلك خلق عيسى بن مريم . وفى الحقيقة هذا كلام باطل ليس عليه دليل شرعى أو علمى . لأن أمانا حواء ليست نسخة طبق الأصل من أينا آدم عليه السلام ، والنسخة لا بد وأن تكون مطابقة تماما لما نسخت منه دون حذف أو تعديل أو إضافة .
- أن حواء بريئة من إغراء آدم باتباع الشيطان بالأكل من الشجرة كما يتقول بذلك بعض الناس وهو قول بغير علم لأن القرآن الكريم يرده ، وقد بين الله عز وجل ذلك فى كتابه العزيز إذ يقول جل وعلا فى سورة الأعراف " فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) فالوسوسة هنا كانت لكليهما ، والإغراء هنا كان لكليهما ، والقسم بالنصح من الشيطان كان لكليهما فحواء عليها السلام بريئة من هذا الاتهام براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليهما السلام.
- خلق حواء من ضلع آدم عليهما السلام يشير إلى أن الزوج مهما كان فهو سند للزوجة وستر لها ، ويشير إلى الائتناس ببعضهما وصدق الله العظيم إذ يقول فى سورة البقرة: **أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(187)** ، واللباس إنما يستخدم للستر والحماية من عوامل البيئة كالحر والبرد والشمس والمطر، أو هو كناية عن شدة التصاق المرأة بالرجل كشدة التصاق اللباس بجلد الانسان

الفصل الخامس

خلق عيسى بن مريم عليه السلام

نمط ثالث من أنماط الخلق الدال على القدرة المطلقة لله عز وجل وهو خلق عيسى ابن مريم عليهما السلام من أنثى دون الاحتياج إلى الزوج مع وجود الرحم لأن مريم عليها السلام حملت به ووضعته في حال المخاض . وذكر خلق عيسى عليه السلام آية أخرى من آيات الحق الدالة على القدرة المطلقة لله رب العالمين ، ورد على المغالين والملحدين والكافرين الذين اتخذوه لها أو ولدا لله عز وجل أو ثالث ثلاثة وكل هذا كفر وضلال بينه رب العالمين وفند لهم هذه الشبهات بأبلغ رد وأيسر بيان . ولذلك فإنني استشهد بالعديد من أقوال أهل التفسير للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للدلالة على القدرة الإلهية لخلق عيسى بن مريم ولنفي أباطيل أهل الكفر والالحاد في شأن عيسى بن مريم عليهما السلام سواء في حال مولده أو في حال رفعه من الأرض إلى السماء .

الأدلة الشرعية:

أولاً: من القرآن الكريم

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) سورة آل عمران.﴾

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) سورة آل عمران.﴾

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) سورة النساء﴾

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) سورة النساء.﴾

ولكى نفهم قصة خلق عيسى عليه السلام فلا بد وأن نعود إلى بعض كتب التفاسير التي فسرت لنا الآيات التي تتكلم في هذا الشأن

أولاً: تفسير الآية من قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

تفسير ابن جرير الطبري

يعني بقوله جل ثناؤه: **{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ}** وما كنت لديهم إذ يختصمون، وما كنت لديهم أيضا إذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله يبشرك. والتبشير: إخبار المرء بما يسره من خبر. وقوله: **{يَكَلِّمَهُ مِنْهُ}** يعني: برسالة من الله ، وخبر من عنده ، وهو من قول القائل: ألقى فلان إلي كلمة سرني بها ، بمعنى: أخبرني خبرا فرحت به ، كما قال جل ثناؤه: **{وَكَلَّمْتَهُ أَقَاها إِلَى مَرْيَمَ}** يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها.

فتأويل الكلام: وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده ، هي ولد لك ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم. وقد قال قوم ، وهو قول قتادة: إن الكلمة التي قال الله عز وجل بكلمة منه ، هو قوله: **«كن»**. فسماه الله عز وجل كلمته ، لأنه كان عن كلمته ، كما يقال لما قدر الله من شيء: هذا قدر الله وقضاه ، يعني به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث ، وكما قال جل ثناؤه: **{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا}** يعني به: ما أمر الله به ، وهو المأمور الذي كان عن أمر الله عز وجل.

وقال آخرون: بل هي اسم لعيسى سماه الله بها كما سمي سائر خلقه بما شاء من الأسماء. وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الكلمة: هي عيسى.

وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي القول الأول: وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقها إليها ، أن الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل ، ولذلك قال عز وجل: **{اسْمُهُ الْمَسِيحُ}** فذكر ، ولم يقل اسمها فيؤنث ، والكلمة مؤنثة ، لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان ، وإنما هي بمعنى البشارة ، فذكرت كنايةا. وأما قوله: **{اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ}** فإنه جل ثناؤه أنبا عباده عن نسبة عيسى ، وأنه ابن أمه مريم ، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله جل ثناؤه من النصارى ، من إضافتهم بنوته إلى الله عز وجل ، وما قدّقت أمه به المغترية عليها من اليهود. قال محمد بن جعفر بن الزبير: **{إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}**: أي هكذا كان أمره ، لا ما يقولون فيه. وأما المسيح ، فإنه فعيل ، صرف من مفعول إلى فعيل ، وإنما هو ممسوح ، يعني: مسحه الله فطهره من الذنوب ، ولذلك قال إبراهيم النخعي: المسيح الصديق ، وقال آخرون: مسح بالبركة. وهو قول سعيد بن المسيب .

{وَجِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}. يعني بقوله «وجيها»: ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة ، ومنه يقال للرجل الذي يشرف وتعظمه الملوك والناس: وجيه يقال منه: ما كان فلان وجيها ، ولقد وَجَّهَ وَجْهَهُ وَجَاهَةً ، وإن له لَوَجْهًا عند السلطان ، وجاها ووجاهة. وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها في الدنيا والآخرة عند الله ، وأما قوله: {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} فإنه يعني: أنه ممن يقربه الله يوم القيامة ، فيسكنه في جواره ، ويدنيه منه. وهو قول قتادة والربيع: من المقربين عند الله يوم القيامة.

تفسير بن كثير

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير. قال الله تعالى: { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ } أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: كن فيكون ، وقوله: { وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا } أي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره ، معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه بذلك { وَمِنَ الصَّالِحِينَ } أي في قوله وعمله ، له علم صحيح وعمل صالح. فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل ، قالت في مناجاتها { رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ؟ } تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ، ولا من عزمي أن أتزوج ، ولست بغياً حاشا لله ؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال { كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ، وصرح ههنا بقوله: { يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } ولم يقل: يفعل ، كما في قصة زكريا ، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله: { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } أي فلا يتأخر شيئاً بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله: { وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر } أي إنما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعاً كلمح بالبصر.

تفسير القرطبي:

{ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ } دليل على نبوتها. يقول: يكلم الناس في المهدي آية ، ويكلمهم كهلا بالوحي والرسالة. وقال أبو العباس: كلمهم في المهدي حين برأ أمه فقال: "إني عبد الله" [مريم: 30] الآية. وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله تعالى من السماء أنزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين

سنة وهو الكهل فيقول لهم: **"إني عبد الله"** كما قال في المهد. فهاتان آيتان وحتتان. قال المهدي: وفائدة الآية أنه أعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم في المهد ويعيش إلى أن يكلمهم كهلا، إذ كانت العادة أن من تكلم في المهد لم يعيش. قال الزجاج: **"وكهلا"** بمعنى ويكلم الناس كهلا. وقال الفراء والأخفش: هو معطوف على **"وجيها"**. وقيل: المعنى ويكلم الناس صغيرا وكهلا. وإنما الكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين. **"ومن الصالحين"** عطف على **"وجيها"** أي وهو من العباد الصالحين.

تفسير الشنقيطي:

{**إذ قالت الملائكة يرمي إن الله يبشرك بكلمة منه**}: لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى ؛ لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسييه ، ولكنه يبين في موضع آخر أما أنها لفظة كن ، وذلك في قوله : **{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن}** ، وقيل : الكلمة بشارة الملائكة لها بأنها ستلده واختاره ابن جرير ، والأول قول الجمهور .

ثانيا: تفسير الآية من قوله تعالى:

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (59) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (60) سورة آل عمران}

تفسير الطبري:

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير ذكر - فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران - عندي كسبه آدم الذي خلقته من تراب ، ثم قلت له كن فكان، من غير فحل، ولا ذكر، ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير ذكر، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، فكان لحما، يقول: وأمري إذ أمرته أن يكون فكان، فكذلك خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان.

وقال ابن زيد في قول الله عز وجل **{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب}** قال: أتى نجرانيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له:

هل علمت أن أحدا ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك؟ قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** **{خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}** غير صلة لآدم ، وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه وكيف كان.

فتأويل الكلام إذا: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن ، فهو كائن. فلما كان في قوله: **{كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ}** دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر ، استغنى بدلالة الكلام على المعنى ، وقيل: فيكون ، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى. وقد قال بعض أهل العربية: فيكون رفع على الابتداء ومعناه: كن فكان ، فكأنه قال: فإذا هو كائن.

تفسير بن كثير:

يقول جل وعلا: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}** في قدرة الله حيث خلقه من غير أب **{كمثل آدم}** حيث خلقه من غير أب ولا أم بل **{ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** فالذي خلق آدم من غير أب ، قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب ، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالإتفاق أن ذلك باطل ، فدعواها في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلق حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم **{ولنجعله آية للناس}** وقال ههنا: **{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}** أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}** دليل على صحة القياس. والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب. والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد؛ فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب؛ ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طينا ثم جعله صلصالا ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشرا من غير أب. ونزلت هذه الآية بسبب وفد نجران حين أنكروا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قوله: (إن عيسى عبد الله وكلمته) فقالوا: أرنا عبدا خلق من غير أب؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (آدم من كان أبوه أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فأدم عليه السلام ليس له أب ولا أم). فذلك قوله تعالى: **"ولا يأتونك بمثل" أي في عيسى "إلا جتناك بالحق" في آدم "وأحسن تفسيراً" [الفرقان: 33].** وروى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك. فقال: (كذبتهم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولدا، وأكلكم الخنزير، وسجودكم للصليب). فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}** إلى قوله: **"فنجعل لعنة الله على الكاذبين" [آل عمران: 61].**

تفسير الجلالين:

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ) شأنه الغريب (عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) كشأنه في خلقه من غير أم ولا أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ) بشراً (فَيَكُونُ) أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان، (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) خبر مبتدأ محذوف أي أمر عيسى (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه، (فمن حاجك) جادلك من النصارى (فيه من بعد ما جاءك من العلم) بأمره (فقل) لهم (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) فجمعهم (ثم نبتهل) تتضرع في الدعاء (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه به فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد خرج ومعه

الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: إذا دعوت فأمنوا فأبوا أن يلاعنا وصالحوه على الجزية⁽⁵⁴⁾ ، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا ، وروي: لو خرجوا لاحترقوا

ثالثاً: تفسير الآية من قوله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) سورة النساء

تفسير بن كثير:

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة ، إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى: **{اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله}** الآية.

وروى الإمام أحمد: بسنده عن ابن عباس ، عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **« لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم. فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله(55)»**. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»**

⁵⁴ رواه أبو نعيم

⁵⁵ قال بن كثير ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة، عن الزهري كذلك، ولفظه «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» وقال علي بن المديني: هذا حديث صحيح سنده وهكذا رواه البخاري عن الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به، ولفظه «فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

تفرد به من هذا الوجه. وقوله تعالى: **{ولا تقولوا على الله إلا الحق}** أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً ، وتنزهه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته ، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه ، ولهذا قال: **{إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}** أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان ، ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم ، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل ، فكان عيسى بإذنه عز وجل ، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها ، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم ، والجميع مخلوق الله عز وجل ، ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه ، لأنه لم يكن له أب تولد منه ، وإنما هو ناشيء عن الكلمة التي قال له بها كن فكان ، والروح التي أرسل بها جبريل قال الله تعالى: **{ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام}**. وقال تعالى: **{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}**. وقال تعالى: **{والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين}** وقال تعالى: **{ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها}** إلى آخر السورة ، وقال تعالى إخباراً عن المسيح: **{إن هو إلا عبد أنعمنا عليه}** الآية.

بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام. وقال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي، حدثني عمير بن هانئ، حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«من شهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»**. وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد ، عن الوليد ، عن ابن جابر به ، ومن وجه آخر عن الأوزاعي به، فقولته في الآية والحديث **«وروح منه»** كقولته: **{وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه}** أي من خلقه ومن عنده وليست من التبويض كما تقولته النصارى عليهم لعائن الله المتتابعه - بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى ، وقد قال مجاهد في قوله: **{وروح منه}** أي ورسول منه ، وقال غيره: ومحبة منه ، والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشفير ، كما أضيفت الناقة

والبيت إلى الله في قوله: **{هذه ناقة الله}** وفي قوله: **{وطهر بيتي للطائفين}** وكما روي في الحديث الصحيح: «فأدخل على ربي في داره» أضافها إليه إضافة تشريف ، وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد.

وقوله: **{فآمنوا بالله ورسوله}** أي فصدقوا بأن الله واحد أحد ، لا ولد له ولا صاحبة ، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ، ولهذا قال تعالى: **{ولا تقولوا ثلاثة}** أي لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهذه الآية كالتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى: **{لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد}** وكما قال في آخر السورة المذكورة: **{وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني}{ الآية}** وقال في أولها **{لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}{ الآية}** - فالنصارى عليهم لعائن الله - من جهلهم ليس لهم ضابط ، ولا لكفرهم حد ، بل أقوالهم وضلالهم منتشر ، فمنهم من يعتقد أنه إلهاً ، ومنهم من يعتقد أنه شريكاً ، ومنهم من يعتقد أنه ولدًا ، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة ، وأقوال غير مؤتلفة.

فائدة: هل عيسى عليه السلام هو وحده الذي تكلم في المهدي:

تأتي الأدلة من السنة النبوية المطهرة لتبين لنا من هم الذين تكلموا في المهدي:

ذكر بن كثير: قال محمد بن إسحاق: عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن محمد بن شرحبيل ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما تكلم مولود في صغره إلا عيسى وصاحب جريج» وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة ، حدثنا الحسين يعني المروزي ، حدثنا جرير يعني ابن حازم ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى ، وصبي كان في زمن جريج ، وصبي آخر»

وذكر القرطبي: ذكر أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن إدريس عن حصين عن هلال بن يساف . قال: لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريج ، كذا قال : "وصاحب يوسف". وهو في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب الجبار ويينا صبي يرضع من أمه) وذكر الحديث بطوله. وقد جاء من حديث صهيب في قصة الأخدود (أن امرأة جيء بها لتلقى

في النار على إيمانها ومعها صبي). في غير كتاب مسلم (يرضع فتقاعست أن تقع فيها فقال الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق). وقال الضحاك: تكلم في المهدي ستة: شاهد يوسف وصبي ماشطة امرأة فرعون وعيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الجبار. ولم يذكر الأخدود، فأسقط صاحب الأخدود وبه يكون المتكلمون سبعة. ولا معارضة بين هذا وبين قوله عليه السلام : (لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة) بالحصر فإنه أخبر بما كان في علمه مما أوحى إليه في تلك الحال ، ثم بعد هذا أعلمه الله تعالى بما شاء من ذلك فأخبر به .

قلت: أما صاحب يوسف فيأتي الكلام فيه، وأما صاحب جريج وصاحب الجبار وصاحب الأخدود ففي صحيح مسلم . وستأتي قصة الأخدود في سورة "البروج" إن شاء الله تعالى . وأما صبي ماشطة امرأة فرعون ، فذكر البيهقي عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لما أسري بي سرت في رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة قالوا ماشطة ابنة فرعون وأولادها سقط مشطها من يديها فقالت: بسم الله فقالت ابنة فرعون : أبي؟ قالت: ربي وربك ورب أبيك . قالت: أولك رب غير أبي؟ قالت: نعم ربي وربك ورب أبيك الله - قال - فدعاها فرعون فقال: ألك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله - قال - فأمر بنقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها قالت : إن لي إليك حاجة قال : ما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع واحد قال : ذاك لك لما لك علينا من الحق. فأمر بهم فألقوا واحدا بعد واحد حتى بلغ رضيعا فيهم فقال قعي يا أمه ولا تقاعسي فإننا على الحق - قال - وتكلم أربعة وهم صغار : هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم .

عبر وعظمت من خلق عيسى عليه السلام:

✦ أن خلق عيسى عليه السلام دون الاحتياج إلى زوج لمريم عليها السلام نمط آخر من قدرة الله على الخلق والإيجاد فهو وحده سبحانه وتعالى القادر على ذلك وحتى لا يقول الناس أن عيسى بن مريم يحيى ويميت فيرد الله عليهم بأنه لا يملك خلق نفسه وإنما خلقناه بقدرتنا بدون الاحتياج إلى زوج لمريم عليها السلام . وأما قدرة عيسى بن مريم على احياء الموتى وخلق الطير فكان بإذن الله العليم القدير ولا يقدر عيسى على السلام على ذلك من تلقاء نفسه

- ✦ أن عيسى بن مريم بشر تتحقق فيه كل صفات البشرية فهو مخلوق فى الرحم ومولود منها وكان يأكل ويشرب وهذه صفات البشر فعلام اتخذه الضالون إلهًا ؟ بل جاء النهى صريح عن اتخاذ عيسى بن مريم وأمه إلهين من دون الله (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) سورة المائدة. وهذا الذى نزه عيسى بن مريم به الله (قَالَ سُبْحَانَكَ) من أن يكونا كذلك
- ✦ أن عيسى بن مريم هو الوحيد من البشر الذى نسبه الله إلى أمه ونسبته إلى أمه مريم عليها السلام دليل آخر على بشريته وأنه ليس إلهًا
- ✦ أن كلام عيسى بن مريم فى المهد براءة لأمه العفيفة البتول فلو جاءت مريم عليها السلام بجميع من فى الأرض ليشهدوا على براءتها ما صدقها المتشككون ولكن جاءت براءتها معجزة يتكلم بها عيسى وهو فى المهد ابن يوم أو أقل من يوم
- ✦ لو أن خلق عيسى بن مريم بدوب أب ذريعة لاتخاذها إلهًا من دون الله أو ولدا لكان آدم عليه السلام أحق بذلك من عيسى بن مريم لأن آدم عليه السلام خلقه الله بدون أب أو أم أو رحم وهذا لم يقله أحد من عقلاء الأمم السابقة ولا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا تنتفى ألوهية عيسى بن مريم وتنتفى بنوته لله عز وجل وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
- ✦ وكما اختلفوا فى خلقه فقد اختلفوا أيضا فى موته فقالوا أنه صلب وقتل والله سبحانه وتعالى رفعه إليه دون أن يصلب أو يقتل فى الأرض وهذه حكمة ثانية فى مسألة موته عليه السلام لأنه فى زمن البحث عن استنساخ البشر فى القرن العشرين لربما نبش العلماء المهوسون بالاستنساخ قبورا بحثا عنه عليه السلام لنسخ نسخ أخرى منه . والعلم فنون وحنون.
- ✦ وحتى لا يعطى أحد من الناس مزية أخرى لعيسى بن مريم أنه هو الوحيد الذى تكلم فى المهد فقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن ثمة مواليد صغار تكلموا أيضا فى المهد بقدره الله عز وجل . فلو كان عيسى

- بن مريم إلهة بهذه لكانوا هؤلاء آلهة كذلك ، وهذا لم يقله أحد من عقلاء هذه الأمة سواء من العلماء أو من غيرهم
- ♣ هذه الآيات البينات تتكلم عن أصل تكوين الجسد عند عيسى بن مريم حتى لا يظن أحد أن أصل المادة التي خلق منها عيسى ابن مريم غير التي خلق منها آدم عليه السلام فيتخذونه إلهة من دون الله ورغم ذلك فالنصارى اتخذوه إلهة لفهمهم الخاطيء عن عيسى بن مريم عليه السلام
- ♣ خلق حواء عليها السلام و خلق عيسى بن مريم عليه السلام ليس استنساخا كما يظن البعض لأن بعض المتكلمين لما ظهر بحث استنساخ السيدة دوللى 1997 قالوا أن الاستنساخ مذكور في القرآن وقالوا أنه جاء في خلق أمنا حواء عليها السلام وخلق عيسى عليه السلام وهذا كلام باطل لسببين رئيسين وهما:
- 1- أن عيسى بن مريم ذكر من أنثى وهذا عكس الاستنساخ تماما لأن النسخة لا بد أن تتشابه تماما في التكوين الجسدى بمعنى أن النسخة من الذكر تكون ذكرا والنسخة من الأنثى تكون أنثى. وكذلك الحال في خلق أمنا حواء عليها السلام فهى أنثى من ذكر وهذا بخلاف الاستنساخ
 - 2- أمنا حواء سوية البنية وأنجبت ذرية سوية البنية (ذرية بعضها من بعض) ولم تتغير الصفات الوراثية الموروثة منها إلى أن تقوم الساعة وهذا عكس الاستنساخ فإن الذرية إن قدر الله لها العيش فهى تعيش مشوهة وتموت وينقطع نسلها لتفاوت الصفات الموروثة منها نتيجة خلل فى بعض الجينات. وكذلك عيسى بن مريم سوى البنية قوى الجسم ليس به تشوهات أو أمراض وهذا عكس الاستنساخ لأن النسخ تكون مشوهة ومريضة وبها علل كثيرة

الفصل السادس

خلق الذرية كما بينها رب البرية

وتتظم آيات الله عز وجل نظما بديعا بعد بيان الأصل فى خلق آدم عليه السلام ،
وتنقلنا نقلة رائعة من خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام إلى خلق حواء
عليها السلام ، إلى خلق الذرية من آدم وحواء عليهما السلام ، كما فى صدر
سورة النساء لى يتحقق ما قضاه الله عز وجل وقدره عند قوله للملائكة **"إنى
جاعل فى الأرض خليفة "** أى انسانا يخلف بعضه بعضا ولا يكون خليفة عن الله
فى كونه لأن الله حى لا يموت قيوم لا ينام يقوم بتدبير شئون خلقه فتعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ويبين الله عز وجل مراحل خلق الذرية فى الأرحام فى العديد من الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة ، كما بين من قبل مراحل خلق أول الأنام آدم عليه السلام.

وبالجملة نوجز هنا مراحل خلق الذرية من خلال النقاط التالية :

- 1 - أن الله عز وجل جعل أصل الخلايا التناسلية والتي تكون النطف فيما بعد تخرج من صلب آدم ثم استقرت فى الخصيتين لتكون الحيوانات المنوية والتي تقذف عند الجماع على هيئة النطف أى قطرات . كما جعل الله عز وجل أيضا أصل الخلايا التناسلية فى أمنا حواء تخرج من بين ترائبها ثم استقرت فى مبيضها لتكون البويضات والتي خرجت أيضا على هيئة النطف أى القطرات وأن هذه النطف الذكورية والأنثوية تحمل الصفات الوراثية التى فى الأباء وتنتقل للأبناء وتتأقلمها الأجيال جيلا بعد جيل قال الله تعالى " **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)** سورة الطارق
- 2 - بين الله عز وجل أن الذرية مخلوقة أيضا من التراب كما كان الحال مع أبيها آدم عليه السلام وكيف لا ؟ وهى سلالة منه يقول الله تعالى " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ... (5)** سورة الحج ويقول تعالى " **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (12)** سورة المؤمنون
- 3 - بين الله عز وجل أن خلق الذرية فى الأرحام يبدأ من النطفة يقول الله تعالى " **مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19)** سورة عبس ، ثم بين الله عز وجل أن الذرية تخلق من العلقه فيقول تعالى " **ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (القيامة 38)** ويقول تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (العلق 2)**
- 4 - ليس هنا تعارض بين الآيات التى ذكرت خلق الانسان من النطفة أو من العلقه لأن العلقه هى مرحلة بعد تكون النطفة يقول تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلٍ**

الْعُمْرَ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْهَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) سورة الحج
ويقول تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ
جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا
الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ
أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) سورة

المؤمنون

- 5 - وبين الله تعالى أن المصغرة تكون من العلقة ويخلق المصغرة
عظاما وبكسى العظام باللحم ثم تأتى مرحلة النشأة الآخرة كما
فى الآيات السابقة من سورتي الحج والمؤمنون يقول تعالى (ثُمَّ
أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) المؤمنون 14
- 6 - وبين سبحانه وتعالى أن الانسان بهذه الصورة يكون فى أحسن
تقويم مقارنة بغيره مما خلق يقول تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) التين
- 7 - وبين الله تعالى حقيقة أخرى وهى أن الانسان مصيره الموت وأنه
يبعث بعد موته من قبره وأن الله وحده هو القادر على ذلك لأنه
الحق وقوله الحق يقول الله تعالى : " ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ
يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ
فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ " (7) سورة الحج ويقول
تعالى "ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ
(16) سورة المؤمنون

من سرد هذه الآيات فى خلق الانسان كما فى سورة المؤمنون وسورة الحج
يتضح لنا أن الجنين يمر فى بطن أمه بثلاث مراحل من التخليق وأن مراحل
تكوين الجنين فى بطن أمه سبق القرآن الكريم بها علم الأجنة Embryology
الذى ظهر فى القرن العشرين ، وأن القرآن الكريم كان دقيقا فى بيان هذه
المراحل وبيانها كالتالى:

- 1 - مرحلة النطفة
- 2 - مرحلة التخليق من النطفة (علقه ، مضغة ، عظاما ، كسوة العظام باللحم
- 3 - مرحلة النشأة الآخرة

ومن بيان التخليق فى سورة المؤمنون يتضح أن الله عز وجل حدد حدودا لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ، وتم الفصل بين هذه المراحل الثلاثة بحرف العطف "ثم" الذى يفيد الترتيب على التراخى . فنجد مرحلة تكوين النطف وهى على ثلاثة أنواع : نطفة الرجل وهى الحيوان المنوى ، ونطفة المرأة وهى البويضة ، والنطفة الأمشاج وهى التى تنتج عن اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة وهى التى يتكون منها الجنين فى رحم أمه .

ونجد فى مرحلة التخليق أن الجنين يمر بعدة أطوار ، وهذا ما ذكره الله عز وجل فى سورة نوح فى قوله تعالى : **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)** وهذه الأطوار هى طور العلقة التى تتكون من النطفة الأمشاج ، وطور المضغة التى تتكون من العلقة ، وطور العظام الذى يتكون من المضغة ، وطور كسوة العظام ولحما وكل هذه الأطوار متعاقبة تعاقبا سريعا ولذلك عطفها الله عز وجل بحرف العطف "الفاء" الذى يدل على الترتيب المتعاقب بعضه على بعض . ثم تأتى المرحلة الثالثة من خلق الجنين وهى مرحلة النشأة ا لآخرة وسياتى التفصيل لهذا البيان عند الحديث عن مراحل وأطوار خلق الجنين فى بطن أمه.

ولكن قبل التطرق إلى علم الأجنة من القرآن الكريم لابد وأن نبين نشأة علم الأجنة عند أهل الاختصاص من علماء التشريح والأجنة حتى يتبين لنا سبق القرآن الكريم بهذا العلم ، ويتبين لنا صدق رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إذ كيف يتأتى لنبى أمى عاش فى البادية أن يتكلم بهذا الكلام الموجز المعجز فى بيانه بعلم لم يكن مدروسا فى زمنه ولا فى أهله وعشيرته ولا فى من كان حوله من قبائل وعشائر فى الجزيرة العربية بل لم يكن موجودا فى أكبر حضارتين فى ذلك الزمان ألا وهما حضارة الروم وحضارة الفرس

الفصل السابع تاريخ علم الأجنة

القرآن الكريم نزل في نهاية القرن السادس الميلادي (576م) ، وتكلم عن حقائق علمية لم يكتشفها العلماء إلا في أواخر القرن العشرين ، عندما توفرت أدوات البحث والتنقيب الحديثة والتي بها اكتشف العلماء هذه الحقائق . ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عن ربه عز وجل حقائق علمية اكتشفها علماء القرن العشرين ، وما زال منها غامض حتى الآن لم يكتشف بعد . وهذا يعنى أن النبي سبق العلماء في كشف هذه الحقائق بأربعة عشر قرنا من الزمان ، مع عدم توفر أدوات الكشف والبحث في ذلك التوقيت مما يدل على

صدق رسالته صلى الله عليه وسلم وأنه مبلغ عن ربه العليم الخبير . وهذا يدلنا أيضا أن القرآن الكريم كتاب علم كما أنه كتاب هداية . ولكن قبل أن نتعرف على الإعجاز العلمى فى الآيات التى تتكلم عن خلق الجنين فى بطن أمه تعالوا بنا نبين مقدمة تاريخية فى علم الأجنة

أولا : مقدمة تاريخية فى علم الأجنة

لقد كان ثمة جدال بين فريقين من العلماء الذين تكلموا فى خلق الجنين فى بطن أمه فى عصر الفلسفة اليونانية وبالتحديد فى عهد أرسطو

الفريق الأول: يرى أن الجنين يكون موجودا على هيئة قزم فى ماء الرجل ثم ينمو نموا تاما على هذه الهيئة التى هو موجود عليها فى منى الرجل

الفريق الثانى : يرى الفريق الآخر أنه يكون كاملا و قزما أيضا و لكن يتخلق من انعقاد دم الحيض لدى المرأة .

إذن كلا الفريقين بين أن الجنين يخلق من أحد الزوجين ، أما الذكر ، وإما الأنثى وليس من كليهما وهذا خطأ علمى فادح.

والذين تخيلوا أنه يوجد كاملا فى النطفة المنوية ، وأنه ينمو و يكبر فى الرحم كالشجرة الصغيرة ؛ كما اعتقد "ليوناردو دافنشى" (Leonardo da Vinci) فى القرن الخامس عشر و كذلك "هارتسوكر" (Hartsoeker) فى القرن السابع عشر

واستمر هذا الاعتقاد سائدا حتى نهاية القرن الثامن عشر عندما بين العالم الإيطالى "سبالانزاني" (Spallanzani) سنة 1775م أن كلاً من الحيوان المنوى للرجل ، و بويضة المرأة يساهمان فى تكوين الجنين . ولكن لم يتم التعرف على كيفية الخلق وأطوار التخلق الجنينى فى ذلك الوقت

وفى عام 1783 تمكن "فان بندن" (Van Beneden) من إثبات هذه المقولة . وهنا تخلت البشرية عن فكرة الجنين القزم أو الجنين الذى يخلق من أحد الزوجين دون الآخر

وأثبت "بوفري" (Boveri) بين عامي 1888 و 1909 أن الكروموسومات تنقسم وتحمّل خصائص وراثية مختلفة ، ومن هنا نرى أن الإنسانية لم تعرف أن الجنين يتكون من اختلاط نطفة الذكر ، وبويضة الأثى إلا في أواخر القرن التاسع عشر ، ولم يتأكد لها ذلك إلا في بداية القرن العشرين .

وفى بحث رائع لكل من بروفييسور: ج.س.جورنجي ومساعدته⁽⁵⁶⁾ يبين لنا المراحل التي مرت بفكرة خلق الجنين فى بطن أمه ، وبيان السبق القرآنى والسبق النبوى لأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم والتي تتكلم عن أ دق تفاصيل خلق الجنين فى بطن أمه .



شكل (1/7) البروفيسور/ جورنجر يلقي بحثه أمام المؤتمر

وخلاصة هذا البحث فى النقاط التالية أن علم الأجنة قد مر بثلاث مراحل

أ-المرحلة الوصفية:

المرحلة الأولى: التي يمكن أن نسميها (علم الأجنة الوصفي) تعود إلى أكثر من ستة قرون قبل الميلاد ، وتستمر حتى القرن التاسع عشر ، وتم خلال هذه الفترة وصف الملاحظات الخاصة بظاهرة تطور الجنين (وتفسيرها بأساليب مختلفة) ووجدت بعض السجلات المدونة من فترة السلالات الفرعونية الرابعة والخامسة

⁵⁶ (أستاذ علم الأجنة جامعة جورج تاون أمريكا والشيخ عبد المجيد الزنداني الأمين السابق لهيئة الأعجاز . مصطفى أحمد هيئة الإعجاز العلمي والذي ألقى في المؤتمر العالمي الأول عن الأعجاز العلمي في القرآن والسنة بمدينة إسلام آباد باكستان (صفر 1408هـ/أكتوبر 1987))

والسادسة في مصر القديمة ، وقد حمل مالا يقل عن عشرة أشخاص متعاقبين اللقب الرسمي (فاتح مشيمة الملك) واقتضت المراسيم فيما بعد أن تحمل راية تمثل مشيمة الملك شكل أمام موكب الفراعنة ، وكانت تعزى إلى خواص المشيمة قوى سحرية خفية ، ودام ذلك الاعتقاد حتى عهد اليونانيين القدماء وبعدهم ، وارتبط السحر بالعلم ، وأقدم الوصفات المدونة للوقاية من الحمل ، مدونة بالخط الهيري (لغة مصر القديمة قبل الهيروغليفية) على ورق البردي (ويعود تاريخها إلى 1800-2000 سنة قبل الميلاد) . ومن العناصر الأساسية المكونة للوصفة روث التماسيح إلى جانب عناصر أخرى .

وقد هيمنت كتابات (أرسطو طاليس) و (جالينوس) على الجزء الأول من السجل التاريخي (لا سيما من حيث النفوذ والتأثير) وإن لم تكن الوحيدة في هذا المجال ، ولم تسجل منذ عام 200 بعد الميلاد حتى القرن السادس عشر أية معلومات تذكر عن علم الأجنة في المؤلفات العلمية في الغرب . ولقد نشط البحث العلمي في القرن السادس عشر، وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومهدت أعمال (فيساليوس) و (فابريسيوس) و (هارفي) لبدء عصر الفحص المجهرى ، ونشطت المناظرات العلمية ، واكتشف الحوين المنوي . وكانت مواضيع التكوين السابق والخلق الذاتى التلقائى (والبيضة) والقول بوحدة البيضة ، ومذهب النطفة الذكورية محل نقاش دائم . وهذا المفهوم الخاطئ أن الجنين يتكون من كتلة دموية وبذرة ، قال به (أرسطو) وانتقل على مر القرون ، وكان يعتقد خلال هذه الحقبة أن الجنين يتولد من دم الحيض (شكل 2/7).



شكل (2/7): رسم من كتاب جاكوب رويغف1554م يبين الكتلة الدموية والبذرة في الرحم وفقاً لمفهومأرسطوطاليس

وبينما سادت هذه الفكرة عند جميع الأطباء إلى ما بعد اكتشاف المجهر كان علماء المسلمين يرفضون فكرة أن الجنين يتولد من دم الحيض ، مستندين إلى الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يَمُنَى ﴾ [القيامة:37] ، والأحاديث النبوية ، من تعليق عالم الحديث بن حجر العسقلاني 852هـ. يقول: زعم كثير من أهل التشريح أن ضحي الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض . وأحاديث الباب تبطل ذلك (57) وهذا جانب من الصور الجليلة في سبق القرآن الكريم والسنة النبوية لما كان مسـ تقرأً عند العلماء غير المسلمين عبر القرون.

وبعد اكتشاف المجهر قد أدى هذا التطور في القرن السابع عشر إلى إعلان كل من (هام) و (فان لوفينهوك) اكتشاف الحوين المنوي كما في الجمعية الملكية للفلسفة. وتظهر صورة الحوين المنوي البشري التي نشرت في عام 1701 في (الشكل 3/7).



شكل (3/7): رسم من وضع لوفينهوك للحوين المنوي للأرنب والكلب

وفي هذا الرسم الذي قدمه (هارتسوكر) للحوين المنوي عام 1105هـ-1694 م. بعد اكتشاف الميكروسكوب بفترة - يدل على أن المجهر يومئذ لم يكن كافياً لبيان تفاصيل تكوين الحوين المنوي ، فأكملت الصورة من خيال العلماء، وعبروا مرة ثانية عن الفكرة السائدة عندهم وهي : " أن الإنسان يكون مخلوقاً خلقاً تاماً في الحوين المنوي في صورة قزم كما في (شكل 4/7).

(57) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 480/11



الشكل (4/7): رسم وضعة هارتسوكرللحويين المنوي البشري مطوبا على قزمهقلأ عن مؤلفه 1694 وفي الجهة المقابلةالجين يتخلق من بويضة المرأة فقط

انظر مرة ثانية إلى الشكل أي أنهم لم يعرفوا بعد أن خلق الإنسان في رحم أمه يمر بأطوار مختلفة الخلق والصورة ، وهي الحقيقة التي قررت في القرآن الكريم والسنة قبل ذلك بقرون طويلة . فالقرآن الكريم يقرر أن خلق الإنسان ينتقل طوراً بعد طور في بطن أمه في مثل قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ ﴾ [الزمر6]

الخلاف حول: مم يخلق الإنسان؟:

وبينما كان فريق من العلماء يرى أن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في بويضة المرأة ، كان فريق آخر يقول إن الإنسان يخلق خلقاً تاماً في الحويين المنوي ، ولم ينته الجدل بين الفريقين إلا حوالي عام (1186هـ - 1775م) عندما أثبت (سبالانزاني) أهمية كل من الحويين المنوي والبويضة في عملية التخلق البشري . بينما نجد في القرآن الكريم والسنة النبوية أن هذه القضايا قد حسمت بأن عملية التخلق مشتركة بين الذكر والأنثى . ومما جاء في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ [الحجرات13]

ب - المرحلة الثانية: علم الأجنة التجريبي:

لم تكتشف بويضة الثدييات إلا في أواخر القرن التاسع عشر، وبدأت المرحلة التاريخية الثانية - عهد علم الأجنة التجريبي - بكتابات (فون باير) و(داروين) و(هيجل) اعتباراً من نهاية القرن التاسع عشرحتى الأربعينات من القرن العشرين

وكان (فون باير) عملاقاً في عصره في هذا المجال ، فقد قفز بعلم الأجنة من التجارب والمشاهدات إلى صياغة المفاهيم الجينية لا العكس ، كما تميزت المرحلة التاريخية الثانية بالبحث عن (الآليات) وبرز اسم (ويلهيلم روكس) في هذا المجال ، وانتقلت الدراسة الجينية من وصف الملاحظات إلى التدخل ومعالجة الكائنات الحية المتطورة.

وقد شغلت مسألة معرفة الآلية التي يحدث فيها التمايز بين الخلايا اهتمام الباحثين أمثال (ويلسون) و (ثيودور) و (بوفيري)، وقد طور (روس هاريسون) تقنية زرع الحبل السري ، وبدأ (أوتو) و(اربورغ) دراسات عن الآليات الكيميائية للتخلق ، ودرس (فرانك راتري ليلي) طريقة إخصاب الحوين المنوي للبيضة ، كما درس (هانس سيمان) آليات التفاعل النسيجي كالذي يحدث خلال التطور الجنيني ، ودرس (يوهانس هولتغرت) العمليات الحيوية التي تظهر بعض الترابط بين خلايا الأنسجة فيما بينها وبين خلايا الأنسجة الأخرى.

ج - المرحلة الثالثة : التقنية واستخدام الأجهزة:

وتمتد المرحلة الثالثة أو الحديثة من الأربعينات من هذا القرن حتى يومنا هذا، وقد تأثرت هذه المرحلة تأثراً كبيراً بتطور الأجهزة مما أثر بقوة على مجرى البحوث ، وعلى سبيل المثال فإن المجهر الإلكتروني وآلات التصوير المتطورة الأخرى ، وقياس الشدة النسبية لأجزاء الطيف ، والحاسوب ، ومجموعة وسائل الكشف عن البروتينات ، والأحماض النووية ، والكربوهيدرات المعقدة ، وعزلها وتحليلها ، يمكن أن تعتبر كلها عوامل تجعل علماء الأحياء البيولوجي النمائي اليوم في وضع يسمح لهم بإجراء تجارب كانت تبدو قبل عقد من الزمن مجرد حلم خيالي . فيمكننا اليوم أن نجري تحليلاً دقيقاً مفصلاً لسطح الخلايا خلال تمايزها ويمكننا أيضاً أن ندرس دور النواة ، وجبلة الخلية (السيتوبلازم: المادة الحية للخلية باستثناء النواة) ، والمنابت خارج الخلية باستخدام تهجين الخ لايا وغرس النواة وغرس الجينات في الرحم ، وغير ذلك من التقنيات ويمكننا أن ننظر الآن إلى الأجنة بوضوح لم يمكن تصوره في زمن العالم (ماليجي).

ولكن ماذا عن القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين يرجع تاريخهما إلى قبل 1437 عام فيما يتعلق بالأجنة ؟. لقد وصف القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في أوائل القرن السابع الميلادي - وبأسلوب رفيع رائع - الكثير من هذه المكتشفات

المدهشة ، التي اكتشفها العلم الحديث بأجهزته وأساليبه بحثه . ونجد أن المكتشفات التي تمت في القرن التاسع عشر - بل وحتى في القرن العشرين - ورد وصفها في القرآن الكريم والحديث الشريف (انظر على سبيل المثال [سورة النجم:45-46] **﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46)﴾**

وقد أوضح القرآن الكريم أن الإنسان يخلق من مزيج من إفرازات الرجل والمرأة ، وأن الكائن الحي الذي ينجم عن الإخصاب يستقر في رحم المرأة على هيئة بذرة ، وإن انغراس كيس الجرثومة (النطفة) يشبه فعلا عملية زرع البذرة . ويتضمن القرآن الكريم أيضاً معلومات عن المراحل الأخرى من عملية التخلق كمرحلة العلقة والمضغة ، والهيكل العظمي ، وكسواء العظام بالعضلات (اللحم) ، وبشير كل من القرآن الكريم والحديث الشريف إلى توقيت التخلق الجنسي والتخلق الجنيني واكتساب المظهر البشري وهذه النصوص تثير الدهشة إذ أنها تشير إلى أحداث التخلق بترتيبها المتسلسل الصحيح وبوصف واضح دقيق .

وهكذا نجد إن تاريخ علم الأجنة يدل على أن التخلق البشري كان دائما مثار اهتمام كبير، وقد اقتصرَت الدراسات الأولى على استخدام الوصف التخيلي نظرا لقلّة الوسائل التقنية المتقدمة حينئذ . وبعد اختراع المجهر في وقت لاحق اتسمت الدراسات بدقة أكبر، وظلت تستخدم الوصف إلى جانب الأساليب التقنية التجريبية ، بيد أن كثيراً من تلك الملاحظات الوصفية كان على قدر كبير من التخيل والبعد عن الدقة ، ولم يتم التوصل إلى آرائهم ووصف أدق للتخلق الجنيني إلا في هذا القرن العشرين ، وباستخدام الأجهزة الحديثة فقط . ويمكننا أن نستنتج من تحليلات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أنها تتضمن وصفاً دقيقاً شاملاً للتخلق البشري من وقت امتزاج الأمشاج ، وخلال تكون الأعضاء وما بعد ذلك ، في مثل قوله تعالى: **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14)﴾** سورة المؤمنون ، ومثل قوله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا مر بالنطفة أربعون ليلة بعث إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها،

ولحمها، وعظامها(58)"، ولم يكن هناك أي تدوين مميز شامل للتخلق البشري كالتصنيف المرحلي وعلم المصطلحات ، والوصف قبل القرآن الكريم ، فقد سبق هذا الوصف القرآني والنبوي بقرون كثيرة في معظم الحالات - إن لم يكن في كلها - تسجيل المراحل المختلفة لتخلق الجنين البشري في المؤلفات العلمية المعروفة ، وقبل ظهور المجهر المركب لم تكن هناك أية وسيلة نعرفها لمراقبة المراحل الأولى للتخلق البشري (النطفة على سبيل المثال)، وإن تقديم وصف علمي لمراحل التخلق البشري ، يتطلب الحصول على عدد كبير من الأجنة البشرية في عمر معين ودراستها ، ويصعب تماماً حتى في يومنا هذا تجميع مثل هذه السلسلة.

وهنا حقيقة علمية أقرها علماء الأجنة من الغرب وهي "لم يتم ادراج مصطلح علمي لخلق الجنين إلا والقرآن الكريم قد سبق العلماء به" ولنأتى إلى بيان وتفصيل خلق الجنين فى بطن أمه كما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبيان أهل الاختصاص فى هذا الشأن

عبر وعظات:

- 1 - سبق القرآن الكريم بالمصطلحات العلمية الدقيقة لعلم الأجنة بأكثر من 1400 سنة قبل أن يتداولها علماء الأجنة فى كتبهم وأبحاثهم
- 2 - القرآن الكريم كتاب علم وهداية للبشر ولا تتقضى عجائبه وكذلك السنة النبوية.
- 3 - تصحيح المفاهيم الخاطئة التى كانت عند علماء الأجنة فى القرن الثامن عشر والتى كانت تشير إلى أن الجنين كان يتولد فى الحيوان المنوى أو البويضة ، وعدم قبول هذه الفكرة عند علماء المسلمين منذ بداية عصر تفسير القرآن وشرح السنة.
- 4 - التحديد الدقيق لمراحل وأطوار خلق الجنين فى بطن أمه كان سبقاً علمياً فى القرآن الكريم

⁵⁸ (أخرجه مسلم، وأبو داود، والطبراني، وذكره ابن حجر فى الفتح 1/480)

5 - تكوين الجنين من نطفة الرجل ونطفة المرأة كان سبقا علميا فى السنة النبوية المطهرة

الفصل الثامن

مراحل وأطوار خلق الجنين

وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تبين مراحل خلق الجنين ، وأطوار مرحلة التخليق فى رحم أمه منها قول الله عز وجل :

1. { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتَّقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْنًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتُ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) } سورة الحج

2. { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14) } سورة المؤمنون
3. { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(11) } سورة فاطر
4. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(67) } سورة غافر

وهذه الايات جامعة لمراحل خلق الجنين فى بطن أمحتى اخراجه منها طفلا

وتتقسم مراحل خلق الجنين الإنسانى فى بطن أمه إلى ثلاث مراحل أساسية كما جاءت فى الآيات من سورة المؤمنون ، وتم الفصل بين كل مرحلة وا لتى تليها بحرف العطف (ثم) الذى يفيد الترتيب مع التراخى أى أن هناك فترة زمنية بين كل مرحلة والتى تليها

أولا - المرحلة الأولى : وهى مرحلة النطفة وتشتمل على (نطفة الرجل- نطفة المرأة - النطفة الأمشاج)

ثانيا- المرحلة الثانية هى مرحلة التخليق وتشتمل على أربعة أطوار

1. طور خلق العلقه من النطفة
2. طور خلق المضغه من العلقه
3. طور خلق العظام من المضغه
4. طور كسوة العظام باللحم

وهذه المرحلة ينمو فيها الجنين ويتطور من طور إلى طور ولا يستغرق ذلك زمنا فاصلا بينهم ولهذا نج د القرآن الكريم عطف هذه الأطوار بعضها على بعض بحرف العطف (الفاء) التى تفيد التعقيب

ثالثا- المرحلة الثالثة وهى مرحلة النشأة الآخرة .

وقبل أن نبدا في بيان هذه المصطلحات العلمية بما جاء من حقائق العلم الحديث في القرن العشرين تعالوا بنا ننظر إلى أقوال شيخ المفسرين الإمام بن جرير الطبري

تفسير الطبري⁽⁵⁹⁾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) {
سورة المؤمنون

يعني تعالى ذكره بقوله : (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين ، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه مكين ؛ لأنه مكن لذلك ، وهياً له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا . وقوله : (ثم خلقنا النطفة علقة) يقول : ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة ، وهي القطعة من الدم ، (فخلقنا العلقة مضغة) يقول : فجعلنا ذلك الدم مضغة ، وهي القطعة من اللحم . وقوله : (فخلقنا المضغة عظاما) يقول : فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما . وقد اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم : (فخلقنا المضغة عظاما) على الجمع ، وكان عاصم وعبد الله يقرءان ذلك : (عظما) في الحرفين على التوحيد جميعا . والقراءة التي نختار في ذلك الجمع ؛ لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله : (فكسونا العظام لحما) يقول : فألبسنا العظام لحما . وقوله : (ثم أنشأناه خلقا آخر) يقول : ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر . وهذه الهاء التي في : (أنشأناه) عائدة على الإنسان في قوله : (ولقد خلقنا الإنسان) قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة ، جعل ذلك كله كالشيء الواحد . فقيل : ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر .

⁽⁵⁹⁾ http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : (ثم أنشأناه خلقا آخر) فقال بعضهم : إنشاؤه إياه خلقا آخر : نفخه الروح فيه ؛ فيصير حينئذ إنسانا ، وكان قبل ذلك صورة . وهذا قول ابن عباس في قوله : (ثم أنشأناه خلقا آخر) قال : نفخ فيه الروح ، وهو قول عكرمة ، والشعبي ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والضحاك ، وابن زيد

وقال آخرون : إنشاؤه خلقا آخر ، تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة ، والاعتداء ، ونبات الشعر والسن ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا . وهو قول ثاب لابن عباس في قوله : (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) يقول : خرج من بطن أمه بعدما خلق ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ، ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمه ، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجله إلى أن قعد ، إلى أن حبا ، إلى أن قام على رجله ، إلى أن مشى ، إلى أن فطم ، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام ، إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد . وهو قول لقتادة ، وقول ثاب للضحاك

وقال آخرون : بل عنى بإنشائه خلقا آخر : سوى شبابه . وهذا قول ثاب عن مجاهد ، قوله : (ثم أنشأناه خلقا آخر) قال : حين استوى شبابه .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بذلك نفخ الروح فيه ، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا ، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها ، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه ، يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية ، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إلى إنسانا ذو دم ولحم وشحم وعظم وعصب وادراك وسمع وبصر واحساس بالجوع والعطش والاحتياج إلى النوم والراحة وإلى الثياب لكي تحمية من القر أو الحر ، وأصبح بنفخ الروح فيه خلقا آخر غير الطين الذي خلق منه .

وأرد على هذا الكلام أن نفخ الروح ليس معناه التحول إلى الإنسان. بل نفخ الروح هو بمثابة الترابط بين الخلايا ، والأنسجة ، و الأعضاء ، والأجهزة في التكوين الجسمي على القيام بوظائفها الحيوية ، لأن بعد مرحلة العظام تتحدد المعالم الإنسانية في التكوين الجسدي ويتم التمايز بين أجنة البشر عن باقي

أجنة الحيوانات بهذه المرحلة ،وهى مرحلة العظام وكسوة العظام باللحم وهذا ما بينه علماء الأجنة وسأبرهن على ذلك لاحقا. كما أن نزع الروح من الإنسان يفقده هذا الترابط فلا حركة ولا تنفس ولا انتباه لما حوله وتفقد الحواس وظائفها ، ومع ذلك لو تم أخذ خلايا من جسده فى هذه الحالة وتم زرعها فى المعمل لنمت وربما استمرت سنينا طويلة وهى حية تتكاثر المرة بعد الأخرى

وقوله : (فتبارك الله أحسن الخالقين) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه فتبارك الله أحسن الصانعين . وهذا القول عن مجاهد : **(فتبارك الله أحسن الخالقين)** قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .

وقال آخرون : إنما قيل : **(فتبارك الله أحسن الخالقين)** لأن عيسى ابن مريم كان يخلق ، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق . وهذا القول عن ابن جريج ، فى قوله : **(فتبارك الله أحسن الخالقين)** قال : عيسى ابن مريم يخلق . وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد ؛ لأن العرب تسمى لئ صانع خالقا

ومنه قول زهير : ولأنت تفري ما خلقت ويعض القوم يخلق ثم لا يفري

وبروى : ولأنت تخلق ما فريت ويعض القوم يخلق ثم لا يفري

يقول الدكتور زغلول النجار⁽⁶⁰⁾

ووصف مراحل الجنين فى الإنسان بهذه الدقة العلمية المتناهية ، وفى أطواره المتتابعة تتابعا دقيقا محكما ، وهى مراحل وأطوار تتراوح أبعادها بين الأجزاء من المليمتر إلى أعداد من المليمترات القليلة ، وذلك فى غيبة كاملة من وسائل التكبير أو التصوير أو الكشف ، وفى بيئة بدائية بسيطة من قبل أربعة عشر قرنا ، وفى ظل سيادة الاعتقاد بأن الإنسان يخلق خلقا كاملا فى هيئة متناهية الضالة من دم الحيض وحده ، أو من ماء الرجل وحده يعتبر - بلا منازع - صورة من صور الإعجاز العلمى فى كتاب الله ، تشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن

⁽⁶⁰⁾ <http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=7587>

يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ، وحفظه بعهدده الذي قطعه على ذاته العلية ، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) ، وحفظه حفظا كاملا: حرفا حرفا ، وكلمة كلمة بكل إشراقاته الربانية ، وحقايقه النورانية ليبقي حجة على الناس كافة إلى يوم الدين . ولذلك ختمت هذه الآيات الثلاث (المؤمنون:12- 14) بقول ربنا عز من قائل :... **فتبارك الله أحسن الخالقين*** أي أتقن الصانعين صنعا ، لأن الخلق يعني إتقان الصنعة ، وتقديرها التقدير السليم ، كما يعني الإيجاد من العدم على غير مثال سابق ، ويعني إيجاد شيء من شيء آخر بطريق التحويل ، ومعنى الإبداع أو الإيجاد من العدم على غير مثال سابق لا يكون إلا لله (تعالي) ، أما إتقان الصنعة وحسن التقدير لها ، أو تحويلها من هيئة إلى أخرى فيكون للخالق (سبحانه وتعالى) كما يكون للمجيد من المخلوقين أ.هـ.

عبر وعظات:

- 1 - مراحل خلق الجنين التي ذكرت في القرآن الكريم لم يكذبها عالم من علماء الأجنة السابقين أو المعاصرين
- 2 - أن الله سبحانه وتعالى هو احسن الخالقين
- 3 - هذه الايات التي تتكلم إلى خلق الجنين في بطن أمه تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى واحاطته بما يخلق وانه لم يكن غافلا لحظة عن الخلق حتى يخرج الجنين من بطن أمه بهذا الجمال الرائع في بنيته وتكوينه والقدرات التي يكتسبها فيما بعد
- 4 - إن التماثيل سواء كانت للحيوانات أو البشر تملأ الأرض فهل استطاع أحد من البشر مهما أوتى من علم أن ينفخ فيها فيحولها إلى كائنات حية تأكل وتشرب وتسعى ؟. إن هذا الأمر وهو نفخ الروح لا يكون إلا لله وحده ودليل على وحدانيته سبحانه وتعالى وعز وجلوه هو سر الوجود والملكوت لله رب الأرض والسموات وما بينهما وما فيهما.
- 5 - هل كل من ادعى لنفسه الألوية كالنمرود وفرعون أو غيرهما استطاع أن يحيى تمثالا أو ميتا ؟ إن مسألة نفخ الروح هي سر الوجود من العدم ولا يملك هذا إلا الله وحده سبحانه وتعالى وعز وجل

6- الإعجاز العلمى فى قوله عز وجل "عظاما" ، بصيغة الج مع مع أن
الاطوار السابقة جاءت بصيغة المفرد مثل قوله عز وجل نطفة ، علقه ،
مضغة مما يبين أن الجسم به عظاما كثيق مختلفة الأنواع والأشكال
ولنأتى إلى تفصيل المصطلحات العلمية الدقيقة التى وردت فى الآيات من سورة
المؤمنون

الفصل التاسع

مرحلة النطفة

سبق القرآن الكريم أهل العلم والاختصاص منذ 1437 سنة من الزمان ببيان النطفة وأنواعها ، وما يتولد عنها ، وتقلبها وهذا من بيان الاعجاز العلمي حتى فى مفردات الكلمة فى القرآن الكريم ، وإليك الآيات التى تتكلم عن النطفة فى القرآن الكريم:

- 1 - خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (4) النحل
- 2 - قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا (37) (الكهف)
- 3 - يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) {سورة الحج
- 4 - ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) سورة المؤمنون
5. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) {سورة المؤمنون
6. {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) {سورة فاطر
7. أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (7) سورة يس
8. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ أَخْرَجَكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) {سورة غافر

9. **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) سورة**

النجم

10. **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (37) سورة القيامة**

11. **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة**

الإنسان

12. **مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19) سورة عبس**

معنى نطفة فى اللغة

قال ابن منظور فى لسان العرب : "نطفة: النطفة هي صغار اللؤلؤ والواحدة نطفةٌ ، ونطفةٌ شبهت بقطرة الماء ." وقال الزبيدي فى تاج العروس: "ونطفت آذان الماشية ، وتنطفت: ابتلت بالماء فقطرت . وقال الراغب الأصفهاني: النطفة: الماء الصافي ، ويعبر بها عن ماء الرجل . قال تعالى: **ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين [المؤمنون/13]**، وقال: **من نطفة أمشاج [الإنسان/2]**، **ألم يك نطفة من منى يمنى [القيامة/37]** ويكنى عن اللؤلؤة بالنطفة، ومنه : صبي منطف: إذا كان فى أذنه لؤلؤة، والنطف: اللؤلؤ. الواحدة: نطفة، وليلة نطوف: يجيء فيها المطر حتى الصباح، والناطف: السائل من المائعات والأمشاج : بمعنى الأخلاط ، قال تعالى: **من نطفة أمشاج نبتليه [الإنسان/2]**. أي: أخلاط من الدم⁽⁶¹⁾

ويتضح أن الجنين يتخلق من النطفة بعد أن تمنى أى تخصب بالحيوان المنوى وتقدر بقدرها الذى قدره الله لها فقال جل ذكره وتقديست اسمائه **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) سورة النجم**

وهنا سؤال مهم ما هو عدد الصبغيات (الأمشاج) لكل من نطفة الرجل ونطفة المرأة قبل أن تمنى أى تخصب وتقدر ؟ إن النطفة من الرجل وهو الحيوان المنوى يحتوى 23 صبغياً ، والبويضة تحتوى 23 صبغياً . وعندما يخصب الحيوان المنوى البويضة تتكون خلية واحدة تحوي 46 صبغياً ، وهذا هو عدد الصبغيات فى جميع خلايا جسم الإنسان التى فى أجهزته وأعضائه وأنسجته . ولا يكون ذلك من نطفة الرجل وحده أو نطفة المرأة وحدها بل يكون من النطفة الأمشاج فتأمل يرحمك الله قوله تعالى : **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِن نُّطْفَةٍ**

⁽⁶¹⁾ الراغب الأصفهاني فى كتابه مفردات القرآن الكريم

إِذَا تُمْنَى (46) سورة النجم. وتأمل أيضا أن الآية التي تتكلم عن الخلق من نطفة إذا تمنى هي الآية رقم 46 من سورة النجم ، وهذا الرقم 46 تحديدا يشير إلى عدد الأمشاج فيها 46 ، وعدد الأمشاج في جميع خلايا الجسم (فيما عدا البويضة والحيوان المنوى) هي أيضا 46 بعدد أمشاج النطفة المخصبة والمقدرة والتي تكونت من هذه النطفة المخصبة المقدرة

ويعجب العلماء ما الذي يدفع الحيوان المنوى ذوال 23 مشيجا للالتقاء مع البويضة ذات ال 23 مشيجا لتكوين النطفة المقدرة الأمشاج ذات ال 46 مشيجا وتخليق الجنين منها ليس من غيرها مع أن الجسم به 100 تريليون خلية غيرهما ، أقول إن هذا من أجل بقاء النوع الإنساني فلا يندثر حتى تقوم الساعة.

أوصاف النطفة كما جاء في الآيات القرآنية

- 1 - هي أساس خلق الانسان: منها يخلق الله الانسان لقوله عز وجل : **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (4)** سورة النحل ، ولقوله تعالى : **(أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (77) سورة يس ، ولقوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة الانسان.**
- 2 - خلق الناس جميعا من التراب ثم من النطفة: لقول الله عز وجل **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدِّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5){ سورة الحج**

- 3 - وعيسى بن مريم يدخل في عموم الناس لأنه مخلوق أيضا من تراب لقول الله عز وجل : **(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** فيكون عيسى بن مريم مخلوق من أصل المادة التي خلق منها آدم عليه السلام وهي التراب ، لأن عيسى بن مريم مخلوق في رحم مريم عليها السلام من بويضتها التي أصلها من التراب ، وهو منها ولذلك نسبه الله عز وجل إليها ، وبالتبعية فإن أصل مريم عليها السلام يعود إلى أصل حواء وآدم عليهما السلام ، وحواء تعود إلى أصل

آدم عليه السلام ، وآدم أصله من التراب كما بينا سابقا . والناس مخلوقة من تراب لعودتها إلى أصل أبيها آدم عليه السلام ، ثم من نطفة وبدخول عيسى بن مريم فى عموم الناس فيكون مخلوقا من نطفة ، وهى بويضة مريم عليها السلام بعد أن هياها الله فى النفخ فيها فأصبحت عيسى بن مريم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وبهذا يكون خلق عيسى بن مريم كخلق الناس من تراب ، ثم من نطفة فيدخل فى عموم الناس وتتفى عنه صفة الإلهية أو البنوة أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا

5 - أن النطفة لها قرار مكين تستقر فيه لقوله تعالى: **(ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(13))** سورة المؤمنون ، وسواء كانت نطفة الرجل فهى تستقر فى الخصيتين ، أو نطفة المرأة فهى تستقر فى المبيضين، أو النطفة الأمشاج فهى تستقر فى الرحم وسوف أبين ذلك لاحقا عند الحديث عن "المستقر والمستودع"

6 - النطفة تتقلب إلى أطوار أخرى : لقول الله عز وجل **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتُ مِنَ الْكُزْبِ بِهَيْجٍ(5))** سورة الحج ، ولقوله عز وجل **(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14))** {سورة المؤمنون

7 - أن آخر مرحلة النشأة الآخرة هى الطفولة حيث بين الله عز وجل أن تقلب النطفة فى الرحم ينتهى بإخراجها طفلا يقول الله عز وجل : **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوقَىٰ مِنْ قَبْلُ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(67))** سورة غافر

8 - أن الزوجين الذكر والأنثى من النطفة : لقول الله عز وجل **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46))** سورة النجم ومعنى تمنى أى تقدر بعد تخصيبها بالحيوان المنوى فيكون المعنى أى تخصب

بالحيوان المنوى فتكون ذكرا أو أنثى بعد تخصيبها واختلاطها (أى اختلاط أمشاج نطفة الذكر وأمشاج نطفة الأنثى)
 9 - أن النطفة تكون مقدره على حسب ما قدر الله لها أن تكون ذكر أو أنثى ، رزقها ، وأجلها ، صفات كل انسان عن الآخر، فليكون النطفة مقدره انسانا طويلا أم قصيرا أيضا أم أسودا ، ذو شعر ناعم أم أجعد ، ولون العينين والبشرة ونبرة الصوت الخ قال تعالى **(مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19)** سورة عبس

10 - أن خلق الإنسان والمقصود به ذرية آدم وحواء عليهما السلام يكون من النطفة الأمشاج وهى النطفة الأخلط من نطفة الذكر ونطفة الأنثى قال تعالى **(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)** سورة الإنسان. فلا يكون الإنسان من أحدهما دون الآخر لاحتوائه على صفات الأبوين المنقولة من نطفتيهما بعد خلطهما ويستثنى من ذلك عيسى بن مريم فهو من نطفة أنثوية وهى بويضة مريم عليها السلام .

11 - وبين ربنا عز وجل أن أنواع النطفة فى القرآن الكريم على ثلاثة أنواع :

a. نطفة إذا تمنى وهى بويضة المرأة

b. من منى يمنى وهو الحيوان المنوى

c. من نطفة أمشاج وهى النطفة الأخلط بين البويضة والحيوان

المنوى

12- أن الإنسان بما فيه من عضلات قوية وعقل رشيد ورأى سديد مخلوق من هذه النطفة الضعيفة التى لا ترى بالعين المجردة ولكن إذا أردنا أن نراها بأعيننا فلا بد من تكبيرها آلاف المرات ، ومع نسيان الإنسان لضعفه هذا يكون خصيما مبينا للذى خلقه وقدره . يابن آدم لا تتسى أبدا أن أولك كان من نطفة مذرة ، وأنت صرت وتحمل بين جنبيك العذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، فسبح بحمد ربك وتجنب نارا مستعرة .

المصدر الأساسى للنطفة :أولا فى المرحلة الجنينية

أصل تكوين المناسل فى الذكر والأنثى _ من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب لقول الله عز وجل فى سورة الطارق: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)** . هذه الآيات القرآنية فيها من

الإعجاز العلمي ما يبهر عقول العلماء فقد بين الله فيها أن الإنسان عليه أن ينظر إلى كيفية خلقه ومن أى شيء خلق؟ حتى يقف على حقيقة نفسه ، أنه مخلوق من نطفة ضعيفة ، لا توى بالعين المجردة ، بل لابد من تكبيرها تحت الميكروسكوب الضوئى أو الالكترونى آلاف المرات ، وأنه خلق من ماء دافق يحتوى على ملايين النطف ، والذي حير العلماء ما هو المراد من قوله **(يخرج من بين الصلب والترائب)** ؟. واختلف العلماء فى المراد من هذه الآية ؟ وهل الضمير فى قوله عز وجل **(على رجعه لقادر)** عائد على الإنسان أم على الماء الدافق ؟ تعالوا بنا ننظر إلى اقوال العلماء من أهل اللغة والتفسير ومن أهل التخصص فى العلوم البيولوجية

أولا اختلاف العلماء حول من المقصود فى الآية هل هو الإنسان أم الحيوان المنوى فى قوله تعالى **(إنه على رجعه لقادر)**:

القول الأول: أن الآية تتكلم عن الإنسان ويكون الضمير فى قوله تعالى (إنه على رجعه لقادر) عائد على الإنسان وقالوا أنها تعنى بتذكير الإنسان بأصل نشأته ، وخلقها من ذلك الماء الدافق ، وأن الذي خلقه بقدرته ، قادر - سبحانه - على أن يعيد بعثه للح ساب ، مرة أخرى . قال الزمخشري : " فإن قلت: ما وجه اتصال قوله **(فَلْيَنْظُرْ)** بما قبله ؟ قلت : وجه اتصاله به : أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظاً ، أتبعه توصية الإنسان بالنظر فى أول أمره ونشأته الأولى ؛ حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه(62)

و قال الدكتور دودح وجميع الأوصاف عدا وصف الماء بالدافق تتعلق بالإنسان لأن بدء خلقه هو محور الحديث والموضوع الرئيس وهو المستدل به علىمكان الإرجاع حياً ، وضمير (له) فى قوله تعالى **(فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ)** لا يستقيم عوده إلى الماء وإنما إلى الإنسان ، وضمير **(رجعه)** فى قوله تعالى **(إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)** الأظهر عوده إلى الإنسان والإرجاع هو إعادة الخلق للحساب بقربنة وقت الإرجاع **(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)** ، ولا توجد ضرورة لتشتيت مرجع الضمائر فى **(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)** ، **(خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ)** ، **(رجعه)** فى **(إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)** ، **(فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ)** ولذا الأولى عود ضمير **(يخرج)** فى **(يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)**

(62) تفسير الكشاف للآية من سورة الطارق

إلى الإنسان كذلك مثلها ، خاصة أن المنى لا يخرج بذاته كذلك وإنما من الخصية ، والوصف بالإخراج آية مستقلة كبيان متصل بأصل الحديث عن الإنسان ، وبيان القدرة المبدعة وسبق التقدير وإمكان الإعادة أظهر في إخراج الذرية من ظهور الأسلاف ، واللازم قائم بين (إخراج) الإنسان للعالم وليدًا و (إرجاعه) حيًا بينما لا تلازم بين (إخراج) المنى و(إرجاع) الإنسان ، وخروج ذرية الإنسان من الظهر مبيّن في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف 172، وقوله: ﴿أَبْنَاكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء 23،

ولم يرد في القرآن فعل (الإخراج) متعلقًا بالمنى بينما ورد كثيرا متعلقًا بالإنسان لبيان خروجه للعالم وليدًا وخروجه حيًا للحساب ، وللوحدان أن يقشعر من تلك الدقة المتناهية التي ميزت بين موضع تكون أعضاء إنتاج الذرية في الظهر وموضع خروجها على طريق هجرتها!

والقول الثاني: أن الضمير في الآية (على رجعه لقادر) عائد إلى الماء الدافق الذي يخرج من القضيب متدفقا أثناء الجماع

ثانيا اختلافيهم في معنى الصلب والترائب:

وهذا على قولين: الأول منهما: هو صلب الرجل ، وترائب المرأة ، والثاني: صلب الرجل وترائبه ، وصلب المرأة وترائبها.

ثالثا اختلافيهم في معنى الترائب:

وإذا كان الصلب هو : الظهر ، باتفاق المفسرين إلا أنهم اختلفوا في معنى الترائب وموضعها قال الإمام الطبري: " واختلف أهل التأويل في معنى الترائب ، وموضعها: قال بعضهم : الترائب : موضع القلادة من صدر المرأة " ، وهو مروى عن ابن عباس وعكرمة ، وغيرهما . وقال آخرون : الترائب : ما بين المنكبين والصدر ، وهو مروى عن مجاهد ، وغيره من السلف . وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره " ، وهو مروى عن قتادة . وروى - أيضا - قول من قال : هو اليدان والرجلان والعينان ، ومن قال : هي الأضلاع التي أسفل الصلب ، ومن قال : هي عصاراة القلب . ثم قال - أي : الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندنا ، قول من قال : هو موضع القلادة من المرأة ، حيث تقع عليه من صدرها ؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، وبه جاءت

أشعارهم ، قال المثقّب العبدى : وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلَى تَرْبِيٍّ ... كَلَوْنِ الْعَاجِ لَيْسَ بِذِي عُضُونٍ⁽⁶³⁾ " وهذا الذي اختاره إمام المفسرين : من أن المراد به : صلب الرجل ، وترائب المرأة ، وهو موضع القلادة منها ، هو الذي اختاره الإمام القرطبي في تفسيره⁽⁶⁴⁾ ، والحافظ ابن كثير في تفسيره⁽⁶⁵⁾ ، واختاره أيضا : العلامة محمد الأمين الشنقيطي ، قال " اعلم أنه تعالى بين أن ذلك الماء ، الذي هو النطفة ، منه ما هو خارج من الصلب ، أي : وهو ماء الرجل ، ومنه ما هو خارج من الترائب ، وهو ماء المرأة ، وذلك قوله تعالى : (قَلَيْنَظَرُ الْإِنْسَانِ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) سورة الطارق لأن المراد بالصلب : صلب الرجل ، وهو ظهره ، والمراد بالترائب : ترائب المرأة ، وهي موضع القلادة منها . ومنه قول امرئ القيس : مُهْفَهَفَةٌ بِيضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ " انتهى⁽⁶⁶⁾ . واختار ابن القيم أن المراد صلب الرجل وترائبها ، قال : " لا خلاف أن المراد بالصلب صلب الرجل . واختلف في الترائب : فقيل : المراد به ترائبها أيضا ، وهي عظام الصدر ، ما بين الترقوة إلى التندوة . وقيل : المراد ترائب المرأة . والأول أظهر⁽⁶⁷⁾ . وهو اختيار الشيخ ابن عاشور ، وابن سعدي ، وابن عثيمين⁽⁶⁸⁾ ، ونقل القرطبي عن الحسن البصري أن : " المعنى : يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة " انتهى . واختار هذا القول الإمام ابن جزي ، ، في تفسيره⁽⁶⁹⁾ .

رابعاً: من أى مكان يكون الإخراج

اختلف العلماء التجريبيين المحدثين فى التحليل العلمى للآية فمنهم من قال أن المقصود هو نشأة الإنسان ووجهوا تحليلهم هذا لمنشأ الخصيتين والمبيضين فى

⁶³ (انتهى بتصريف تفسير الطبري(356-354/24) .

⁶⁴ (تفسير القرطبي(16/343، 5/20)

⁶⁵ (والحافظ ابن كثير فى تفسيره(8/375)

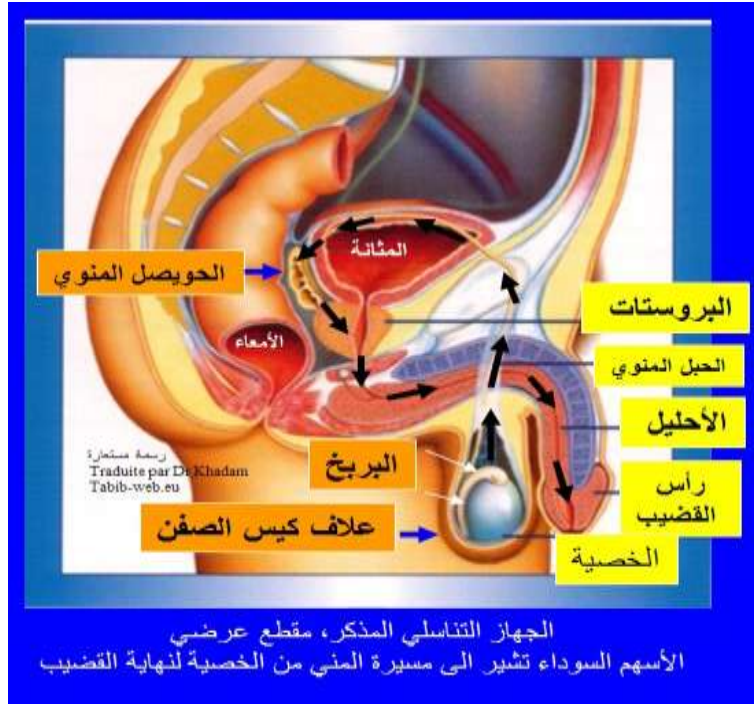
⁶⁶ (أضواء البيان للشنقيطي(3/194)

⁶⁷ ("إعلام الموقعين" (1/145-146)

⁶⁸ ("لقاء الباب المفتوح" (رقم/45)

⁶⁹ (انظر: تفسير التسهيل ، لابن جزي(785) .

الحالة الجنينية وسلك هذا المسلك الدكتور محمد دودح والدكتور محمد البار ومن وافقهم. ومنهم من رد الأمر إلى الماء الدافق الذي يخرج من الخصيتين ثم يمر إلى أعلى عبر الوعاء الناقل (بين عظام الحوض وما يحتويه من أعضاء أخرى) حتى يمر على البروستاتا ثم ينزل مرة أخرى على مجرى البول. كما قال الدكتور قواسمية كما في الشكل (1/9) وقال أن المنى يخرج من الخصيتين



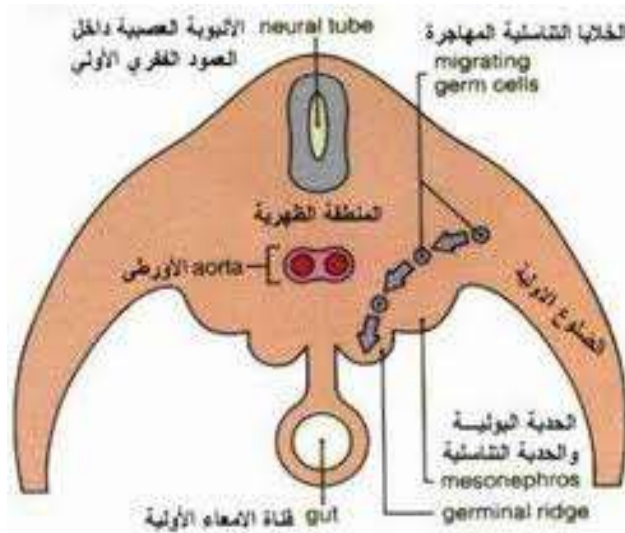
شكل (1/9) يبين خروج المنى من الخصيتين ليختزن في البربخ ثم يمر عبر الحبل المنوي ليختلط بسائل البروستاتا ثم يعود ليخرج عبر احيال القضيب متدفقا

شبهة والرد عليها:

الشبهة: أن الحقائق العلمية المكتشفة اليوم تقول بأن منى الرجل يصنع في الخصية التي تحتوي على الخلايا المهيئة لذلك ، وليس في منطقة الظهر أو الصدر ، فكيف يصف القرآن خروج الماء الدافق بأنه من بين الصلب والترائب ؟

والجواب : أن هذا من الإعجاز العلمي لهذا الكتاب العظيم ، فقد اكتشف الطب الحديث أن هذا المكان - بين الصلب والترائب - هو مكان نشوء الخلايا الأولى للخصية (شكل 2/9) التي تنزل بعد مرحلة من تخلق الجنين إلى كيس الصفن أسفل البطن. يقول الدكتور محمد دودح : " والحقيقة العلمية هي أن الأصول الخلوية للخصية في الذكر أو المبيض في الأنثى تجتمع في ظهر الأبوين خلال

نشأتها الجنينية ، ثم تخرج من الظهر من منطقة بين بدايات العمود الفقري وبدايات الضلوع ليهاجر المبيض إلى الحوض بجانب الرحم ، وتهاجر الخصية إلى كيس الصفن حيث الحرارة أقل ، ولا فشلت في إنتاج الحيوانات المنوية ، وتصبح معرضة للتحويل إلى ورم سرطاني إذا لم تكمل رحلتها (70) .



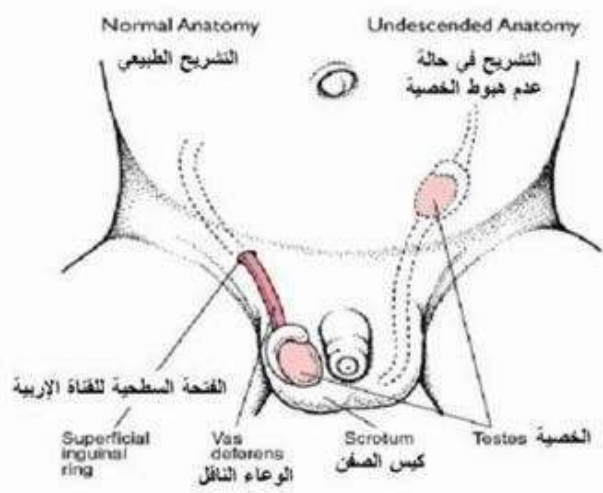
شكل(2/9) يبين موضع الخلايا التناسلية الأولية بين الصلب والترائب

التوجيه العلمى

والتعبير (**يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**) يفى بوصف تاريخ نشأة الذرية ، ويستوعب كافة الأحداث الدالة على سبق التقدير والاعتدال والإتقان والإحكام في الخلق ، منذ تكوين البدايات في الأصلاب وهجرتها خلف أحشاء البطن ، ابتداءً من المنطقة بين الصلب والترائب إلى المستقر ، وحتى يولد الأبوان ويبلغان ويتزاوجان وتخلق الذرية مما يماثل نطفة ماء في التركيب عديمة البشرية من المنى ، لكنها حية تتدفق ذاتياً لتندمج مع نطفة نظير ، فتتكون النطفة الأمشاج من الجنسين (**خَلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**) . إنها حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها أربعة عشر قرناً ، بيان هذا أن صلب الإنسان هو عموده الفقري (سلسلة ظهره) وترائبه هي عظام صدره.. وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا

(70) منقول من موقع الإسلام سؤال وجواب/ <http://www.islamqa.com/>

هذه الآيات التي حيرت الألباب .. ، فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب (شكل 2/9) ، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ، ومقابل أسفل الضلوع .. فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب ، فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين ، ولم يكشفه العلم إلا حديثاً بعد أربعة عشر قرناً من نزول ذلك الكتاب ، هذا وكل من الخصية والمبيض بعد كمال نموه يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف ؛ فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن ، ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم .



شكل(3/9) مقارنة تشريحية بين الحالة الطبيعية والمرضية حين تغفل الخصية في الوصول إلى كيس الصفن

وقد يحدث في بعض الأحيان ألا تتم عملية الهبوط هذه فتقف الخصية في طريقها ولا تنزل إلى الصفن فتحتاج إلى عملية جراحية (71) " انتهى .

ويقول الدكتور محمد علي البار حفظه الله " تقول الآية الكريمة أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب ، ونحن قد قلنا أن هذا الماء (المنى) إنما يتكون

(71) <http://islamtoday.net/questions/show...t.cfm?id=10335>

في الخصية وملحقاتها ، كما تتكون البويضة في المبيض لدى المرأة ، فكيف تتطابق الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية ؟

إن الخصية والمبيض إنما يتكونان من الحدة التناسلية بين صلب الجنين وتراثبه ، والصلب هو العمود الفقري والترائب هي الأضلاع ، وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط ، أي بين الصلب والترائب ، ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج تجويف البطن) في أواخر الشهر السابع من الحمل ، بينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة .. ومع هذا فإن تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها ، أي من بين الصلب والترائب ، فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهري (الأورطي البطني) من بين الصلب والترائب ، كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة ، أي بين الصلب والترائب ، كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب ، وكذلك الأوعية للمفاوية تصب في نفس المنطقة ، أي بين الصلب والترائب . فهل يبقى بعد كل هذا شك أن الخصية أو المبيض إنما تأخذ تغذيتها ودماءها وأعصابها من بين الصلب والترائب ! فالحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب ، كما أن منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب ، والآية الكريمة إعجاز كامل ، حيث تقول : (**مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**) ، ولم تقل من الصلب والترائب ، فكلمة " **بَيْن** " ليست بلاغية فحسب ، وإنما تعطي الدقة العلمية المتناهية .

والعلم الحديث يقرر أن الماء الذي لا يقذف ولا يندفع وإنما يسيل .. إنما هو إفرازات المهبل وغدد بارثولين المتصلة به ، وأن هذه الإفرازات ليس لها دخل في تكوين الجنين ، وإنما وظيفتها ترطيب المهبل .. ولكن العلم الحديث يكشف شيئاً مذهلاً ؛ أن الحيوانات المنوية يحملها ماء دافق هو ماء المنى ، كذلك البويضة في المبيض تكون في حويصلة " جراف " محاطة بالماء ، فإذا انفجرت الحويصلة تدفق الماء .. وتلقفت أهداب البوق البويضة لتدخلها إلى قناة الرحم حيث تلتقي بالحيوان المنوي لتكون النطفة الأمشاج .. هذا الماء يحمل البويضة تماماً كما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية ، كلاهما يتدفق ، وكلاهما يخرج من بين الصلب والترائب : من الغدة التناسلية ؛ الخصية أو المبيض . وتتضح مرة أخرى معاني الآية الكريمة في إعجازها العلمي الرائع : ماء دافق من الخصية

يحمل الحيوانات المنوية ، وماء دافق من حويصلة " جراف " بالمبيض يحمل البويضة (72) " والله أعلم . انتهى

وإذا أخذنا بكلا الرأيين نجد أنهما صوابا فالرأى الأول يتكلم عن نشأة الإنسان وهذا صحيح والرأى الثانى يتكلم عن رحلة الحيوان المنوى وهذا أيضا صحيح لأنه يخرج بين عظام الحوض وبين الأنسجة اللينة . مع أن الرأى الأول هو الراجح باعتبار القرائن فى الآيات (فلينظر الإنسان مم خلق) ، (على رجعه) ، (يوم تبلى السرائر) والرأى الثانى مرجوح والله أعلم.

ثانيا: فى مرحلة البلوغ

فى مرحلة البلوغ يتدفق ماء الرجل : أى من منى يمنى (نطفة الذكر) من الخصيتين ، ومن المرأة: أى من نطفة إذا تمنى (نطفة الأنثى) من المبيض إذا نضجت وخرجت من المبيض بقدر الله عز وجل .

الفصل العاشر

نطفة الذكر

نطفة الذكر هى الحيوان المنوى ، وهى نطفة تحتوى على 23 مشيجا أى صبغيا ، ويطلق عليها أيضا مسمى كروموسومات ، ولها خصائص تميزها ، عن أى خلية أخرى فى الجسم . وتعالوا بنا نتعرف على خصائص هذه النطفة لكى نتأمل قدرة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل فى خلقه فإن له فى خلقه شئون .

خصائص ومميزات نطفة الرجل (الحيوان المنوى)

- تتكون فى الخصية Testis ، يبدأ تكوينها بعد بلوغ الذكر.

⁷² ("خلق الإنسان بين الطب والقرآن " أ.د. / محمد البار (ص/114-124) .
[http://alejaz.org/Research.aspx?](http://alejaz.org/Research.aspx)

- تقوم الخصية والحويصلات المنوية والبروستاتا بإفراز هذا السائل الذي يصل حجمه في كل مرة عند القذف حوالي 3 سم³، وهو سائل لزج قاعدي التفاعل ذو رائحة مميزة.
- في كل سم³ حوالي 100 مليون حيوان منوي (300 مليون حيوان منوي في القذفة).
- وإذا قل عدد الحيوانات المنوية عن 20 مليون حيوان في السنتيمتر المكعب يصعب حدوث الحمل ، ويجب أن تكون هذه الحيوانات طبيعية ونشطة ، وتستمر حركتها تحت المجهر خمس ساعات على الأقل .
- وحوالي 1000 حيوان منوي فقط يصل إلى قناة فالوب (قناة المبيض) وهي قناة متصلة بالرحم.
- تتمكن بعض هذه الحيوانات المنوية من اختراق الغشاء الخارجي للبويضة ولكن الذي يخصب البويضة هو حيوان منوي واحد فقط والباقي يموت.
- وعند القذف يكون السائل المنوي لزجاً لكن سرعان ما يتحول إلى سائل في القناة الأثوية التناسلية (المهبل) ويستغرق ذلك حوالي 20-30 دقيقة عندما يتعادل مع السائل المخاطي الذي يغطي المهبل وعنق الرحم . من المعلوم أن السائل المنوي قاعدي الأس الهيدروجيني لكي يحافظ على الحيوانات المنوية سليمة ، والسائل المخاطي الذي يغطي غشاء المهبل وعنق الرحم حامضي الأس الهيدروجيني لكي يمنع تكاثر الجراثيم والميكروبات في المهبل أو عنق الرحم ، وحتى لا تحدث عدوى تصاعدية منهما للرحم.
- ويستغرق اختراق الحيوان المنوي للمادة المخاطية في عنق الرحم حوالي دقيقتين.
- تحتوى الحيوانات المنوية على أمشاج مذكرة وأخرى مؤنثة (XY)

ما هو شكل الحيوان المنوي؟

- ◆ يشبه القذيفة الصاروخية ، وله رأس مصفح ومدبب ، وله ذيل طويل سريع الحركة حتى يصل إلى البويضة (شكل 1/10)
- ◆ يتكون من الرأس (Head) الذي يحتوي على الصبغيات التي تحتوى على الجينات أي عوامل الوراثة 22 صبغى عليهم الصفات الوراثية لأصل الإنسان

- وصبغى Y ، وآخر X وبهما يتحدد جنس الجنين ذكرا أو أنثى بالاشتراك مع صبغيات البويضة
- جزء وسطي يسمى الرقبة (Neck) ، التي تعطي الطاقة اللازمة للحيوان المنوي للحركة حتى يكمل رحلته للبويضة فى قناة فالوب ، وهى رحلة فى الظلام الدامس وعكس اتجاه الجاذبية الأرضية فسبحان من أقدره على ذلك .
- والذيل (Tail) ، والذي يساعد على دفع الحيوان المنوي داخل القناة التناسلية الأنثوية بداية من المهبل وعنق الرحم ووصولاً إلى مستقر البويضة فى قناة فالوب.
- الرجل يبدأ بإنتاج الحيوانات المنوية عند البلوغ فقط بخلاف المرأة التي تولد ومبيضاها يحتوي على حوالى 30000 بويضة .



شكل (1/10) يبين الحيوانات المنوية تحت الميكروسكوب الضوئى بقوة تكبير 1000 مرة (يمين) وصورة مجهرية لحيوانات منوية متراكمة فى خصية الرجل بقوة تكبير 10000 مرة (وسط) رسم توضيحي لشكل الحيوان المنوي (يسار)

- إن تحرر هذا العدد الهائل من الحيوانات المنوية (حوالى 300 مليون حيوان منوي فى القذف الواحدة) رغم أن واحداً فقط هو الذي يُخصب البويضة سببه أن هذه الحيوانات تفرز مادة من رأسها تساعد على إذابة المادة المخاطية التى فى المهبل وعنق الرحم ، مما يجعلها تموت أثناء طريقها فى القناة التناسلية الأنثوية ويبقى الحيوان المنوي الأقوى الذى يصل إلى البويضة .
- ومن عظمة الخالق ، جل صنعه وتبارك خلقه ، ان هذا يضمن ان البويضة الفائزة بالحيوان المنوي تكون اكثر صحة ونشاطا وقوة مما ينعكس على قوة وسلامة الانسان المتولد منهما.

- كمية كبيرة من هذه الحيوانات المنوية تسكب خارج المهبل ومعظمها سيموت في الطريق ، ويبقى قسم في عنق الرحم ، ويدخل ويخترق حوالي 11000 منها عنق الرحم ، ويموت قسم داخل الرحم ويصل الباقي إلى قناة فالوب .
- كما تعيش الحيوانات المنوية حوالي 2-4 ساعات في المهبل ، وحالات نادرة تبقى مدة أطول لأنه وبمجرد دخول الحيوانات المنوية إلى عنق الرحم ، أو أنابيب الرحم يصبح وقت بقائها على قيد الحياة غير ثابت .

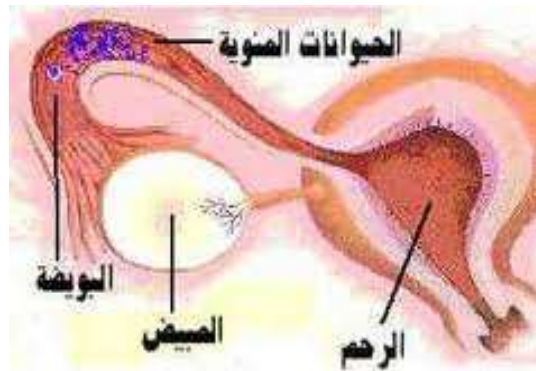
العوامل التي تؤثر على الحيوانات المنوية

يعتمد عدد الحيوانات المنوية التي يفرزها الرجل على عوامل عديدة ، وقد تكون معقدة أهمها الوراثة ، وثانيا القوة الجسدية ، بالإضافة إلى التغذية في مرحلة البلوغ ، وأيضا عوامل التوعية الجنسية ، والمؤثرات الخارجية ، وعدم التعرض لإصابات في المناطق الحساسة ، والمناخ وطبيعة المنطقة الجغرافية ، ونوعية الطعام ، ومقدار التهيج الذي شعر به أثناء الممارسة الجنسية .

الحيوانات المنوية والبويضة

- عندما يقذف الرجل في مهبل المرأة ، تنطلق الحيوانات المنوية لتسبح إلى رحم المرأة عكس الجاذبية الأرضية صعودا ، حيث يلتقي بالبويضة ليلقحها. فإذا كانت البويضة جاهزة للأخصاب يتم الحمل . لكن اذا كانت البويضة ليست جاهزة ولم تنضج بعد فإن عملية الإخصاب لا تتم . ويجب المحاولة مرة أخرى في يوم آخر.
- اذا دخل الحيوان المنوي للبويضة التي تسمح له بالدخول فإنها تغلق نفسها جيدا ولا تسمح لحيوان منوي آخر بالدخول إليها .
- ويذكر أن هناك حالات نادرة من الحمل تحدث بدون إدخال العضو الذكري إلى داخل المرأة ، عندها تكون البويضة جاهزة للإخصاب. وعند قذف السائل المنوي على منطقة قريبة من فتحة المهبل تعمل المادة اللزجة للمرأة بمساعدة الحيوان المنوي على السباحة إلى داخل المرأة ، وقد يحدث الحمل بهذه الطريقة دون أن يفض غشاء البكارة أصلا ، وهنا يسبح الحيوان المنوي إلى فتحة مهبل الفتاة الذي يخرج منه دم

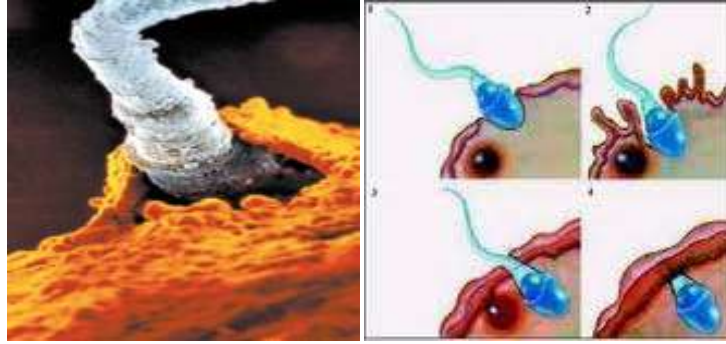
- الحيض " الدورة الشهرية " ، ثم يصعد الي المهبل ، ثم إلى عنق الرحم ثم يصل الرحم ويلتقي بالبويضة ويخصبها ويحدث الحمل .
- وإذا حدث هذا الأمر دون زواج فعلى الشاب أن يتحمل مسؤولية ذلك ، ولا يجعل الفتاة تواجه مصيرا مؤل ما ، فقد تفقد حياتها وحياة الجنين ، حتى دون أن تكون قد ارتكبت الوطأ المحرم . وهذا مما نحذر منه أولياء الأمور ألا يتركوا فتياتهم فريسة للشباب حتى وإن كان هذا الشاب خطيبا لها. بل لابد من التنبيه والتحذير ومراقبة هذا الأمر حتى لا تقع الفتاة فى فعل محرم من بدايته ، وحتى لا تكون النهاية أيضا محرمة ، ونتائجها ربما تؤدى إلى اختلاط الأنساب والثأر بين الأسر.
- يذكر أن المرأة تفزر بويضة واحدة كل شهر مما يعنى أنها تفزر ما يقارب 400 بويضة خلال فترة حياتها بالتحديد فى خلال الفترة التى تبلغ فيها إلى أن تصل إلى سن اليأس.
- عندما يحين وقت بلوغ قمة اللذة لدى الذكر ، يتم قذف الحيوانات المنوية من قناة القذف إلى قناة مجرى البول حيث تسير خلال القضيب . ويتم قذف الحيوانات المنوية داخل المهبل فترحل مسافرة عبر المهبل لتمر من خلال عنق الرحم إلى داخل الرحم حتى تصل إلى قناة فالوب والتي تكون فيها البويضة فى انتظار الحيوان المنوى الذى قدر الله له اخصابها (شكل 2/10).



شكل (2/10) يبين الرحلة التصاعدية للحيوانات المنوية لتصل إلى البويضة فى قناة فالوب

- وتتسابق الحيوانات المنوية وتقترب نحو البويضة محاولة اختراقها ، والسؤال المهم : مَنْ الذي عَلَّمَها أن تسلك هذا الطريق في هذا الظلام وعكس اتجاه الجاذبية الأرضية ؟ والسؤال الأهم من ذلك من الذي يسوقها باتجاه البويضة ؟ رغم أن الرحم له قرنين أحدهما يمين ، والثاني يسار ، وكلا منهما يتصل بقناة فالوب التي بوقها يحيط بالمبيض حيث موقعه يميناً أو يساراً ، فكيف للحيوانات المنوية أن تختار الطريق الذي فيه البويضة يميناً أو يساراً ولا تضل الطريق إليها ؟ . تأتيك الإجابة من العليم الخبير حيث يقول تعالى : **(إنا كل شيء خلقناه بقدر (49) وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر(50) سورة القمر ، وقوله تعالى : (من منى يمينى) أى يقدر بقدر الله تعالى ، ومن قوله تعالى : (أَقَمَنْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقْ أَقَلَا تَذَكَّرُونَ) [النحل: 17].**
- يقوم الرجل بقذف مئات الملايين من الحيوانات المنوية داخل المهبل ، بعدها تقوم الحيوانات المنوية النشيطة بتسلق المخاط الموجود فى المهبل إلى داخل عنق الرحم ، حيث يتم تخزينها إلى فترة تصل إلى عدة أيام ، تقوم خلالها بعض الحيوانات المنوية بمغادرة عنق الرحم على هيئة موجات متتالية ، تصعد داخل الرحم ، ومنه إلى قناة فالوب ، فى رحلة البحث عن البويضة وتخصيها ، وعند وصول الحيوانات المنوية إلى البويضة فإنها تلتصق بالغلاف الخارجى لها ، وتحاول اختراقه من خلال القوة الميكانيكية التى تولدها حركة ذيل الحيوان المنوى ، وكذلك من خلال إفراز بعض المواد الكيماوية لإذابة جدار البويضة ، وبالرغم من إلتصاق العديد من الحيوانات المنوية بالبويضة ، إلا أنه لا يستطيع التلقيح سوى حيوان منوى واحد ، بعدها تمتنع البويضة عن استقبال أية حيوانات منوية أخرى.
- أما بويضة الأثى فتنتطلق من المبيض ، وهذه العملية تخضع لسيطرة هرمونات قادمة من المخ. تسير البويضة من داخل المبيض حتى تصل إلى سطحه فتخرج متدفقة بقوة السائل الموجود بحويصلة "جراف" Grafian follicle على أن يتم إلتقاطها من خلال أهداب أنبوب (قناة فالوب) يشبه الأصابع ويسمى هذا الأنبوب بالبوق.

- يبدأ اللقاح عندما تخترق نطفة البويضة بنطفة الحيوان المنوى ، وينتهي بتخلق اللاقحة أو البويضة الملقحة zygote ويستغرق ذلك 24 ساعة .
- وتدخل رأس الحيوان المنوى فقط جدار نواة البويضة ويبقى العنق والذيل خارج البويضة (شكل 3/10)



شكل (3/10) دخول الحيوان المنوى البويضة

- بالرغم أن هناك حوالي 300 مليون نطفة ذرية (الحيوان المنوى) قد تصل الى الجزء العلوي للمهبل فان 10% أي حوالي 3 ملايين منها فقط تدخل الرحم.
- هذه النطفة من الذكر ترتبط بمستقبلات المنطقة الشفافة لتطلق تفاعل انزيمي يساعد على اختراق المنطقة الشفافة ويستغرق هذا الاختراق حوالي 20 دقيقة ، ويتم اختراق المِنطَقَة الشَّفَّافَة zona pellucida وهي عبارة عن غشاء متين يحيط بالبويضة ، ويتم تخصيب البويضة داخل أنبوب فالوب بواسطة الحيوان المنوي.
- لا يدخل البويضة من الحيوان المنوى سوى الرأس فقط الذي يحتوى على النواة الذكورية والشفرة الوراثية للأب أما الذيل (ذو الحركة الميكانيكية التي تدفع الحيوان المنوى لأعلى) والعنق (الذي يفرز الطاقة اللازمة لتدفق الحيوان المنوى لأعلى) فإنهما يحركان الحيوان المنوى فيتركها بالخارج بعد أن أنتهى دورهما.
- تتجه نواة الحيوان المنوى مباشرة إلى نواة البويضة ويلتحمان حيث تبدأ البويضة المخصبة فى الانقسام إلى خليتين ، ثم تتضاعف إلى أربع ، وثمانى خلايا، وهكذا أثناء مرورها فى قناة فالوب حتى تصل إلى تجويف

الرحم بعد أربعة إلى ستة أيام ، وعند وصولها يكون الرحم قد كون بطانة سميكة وغنية بالأوعية الدموية تفرز مواد مغذية للبويضة .

♦ وتعلق البويضة الملقحة بأخايد الرحم ، ويبدأ ظهور تنوعات مثل الأصابع بجدار البويضة فى مكان تلامسها مع الرحم ، وتتغرز هذه التنوعات فى بطانة الرحم ليبدأ تكوين المشيمة ، أما باقى الحيوانات المنوية فى المهبل أو الرحم فأنها تموت ويتم التخلص منها، وهنا يظهر الإبداع لألهى المعجز فى تنظيم عملية اختبار أفضل وأقوى الحيوانات المنوية فى تخصيب البويضة من بين مئات الملايين . وبهذا يتم بقاء نسل الإنسان إلى القدر المعلوم الذى قدره الله له فى هذه الحياة الدنيا ، ويتحقق قول ربنا عز وجل للملائكة (**انى جاعل فى الأرض خليفة**) أى يخلف بعضه بعضا ويتحاكم بشريعة الله عز وجل التى أنزلها على رسله عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أعظم رحلة فى الكون هى رحلة الحيوان المنوي إلى البويضة

أعظم رحلة فى الكون ليست رحلة أبوللو إلى القمر ، أو رحلة كولومبوس إلى أميركا ، أو رحلة إبن بطوطه حول العالم ، ولكنها رحلة الحيوان المنوي إلى البويضة لماذا؟ لأن الرحلة بتائجها ، ورحلة الحيوان المنوى إلى البويضة هى رحلة خلق الإنسان ، هى الرحلة الموصلة إلى الخلافة فى الأرض ، هى رحلة إعمار الكون ، وغزو الفضاء ، والغوص فى أعماق البحار والمحيطات ، واكتشاف العلوم بشتى أنواعها ، هى رحلة الكشف عن المجهول فى عالم الشواهد على القدرة المطلقة للحق على الخلق.

علاقة الهرمونات بتكوين الأمشاج

أولا:علاقة الهرمونات بتكوين الحيوانات المنوية

عند البلوغ وتحت تأثير الهرمون المطلق للهرمونات التناسلية (Gonadotrophin releasing hormone(GnRH) والذي يفرز من سرير المهاد بالمخ (Hypothalamus) والذي يعمل على تنبيه الغص الأمامى للغدة

النخامية (pituitary gland) لكي تفرز هرموناتها التناسلية (Gonadotrophin hormone) وهي:

الهرمون المحفز لنمو الحويصلات (Follicle Stimulating Hormone(FSH):

- (والذي ينبه الخصية (الأنبيبات المنوية) فيعمل على تكوين الحيوانات المنوية)
- (Spermatogenesis) فيها ، وكذلك تقوم خلايا سيرتولي بإفراز هرمون المثبط)
- (Inhibin) إذا زاد تكوين الحيوانات المنوية في الأنبيبات المنوية

الهرمون المنبه للخلايا البينية (خلايا ليدج) (Interstitial cell- stimulating

- (hormone (ICSH) or LH) والذي يعمل على تنبيها لكي تفرز هرمون الذكورة
- (Androgen) التستاسترون (Testostrone hormone) وهو المسئول عن
- الصفات التناسلية الذكورية من خشونة الصوت ، ونمو العضلات وغيرها. كما انه
- يعمل على تحول الطلائع المنوية الى الشكل النهائي للحيوان المنوي)
- (Spermogenesis

تنظيم افراز الهرمونات في الذكر:

إذا زاد هرمون التستاسترون ، والمثبط (Inhibin) في الدم او زاد تكوين الحيوانات المنوية في الخصية فإن ذلك يعمل على تثبيط افراز الهرمون من سرير المهاد بالمخ (GnRH) وكذلك ايقاف افراز الهرمونيين من الفص الأمامي للغده النخامية (الهرمون المنبه لتكوين الحيوانات المنوية ، والهرمون المحفز للخلايا البينية (FSH&LH) فينخفض التستاسترون بالدم ويقل تكوين الحيوانات المنوية في الخصية فتعاد الدورة مرة اخري

الفصل الحادى عشر

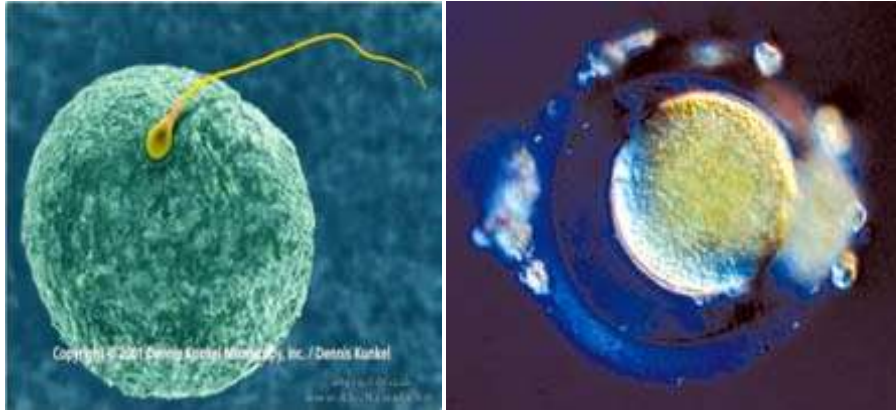
نطفة الأنثى

المصدر الأساسي لنطفة الأنثى يكون في المبيض Ovary ، ويبدأ تكوينها في مراحل مبكرة من التكوين الجنيني ثم تقف ولا تكتمل إلا بعد بلوغ الأنثى

نطفة المرأة (البويضة):

البويضة تتطلق كل شهر من أحد المبيضين كالبدن المنير ، وعليها هالة مشعة تسمى التاج المشع ، تدفعها الأهداب الرقيقة في قناة الرحم دفعا رقيقا ، وتتحرك داخل قناة فالوب التي تملك داخلها أهداباً تساعد ها في التحريك (شكل 1/11)

- البويضة هي أكبر خلية في جسم الإنسان فهي تبلغ في قطرها 300 ميكرون ، بينما الحيوان المنوي لا يزيد عن خمسة ميكرون ، أي أن البويضة ستون ضعفا للحيوان المنوي

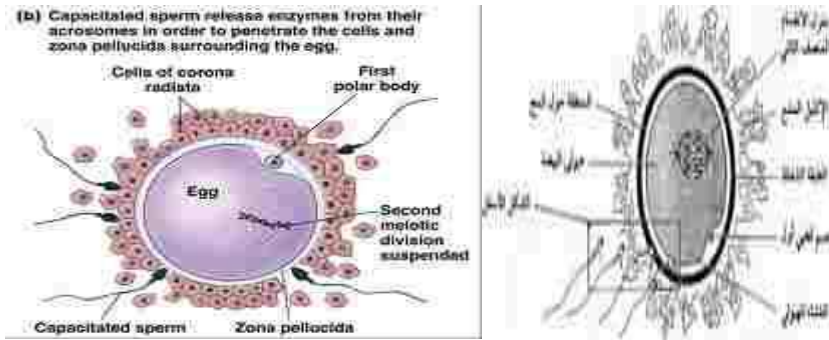


شكل (1/11) صورة البويضة قبل التلقيح (يمين) صورة تبين حجم الحيوان المنوي بالنسبة للبويضة (يسار)

بعد دخول أول حيوان منوي إلى البويضة تفرز على الفور مادة تؤدي إلى انغلاق غلاف البويضة أمام بقية النطاف (الحيوانات المنوية) ، وبعد التزاوج تفرز الخلية الملقحة هرمون خلايا المشيمة التناسلية في الإنسان Human Chorionic Gonadotrophin (HCG) ، وهو ما يتحسسه كاشف الحمل ، وهذا الهرمون يعطي إشارة للجسم ليوقف الدورة الشهرية ، ويعطي مؤشرات للمرأة على بداية الحمل. وبعد 30 ساعة من دخول الحيوان المنوي إلى البويضة يحدث أول انقسام ، وتبدأ الخلية بالتكاثر مشكلة النطفة الأمشاج وذلك بعد أربعة أيام تقريباً.

تركيب البويضة Structure of the egg

تكون البويضة عادة مستديرة الشكل ، وتتكون من نواة Nucleus مستديرة ، تحاط بكتلة سيتوبلازمية ، تحتوي على كمية متباينة من المح . تحيط بالبويضة أغشية خاصة من أنواع مختلفة و أصول متباينة . عادة ما تكون مغلقة أولا بغشاء المح Vitelline Membrane الرقيق الذي تفرزه البويضة ذاتها ، ولذا يعرف أيضا بغشاء البويضة الابتدائي Primary egg membrane ، وقد يحيط بهذا الغشاء غشاء ثانوي Secondary membrane تكونه الخلايا الحوصلية التي تحيط بالبويضة في المبيض (شكل 2/11).



شكل (2/11) يبين تركيب البويضة

السر في الفرق بين حجم البويضة (300 ميكرون) والحيوان المنوي (5 ميكرون)؟؟

- إن السر يكمن في إن البويضة هي المسئولة عن تغذية هذه النطفة حتى تعلق في جدار الرحم لتصبح بذلك العلقة .
- البويضة تقوم برعاية وتغذية النطفة الذكرية (تحتضنها بداخلها - تنميتها وتساعد على الإنقسام ، وتوفر لها الغذاء والهواء والحماية الكاملة .
- لذلك فإننا نجد الحنان والرعاية والغذاء من الأنثى أضعاف ما يقوم به الذكر ، حتى من بداية اندماج النطفة الذكرية مع البويضة ، إنها عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل .

رحلة البويضة

- تنزل من المبيض وتسقط في بوق قناة المبيض وتسير في قناة فالوب حتى يصل إليها الحيوان المروى (شكل 3/11).
- تنطلق البويضة المخصبة بعد تخصيبها بالحيوان المنوى إلى الرحم وتعلق في جداره.
- يتكون منها الجنين والمشيمة التي يتغذى منها الجنين.



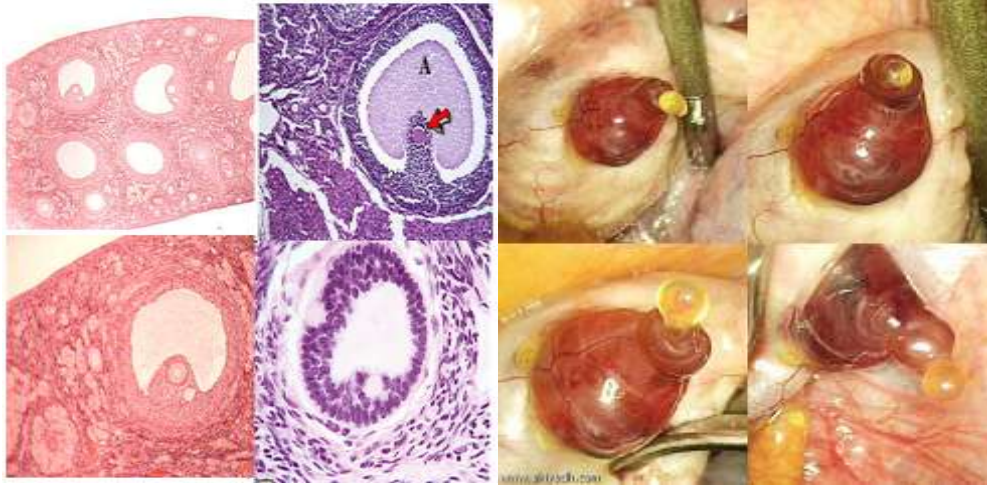
شكل (3/11) يبين رحلة البويضة من المبيض

كيفية خروج البويضة من المبيض

عملية خروج البويضة من المبيض عملية ميكانيكية تحركها هرمونات التبويض كهرمون الإستروجين Estrogen ، وهرمون منشط خروج البويضة Follicular stimulating hormone ، وهرمون الليوتين lutein hormone

- وقبل خروج البويضة بفترة وجيزة تقوم الانزيمات بتكسير الأنسجة في الكيس المملوء بالسائل على سطح المبيض والذي يحتوي على البويضة.
- ويتشكل تنوء محمر اللون ، وبعد ذلك تظهر فتحة تخرج منها البويضة التي تكون محاطة بخلايا داعمة توفر لها الحماية وهي في طريقها للدخول إلى قناة - أنبوب فالوب في طريقها إلى الرحم.
- ويقدر الله عز وجل عند قهجم جاكس دونيه اختصاصي أمراض النساء والتوليد باجراء عملية استئصال جزئي لرحم امرأة عمرها 45 عاماً ، شاهد بويضة وهي تخرج من المبيض فقام بتصويرها (شكل 4/11) ونشرها في مجلة "نيوساياتنتست"

- وتحدث الدكتور جاكس دونيه من جامعة لوفين الكاثوليكية في بروكسل فقال: " إن خروج البويضة المصغرة (خلية البويضة غير مكتملة النمو) من المبيض ، تعد حدثًا بالغ الأهمية في عملية الانجاب والتناسل لدى البشر . ومن الواضح أن هذه الصورة مهمة لتطوير الفهم بشأن آلية خروج البويضة من المبيض".
- اما البروفسور ألن ماكنيلي من وحدة الانجاب بمجلس الأبحاث الطبية في أدنبرة ، فقد قال في تصريح لهيئة الاذاعة البريطانية : " إنها رؤية مذهشة حقًا في مجال انتاج البويضات لدى النساء ، إنها لحظة جوهريه بحق ، وحقيقة في مجمل العملية الانجابية - إنها بداية حياة في طريقها إلى عالم الأحياء".
- وأقول إن خروج البويضة بهذه الآلية أبهر عقول العلماء ، وشاهد حق على قدرة الله عز وجل ، على تفردده بالخلق ، وعبرة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا . إن هذه الآلية تتم في تجويف البطن في الظلام الدامس فمن أخبر الأهداب التي على بوق قناة ف الوب أن تتحرك تجاه المبيض الذي تخرج منه البويضة في هذا التوقيت ، لكي تلتقف البويضة وتضعها داخل قناة فالوب ، إنه الخالق البارئ المصور ، هو الله عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم .
- لا تصل البويضة طريقها ، كما لا يضل الحيوان المنوى طريقه إليها ، فمن الذي هداهما لذلك ، إنه الله الحي القيوم القادر المقدر.
- وسؤال ملح يعشش في الدماغ ، لماذا الإخصاب يتم في قناة فالوب بينما الحمل يتم في الرحم ؟ تأتيك الإجابة من قبل رب البرية ، إلى خير من شرفت به الإنسانية ، بقوله صلى الله عليه وسلم "كل ميسر لما خلق له" وبأنيك شاهد العلم ، ليبين لنا أن قناة فالوب قناة رقيقة ، لا تساعد الجنين على الغرس والنمو حتى يحين وقت الخروج ، بينما جدار الرحم مهيا لهذه الوظيفة الغرس والحمل ، فسبح باسم ربك الأعلى (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى)، فسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، ورضا نفسه فسبحان الله العظيم .



شكل (4/11) الصور المنشورة في مجلة "نيوساياتنتست" تشير إلى انها تستغرق أكثر من 15 دقيقة لكي تخرج من المبيض (اليمن) وصورة قطاع في المبيض تحت الميكروسكوب الضوئي يبين خروج البويضة من المبيض من حويصلة جراف (يسار).

رحلة تكوين الجنين

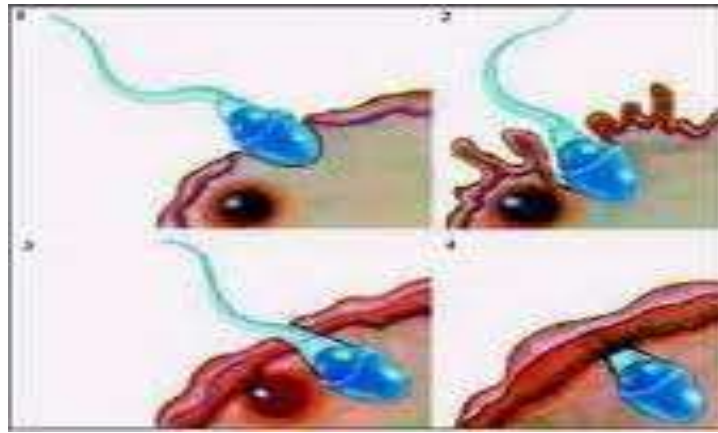
- هي رحلة تبدأ من بويضة تنطلق كل شهر من أحد المبايض.
- في أثناء الرحلة داخل قناة فالوب ، التي تملك داخلها أهداباً تساعد ها في التحريك ، فتتحرك البويضة ، بعد تحررها من المبيض ، حتى تصل إلى الثلث الأخير لهذه القناة . وتتحرك الحيوانات المنوية صعوداً إلى البويضة ، وفي هذا المكان يقابلها الحيوان المنوى ، وتتم عملية الإخصاب . من الذي هدى كلا من الحيوان المنوى والبويضة إلى هذا المكان مع أن الرحلة لكل منهما تتم في ظلام دامس ؟ إنه الله القادر المقدر (شكل 5/11)



شكل(5/11) البويضة فى قناة فالوب وتحيط به الحيوانات المنوية (يمين) وشكل توصيفى (يسار)

دخول حيوان منوي واحد إلى البويضة

لا يدخل إلا حيوان منوي واحد فى البويضة ، ولا يدخل منه إلا رأسه فقط ، لان اهمية الحيوان المنوي كلها فى الرأس ، الذي يحوي الكروموسومات أو الصريغات الوراثية ، ويلاحظ هنا انتهاء دور الذيل بمجرد وصول الحيوان المنوي الى جدار البويضة (شكل 6/11)



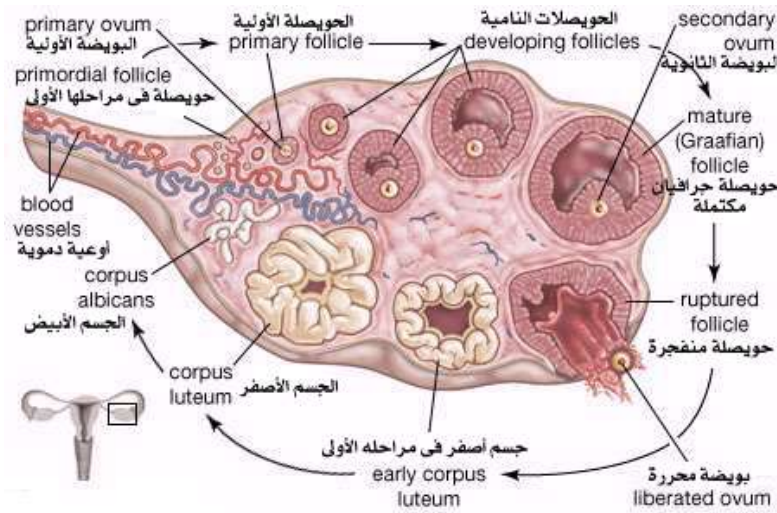
شكل (6/11) دخول رأس الحيوان المنوي وتركه للذيل خارج البويضة

كيفية حدوث الإباضة

الإباضة هى عملية تحريك البويضة وخروجها من المبيض ، وهى كما ذكرنا من قبل عملية ميكانيكية تحركها الهرمونات . فعندما يستمر مستوى الإستروجين فى الزيادة ، يتسبب فى النهاية فى حدوث زيادة مفاجئة فى الهرمون اللوتيني ("تدفق الهرمون اللوتيني"). ويتسبب هذا التدفق فى الهرمون اللوتيني ، فى تمزق الجريب المهيمن ، وإصدار البويضة الناضجة من المبيض ، فتلتقطها الأهداب فى بوق قناة فالوب. وتعتقد العديد من النساء أن الإباضة تتم فى اليوم 14، ولكن اليوم 14 هو متوسط أيام التبويض ، وقد يكون يوم التبويض قبله أو بعده ، وتتم الإباضة عند معظم النساء فى يوم مختلف فى دورة الحيض . وسيتختلف يوم الإباضة من دورة إلى أخرى عند نفس المرأة.

دورة الحيض

هى دورة تهم كل أنثى ، بل تهم كل زوجين يتطلعان إلى الذرية ، وفي بداية الدورة يتم إنتاج الهرمون المنبه للجريب (FSH) ، بواسطة الغدة النخامية في الدماغ ، وهو الهرمون الرئيسي المشترك في تحفيز المبيضين لإنتاج البويضة الناضجة. يوجد فى المبيض جريبات أو الحويصلات وهى التجاويف الممتلئة بالسائل فى المبيضين استعدادا لإخراج بويضات تباعا بصفة شهرية ، ويشتمل كل جراب على بويضة واحدة غير ناضجة . يقوم الهرمون المنبه للجريب (FSH) بتحفيز عدد من الجريبات لتكوين هرمون الإستروجين والبدء فى إنت اجه. يكون مستوى الإستروجين فى أقل مستوى له فى اليوم الأول من الدورة . وبعد ذلك يبدأ فى الزيادة من نمو الجريبات . وعندما يبدأ عدد من الجريبات فى التطور، فإن أحد الجريبات يصبح "مسيطرًا" وتتضج هذه البويضة داخل الجريب الذي يكبر حجمه (شكل 7/11).



شكل (7/11) يبين تكوين جريبات البويضة من أول البويضة الأولية

وفي نفس الوقت ، يؤدي ازدياد كمية الإستروجين إلى زيادة سماكة بطانة الرحم بواسطة المواد المغذية في الدم . كما أن المستويات المرتفعة من الإستروجين تكون مرتبطة بظهور مخاط "يحافظ على الحيوانات المنوية" (مخاط عنق الرحم الخصب). ويمكن ملاحظة ذلك كإفراز سميك وزلق ويكون لونه أبيض عكرًا مما يمكن الحيوانات المنوية أن تسبح بسهولة أكبر عبر هذا المخاط ، ويمكنها أن تظل على قيد الحياة فيه لعدة أيام . إذا كان الجهاز التناسلي الذكري

والجهاز التناسلي الأنثوي سليمين فإن أفضل الأي أم للتواصل الجنسي هي منذ بداية اليوم العاشر للدورة إلى نهاية اليوم الرابع عشر، وتعتبر هذه الفترة هي فترة الإباضة ، وخروج البويضة الناضجة من المبيض ، وبصاحب هذه الفترة حدوث ألم في المبايض ، وتورم وانتفاخ في الثديين ، وزيادة في الإفرازات المهبلية " المادة اللزجة عند الأثى " وارتفاع طفيف في درجة الحرارة.

بينما يتسبب البروجسترون في زيادة سماكة بطانة الرحم للاستعداد للبويضة المخصبة. وفي هذه الأثناء ، يبدأ الجريب الفارغ الموجود داخل المبيض في التقلص ، ولكنه يستمر في إنتاج البروجسترون ، كما يبدأ في إنتاج الإستروجين. قد تعاني المرأة من أعراض التوتر والعصية قبل الحيض مثل رقة الثدي والانتفاخ ، والنعاس ، والاكئاب ، والتهيح في هذه المرحلة.

وتنقسم الدورة الشهرية فى المرأة الى:

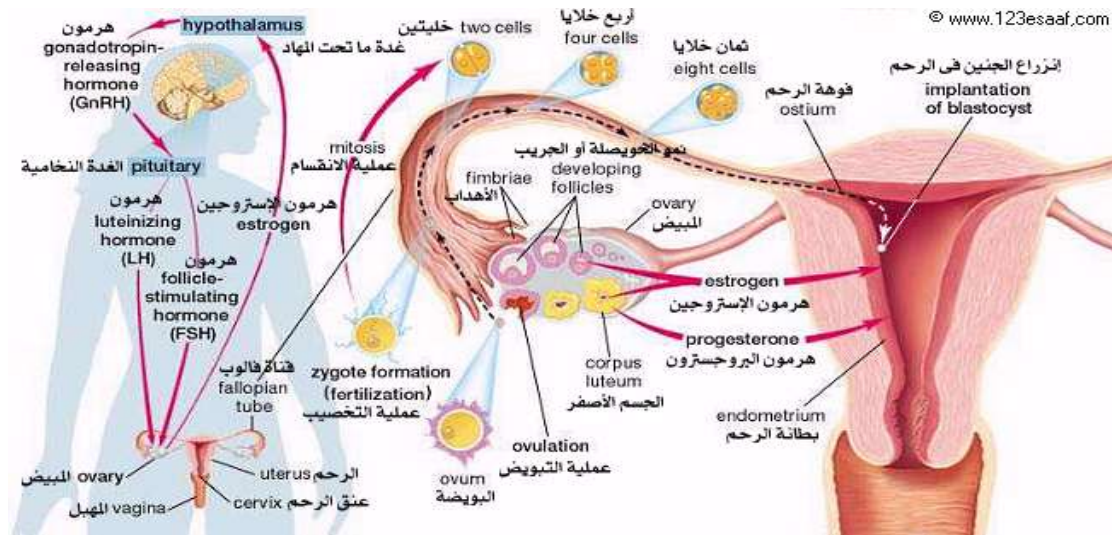
1- فترة الحيض: يختلف من سيدة الى اخرى وهى عادة من 2-7 ايام وربما تزيد يوما آخر. وكل امرأة تعرف مدة الحيض الخاصة بها قد تزيد يوما.

2- نمو النطفة (البويضة): تكون البويضة فى حالة نمو مستمر ، ولكن عند وصولها الى 8 ملم يبدأ تأثير هرمون الغدة النخامية وهو الهرمون المنبه لحويصلة البويضة (FSH) Follicular Stimulating Hormone ، ويمكن متابعة فترة نمو البويضة بالأشعة ، وتختلف هذه الفترة من سيدة إلى أخرى ، وأيضا تختلف فى السيدة نفسها من دورة إلى أخرى ، وبصاحب نمو البويضة افراز هرمون الإستروجين Estrogen الذى يساعد على نمو الجدار المبطن للرحم ، وفى نفس الوقت يساعد على إفراز هرمون ال. اثش Lutin hormone (Lh) من الغدة النخامية الذى يساعد على التبويض.

3- التبويض : يحدث التبويض عند زيادة هرمون ال. اثش (LH) الذى يساعد على انفجار كيس البويضة ، ونزول البويضة إلى قناة فالوب (الأنبوبة). وهذا يحدث مرة واحدة فى الشهر عادة عندما تكون البويضة 16ملم ، وتبقى صالحة للإخصاب فترة 24 ساعة أو أقل ، فإذا كان فى الأنبوبة نطفة الرجل (الحيوان المنوى) يحدث الإخصاب ، وبعد نزول البويضة يتبقى فى المبيض ما يسمى بالجسم

الأصفر (corpus luteum) الذي يفرز هرموني البروجستيرون والأستروجين ، مما يساعد على زيادة نمو الجدار المبطن للرحم ، استعدادا لإستقبال البويضة الملقحة ، ويبقى الجسم الأصفر لمدة 14 يوم وهذه الفترة ثابتة لذلك نكشف على التبويض بتحليل البروجستيرون .

إذا تم الإخصاب تفرز البويضة الملقحة هرمون الحمل (HCG) الذي يساعد على بقاء الجسم الأصفر ، وبالتالي الهرمونات التي يفرزها واذا لم يتم الإخصاب يضم الجسم الأصفر ، ويقل نسبة هرموني البروجستيرون والإستروجين ، وبالتالي يفقد جدار الرحم صلابته (نتيجة نقص الهرمونات) وتنزل الدورة (شكل (8/11



شكل (8/11) يبين ارتباط التبويض بالهرمونات المحفزة له واخصاب البويضة وانقسام البويضة المخصبة حتى مرحلة انغراسها في جدار الرحم

إذا كانت الدورة منتظمة (الغالبية العظمى تحدث لمدة 28 يوما) ، لكن في بعض الأحيان يتراوح مقدارها من 21-35 يوم ، ولكن بما فيها مدة نزول دم الحيض والذي يستغرق ما بين 2-7 أيام . ويوجد علامات ودلائل حدوث الإباضة يمكن لأغلب السيدات معرفتها ، وفيها ينزل الدم وتكون كميته ما بين 30 إلى 50 ملم ، وتوجد آلام خفيفة في أسفل البطن في أول أيام الدورة وهذا شيء طبيعي. وربما نجد توتر ، وعصبية ، وتقلب في المزاج ، وارتفاع طفيف في درجة الحرارة ، وكل هذا ناجم عن التفاعلات الفسيولوجية التي تتم في هذه الدورة .

وعلى الزوج أن يتحمل هذه التغيرات فى هذه المدة لأنها خارجة عن حدود الزوجة. ويتم الكشف على الإباضة عن طريق:

1- طريقة الحساب : وهى عد الأيام من تاريخ اخر دورة : وهى طريقة غير دقيقة ، إلا فى المرأة التى تكن لديها الدورة منتظمة ، فمثلا إذا كانت الدورة لديها 30 يوم كل شهر ، ستكون الإباضة فى اليوم ال 16 أي (30-14=16 ويكون اليوم الأول فى الدورة هو أول يوم فى شهرها هذا .

2- طريقة قياس درجة حرارة الجسم الأساسية

وهى أن تلاحظ المرأة أنه فى وقت الإباضة سترتفع درجة الحرارة ارتفاعا طفيفا 0.2 درجة مئوية ، وفى اليومين التاليين ستبدا بالارتفاع المفاجيء وستظل مرتفعة حتى موعد الدورة وينزل الدم يحدث الهبوط إلى الوضع الأولي.

3- طريقة فحص الافرازات المهبليّة

ويمكن للمرأة ملاحظتها فى المنزل ، وهذه الطريقة الوحيدة التى لاتعهد على جدول ولا تحتاج إلى أكثر من دورة للمقارنة ، وهى تعتمد على ملاحظة الافرازات الطبيعية التى يفرزها عنق الرحم والمهبل خلال الشهر ، وهذه الافرازات تتغير خلال الشهر فى السماكة والزوجة نتيجة تغير مستويات الهرمونات. والمفتاح فى هذا الفحص : أن المرأة تأخذ عينة من الافرازات من الشفة الخارجية للمهبل ، وتبدأ بمدّها وتمطيطها بين اصبعيها الابهام والسبابة للحكم على الكثافة والتماسك والزوجة . ففي الأيام التى تلي نزول الدورة أي بعد الاغتسال من الدورة تكون الافرازات ضئيلة ، وقد تكون معدومة وتحس المرأة بالجفاف ، ونسبة الحمل ضئيلة جدا فيها ، أما الأيام التى تسبق الإباضة ، فالافرازات تكون رطبة ، ولزجة ، وسميكة ، وتكون بيضاء أو كريمة اللون ، ويفحصها بالاصبع يجب أن تنفصل عن بعضها إذا سحبتها أو مططتها مسافة واحد cm ، ومع الوقت تزداد اللزوجة والسيولة حتى تصل وقت الإباضة فتصبح الافرازات أقرب فى الشبه إلى بياض البيض ، وتكون أوضح وأكثر تمطيطا ، وبالتالي أثناء الفحص بالاصبع لايمكن أن تنقطع إلا بعد عدة ستمتيرات ، وفى نفس الوقت يكون من السهل الإحساس بعنق الرحم . بعكس الفترة بعد

التبويض ، فتختفى افرازات عنق الرحم اللزجة وبحل محلها افرازات قليلة عديمة اللزوجة (شكل 9/11) ، ويكون من الصعب الكشف على عنق الرحم حيث يرتفع فى الحوض . وتساعد اللزوجة على اطاله معدل حياة الحيوانات المنوية بعد القذف إلى 72 ساعة أي ثلاثة أيام ، وتسرع من سرعة سباحة الحيوانات المنوية وانتقالها حتى الوصول إلى البويضة لتلقيحها ، وقد يرافق زيادة افرازات عنق الرحم ألم فى موضع أحد المبيضين ، انتفاخ فى الثديين ، وظهور دم شحيح ، يستمر لمدة يوم أو يومين وكلها علامات فسيولوجية تحدث نتيجة التغيرات الهرمونية وارتفاع معدل هرمون الاستروجين فى الدم



شكل (9/11) السائل المخاطى اللزج الذى يفرز أثناء الإباضة وتمطيته بين الأصابع

4-جهاز تحديد وقت الاباضة

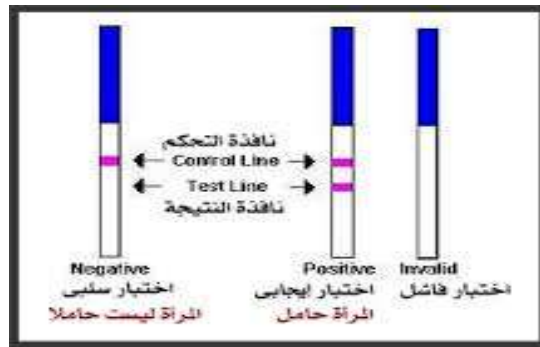
كما يوجد طريقة أخرى لفحص وقت الإباضة ، بجهاز تحديد التبويض حيث يعمل هذا الجهاز على تحديد أوقات الإباضة عن طريق الارتفاع فى هرمون LH والذي يسبق الإباضة بوقت أدق ما بين 12-24 ساعة ، ومنه يمكن تحديد أيام الخصوبة عن طريق العد من تاريخ آخر دورة شهرية للمرأة ، فمثلا إذا كانت آخر دورة هو اليوم الأول من الشهر ومدة الدورة هي 28 يوم يعنى وقت الاباضة هو 28-14=14 هو يوم الاباضة ، وأحيانا قد تنزل البويضة قبل هذا التاريخ أو بعده لذلك يحتوي الجهاز على أكثر من اختبار ، ويفضل البدء فى الاختبار من تاريخ اليوم 11 فى حالة الدورة التي طولها 28 يوم وحتى ظهور نتيجة الهرمون فى البول. ويوجد اختبارين لهذا الغرض.

الأول: اختبارات قياس هرمون الليوتين بالبول

هى لتحديد الإباضة عبر قياس ارتفاع معدل هرمون الليوتين ال LH فى البول ، وترتفع نسبته فى منتصف الدورة الشهرية ، ويتم قياسه باستخدام أجهزة مخصصة لهذا الأمر (شكل 10/11). ويتسبب هرمون الليوتين فى انطلاق البويضة من المبيض بعد مرور 12-24 ساعة. ولكن يفضل الجماع خلال 24 ساعة لأنها المدة القصوى للخصوبة العالية جدا . ويحتوي الجهاز على خمس قطع اختبار وربما على سبع قطع اختبار لمدة 5-7 أيام حتى تحديد موعد الإباضة ، وبفضل عمله يوميا فى نفس الوقت ، وأن لا تتبول المرأة لمدة 4 ساعات على الأقل ، وبفضل عدم الإكثار من شرب السوائل لأنها قد تخفف من تركيز الهرمون فى البول ، وقرأ نتيجة الاختبار بعد 3 دقائق لا أكثر (شكل 11/11) ، ويوجد مربع يوضح نتيجة ارتفاع الهرمون ، ويعتبر أفضل وقت لعمل الاختبار هو ما بين الساعة العاشرة صباحا وحتى الساعة الثامنة مساء ، فى درجة حرارة الغرفة أو الحمام العادية 25 م°



شكل (10/11) يبين جهاز معرفة الإباضة بقياس هرمون LH



شكل (11/11) يبين نتيجة اختبار الحمل

بالنسبة للاختبار الأول ، وهو يشبه اختبار الحمل واسم LH Ovulation Tests Midstream ، أو شرائط اختبار الإباضة وإسمها Ovulation Test Strips وهذا عبارة عن شرائط يوجد في مقدمتها لون اخضر ، وإذا حدث الإباضة يتحول اللون الأخضر إلى أزرق. وهناك مربع يوضح نتيجة ارتفاع الهرمون ، وهو مؤشر عليه بالسهم ، وعادة عندما تكون النتيجة موجبة positive result يظهر خطان واضحا كما في الصورة الموضحة ، وفي حالة حدوث ارتفاع في الهرمون يجب أن يتم الجماع خلال هذه الفترة

الثاني: اختبار الإباضة باللعب

أما بالنسبة لقياس الإباضة باللعب ، يوجد عدة أجهزة منها LADY-Q OVULATION PREDICTION TESTER ، وهذا الجهاز يقوم بقياس معدل الاستروجين salt/oestrogen level والملح في اللعب . وارتفاع هرمون الإستروجين يؤثر على اللعب مما يؤدي إلى تشككه على شكل كريستالات عند النظر إليه بالميكروسكوب . وعند ارتفاع الإستروجين يتوقع حدوث الإباضة خلال الثلاثة أيام القادمة أي خلال 24-72 ساعة . وتؤخذ النتيجة صباحا قبل الأكل أو الشرب أو حتى غسل الأسنان بالفرشاة أو السواك ، وتؤخذ العينة من تحت اللسان ، ويتم وضع المسحة في شريحة مخبرية مرفقة بالجهاز ، وفحصها عبر العدسة الجهرية المرفقة للجهاز ، ويتم متابعة التغيرات التي تطرأ على اللعب خلال هذه الفترة ، وهو فحص دقيق لتحديد فترة الإباضة . ولكن التحديد بواسطة هرمون LH بواسطة البول ادق منه لأنه عملي أكثر ، وتحدث الإباضة خلال الـ 12-24 ساعة من الارتفاع ويمكن حدوث الجماع بعد الارتفاع في معدل الهرمون بـ 12 ساعة ، حيث أن الحيوانات المنوية تستطيع العيش لمدة ثلاثة أيام وأحيانا أكثر ، ولكن البويضة تعيش فقط للمدة 24 ساعة (73)

التحضير للدورة التالية

مع انكماش الجريب الفارغ بعد التبويض ، وإذا لم يتم تخصيب البويضة ، فإن مستويات الإستروجين والبروجسترون تنخفض . وبدون المستويات المرتفعة من الهرمونات التي تساعد على الاحتفاظ بها ، فإن بطانة الرحم السمكية التي تم تكوينها تبدأ في التحلل ويقوم الرحم بفصل البطانة . وهذه هي بداية الدورة وبداية دورة الحيض التالية .

أما إذا تم تخصيب البويضة ، فقد تزرع نفسها بنجاح في بطانة الرحم . ويحدث ذلك بعد أسبوع تقريباً من التخصيب . وبمجرد أن تتم زراعة البويضة المخصبة ، يبدأ إنتاج هرمون الحمل ، وهو ما يعرف بـ موجهة الغدد التناسلية المشيمائية البشرية (hCG) ، والذي سيحافظ على نشاط الجريب الفارغ . وهو يستمر في إنتاج هرموني الإستروجين والبروجسترون لمنع فصل بطانة الرحم، حتى تنضج المشيمة (التي تشتمل على جميع المواد المغذية التي يحتاجها الجنين) بصورة كافية للحفاظ على الحمل .

الفصل الثاني عشر

النطفة الأمشاج

ذكرت النطفة الأمشاج مرة واحدة في كتاب الله عز وجل في الآية الثانية من سورة الإنسان ، ولم تذكر النطفة الأمشاج في أي حديث من أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما أعلم والله أعلم .

معنى نطفة أمشاج في اللغة

النطفة: الماء الصافي ، ويعبر بها عن ماء الرجل . قال تعالى : **(ثم جعلناه نطفة في قرار مكين)** [المؤمنون/13]، وقال : **(من نطفة أمشاج)** [الإنسان/2] ، وقال تعالى **(ألم يك نطفة من منى يمى)** [القيامة/37] ويكنى عن اللؤلؤة بالنطفة ، ومنه: صبي منطف: إذا كان في أذنه لؤلؤة ، والنطف: اللؤلؤ الواحد: نطفة ، وليلة نطوف: يجيء فيها المطر حتى الصباح ، والناطف: السائل من المائعات .

والأمشاج : بمعنى الأخلاط ، قال تعالى : **من نطفة أمشاج نبتليه** [الإنسان/2]. أي :
أخلاط من الدم⁽⁷⁴⁾

التفسير لابن كثير:

قوله تعالى : « **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(2)** » النطفة في الأصل بمعنى الماء القليل ، غلب استعماله في ماء الذكور من الحيوان الذي يتكون منه مثله ، وأمشاج جمع مشيج أو المشج بفتحين أو بفتح فكسر بمعنى المختلط الممتزج ، ووصفت بها النطفة باعتبار أجزائها المختلفة أو اختلاط ماء الذكور والإناث. والابتلاء نقل الشيء من حال إلى حال و من طور إلى طور كابتلاء الذهب في البوتقة ، و ابتلاؤه تعالى الإنسان في خلقه من النطفة هو ما ذكره في مواضع من كلامه أنه يخلق النطفة فيجعلها علقة ، والعلقة مضغة ، إلى آخر الأطوار التي تتعاقبها حتى ينشئه خلقا آخر .
وقيل: المراد بابتلائه امتحانه بالتكليف ، ويدفعه تفرع قوله : « **فجعلناه سميعا بصيرا** » على الابتلاء ، ولو كان المراد به التكليف كان من الواجب تفرعه على جعله سميعا بصيرا لا بالعكس ، والجواب عنه بأن في الكلام تقديم وتأخيرا ، والتقدير إنا خلقناه من نطفة أمشاج فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، لا يصغى إليه.
والمعنى: إنا خلقنا الإنسان من نطفة هي أجزاء مختلطة ممتزجة ، والحال أنا ننقله من حال إلى حال ، ومن طور إلى طور فجعلناه سميعا بصيرا ليعلم ما يأتيه من الدعوة الإلهية ، ويبصر الآيات الإلهية الدالة على وحدانيته تعالى والنبوة والمعاد.

الأمشاج Gametes: هي الصبغيات الموجودة في الخلايا التناسلية (البويضة والحيوان المنوي) ، وتنتقل من خلالها الصفات الوراثية من الوالدين إلى الأبناء. وكل نطفة تحتوي على نصف عدد الكروموزومات (N) احادية المجموعة الكروموسومية Haploid وتنشأ من الخلايا الجرثومية الأولية Primordial germ cells (PGCs) .

⁽⁷⁴⁾ المفردات للراغب الأصفهاني

إن الجنين الذى يتكون ، يكون منه الذكر أو الأُنثى من النطفة المقدره بقدرها من قبل خلقها **(مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46)** سورة النجم ، وتلتقى النطفة ذات الـ 23 صبغياً ، مع البويضة ذات الـ 23 صبغياً لتشكلا ن خلية واحدة تحوي 46 صبغياً ، وهذا هو عدد الصبغيات فى خلايا جسم الإنسان . ويعجب العلماء ما الذى يدفع النطفة للالتقاء مع البويضة وتشكيل الجنين ، مع أن جميع خلايا الجسم ، فيما عدا النطاف المنوية والبويضات ، تحتوى على 46 صبغيا ، إنه الله القائل : **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46)** سورة النجم ، أى تقدر بقدر الله عز وجل.

أعداد الكروموسومات (الصبغيات)

يختلف عدد الكروموسومات من نوع لآخر فى الكائنات الحية إلا انه ثابت لأفراد النوع الواحد ، وتحتوي الخلايا النسيجية فى أى كائن حى على مجموعتين من الكروموسومات و يعرف بالعدد الثنائى ($2N$) بحيث يكون النصف من الأب والنصف الآخر من الأم أما (الحيوان المنوى أو البويضة) فتحتوي على العدد الأحادي (N) وهى إذا ما اختلقت أعطت النطفة الأمشاج التى تحتوى $2N$.

تكوين الزيغوت أو اللاقحة

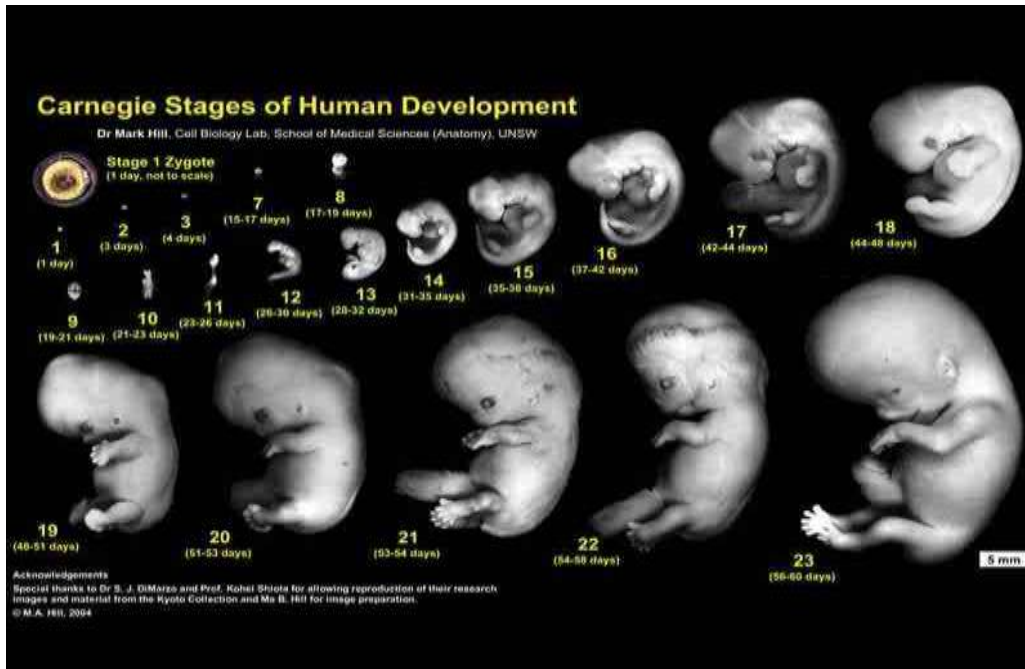
يحقق من اختلاط (الصبغيات) من زوجين مختلفين (ذكر وأُنثى) من نفس النوع ، وتتكون اللاقحة عند اتحاد مشج ا لحيوان المنوى ، مع مشج البويضة ، ويتم إنتاج ذرية تحتوى على الصفات الوراثية لكلا الزوجين بحيث يحتوى كل فرد من الذرية على الجينات التى فى كل من الزوجين ، وتتقل إليه صفات كليهما مما يؤدى إلى بقاء النوع ، وتحمل أفراده الظروف البيئية المحيطة بها ولذلك قال الله تعالى : **(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)** سورة الإنسان

والأصل فى عملية الإخصاب بين الزوجين فى الإنسان هى اتحاد الأمشاج الذكرية مع الأمشاج الأنثوية سواء تم ذلك عن طريق الجماع أو الإخصاب خارج الرحم كما فى الإنسان (طفل الأنابيب) أو الحيوان كما فى التلقيح الإصطناعى . ومن الممكن استخراج البويضة من قناة فالوب وإخصابها فى المعمل ثم زرعها فى جدار الرحم بعد انقسامها إلى مجموعة من الخلايا.

وقد يحدث الإخصاب من الجماع وقد لا يحدث ولذلك فإن المقصد من الزوجين هنا الأمشاج من الذكر ومن الأنثى ، ولأن انقسام الخلايا يبدأ بعد تكوين النطفة الأمشاج لا قبلها ولا من أحد النطفتين قبل اختلاطهما . وهكذا يتبين أن الجنين لا يتكون ولا يتخلق إلا من النطفة الأمشاج وهى تتكون بعد اندماج نطفة الذكر وهى الحيوان المنوى (Sperm) مع البويضة (Egg) لتكوين اللاقحة (Zygote) كما فى الشكل (1/12 ، 2/12)



شكل (1/12) البويضة قبل التلقيح (يمين) البويضة بعد التلقيح (وسط) والطفل لا يتكون إلا من اختلاط أمشاج



شكل (2/12) يبين مراحل تكوين الجنين من البويضة المخصبة بالحيوان المنوى وطوله

الإشارة القوية فى كتاب الله تعالى إلى علم الوراثة

- وهنا نجد اشارة قوية فى كتاب الله تعالى لعلم الوراثة من قول الله عز وجل:
- ♣ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة**
الإنسان : أى اخلاط من كروموسومات تحمل جينات لها صفات وراثية من كل من النطفتين
 - ♣ وقول الله عز وجل : **(مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) سورة النجم:** أى تقدر بقدرها ذكرا أم أنثى
 - ♣ وقوله عز وجل : **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (22) سورة الروم :** أى اختلاف الألوان والألسن لدليل على اختلاف الجينات الوراثةية . واختلاف الألسن قد يعنى اختلافا فى فصاحة اللسان بنطق الحروف واخراجها من مخارجها الصحيحة الا ترى الأبكم ، والذى فى لسانه عيبا فى اخراج الحروف والكلمات والجمل وقد يكون هذا عيبا فى الصفات الوراثةية لهؤلاء الأفراد
 - ♣ وقوله عز وجل : **(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) سورة فاطر:** أى اختلاف تراكيب الدواب والأنعام والناس لدليل على اختلاف الجينات والصفات الوراثةية لها.

الإعجاز العلمى فى قوله تعالى من نطفة أمشاج

أولا: الصفة تتبع الموصوف فى الأفراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ، والتكثير والتعريف إلا أننا نجد مخالفة الآية لهذه القاعدة فللنطفة هنا مفردة والأمشاج جمع وهذا دليل على أن النطفة تحتوى على الأخلاط ، وهذا واضح من التركيب الجينى لكل من النطف الثلاث وهم نطفة الرجل (الحيوان المنوى) ، ونطفة الأنثى (البويضة) والنطفة الأمشاج (النطفة المختلطة من الحيوان المنوى والبويضة) . فمن حيث التدقيق العلمى فى هذه الناحية نجد أن نطفة الرجل تحتوى على أخلاط من الكروموسومات ، وكل كروموسوم عليه الحمض النووى الخاص به والذى يحمل اخلاط من الجينات التى تحمل صفات وراثية عديدة لهذه النطفة ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نطفة المرأة ، وأما النطفة الأمشاج ف هى تحمل كل هذه الأخلاط مدمجة مع بعضها لتعطى صفة ثبات الكروموسومات والأحماض النووية التى عليها ، والجينات التى تحمل الصفات الوراثةية لهذا الانسان حتى تقوم الساعة بأمر ربها. فلا نجد أبدا أن تزاوجا بين نطفتين لنوع الانسان نتج

عنهما قردا أو بغلا أو أى مخلوق آخر غير بنى جنس هذا الا نسان. ومن هنا نستطيع أن نقول أن النطفة تحتوى على أفراد قابلة للاختلاط بغيرها ، ولا توجد خلية تسمى فى الجسم نطفة إلا الحيوان المنوى أو البويضة ، وهذا فى حد ذاته اعجازا لغويا فى هذه اللفظة. ويتضح أيضا بعد انقسام النطفة الأمشاج أن جميع خلايا الجسم تحتوى على 46 كروموسوم ، ماعدا الحيوان المنوى أو البويضة ، حيث يحتوى كل منهما على 23 كروموسوم. فمن ذا الذى هيا هذا وقدره ، إنه الله العليم الخبير الذى بين لملائكته مفهوم الخلافة فى الأرض من خلق هذا الانسان المعمر لهذا الكون ، ولا يكون ذلك إلا من النطفة الأمشاج لاح حفاظها بالصفات الوراثية لبنى الإ نسان مما يؤدى إلى توارث الأجيال لنفس الصفات الوراثية التى أودعها الله عز وجل فى أينا آدم وأما حواء عليهما السلام.

ثانيا: من جهة أخرى نجد الكروموسوم رقم 23 من نطفة الرجل هو الذى يحدد جنس الجنين حيث نجد أن الحيوانات المنوية تحتوى على 50% كروموسومات Y و50% يحتوى على X بينما كروموسوم الجنس عند المرأة X بنسبة 100% ، ولا يتحدد جنس الجنين إلا بعد اختلاط المشيجين من الذكر والأنثى ، فإذا ما اتحد المشيج X من نطفة الأنثى مع المشيج X من نطفة الذكر كانت النطفة الأمشاج XX وكانت المولودة أنثى بأمر ربها عز وجل ، وإذا ما اتحد المشج X من نطفة الأنثى مع المشيج Y من نطفة الذكر كانت النطفة الأمشاج XY وكان المولود ذكرا بأمر الله عز وجل.

ثالثا: أن النطفة : فى اللغة هي القليل من الماء أو قطرة الماء ، وهذا يطابق ماء الرجل والحيوانات المنوية جزء منه .والحيوان المنوي ينسل من الماء المهين (المنى) يقول الله تعالى فى سورة السجدة : **(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (8)** ويقول أيضا مبيّنًا دور النطفة فى الخلق كما ورد فى سورة الطارق : **(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (6) ،** ويقول سبحانه وتعالى فى سورة النحل : **(خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (4) ،** ويؤكد البيان الإلهي أن صفات الإنسان تتقرر ، وتتقدر وهو نطفة كما فى سورة عبس : **(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19) ،** ويتضح هنا أن النطفة تنطف من الرجل وكذلك المرأة كقطرات الماء ، وهذا يتحقق فى معناها

، ومحتواها ، ونزولها ، ووظيفتها ، وهذا من الإعجاز العلمي فى هذه اللفظة ، حيث أن معناها فى اللغة يتفق مع وظيفتها ومحتواها بل وهيئة خروجها .

رابعاً: واعجاز علمى آخر فى النطفة الأمشاج فى قوله تعالى : **(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2))** فالآية الكريمة من سورة الإنسان تعبر عن هذا الإعجاز ، فلغوباً هي نطفة (صغيرة كالقطرة) مفردة ، و لكن تركيبها مؤلف من أخلاط مجتمعة (أمشاج) وهذا يطابق الملاحظة العلمية حيث أن البويضة الملقحة بالحيوان المنوي هي على شكل قطرة ، وهي فى نفس الوقت خليط من كروموسومات نطفة الرجل ، وكروموسومات البويضة الأثوية . فهل يقدر البشر حتى وإن كانوا أنبياء أو مرسلين أن يأتوا بكلام فى هذا النسق العلمى الدقيق من عند أنفسهم ، أم أن هذا وحيا أوحاه الله العليم الخبير إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

خامساً: واعجاز علمى آخر فى قوله عز وجل **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى(45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(46))** من سورة النجم ، مما يعنى أن نطفة الرجل حال الإمناء يتقرر مصيرها و ما يخرج منها ذكرا كان أو أنثى ! وهذا واضح حيث أن الحيوانات المنوية تحتوى على الكروموسوم XY الذى يحدد جنس الجنين بقدر الله تعالى فهن أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم أن النطفة بأحد نوعيها (X) أو (Y) هي المسؤولة عن تحديد جنس الجنين ؟ أنه الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل وهذا يؤكد صدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

سادساً: إن هذه الحقيقة العلمية لم تعرف إلا بعد إكتشاف الميكروسكوب الإلكتروني فى القرن ال عشرين ، حيث عرفوا أن الذكورة و الأنوثة تتقرر من النطفة الذكورية والبويضة ، و كانت البشرية بأجمعها فى أوائل القرن العشرين لا تعلم أن الذكورة أو الأنوثة مقررة فى هذه النطاف ، لكن القرآن الذى نزل قبل أربعة عشر قرنا من الزمان يقرر هذا فى غاية الوضوح .

سابعاً: وثمة لفظة علمية أخرى ، حيث ذكرنا سابقاً أن النطاف المنوية تتكون فى الخصية ، والتي تتشكل بدورها ، كما أثبت علم الأجنة ، من خلايا جنسية أولية تقع أسفل الكليتين فى الظهر ثم تنزل إلى الأسفل فى مراحل الحمل الأخيرة و هذا تأكيد لقوله تعالى : **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)** (الأعراف

(172) و هذه إشارة واضحة إلى أن أصل الذرية هي منطقة الظهر حيث مكان تشكل الخصية الجنينية ، أو المبيض الجنيني فسبحان الله أعلم العالمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين.

نظرة القرآن الكريم و السنة النبوية لمسألة خلق الجنين

نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أكدا بصورة علمية دقيقة أن الإنسان إنما خُلِقَ من نطفة مختلطة سماها "النطفة الأمشاج" ، وقد أجمع أهل التفسير على أن الأمشاج هي الأخلط ، وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . و الحديث الشريف يؤكد هذا فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده أن يهودياً مر بالنبى صلى الله عليه و سلم و هو يحدث أصحابه فقالت له قريش : يا يهودي ، إن هذا يزعم أنه نبي ، فقال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي ، فقال : يا محمد ، مِمَّ يُخلق الإنسان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا يهودي ، من كلِّ يُخلق : من نطفة الرجل و من نطفة المرأة " فقال اليهودي : "هكذا كان يقول من قبلك " (أي من الأنبياء). فإن اليهودى يؤكد هذه الحقيقة العلمية على لسان من كان قبل النبى محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين . وهذا من جهة أخرى تأكيد على صدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم من قبل هذا اليهودى الذى تكلم بالحق والصدق.

فائدة : بين هذا الحديث التأكيد على أن الرسائل جميعها نادت بدين واحد وهو الإسلام لقول اليهودى "هكذا كان يقول من قبلك" أى من الأنبياء ، فلا يعقل أبداً أن يتكلم الأنبياء قبل النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه المسائل العلمية الدقيقة ولا ينادون بتوحيد الله عز وجل أو بتحكيم شرائعه ، بل المنطقى أن من تكلم من هم فى المسائل العلمية كهذه المسألة ، لابد وأن يكون تكلم فى أصول الدين ، ولذلك قال الله تعالى **(إن الدين عند الله الإسلام (19)** سورة آل عمران ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : الأنبياء إخوة من علات⁽⁷⁵⁾ ، وأمهااتهم شتى ،

⁷⁵ قال العلماء: أولاد العلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتواً الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان

ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي (76) وفى رواية (وليس بينى وبينه نبي) . قال جمهور العلماء : معنى الحديث أصل إيمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة ، فإنهم متفقون فى أصول التوحيد ، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف

يقول ابن كثير فى تفسيره : **أَمْشَاجٌ** " أَي أَخْلَاطٌ وَالْمَشِجُّ وَالْمَشِيجُ : الشَّيْءُ الْمُخْتَلِطُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى " **مِنْ نُطْقَةِ أَمْشَاجٍ** " : يَعْنِي مَاءَ الرَّجُلِ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ إِذَا اجْتَمَعَا وَاخْتَلَطَا ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ ، وَحَالَ إِلَى حَالٍ ، وَكَوْنٌ إِلَى لَوْنٍ ، وَهَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةَ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ : الْأَمْشَاجُ هُوَ اخْتِلَاطُ مَاءِ الرَّجُلِ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ .

وعندما استقرت نواة الحيوان المنوى فى البويضة ، وتم اتحاد النواتان فى غاية القوة لتكوين الانسان الجديد الخليفة فى الأرض وبهذه الطريقة تتوالى الأجيال جيلا من بعد جيل ، دون تغيير فى الصفات الانسانية التى فطر الله عز وجل عليها الإنسان الأول ، وهو آدم عليه السلام . فبالها من قدرة الهية عظيمة يقف أمامها جهازة العلم عاجزين بل مسبحين بحمده تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه وصفاته . والله سبحانه وتعالى ، جعل للبشرية وجميع الكائنات الحية قدرة على التزاوج والتناسل ولا يكون ذلك إلا من خلال الزوجين ولا يكون من أحدهما ، وليان قدرة الذرية على التزاوج والتناسل لابد وأن نقف على معنى الزوج والزوجين والأزواج كما جاءت هذه المفردات فى القرآن الكريم

(76) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل عيسى عليه السلام

الفصل الثالث عشر

الذرية والقدرة على التزاوج

آية أخرى من آيات الله عز وجل في خلق الإنسان وهى القدرة على التزاوج من أجل بقاء النوع لقوله عز وجل : **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)** سورة الروم، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (1)** [سورة النساء].

والتكاثر فى الأرض من جميع الكائنات سواء كان فى النبات أو الحيوان أو الإنسان لا يكون إلا من خلال هذه الخاصية وهى خاصية التزاوج ، ولذلك جعلها الله عز وجل آية من آياته . وبين سبحانه وتعالى أنه المنزه عن كل نقص وعيب لقدرته على خلق الأزواج كلها مما تثبت الأرض ومن الناس ومما لا يعلمونه فى حينه وهذا مجال خصب للبحث والدراسة والتنقيب . ولهذا بين الله عز وجل هذه المسألة فى قوله تعالى : **(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) سورة يس ، وقوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(49) سورة الذاريات**

إذن فالمخلوقات لا تكون فى أحسن صورة إلا من خلال التقاء الزوجين من نفس النوع ، وذلك مشهود فى عالم الإنسان والحيوان والنبات وغيرهم كالبكتريا والفطريات والطحالب والخمائر والفيروسات ، فلا تكاثر ولا تناسل إلا من خلال الزوجين. ولا يكون هناك بقاء للنوع إذا حدث تزاوج بين نوعين مختلفين ولو كانا من فصيلة واحدة كالتزاوج بين الحمار والفرس أو بين الحصان والحمارة فينتج عن ذلك مخلوق عقيم يسمى بغلا ليس له القدرة على الانجاب مما يؤدى إلى اندثار النوع.

معنى الزوجين : يختلف معنى الزوجين من شخص لآخر هل هما الذكر والأنثى؟ أم هما الأداة⁽⁷⁷⁾ فى الذكر والأنثى؟ أم هما الحيوان المنوى والبويضة؟ ، أم هما النواة فى كل منهما؟ أم هما الكروموسومات فى نواة كل منهما؟ أم هما الجينات الوراثية التى تدخل فى تركيب جسم الكائن الحى بما يحافظ على بقاء النوع؟

- وبمعنى آخر هل لفظ الزوجين أشمل وأعم من الذكر والأنثى؟
- وما هو الأصل الذى تكون به الذرية من الذكر والأنثى؟
- وهل الأعضاء التناسلية هى الوسيلة أم الغاية من الزوجين فى خلق الذرية؟

ولبيان هذه المسألة لابد من بيان الآيات التى تتكلم عن الزوج والزوجين والأزواج فى كتاب الله عز وجل.

⁷⁷ (الأداة فى الذكر أو الأنثى هى العضو الذكري فى الذكر أو الفرج فى الأنثى فى عالم الانسان أو الحيوان أو الطير أو غيرهم من المخلوقات التى لها عضوا ذكريا فى الذكور وفرجا فى الإناث

وبالنظر والتدقيق فى معنى " الزوج - الزوجين - زوجين - أزواج- الأزواج" من كتب التفسير وجدت أنها تعنى النوع - الأنواع - الصنف والأصناف - واللون والألوان والشىء وضده أو ما يقابله كالليل والنهار والأسود والأبيض وغير ذلك من المعانى التى لا تمت بصلة إلى المعنى الحقيقى لكلمة "زوج - زوجين - أزواج".

ولننظر أولا إلى الآيات التى تتكلم عن الزوج والزوجين والأزواج فى كتاب الله عز وجل:

زَوْجٌ : قال تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِثْيَانًا) (20) سورة النساء ، والمعنى هنا أى استبدال امرأة مكان امرأة أخرى كزوجة فلا حرج فيه ، ولكن دون بخس حق الزوجة الأولى وأخذ ما قدم إليها من مهر . وقوله تعالى فى سورة الحج : **(وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (5)** ، وقوله تعالى فى سورة الشعراء : **(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) (7)** والمعنى أنها أنبتت نباتا غير مثمر يحتوى على زوج من النبات فى صورة بهيجة تسر الناظرين إليه وتدخل البهجة فى النفوس . ونجد هنا أن كلمة زوج تعنى الفرد القابل للاختلاط بفرد آخر وينتج عن اختلاطهما هذا ذرية .

زَوْجَيْنِ : قال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (40) سورة هود ، وقوله تعالى **(فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا أِنَّهُمْ مَغْرُقُونَ) (27)** سورة المؤمنون ، والمعنى خذ من كل شىء موجود أفرادا قابلة للتزاوج من أجل بقاء النوع . وقوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (3)** سورة الرعد ، هذه آية غاية فى الوضوح أن النبات المثمر الذى به ثمر أو حبوب على اختلاف أنواعها فإنه يحتوى على زوجين وليس زوجا واحدا . وقوله تعالى: **(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (49)** سورة الذاريات ، وهذا بيان آخر أن كل شىء قابل للبقاء منه زوجين قابلين للاختلاط ببعضهما ويكون منه الذرية ليس من أحدهما دون الآخر. ويستفاد من هذه الآيات : أن كلمة "زوجين" جاءت

على العموم ، وهى تشمل الإنسان والحيوان والربلت وغيرهم من الأشياء التى قابلة للتزاوج ، وبينت فى النبات أن الثمرات فيها زوجين وهذا ما أثبتته العلم الحديث أن جميع الثمرات تحتوى على كروموسومات المتك (حبوب اللقاح) والمياسم (البويضات).

أَزْوَاجٌ : قوله تعالى : (وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (25) سورة البقرة

وقوله تعالى : **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) (57) سورة النساء ، وقوله تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ (143) سورة الأنعام ، وقوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (37) سورة الأحزاب ، وقوله تعالى : (لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا) (52) سورة الأحزاب ، وقوله تعالى : (وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا) (58) سورة ص ، وهذه الآية الأخيرة فيها اشكال عند علماء التفسير ، وهى التى جعلهم فسروا كلمة "أزواج" التى وردت فيها بمعنى أنواع. والحقيقة أن هذه الآية تتكلم عن اشكال العذاب كشرب الحميم والغساق ، وأكل الزقوم. والحميم هو الماء الحار كقوله عز وجل : **(وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) (15) سورة محمد ، والماء الصديد والقيح ورد فى قوله تعالى فى سورة ابراهيم : "مَنْ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17)".** وبين الله عز وجل هذا العذاب الغليظ الذى له أشكال وهو طعام الزقوم الذى يأكلونه فى جهنم وهو ثمار شجرة الزقوم والثمار لا بد وأن يكون من ها الزوجين ومنها أزواج ولذلك جاء اللفظ القرآنى مطابقا للمعنى الحسى المشاهد فتكلم الله عن شكل آخر من العذاب به أزواج من الطعام من شجرة الزقوم فى قوله تعالى : **"أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ (62) إنا جعلناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68) سورة الصافات ، وقال فى موضع آخر : **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ******

الْمُكَذِّبُونَ(51) لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِّن زَقُومٍ (52) فَمَا لَوْونَ مِنْهَا الْبَطُونِ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شَرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ(56) سورة الواقعة ، وقال تعالى فى سورة الدخان : إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ(43) طَعَامُ الْأَيْمِ(44) كَأَلْمُهِلِّ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ(45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ(46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ(48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (50) ، وفى بيان طعام أهل النار يؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة شجرة خبيثة ، جذورها تضرب فى قعر النار، وفروعها تمتد فى أرجائها، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر ولذلك شبهه برؤوس الشياطين، وقد استقر فى النفوس قبح رؤوسهم وإن كانوا لا يرونهم، ومع خبث هذه الشجرة وخبث طلوعها، إلا أن أهل النار يلقي عليهم الجوع بحيث لا يجدون مفرًا من الأكل منها إلى درجة ملء البطون، فإذا امتلأت بطونهم أخ ذت تغلي فى أجوافهم كما يغلي دردي الزيت ، فيجدون لذلك آلامًا مبرحة ، فإذا بلغت الحال بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم، وهو الماء الحار الذي تنهى حره، فشربوا منه كشرى الإبل التي تشرب كثيرا وتشرب ولا تروى لمرض أصابها (78)، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم . هذه هي ضيافتهم فى ذلك اليوم العظيم، أعادنا الله من حال أهل النار بمنه وكرمه . وإذا أكل أهل النار هذا الطعام الخبيث من الضريع والزقوم غصوا به لقبحه وخبثه وفساده (إنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13) سورة المزمل ، والطعام ذو الغصة هو الذي يغص به آكله ، إذ يقف فى حلقه . ومن طعام أهل النار الغسلين، قال تعالى : (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ(36) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ(37) سورة الحاقة ، وقال تعالى: هَذَا قَلْبُ ذَوْقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ(57) وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ(58) سورة ص . والغسلين والغساق بمعنى واحد، وهو ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد، وقيل : ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن تنن لحوم الكفرة وجلودهم، وقال القرطبي : هو عصارة أهل النار . وقد أخبر الحق أن الغسلين واحد من أنواع كثيرة تشبه هذا النوع فى فظاعته وشناعته . أما شرايبهم فهو الحميم، قال تعالى : وَسَقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ(15) سورة محمد ، وقال: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ

(78) انظر بحثنا(فشاربون شرب الهيم) مؤتمر الإعجاز العلمى الثانى جامعة بنى سويف وقد صدر فى كتاب ضمن سلسلة الإعجاز العلمى المتجدد

فَلْيُؤْمِنِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ نَا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ يَنْسَى الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) سورة الكهف ، وقال تعالى: **وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ (17) وقال: هَذَا قَلِيدٌ وَفُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ (57) وهذه هي ضيافة أهل الكفر والإلحاد (79).**

إذن الآية تتكلم عن أشكال العذاب وقد بينه ربنا عز وجل بشجرة الزقوم والتي لها طلع يؤكل ومن المعروف المشاهد الحسى أننا فى الدنيا نعلم شجر مثل الحنظل والصبار والخروع وأشجار كثيرة لا نستطيع أن نأكل من طلعها شيئاً وهذه الأشجار هى عبارة عن أزواج من الصبغيات والجيرات فكان الكلام هنا عن شكل العذاب بما يحتويه من شجر الزقوم.

ومن جهة أخرى فإن الصديد المعلوم لنا فى الدنيا والذي يخرج من الجروح المتقيحة هو عبارة عن الخلايا الآكلة للبكتريا (خلايا النيتروفيل) التى ماتت أثناء المقاومة الطبيعية للجسم ومعها بعض الخلايا البكتيرية التى مازالت حية وكلا النوعين من الخلايا يحتوى على الأزواج من الكروموسومات فى نواة كل خلية منهم. ومن جهة ثالثة معلوم لنا أن الماء يتكون من اتحاد ذرتين من الهيدروجين مع ذرة اوكسجين نتيجة تفاعل كيميائى وهذا ايضا له صفة التزاوج بين هذه الذرات ، ومعنى الزوج "هو فرد قابل للاقتزان بفرد آخر وينتج عن هذا التزاوج ذرية كما فى الحيوانات أو مركبات تفاعلية كما فى العناصر الكيميائية " وبهذا يتضح أن أشكال العذاب سواء من الطعام (طلع شجرة الزقوم) أو الشراب بأنواعه (الماء الحميم ، الغساق ، الغسلين، الماء الصديد) التى ذكرت فى كتاب الله تعالى فكل منها يحتوى على أزواج من مكوناتها وبهذا يرفع هذا الإشكال (80) ، **وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي تَصْرُفُونَ(6) سورة الزمر، ويستفاد من الآيات التى وردت فيها كلمة أزواج أنها جاءت فى الحديث عن أزواج المؤمنين فى الجنة وعن أزواج الأنعام وعن أشكال العذاب فى جهنم.**

(79) <http://www.dorar.net/enc/aqadia/2976> الدرر السنية- الموسوعة العقدية المبحث الحادي عشر: طعام

أهل النار وشرابهم ولباسهم
(80) انظر كتابنا (الأزواج والنطفة الأمشاج) أ.د. / حنفى محمود مدبولى

الأزواج: وجاءت كلمة الأزواج فى آيتين من كتاب الله عز وجل فى قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزواجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (36) سورة يس ، وفى قوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الأزواجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مَنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) (12) سورة الزخرف.

وبستفاد من هاتين الآيتين : أن كلمة الأزواج وردت فى الحديث عن جميع المخلوقات التى خلقها الله عز وجل (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) ، وأيضا مما تنبت الأرض

بث الذرية فى الأرض

بين الله عز وجل أن بث الذرية لا يكون إلا من خلال التقاء الزو جين وهذا أكبر دليل على بطلان الاستنساخ التكاثرى فى البشر. وقد بين العلم الحديث فشل العلماء فى استنساخ كائن بشرى ، هذا بجانب المطالبة ببطلانه ممن استنسخوا حيوانات وظهر أثارها الضارة⁽⁸¹⁾ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (1) سورة النساء. وبين الله سبحانه وتعالى أن بث الذرية وانتشارها فى الأرض يكون من الرجال والنساء وليس من الذكور فقط ولا من الإناث فقط ، ولأن الرجال والنساء أذى لرعاية الذرية وتربيتها سليمة

ذكر - ذكر أو أنثى - ذكر وأنثى

(1) قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ) (195) سورة آل عمران

(2) قال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) (124) سورة النساء.

(3) - قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (97) سورة النحل.

⁸¹(انظر بحثنا بعنوان: الفصل فى الاستنساخ من الأصل) ندوة عن الإعجاز العلمى بدولة المغرب ابريل 2007

(4) - قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّمَّا زَكَرَ الْأَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) سورة غافر.

(5) - قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) سورة الحجرات.

وهنا يرد الله عز وجل أصل خلق الناس إلى آدم وحواء لأن الخطاب للناس جميعاً منذ أن وجدوا على الأرض ، ونجد ارتباط الذكر والأنثى فى الآيات السابقة بالأعمال.

ويستفاد من هذه الآيات أن كلمة البحث "ذكر - ذكر أو أنثى - ذكر وأنثى" وردت فى الحديث عن الإنسان فقط ، وأن الكلام عن الذكر والأنثى جاء فى سياق المجازاة على الأعمال.

أن الذكور والإناث سواء لهم قدرة على الإنجاب أم لا فهم مجازون على أعمالهم ، بينما يأتى الكلام عن الإنجاب دائماً مرتبطاً بالكلام عن الزوجين . وجميع المفسرين أخذوا عن شيخ المفسرين الإمام بن جرير الطبرى وبينوا أن زوجين وأزواج تعنى النوع والنوعين والأنواع والصف والصفين والأصناف وبينوا أن الليل والنهار زوجين وأن الأبيض والأسود زوجين وهذا التفسير بعيد كل البعد عن المعانى التى وردت فى الآيات كما بينت من قبل ، ولقد تم البحث فى كتاب الله تعالى عن الكلمات التالية : صنف - صنفين - أصناف - الأصناف - نوع - الأنواع فلا توجد آية فى كتاب الله عز وجل تحتوى على أى من هذه الكلمات .

معنى لون فى مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني

اللون معروف ، وينطوي على الأبيض والأسود وما يركب منهما، ويقال : تلون: إذا اكتسب لونا غير اللون الذي كان له . قال تعالى: **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها** [فاطر/27]، وقوله : **واختلاف ألسنتكم وألوانكم** [الروم/22] إشارة إلى أنواع الألوان واختلاف الصور التى يختص كل واحد بهيئة غير هيئة صاحبه، وسحناء غير سحنائه مع كثرة عددهم، وذلك تنبيه على سعة قدرته . ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع . يقال: فلان أتى بالألوان من الأحاديث،

وتناول كذا ألوانا من الطعام . ومن هنا يتضح أيضا أن معنى زوج أو زوجين أو أزواج لا تعنى لون أو لونين أو ألوان ولكن معانيها فيما خصصت لها وكما بيئتها .

خلق الزوجين الذكر والأنثى من النطفة

وقال تعالى في سورة النجم : **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (46) وقال تعالى في سورة القيامة : (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (39) وقال تعالى في سورة الطارق : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) قال الإمام بن كثير: يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها، وقال بن عباس : صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وعنه قال : هذه الترائب ووضعه يده على صدره**

ومن أجل الوقوف على المعانى الحقيقية لهذه الآيات التى تتكلم عن الزوج ، الزوجين ، الأزواج ، الذكر ، الأنثى فلا بد من بيان قواعد فى التفسير تعين على فهم المراد من هذه الآيات

- أولا: لا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقريئة
- ثانيا: التفسير بظاهر النص أولى من التأويل

الزوجين فى النبات مع الإثمار وليس قبله

غالب النباتات معظمها تحمل أزهارها بين ثناياها حبوب اللقاح والبويضات ، أو على نفس النبات زهور تحمل حبوب اللقاح وأخرى تحمل البويضات ، أو حبوب اللقاح على طلع نبات والبويضات على شجرة أخرى من نفس النبات ، فلن النبات قبل الإزهار يكون زوجا فردا من نوعه وهذا مشهود فى عالم النبات ، ولا يقال أبدا أن النبات فى مرحلة إنباته من الأرض وقبل مرحلة الإزهار والإثمار زوجين قال تعالى: **(وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (3) سورة الرعد ، و تأمل قوله عز وجل (جعل فيها) وهذا يدل على احتواء الثمرات على الزوجين . كما أن الزهرة تأتى معها أو بعدها الثمرة ، وأن الزهرة تحمل فى متكها حبوب اللقاح كما تحمل فى ميسمها البويضات . أو أن النبات الواحد يحمل أزهارا منها ما يحمل حبوب اللقاح ومنها ما يحمل البويضات ، كما أن جميع الثمرات سواء كانت بذورا أو غيرها فإنها تحمل جنينا يحتوى على بويضات مخصبة بحبوب اللقاح فتكون**

الثمرات جميعها زوجين كما أخبر ربنا عز وجل . كما أن حرف الجر "فى" فى قوله تعالى " **وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** " بيان أن الثمرات تحتوى الزوجين لأن حرف الجر "فى" يدل على الاحتواء وظرفية المكان أى بداخلها الزوجين وبالفعل جميع البذور التى فى الثمرات سواء كانت مغطاة أو معرأة فإنها تحتوى على أجنة من بويضات مخصصة بحبوب اللقاح أى تحتوى على مادة وراثية من كلا الزوجين

العموم والشمول فى الزوجين

من كل هذه المعانى السابقة يتضح أن كلمة زوج - زوجين - أزواج - أعم وأشمل من كلمة ذكر أو أنثى أو الذكر والأنثى ، أو الذكور أو الإناث ، وأن كلمة الزوجين تشمل المخلوقات التى لها أعضاء تناسلية خارجية وهو ما يعرف بالذكر والأنثى ، كما أنها تشمل المخلوقات التى ليس لها أعضاء تناسلية خارجية ولكن يحدث بينها تزاوج كما فى الكائنات الدقيقة. ويحدث التكاثر فيهما من خلال اندماج الأمشاج الذكرية مع الأمشاج الأنثوية⁽⁸²⁾.

الأدلة على أن الزوجين اشمل وأعم من الذكر والأنثى :

أولاً: أن النبات يتكاثر ويخرج ثماره دون وجود أعضاء ذكرية أو أنثوية تلعب الدور الذى تلعبه فى الإنسان أو الحيوان ولكن يوجد متك ومياسم ربما فى النبات الواحد أو فى نباتين مع انتقال كل منهما للآخر

ثانياً: أن التقاء الذكر والأنثى قد يحدث منه الانجاب وقد لا يحدث لأسباب منها أن الزوجين أو أحدهما يكون عقيماً لأى سبب من الأسباب أى ليس عنده الحيوانات المنوية السليمة /او البويضات السليمة التى منهما يكون الاخصاب والنطفة الأمشاج التى منها يكون الولد

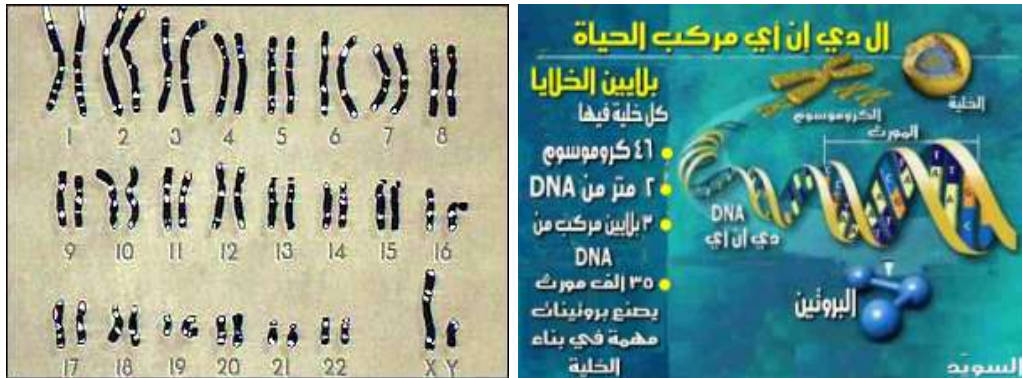
ثالثاً: أن التكاثر والتناسل فى الكائنات الدقيقة كالبكتريا والفطريات والطحالب والخمائر والفيروسات إنما يكون من خلال التقاء الزوجين الذين هما الكروموسومات فى كل منهما وياتحاد هذه الكروموسومات تنتج الذرية وبدون هذه الكروموسومات لا تكون الذرية التى تؤدى إلى بقاء النوع وهذا أكبر دليل

⁽⁸²⁾ انظر كتابنا(الأزواج والنطفة الأمشاج

على بقاء الكائنات الدقيقة كما هي مع تحورها كل فترة إلا أن أصل تركيبها كما هو.

أوجه الإعجاز العلمى فى معنى الزوجين

- أن الذكر والأنثى (وهما زوجين) من النطفة وهما أيضا زوجين
- أن النبات قبل الإثمار يكون زوجا
- أن النبات بعد الأزهار يكون زوجين
- أن كلمة الزوج تعنى الفرد القابل للإختلاط مع فرد آخر وبتج عنهما ذرية من خلال اختلاط الأمشاج
- أن الزوجين تعنى فى الأصل الحامض النووى فى الأمشاج
- أن التكاثر الجنسى يكون بانتقال الأمشاج من فرد لآخر ويؤدى هذا إلى بقاء النوع
- أن الأمشاج تعنى الأزواج وهى أساس الخلق وهى أفراد قابلة للخلط بأفراد أخرى مما ينتج عنهما كائنا جديدا له صفة بقاء النوع ويحتوى على جينات من هذه الأزواج المختلطة فمثلا كروموسومات الحيوان المنوى فى الإنسان عددها 23 كروموسوما وهو نفس العدد فى نطفة المرأة وهى البويضة وباختلاطهما واندماجهما ينتج النطفة الأمشاج التى تحتوى على 23 زوجا (أى 46) من الكروموسومات المتحدة فى منطقة تسمى السنترومير (شكل 1/13) وبهذا تتكون اللاقحة أو البويضة المخصبة التى يتخلق منها الجنين سواء كان ذكرا أو أنثى وصدق الله العظيم إذ يقول : **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (46) سورة النجم**



شكل (1/13) الخلية وما تحتويها من نواة بها الكروموسوما (يمين) و 23 زوجا من كروموسومات الذكر وفيها الزوج رقم 2³ والذي يحدد جنس الجنين ذكرا أو أنثى (يسار)

- أنه إذا حدث عطب في بعض جينات أحد الزوجين ينتج عنه تشوه في التخلق وهذا أيضا ما يعرف بالأمراض الوراثية ، وهو ظاهر ومعروف خصوصا في تزواج الأقارب وأن اختلاف حرف في الشفرة الوراثية يؤدي إلى ظهور مرض وراثي كما في الشكل (2/13) فمثلا الحرف A وهو يشير إلى القاعدة النيتروجينية Adenin "أدينين" في الشريط الوراثي نجده يتحد دائما مع الحرف T وهو يشير إلى القاعدة النيتروجينية Thiamine "ثيامين" في الشريط الوراثي وهذا هو الشيء الطبيعي عند تزواج كل من كروموسومات الذكر والأنثى ، ولكن لو حدث خلل في تركيبة الشفرة الوراثية في جين ما نتيجة خلل في تغيير أحد القواعد النيتروجينية الأربعة (أدينين A، ثايمين T، جوانين G ، سيتوزين C) تكون النتيجة تغيير في الصفة الوراثية ، وينتج عنها مرضا وراثيا كما في الشكل (2/13) فمثلا مرض الهيوفيليا هو مرض وراثي ينتج عن عطب أو خلل في الجين المسئول عن إنتاج البروتين المسئول عن تجلط الدم في حال النزف من الجسم



شكل (2/13) يبين خلل في أحد الجينات مما ينتج عنه المرض

ولذلك يجتهد العلماء فى معرفة اسباب هذه الأمراض الوراثية من خلال معرفة العطب الجينى المسبب لها وعلاج هذا العطب وهو ما يعرف الآن بالعلاج الجينى (Gene therapy) أو الاستنساخ العلاجى⁽⁸³⁾ (Therapeutic cloning)

الفصل الرابع عشر

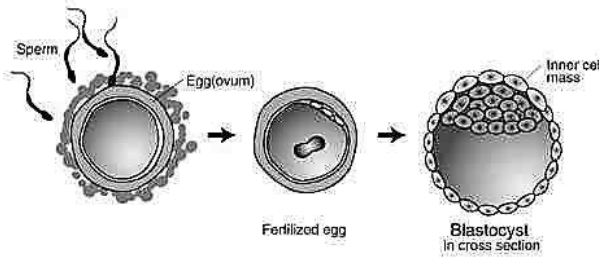
انقسام البويضة المخصبة

بعدها يتم تكوين النطفة الأمشاج فى الثلث الأخير من قناة فالوب ، تبدأ رحلة الانقسام ونزول البويضة المخصبة إلى الرحم وهنا تظهر المؤشرات الأولى للحمل. وقد تكون تلك المؤشرات غير واضحة . ومن هذه المؤشرات تجد المرأة فى بداية حملها آلاما فى الثدي ، وآلاما فى منطقة الظهر، وتشنجات فى منطقة البطن والرحم ، وفى هذه الحالة يجب إجراء اختبارا للحمل و متابعة الحالة مع الطبيب.

رحلة انقسام اللاحقة أو النطفة الأمشاج

هى رحلة تبدأ من نطفة منوية تذهب الى طريقها ، وسط عدد كبير من الحيوانات المنوية الذي يزيد عددها عن 300 مليون نطفة ، رحلة فى الظلام ، وعكس اتجاه الجاذبية الأرضية ، مع وجود مخاط يغطى الجهاز التناسلى من أول المهبل وحتى عنق الرحم . والهدف من هذه الرحلة الوصول الى البويضة التي تنتظر تخصيبها بقدر الله و بعدها تبدأ الحياة الجنينية فى التخلق ، وتبدأ رحلة تكوين الجنين (شكل 1/14) الذكر أو الأنثى بقدر الله تعالى

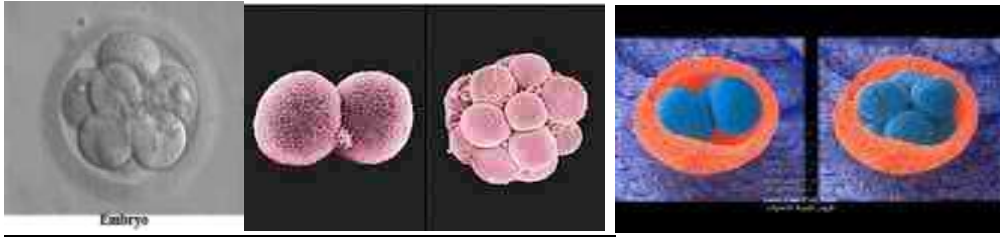
⁸³ (انظر بحثنا (الفصل فى الاستنساخ من الأصل). WWW.Eijaz.org



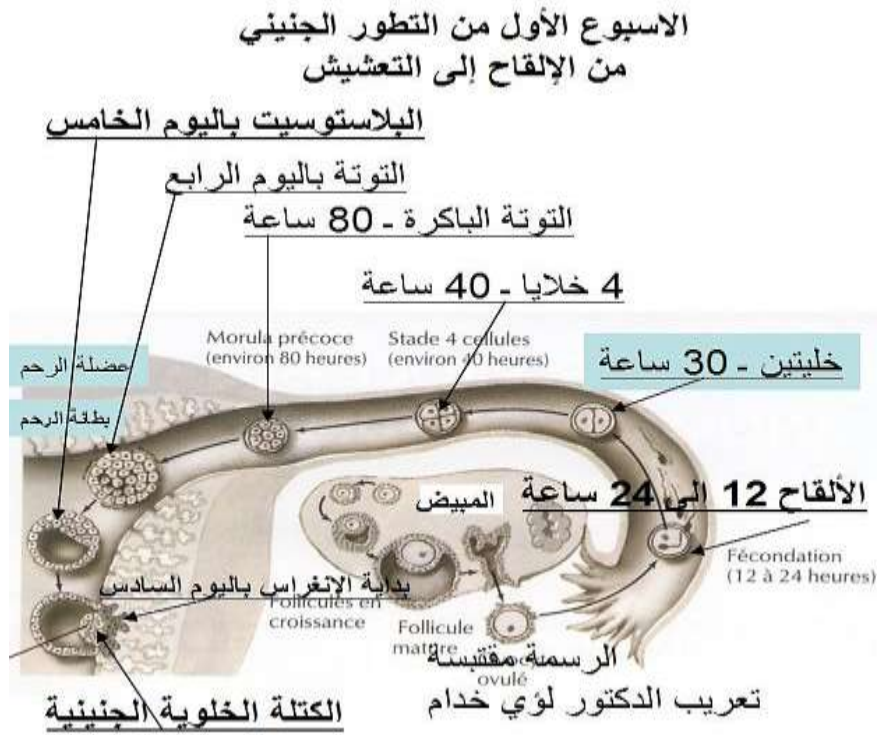
شكل (1/14) يبين رحلة تكوين الجنين بعد تخصيب البويضة بالحيوان المنوي

وبعد الاخصاب تحدث تغيرات على سطح البويضة من شأنها حظر دخول اي حيوان منوي آخر. وهنا تلتحم الصبغيات التي في نطفة الذكر مع الصبغيات التي في البويضة ، لينجم عن ذلك 23 زوجا من الكروموسومات التي تحدد جنس وشخصية وهوية الطفل الذي سيولد بإذن الله تعالى . وتبدأ البويضة المخصبة في الانقسام فتتقسم انقساما ثنائيا إلى خليتين ، والخليتين إلى أربع ، والأربع إلى ثمان ، والثمان إلى 16 (شكل 2/14، 3/14، 4/14) وهكذا حتى تكون ما يعرف بالتوتة (morulla)، وكل خلية بها 46 كروموسوما إلا الخلايا التناسلية التي تهجر إلى المبيضين إذا كان الجنين أنثى ، أو الخصيتين إذا كان الجنين ذكرا ، فتتكون منها النطاف المنوية أو البويضات ، وتكون الكروموسومات فيها 23 فقط لا غير. وهنا يقف العلماء مبهورين عاجزين عن تفسير هذه الحقيقة العلمية ، فمن الذي هيا وأمر الخلايا التناسلية في كل من الالخصيتين أو المبيضين أن تحتوى فقط على نصف عدد الكروموسومات الموجودة في باقى خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة هذا الجسم ؟ فتأتيك الإجابة إنها قدرة الخالق المقتر (الذي خلق فسوى (2)والذي قدر فهدي(3) سورة الأعلى ، فسبحانه وتعالى وعز وجل . وتبدأ الخلايا

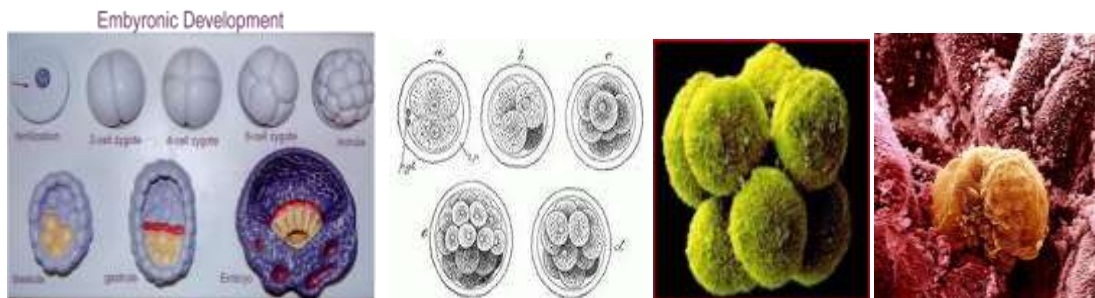
في التمايز والتخصص لتكون فيما بعد الأنسجة والأعضاء والأجهزة فمنها ما يكون أنسجة طلائية كالتي تبطن الجهاز الهضمي ومنها ما تكون أنسجة افرازية كالتي تفرز الهرمونات أو الانزيمات أو العصارات أو السيتوكينات أو الليفموكينات ، ومنها ما تكون أنسجة عضلية ، ومنها ما يكون أنسجة مرنة ايلاستيكية كالأربطة بين وحول المفاصل ، ومنها ما يكون أنسجة عظمية ، فمن الذى ميزها بهذه الصورة الرائعة ؟ إنه الله الذى أحسن كل شىء خلقه سبحانه وتعالى وعز وجل



شكل (2/14) يبين انقسام البويضة المخصبة إلى خليتين ، وأربعة وثمانية و 32 هذه الصور من تحت الميكروسكوب الضوئي والميكروسكوب الالكتروني

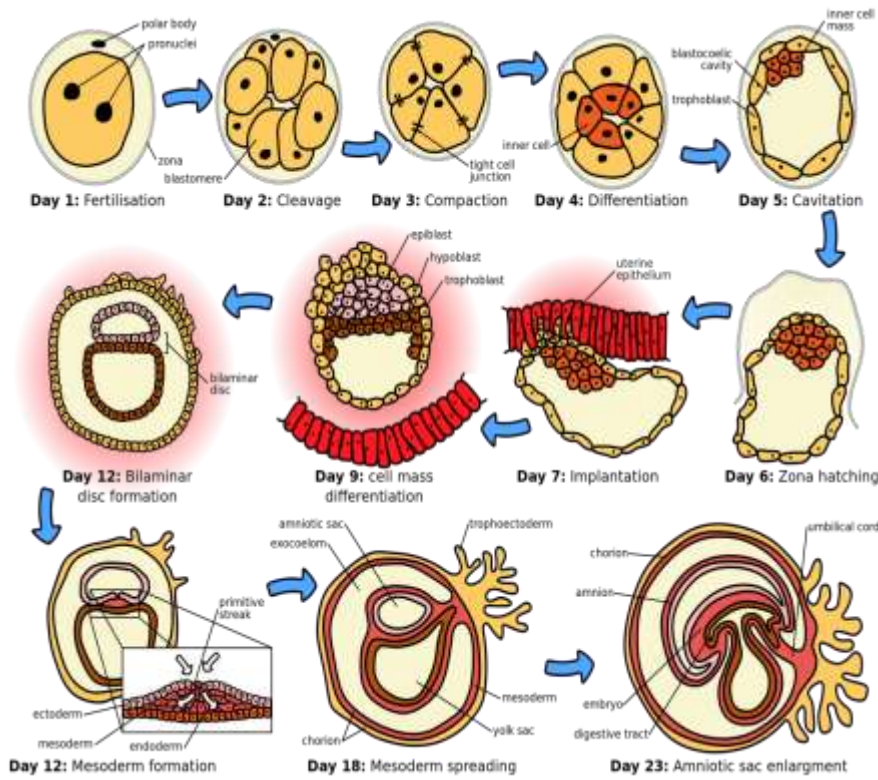


شكل (3/14) شكل توضيحي يبين انقسام البويضة المخصبة بالساعات والأيام حال نزولها من قناة فالوب إلى الرحم



شكل (4/14) يبين بويضة ملقحة بعد 30 ساعة من الحمل (1) وبويضة تتوالى انقساماتها السريعة بعد خمسة أيام من الحمل (2) ورحلة انقسام البويضة حتى مرحلة التوت (3) وحتى مرحلة البلاستيولا والجاستريولا وبداية تكوين الجنين (4)

وبعد حوالي 5 ساعات على تكون البويضة الملقحة و هي الخلية الإنسانية الأولية الحاوية على 46 كروموسوم ، تتقدر الصفات الوراثية التي ستسود في المخلوق الجديد ، وتنتقل البويضة المخصبة عبر قناة فالوب إلى الرحم ، و بعد ذلك تنقسم البويضة الملقحة انقسامات سريعة دون تغير في حجمها متحركة من قناة فالوب (الواصلة بين المبيض و الرحم) باتجاه الرحم حيث تنغرس فيه كما تنغرس البذرة في التربة . ونهرل البويضة الملقحة إلى الرحم بعد حوالي 6 أيام ، ويستمر انغراسها و نموها في جدار الرحم م (شكل 5/14) حتى اليوم 15 حيث تبدأ مرحلة العلقة. وتكون حالة الجنين في نهاية الشهر الأول يكون الجنين صغيراً جداً بحجم حبة الأرز .



شكل (5/14) يبين مراحل انقسام البويضة الملقحة حتى اليوم 23 من بدء الحمل

وبشيء من التفصيل يحدث الأخصاب فى اليوم الأول من التقاء البويضة مع الحيوان المنوى ، وفى اليوم الثانى يبدأ انقسام البويضة المخصبة إلى الخلايا ، وفى اليوم الثالث تكونت كتلة من الخلايا ، وفى اليوم الرابع يبدأ تمايز هذه الخلايا إلى خلايا خارجية وخلايا داخلية ، وفى اليوم الخامس تتقارب مجموعة الخلايا الداخلية ويتحدد مجموعة الخلايا الخارجية تاركين بينهما فجوة بدون خلايا ، وفى اليوم السادس تكبر الفجوة بين الخلايا ، وفى اليوم السابع يحدث تعشش الخلايا الخارجية فى جدار الرحم لبداية تكوين المشيمة ، وفى اليوم التاسع يحدث تمايز لكتلة الخلايا الداخلية إلى ثلاثة أنواع (ايبيلاست ، هيبوبلاست وتروفوبلاست) ، وفى اليوم 12 يتكون قرصين من الخلايا ، ويتحدد منهما الطبقة الداخلية والطبقة الخارجية والطبقة الوسطى والتي ستكون الجنين والأغشية حوله وكيس المح الذى يتغذى عليه حتى تكون الحبل السرى ، ويتكون الشريط الأولى الذى منه تتكون اجهزة الجسم والعظام واللحم ثم ينقرض بعد ذلك ولم يبق منه إلا بقايا خلايا فى نهاية العصص (عجب الذنب).

أعراض الحمل الاولى

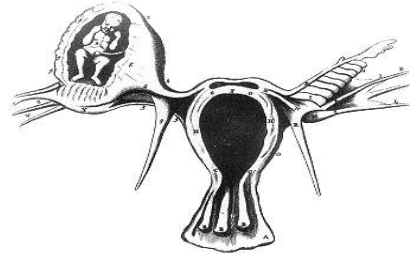
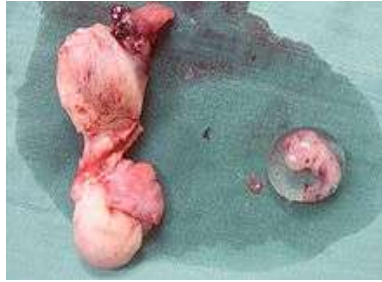
الأعراض الجسمانية: ويتعرف على الحمل من خلال أعراضه الأولى وهى: غياب الدورة الشهرية ، تكرار عملية التبول ، الشعور بالتعب والإجهاد ، غثيان مع قيء ، وزيادة فى إفراز اللعاب ، بعض التهابات المعدة وصعوبة فى الهضم ، انتفاخ فى البطن وشعور بالامتلاء ، نفور من الطعام أو اشتهاه نوع معين من الطعام ، شعور بألم أو ليونة فى الصدر أو قد تصبح هالة الثدي غامقة اللون ، كما قد تظهر خطوط زرقاء تحت جلد الصدر بسبب ازدياد كمية الدم المتدفق له .

الأعراض الانفعالية: شعور بعدم الاتزان ، وقد تكون هذه الحالة مثل التي تسبق الدورة الشهرية ، تحول سريع فى المزاج ، قلة الصبر والتوتر والحيرة والقلق ، الشعور بخوف وفرح وروح معنوية عالية .

الحمل خارج الرحم :

قد يحدث أحيانا الحمل خارج الرحم وهذا يؤدي إلى آلام وضرر بالغ بالأم ، وينصح أن تذهب المرأة بأقصى سرعة إلى مستشفى متخصصة فى النساء

والتوليد. وهذه حالة حمل خارج الرحم (84) شكل (6/14) حيث تبين الصورة حمل خارج الرحم انتهى بالتمزق. وعمر الجنين في هذا الحمل يقدر بحوالي ستة أسابيع. أما العمر الحمل، فهو ثمانية أسابيع. ويظهر الكيس الأمينوسي (السلى) سليماً



شكل (6/14) يبين الحمل خارج الرحم (يمين) و لقطه فريدة لجنين داخل الغشاء الجنيني (يسار) حمل خارج الرحم (يسار)

أهم التغيرات التي تحدث داخل الرحم:

تحدث عدة تغيرات داخل الرحم وخاصة بعد الأسبوع الرابع من انقطاع الدورة الشهرية تقريباً ، ويزداد الرحم حجماً (3 سم تقريباً .) وفي الوقت نفسه تمر البويضة الملقحة عبر قناة فالوب لتستقر في الغشاء المخاطي في الرحم ، وتُعرف هذه العملية "بالتعشش" أو الانغماس أو الزرع وهي تبدأ في اليوم السادس أو السابع لتنتهي في اليوم الثاني عشر، وفي هذه المرحلة تتكون المشيمة

هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه

هذه خلية واحدة مخصصة تنمو وتزداد وتصبح أكثر من 100 تريليون خلية في جسم الإنسان ، إن أغرب ما في الأمر أن الخلية الأم تبدأ بالانقسام ولكن لا تُنتج نفس الخلايا ، بل تنتج خلايا م شوعة منها ما يشكل الجلد ، وأخرى للعظام ، وأخرى للدماغ والمخ والأعصاب ، وخلايا للعين وخلايا للأنف وأخرى للأذن ، وخلايا للقلب والشرايين والأوردة ، وخلايا للجهاز التنفسي ، وخلايا للجهاز البولي ،

(84) <http://ar.wikipedia.org/wiki>

وخلايا للجهاز التناسلي ، وخلايا للعضلات ، وأخرى للأربطة والغضاريف ، فمن الذي يخبر هذه الخلايا بتميزها ، وبتكبيها ، وبعملها ومهمتها ، وبهذا التطور؟ ليس هو الله القائل سبحانه وتعالى : **(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا 2)** سورة الفرقان. إن هذا التمايز بين الخلايا ، وبين الأنسجة ، وبين الأعضاء ، وبين الأجهزة المختلفة للجسم مع اختلاف وظائفها لشواهد حق على عظمة الخلق وقدرة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل.

إن الإنسان عندما يدرك أصله وهو الطين ، ثم النطفة المهينة الضعيفة ، التي لا تكاد تُرى إلا تحت الميكروسكوب الإلكتروني إذا كبرت آلاف المرات ، يزداد تواضعاً ويتخلص من غروره و كبريائه ، ويتواضع لله العليم الخبير الذي أودع سره في هذه النطفة كي تتخلق في صورة إنسان جميل الصورة يقول تعالى: **(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ يَرْبِّكَ الْكَرِيمِ 6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبَّكَ (8) سورة الانفطار. وقال تعالى (فَلْيَهْزَأِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ 5) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ 6) سورة الطارق..**

قدرة أخرى من قدرة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل ألا وهى لماذا تحركت هذه النطفة المخصبة بعد بداية انقسامها من الجزء الأخير من قناة فالوب قاصدة الرحم حيث القرار المكين الذى هياه الله عز وجل لاستقبال الجنين وحمله حتى الولادة ؟ من الذى أودعها هذا السر وهذا التحرك؟ ولماذا لم تستقر فى جدار قناة فالوب حتى نهاية مدة الحمل؟ إنها الرعاية الربانية ، إنه اللطف الربانى ، إنه عالم السر وما هو أخفى منه ، يقول سبحانه وتعالى وعز وجل (**فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23)**) سورة المرسلات. نعم تعتبر قناة فالوب مقرا مكينا للبويضة بعد تخصيبها ، ثم تنتقل إلى رحم الأم وهو أيضا مقراً آمناً (و مكيناً) لنمو الجنين و حمايته للأسباب التالية :

أولاً: موضع الرحم فى حوض المرأة العَطْ مِي الذى يحيط بالرحم من كل جانب ، وهو محمي أيضاً بأربطة تمسك الرحم من جوانبه وتسمح له أيضاً بالحركة والنمو حتى أن حجمه يتضاعف مئات المرات فى نهاية الحمل .

ثانيا: عضلات الحوض التي تربط الرحم بعظام الحوض لكي تحفظ الرحم في مكانه فلا يلتوى على نفسه عند تقلب المرأة وهى نائمة يمنا وبسرة (قرار مكين).

ثالثا: يساهم في استقرار الرحم إفراز هرمون الحمل (البروجسترون) من المشيمة أثناء الحمل ، وهذا الهرمون يجعل انقباضات الرحم بطيئة فلا تطرد الجنين.

رابعا: كما أن الجنين داخل الرحم محاط بأغشية مختلفة تنتج سائلاً أمينوسياً يسمح فيه الجنين ، ويمنع عنه تأثير الرضوض الخارجية ، وكأن الجنين فى خزانة والخزانة فى حجرة والحجرة محاطة بسور من جميع جوانبها (قرار مكين).

خامسا: أن تغذية هذا الجنين قدرت بقدر الله عز وجل من الرحم

لماذا لا يطرد الجسم الجنين؟

طبيعة الجسم البشري هي طرد أي جسم خارجي ، ولكن الرحم لا يرفض العلقه المنزرعة فى جداره على الرغم من أن نصف مكوناتها ومورثاتها هو من مصدر خارجي وهو (الأب) ، وهذا مرده حسب بعض التفسيرات أن الخلايا بالعلقه لا يوجد بها مولدات ضد Antigens فلا تتكون ضدها أى مقاومة مناعية ، كما يحدث عند دخول أى جسم غريب بعد تكون جهاز المناعة فى الجسم ، كما فى حالات زراعة الأعضاء كالكبد أو الطحال أو الكلى أو القلب ، وهو ما يسمى graft rejection . يالها من عظمة لا تكون إلا لله وحده الذى أشهد ملائكته منذ بلايين السنين أنه جاعل فى الأرض خليفة ، ويحافظ على مقومات استمرار هذه الخلافة منذ نشأة أول ذرية من آدم وحواء عليهما السلام وحتى تقوم الساعة . اللهم إنى اشهدك واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك .

الفصل الخامس عشر

أطوار مرحلة التخليق

هى مرحلة تخليق العلقه من النطفه ، والعظام من العلقه ، وكسوة العظام باللحم ، وهى مرحلة تخليق الجنين كاملا به عظام الجمجمة والصدر واليدين والساقين ، وتبدأ من الأسبوع الثالث حتى نهاية الأسبوع الثامن

مميزات هذه المرحلة:

وأهم ما يميز مرحلة التخليق:

- التكاثر السريع للخلايا فالخلايا تتكاثر تكاثرًا سريعًا.
- هى مرحلة الأطوار كما بينها ربنا عز وجل فى سورة نوح فى قوله تعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)
- وهذه الأطوار تكونت من النطفة إلى العلقه فلامضغة فالعظام فكسوة العظام باللحم
- وفى ه هذه المرحلة وصفًا دقيقًا معبرًا عن طبيعة العمليات الداخلية والمظهر الخارجى للجنين حيث ينتقل من مظهر غير متميز إلى مظهر إنسانى متميز فى الأسبوع السابع نتيجة لإنتشار الهيكل العظمى ثم بناء العضلات فى الأسبوع الثامن.
- ونظرًا لأن العمليات التخليقية للجنين تتم بسرعة كبيرة ، فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل حرف العطف (الفاء) الذى يفيد الترتيب مع التعقيب للربط والانتقال بين أطوار هذه المرحلة (شكل 1/15)



شكل (1/15) مراحل تكوين الجنين

✦ إن مرحلة التخليق هذه جاءت بمصطلحاتها العلمية ، ومفاهيمها في كتاب الله عز وجل بأدق تفصيل يذكر ، مشتملة على كل مايمزها في أوجز تعبير مثل قوله تعالى (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ نَفْسًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (14) سورة المؤمنون .

✦ المضغة مخلقة أو غير مخلقة ولا يكون ذلك إلا للمضغة : لقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتَّقَىٰ وَيُؤْتِي مَن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) سورة الحج وتبين هذه الآية الخلق من التراب إلى خروجه طفلا(شكل 2/15) ، وحتى بلوغ أرزل العمر



شكل (2/15) يبين مراحل خلق الانسان من الطين إلى النشأة الآخرة

✦ وبين سبحانه وتعالى و عز وجل أن آخر مرحلة النشأة الآخرة هي الطفولة حيث بين الله عز وجل أن تقلب النطفة في الرحم ينتهي بإخراجها طفلا يقول الله عز وجل : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا

شُيُوعَاً وَمِنْكُمْ مَن يَتَوَقَّىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
(غافر 67) ثم لتبدأ مرحلة أخرى فى حياة هذا الإنسان ، وهى مرحلة الحياة الدنيا ، التى تبدأ من الطفولة ثم مرحلة بلوغ الأشد وهى مرحلة الفتوة والشباب ، ثم المرحلة الثالثة وهى مرحلة الكهولة والشيخوخة وهى ثلاثة مراحل رئيسية فى حياته الدلى

- ✦ إذا امعنا النظر والتدقيق نجد أن الإنسان يمر بثلاثة مراحل من أول الخلق النطفة وحتى خروجه طفلا (مرحلة النطفة ، ومرحلة التخليق ، ومرحلة النشأة الآخرة)
- ✦ ويمر بثلاثة مراحل فى حياته الدنيا(مرحلة الطفولة ، ومرحلة بلوغ الأشد ، ومرحلة الشيخوخة)
- ✦ وتنتهى حياته أيضا بثلاثة مراحل وهى (مرحلة الموت ، ومرحلة البرزخ ، ومرحلة البعث والنشور للعرض والحساب والجزاء والخلود إما فى الجنة وإما فى النار) . إن كل مرحلة من هذه المراحل سواء مراحل الخلق فى الأرحام أو مراحل الحياة الدنيا أو مراحل الآخرة فهى مرحلة فريدة فى نوعها.
- ✦ ونجد فى المرحلة الجنينية بناء الجسد (الذى أصله من التراب) أولا ، ثم نفخ الروح فيه ثانيا ، ونجد فى مرحلة الموت نزع الروح أولا ، ثم تحلل الجسد إلى التراب.
- ✦ وفى مرحلة البعث والنشور بناء الجسد مرة أخرى من عجب الذنب (الذى أصله من التراب) ثم رد الروح فيه ثانيا . وهكذا يصدق قول ربنا دائما فى كل كلمة من القرآن الكريم (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين(104) سورة الأنبياء ، (..قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) سورة الأعراف ، مما يدل على أنه كلام العليم الخبير الذى أوحاه إلى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم

والى تفاصيل كل طور من أطوار خلق الجنين من النطفة

الفصل السادس عشر

طور العلقه

(ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً)

يبدأ طور العلقه في اليوم 15 وينتهي في اليوم 23 أو 24 حيث يتكامل بالتدرج ليبدو الجنين على شكل دودة العلقه (Leech) التي تعيش في الماء ، ويتعلق في جدار الرحم ، وتتكون الدماء داخل الأوعية الدموية على شكل جزر مغلقة تجعل الدم غير متحرك في الأوعية الدموية معطية إياه مظهر الدم المتجمد . وتستغرق عملية التحول من نطفة إلى علقه أكثر من 10 أيام حتى تلتصق النطفة الأمشاج (البيضة الملقحة) بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة تصبح فيما بعد الحبل السري ، ولهذا استعمل البيان القرآني حرف العطف (ثم) الذي يفيد التتابع مع التراخي في الآية الكريمة (ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً) سورة المؤمنون.

المعنى اللغوي للعقّة: والعقّة لغويًا⁽⁸⁵⁾ لها معاني عدة :

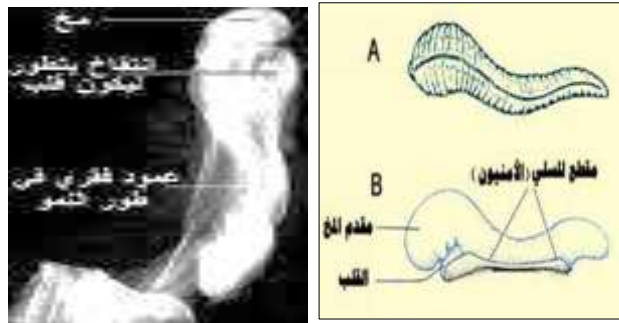
- 1- شكل دودة العقّة Leech التي تعيش في البرك وتمتص دم الكائنات الأخرى
 - 2- شيء متعلق بغيره. 3- الدم المتخثر أو المتجمد .
- وعلقت الدابة إذا شربت الماء فعلق بها العقّة . والعلق: الدم عامة ، والشديد الحمرة أو الغيظ أو الجامد أو الرطب ، وهذا ما أشار إليه أكثر المفسرين.

العقّة تتشابه في الشكل مع دودة العقّة

نلاحظ أن التطابق بين الجنين ودودة العقّة في الشكل والتعلق كما في شكل (1/16 ، 2/16) وهذا هو المعنى الأول للعقّة من حيث اللغة العربية



شكل (1/16) أشكال لدودة العقّة وهي متعلقة بجسم الإنسان



شكل (2/16) يبين تطابق دودة العقّة في الشكل مع الجنين في مرحلة العقّة

⁽⁸⁵⁾ مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني

العلاقة بمعنى التعلق بشيء آخر

تلتصق النطفة التامة التكوين والتي تسمى فى هذه المرحلة المتكيسة الجرثومية (BLASTOCYST) بجدار الرحم فى اليوم السادس فى بداية طور الحرث (الانغراس) (IMPLANTATION) حتى تنزرع تماماً. وتستغرق هذه العملية أكثر من اسبوع حتى تلتصق النطفة بالمشيمة البدائية بواسطة ساق موصلة تصبح فيما بعد الحبل السرى . وفى اثناء عملية الحرث تفقد النطفة شكلها لتهيأ لأخذ شكل جديد هو : العلاقة ، الذى يبدأ بتعلق الجنين بالمشيمة (شكل 3/16) ، وهذا يتفق مع المعنى (التعلق بالشئ) الذى يعتبر احد مدلولات (كلمة علاقة) فى اللغة العربية وهذا وصف قرآنى دقيق للغاية فى بيان أهم صفة للعلاقة.



شكل (3/16) تعلق الجنين بجدار الرحم



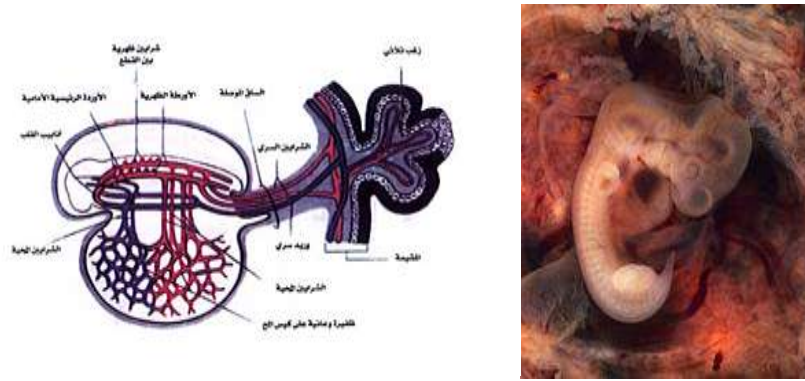
شكل (4/16) يبين شكل تخطيطى للجنين (أعلى يمين) على شكل دودة العالقة (أسفل يمين)

، دودة العالقة وهى متعلقة فى منطقة الرقبه (يسار) ، أما اذا اخذنا المعنى الحرفى للعلاقة (دودة عالقة) فإننا نجد ان الجنين يفقد شكلة المستدير ويستطيل حتى يأخذ شكل الدودة . ثم يبدأ فى التغذية على دماء الأم ، مثلما تفعل الدودة العالقة ، إذ تتغذى على دماء الكائنات الأخرى ، وبخاصة

الجنين بمائع مخاطى تماماً ، مثلما تحاط الدودة بالماء . وبين اللفظ القرأني (علقة) هذا المعنى بوضوح طبقاً لمظهر وملاحم الجنين فى هذه المرحلة

العلقة بمعنى الدم الجامد

وطبقاً لمعنى (دم جامد أو غليظ) للفظ العلقه ، نجد أن المظهر الخارجى للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ ، لأن القلب الأولى وكيس المشيمة ، ومجموعة الاوعية الدموية القلبية تظهر فى هذه المرحلة . وتكون الدماء المحبوسة فى الأوعية الدموية حتى وإن كان سائلا ، ولا يبدأ الدم فى الدوران حتى نهاية الأسبوع الثالث وبهذا يأخذ الجنين مظهر الدم الجامد أو الغليظ مع كونه دمًا رطبًا (شكل 5/16). وتدرج الملاحم المذكورة سابقاً تحت المعنيين المذكورين للعلقة (دم جامد) أو (دم رطب)



شكل (5/16) تعلق الجنين فى جدار الرحم وبه دم جامد (يمين)
شكل توضيحي للدورة الدموية ويكون فى هذه الحالة على هيئة دم جامد (يسار)

مراحل تكوين العلقه

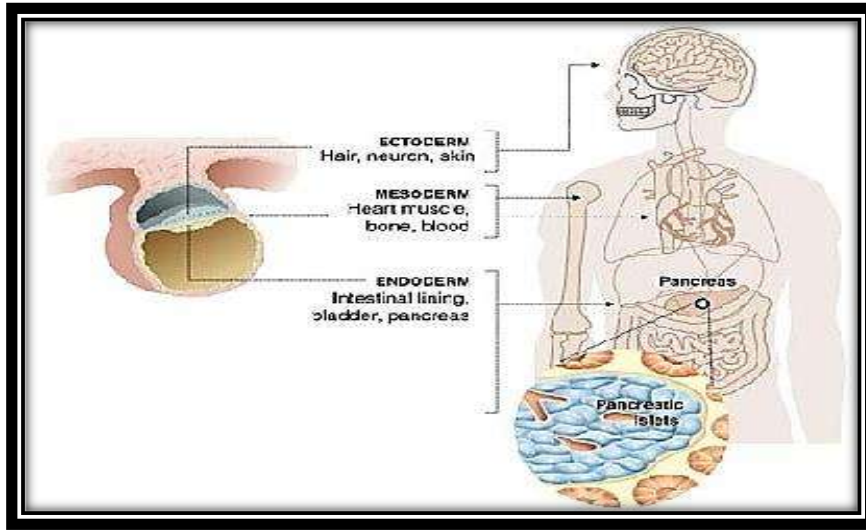
وطور العلقه هو الطور الأ أول فى مرحلة التخليق الجنينى أطوارا ، وقد ذكر فى القرآن فى مواضع عديدة ، قال تعالى (أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) سورة القيامة ، وقال فى سورة سميت بسورة العلق : **خلق الإنسان من علق (2)** سورة العلق ، وهى أول آيات من القرآن الكريم نزلت على قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد لربه عز وجل فى الغار ، والسؤال المهم هل درس النبى محمد صلى الله عليه وسلم معنى العلق؟ وكيف يخلق الإنسان من هذا العلق؟ وهل هذا المعنى لكلمة العلق كان معروفا لمن حوله من علماء الطب أو الحياة

أو البيولوجي من أهل الجزيرة العربية جمعاء أو كان معروفا لدى أعظم حضارتين على وجه الأرض آنذاك وهما حضارتى الفرس والروم؟ فى الحقيقة هذا اللفظ القرآنى ومعناه ومدلوله العلمى لم يكن له سبق دراسة عند النبى صلى الله عليه وسلم ولا عند أهل الطب فى زمانه ، سواء من كانوا حوله من أهل الجزيرة العربية ، أو كانوا بعيدا عنه كعلماء دولتى الفرس والروم ، وهذا يدل على أن القرآن الكريم هو كتاب علم ، وكتاب هداية ، كما أن القرآن الكريم له سبق العلمى منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان مما يشير إلى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم.

وفى هذا الطور يتكون الشريط الأولى الذي هو أول ما يخلق فى الجنين ومن هذا الشريط تتكون الخلايا الأم وأعضاء وأنسجة الجسم المختلفة . وفى نهاية الأسبوع الثالث يضم الشريط الأولى ويتوضع ما يتبقى منه فى المنطقة العصبية بنهاية ذيل العمود الفقري مبقياً على بقايا للخلايا الأم فى هذه المنطقة ، وهذا مصداق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما روى عنه أبو هريرة فى مسند أحمد (كل ابن آدم يبلى ويأكله التراب إلاّ عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) فالخلايا التى تشكل أنسجة وأعضاء الجسم تتوضع فى "عجب الذنب" أي العظم العصبى ومنها خُلق الإنسان ، ومنها يركب يوم ينفخ فى الصور نفخة البعث وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم!

بداية تكوين الخلايا الأم وطبقات الأنسجة

الشريط الأولى Primitive Streak هو أول ما يخلق فى الجنين فى اليوم 14 أو 15 ثم تظهر فيه العقدة الأولية Primitive Node ، ومن هذا الشريط تتكون الخلايا الأم أو ما تسمى بالخلايا الجزعية Stem cells ، ومصادر الأنسجة الرئيسية Mesoderm, Ectoderm, Endoderm التى سوف تشكل أعضاء وأنسجة الجسم المختلفة (شكل 6/16)



شكل(6/16) تتميز الخلايا لتعطى الإكتودرم ، الميزودرم ، الإندودرم لى تشكل الأنسجة والأعضاء وأجهزة الجسم

وفي نهاية الأسبوع 3 يضم الشريط الأولي ويتوضع ما يتبقى منه في المنطقة العجزية - العصصية Sacrococcygeal region ، بنهاية ذيل العمود الفقري ، مبقياً على بقايا للخلايا الأم في هذه المنطقة .

فائدة : عجب الذنب وخلايا أنسجة الجسم

بعض أورام المنطقة العصصية والتي تسمى (الورم متعدد الأنسجة أو الورم العجائبي Teratoma) يمكنها أن تحوي أنسجة مختلفة (عضلات، جلد، غضروف ، عظم وأحياناً أسنان أيضاً) بخلاف الأورام التي تنشأ في مناطق أخرى ، والتي تكون على حساب نسيج واحد م عين. وهذا يدل على أن منشأ الإنسان كان من هذه الخلايا التي تراكمت في عجب الذنب بعد التخليق الذي تم (شكل 7/16)



FIG. 53.—This sacrococcygeal teratoma had taken the shape of a leg (a third leg!) It had rudimentary toes and nails. It was successfully operated on.
(A. C. Bose, MS, FACS, Senior Consultant (Surgery) Armed Forces, India.)



Fig. 3.1.— Sacrococcygeal teratoma usually presents since birth. Rudimentary hand is seen in the tumour which develops from the totipotent cells.



Teratoma often with a large sacrococcygeal teratoma that developed from the primitive streak. The tumor, a teratoma, made up of several different types of tissue, was surgically removed. About 75% of infants with these tumors are female, the males for the undifferentiated teratoma (Courtesy of A.C. Chhabra, MD, Head of Pediatric and Adolescent, Department of Pediatrics and Child Health, Children's Hospital and University of Manitoba, Winnipeg, Manitoba, Canada.)

شكل (7/16) الورم متعدد الأنسجة في المنطقة العصبية ذيل العمود الفقري

هذه الصور العلمية (شكل 7/16) لأبحاث علماء متخصصين في مرض السرطان من دولتي الهند وكندا والتي تشير إلى سرطان المنطقة العصبية والذي يسمى "بالورم متعدد الأنسجة" يحتوى على قدم ولها أصابع وأظافر وتحليل أنواع الخلايا المسببة لهذا السرطان تبين للعلماء أنها خلايا totipotent التي تتميز لتعطي جميع أنسجة وأعضاء الجسم هذه النوع من السرطان متعدد الأنسجة في المنطقة العصبية يشير إلى بقايا الخلايا التي خلق منها الجنين وهذا ما ذكره النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة (كل ابن آدم يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب) إن وجود هذه الخلايا في هذه المنطقة العصبية لدليل صدق لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن عجب الذنب ، وإنه لسبق علمي تفرد به النبي صلى الله عليه وسلم من 1437 سنة ولم يكتشف هذا في العصر الحديث إلا في القرن العشرين وهذا دليل على الإعجاز العلمي أيضا في السنة النبوية المطهرة

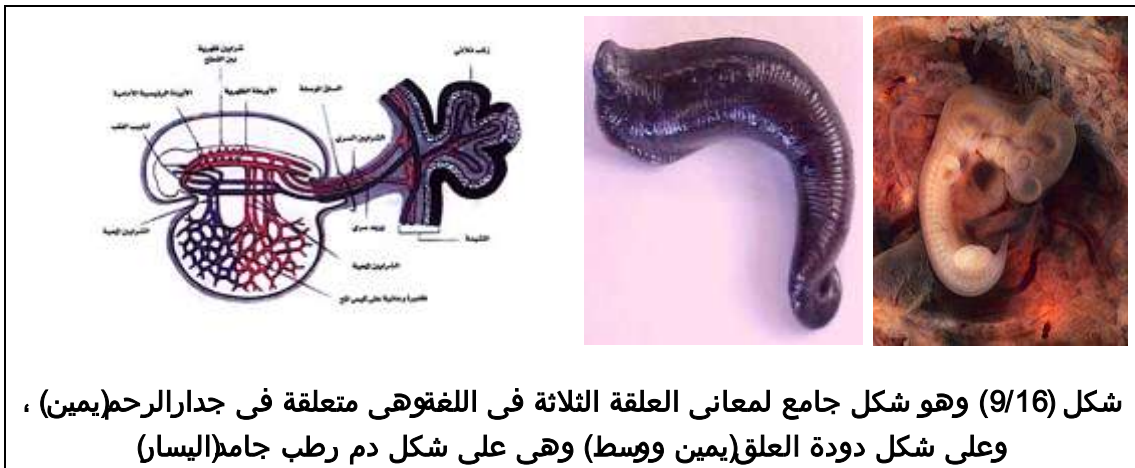
التحول من النطفى إلى العلقه:

أما الفترة الزمنية التي يستغرقها التحول من نطفة إلى علقه ، فإن الجنين خلال مرحلة الانغراس أو الحرث يتحول من مرحلة النطفة ببطء ، إذ يستغرق نحو اسبوع منذ بداية الحرث (اليوم السادس) إلى مرحلة العلقه (شكل 8/16) ، حتى يبدأ في التعلق (اليوم الرابع عشر أو اليوم الخامس عشر) . ويستغرق بدء نمو الحبل الظهري حوالي عشرة أيام حتى يتخذ الجنين مظهر العلقه . والدلالات الواردة في الآيات المذكورة فيما يتعلق بالفترة التي تتحول فيها النطفة إلى علقه تأتي من حرف العطف (ثم) الذي يدل على انقضاء فترة زمنية حتى يتحقق التحول إلى الطور الجديد



شكل (8/16) يبين الكيسة الجرثومية وهي تبدأ في الإنغراس في جدار الرحم لجنين عمره 6 أيام (أعلى) ولجنين عمره 7 أيام (أسفل)

وهذه المعاني جميعها منطبقة تماماً على واقع الجنين البشري في طور العلقة بعد انغراسه في جدار الرحم ، فهو يبدو على شكل دودة العلق Leech كما نرى في (الشكل 9/16) ، وهو متعلق أيضاً بجدار الرحم عن طريق حبل السرة ، وتتشأ بداخله الأوعية الدموية على شكل شبكة جزر مغلقة معطية إياه مظهر علقة الدم المتجمد . ومن هنا نجد أن كلمة علقة في معناها اللغوي قد تحققت في وصف الجنين بهذه الصفة وهي العلقة . وجاءت لفظة (علقة) مطلقة في القرآن الكريم لتشمل المعاني المذكورة التي تقدمت .



شكل (9/16) وهو شكل جامع لمعاني العلقة الثلاثة في اللغوي متعلقة في جدار الرحم (يمين) ، وعلى شكل دودة العلق (يمين ووسط) وهي على شكل دم رطب جامد (اليسار)

- التعبير القرآني (علقه) يعتبر وصفاً متكاملًا دقيقاً عن الطور الأول من المرحلة الثانية لنمو الجنين ، ويتسع اسم (علقه) فيشمل وصف الهيئة العامة للجنين كدودة عالقة ، كما يشمل الأحداث الداخلية كتكون الدماء والأوعية المقفلة. كما يدل لفظ علقه على تعلق الجنين بالمشيمة. وهذا يشير إلى أن المصطلح العلمي للعلقة حقيقة بين العلم والقرآن
- فقد أظهر القرآن الكريم التحول البطيء من النطفة إلى العلقه باستعمال حرف العطف (ثم) الذي يشير إلى الترتيب على التراخي وعلى الفترة الزمنية بين النطفة والعلقة
- خلايا عجب الذنب حقيقة أخرى بين العلم والقرآن
- الحقيقة الثابتة "إن هو إلا وحى يوحى " لتعذر اكتشاف هذا بالعلم فى زمنه صلى الله عليه وسلم مما يدل على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل السابع عشر

طور المضغة

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً

يتم التحول سريعاً من علقه إلى مضغة خلال يومين (من اليوم 24 إلى اليوم 26) لهذا وصف القرآن هذا التحول السريع باستخدام حرف العطف(الفلم) الذي يفيد التتابع السريع للأحداث قال تعالى (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً (14) سورة المؤمنون. إن حروف العطف المختلفة في الرآن الكريم لها دلالات بيانية إعجازية عكست اختلاف المراحل الجنينية.

المعنى اللغوي لكلمة مضغة :

المضغة فى اللغة تأتى بمعان متعددة

1- شئ لآكته الأسنان أى شئ ممضوغ ، وذلك نظراً للعديد من الفلقات (الكتل البدنية) التى تتكون ، فإن الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة عليها طبقات أسنان واضحة ، فهو مضغة أى قطعة لحم صغيرة ممضوغة .

2- وذكر عدد من المفسرين أن المضغة فى حجم ما يمكن مضغه . وما ذكره بعض المفسرين للمضغة (فى حجم ما يمكن مضغه) فإنه ينطبق ثانية على حجم الجنين ، ففى نهاية هذا الطور يكون طول الجنين (1سم) وهذا تقريباً أصغر حجم لمادة يمكن أن تلوكلها الأسنان .

وأما طور العلقة السابق فقد كان الحجم صغيراً إذ يبلغ (3.5مم) طولاً ، وينتهي طور المضغة بنهاية الاسبوع السادس. ولا تكون العلقة فى حجم المضغة . ولا تميز الفلقات إلى خلايا تتطور إلى أعضاء مختلفة ، وبعض هذه الاعضاء والاجهزة تتكون فى مرحلة المضغة ، والبعض الاخر فى مراحل لاحقة . وإلى هذا المعنى تشير الآية القرآنية الكريمة ﴿...ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ..﴾ (5) سورة الحج آية.

3- والمعنى الثالث لكلمة مضغة هو تغييرها السريع فى الشكل من حال إلى حال ، وهذا جلى واضح من خلال ظهور الفلقات التى تعطى مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان فى المادة الممضوغة ، وتبدو وأنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان فى شكل مادة تمضغ حين لوك ها- وذلك للتغير السريع فى شكل الجنين - ولكن آثار الطبع أو المضع تستمر ملازمة . وقد أوضح علم الأجنة الحديث مدى الدقة فى اختيار تسمية (مضغة) بهذا المعنى ، إذ وجد أنه بعد تخلق الجنين والمشيمة فى هذه المرحلة يتلقى الجنين غذاءه وطاقته ، وتزايد عملية النمو بسرعة ، ويبدأ ظهور الكتل البنية المسماة فلقات التى تتكون منها العظام والعضلات . ويحدد القرآن الكريم أن العظام تبدأ بعد مرحلة المضغة ثم تكسى العظام بالعضلات. وهذا ما يقرره علم الاجنة الحديث .

فخلقنا العلقة مضغة:

وتبدأ العلقة فى أخذ شكل المضغة الذى ينتهى بدوره بانتشار الهيكل العظمى فى اوائل الاسبوع السابع . وهكذا نجد امامنا مراحل محددة البداية والنهاية ، واسماء معبرة عن الشكل ، واهم الاحداث . وينتهى طور المضغة بنهاية الاسبوع السادس. ومعرفة هذه الحقائق فى القرنين الآخريين كان مستحيلا فضلا عن استحالتها قبل 1437 عام. ويحدد القرآن الكريم أن العظام تبدأ بعد مرحلة المضغة ثم تكسى العظام بالعضلات. وهذا ما يقرره علم الاجنة الحديث.

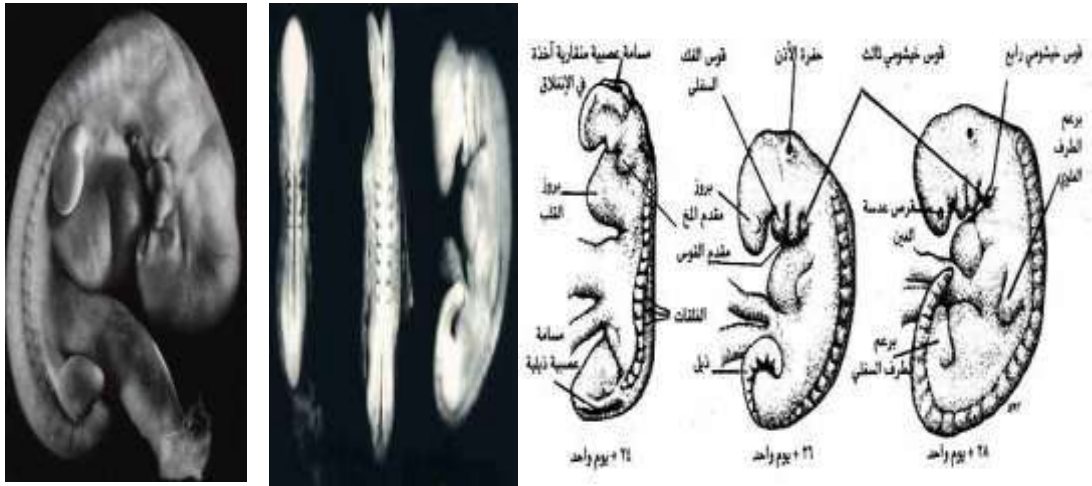
ويمكن إدراك تطابق مصطلح "مضغة" لوصف العمليات الجارية فى هذا الطور فى النقاط التالية:

1. ظهور الفلقات التى تعطى مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان فى المادة الممضوغة ، وتبدو وأنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان فى شكل مادة تمضغ وذلك للتغير السريع فى شكل الجنين - ولكن آثار الطبع أو المضع

تستمر ملازمة. فالجنين يتغير شكله الكلي، ولكن التركيبات المتكونة من الفلقات تبقى. وكما أن المادة التي تلوكها الأسنان يحدث بها تغضن وانتفاخات وتثنيات فإن ذلك يحدث للجنين تمامًا انظر(شكل 1/17)

2. تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكون أنسجة جديدة، ويشبه ذلك تغير وضع وشكل المادة حينما تلوكها الأسنان . وكما تستدير المادة الممضوغة قبل أن تبتلع، فإن ظهر الجنين ينحني ويصبح مقوساً شبه مستدير مثل حرف (C) بالإنجليزية.

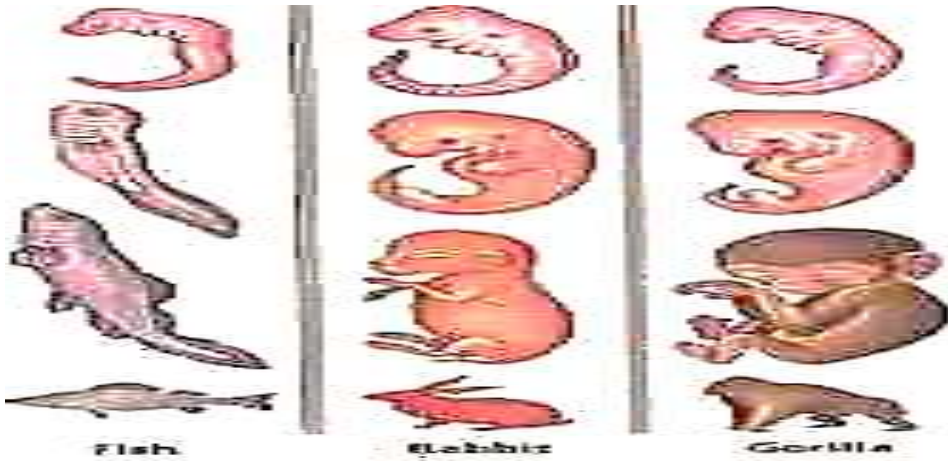
3. ويكون طول الجنين حوالي (1) سم في نهاية هذه المرحلة ، وذلك مطابق للوجه الثاني من معاني كلمة مضغة وهو (الشيء الصغير من المادة) وهذا المعنى ينطبق على حجم الجنين الصغير. لأن جميع أجهزة الإنسان تتخلق في مرحلة المضغة ولكن في صورة بلعوم.



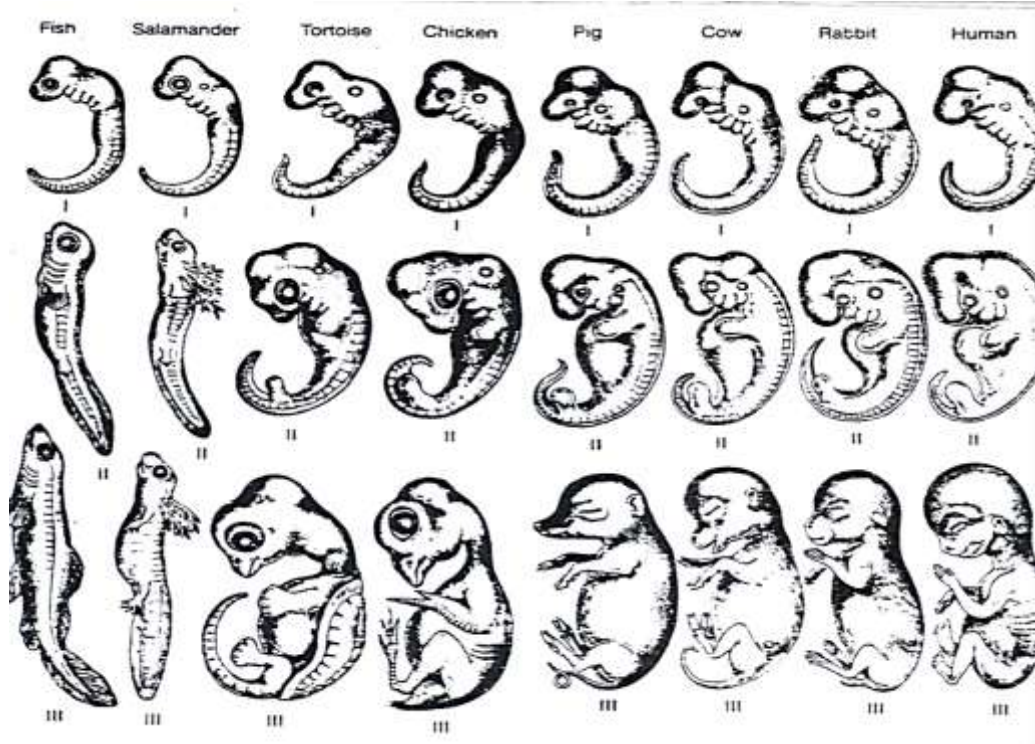
شكل (1/17) طور الجنين في مرحلة المضغة وبه تنوعات وبروزات (شكل توضيحي) وسط ويسار صورة من تحت الميكروسكوب الإلكتروني

تشابه المضغة في أجنة الحيوان والانسان:

ومن العجيب أنه في هذا الطور وهو طور المضغة في جميع أجنة المخلوقات فإنها تتشابه (شكل 2/17) ولا يمكن بحال من الأحوال التمييز بينهم مع اختلاف اجناسهم



شكل (2/17) تشابه المضغة في أجنة السمك ، الأرانب، الغوريلا كما في أعلى الصورة وتميزها بعد ذلك



http://ripewithbaby.blogspot.com.eg/2010_07_04_archive.html

شكل(3/17) عدم التفرقة بين أجنة الحيوانات المختلفة في مرحلة المضغة بينما يتم التفرقة بينها بعد مرحلة العظام وكسوة العظام باللحم

الخلاصة:

يبدأ طور العلقة بتعلق الجنين بالمشيمة ، وبأخذ في تعلقه واستطالته شكل العلقة. وينتهي هذا الطور بالنمو السريع لخلايا الجنين في عدة اتجاهات، وتبدأ العلقة في أخذ شكل المضغة الذي ينتهي بدوره بانتشار الهيكل العظمي في أوائل الأسبوع السابع

وإذا تأمل الإنسان الأطوار السابقة يجد أن مراحلها قصيرة جداً ولا يمكن الحصول على الأجنة خلالها سليمة إلا بوسائل علمية دقيقة كان من المستحيل تيسرها في وقت نزول القرآن الكريم ، وما كان يخرج منها في حالات الإجهاض على هيئة سقط مبكر يخرج في كمية من الدماء، وقد تمزق إلى أجزاء دقيقة لا تعطي مظهراً يمكن دراسته فضلاً على أن تلك الأجيال لم يكن في إمكانها أن تعلم أن هذه الدماء تحمل سقطاً من جنين، لأن معرفة حدوث الحمل لم تكن حتى عهد قريب متحققة في الأسابيع الأولى التي تحدث فيها هذه الأطوار للجنين.

وهكذا تعتبر هذه الأوصاف القرآنية دلالات واضحة على أن هذه الحقائق العلمية جاءت للرسول محمد صلى الله عليه وسلم من الله سبحانه وتعالى

أوجه الإعجاز العلمى فى المضغة:

- 1 - ما ذكره علماء الأجنة من ظهور الفلقات التي تعطي مظهراً يشبه مظهر طبع الأسنان في المادة الممضوغة متحقق في معنى كلمة مضغة.
- 2 - أن المادة التي تلوكها الأسنان يحدث بها تغضن وانتفاخات وتثنيات فإن ذلك يحدث للجنين تماماً
- 3 - تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكون أنسجة جديدة ، وبشبه ذلك تغير وضع وشكل المادة حينما تلوكها الأسنان

وكل هذه المعانى الدقيقة تحتويها كلمة "مضغة" مما يشير إلى دقة اللفظ القرآنى ويشير أيضا إلى الإعجاز اللغوى لألفاظ القرآن الكريم ، كما يشير إلى الإعجاز العلمى فيه

الفصل الثامن عشر

طور العظام

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا

يتكون طور العظام من المضغة ، ويبدأ طور العظام مع بداية الأسبوع السابع حيث يبدأ الهيكل العظمي الغضروفي في الانتشار في الجسم كله فيأخذ الجنين شكل الهيكل العظمي وتكوُّن العظام هو أبرز شيء في هذا الطور حيث يتم الانتقال من شكل المضغة الذي لا ترى فيه ملامح الصورة الآدمية إلى بداية شكل الهيكل العظمي في فترة زمنية وجيزة، وهذا الهيكل العظمي هو الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي ومصطلح العظام الذي أطلقه القرآن الكريم على هذا الطور هو المصطلح الذي يعبر عن هذه المرحلة من حياة الحُميل تعبيراً دقيقاً يشمل المظهر الخارجي، وهو أهم تغيير في البناء الداخلي وما يصاحبه من علاقات جديدة بين أجزاء الجسم واستواء في مظهر الحُميل ويتميز بوضوح عن طور المضغة الذي قبله، قال تعالى : (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا 14) سورة المؤمنون.

رأى علماء التفسير في هذه الآية :

قال ابن كثير⁽⁸⁶⁾ في قوله تعالى " **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا** " : يعني شكلناها ذات رأس وبدين ورجلين بعظامها وعصبتها وعروقها ، وقال الشوكاني⁽⁸⁷⁾ : أي جعلها الله سبحانه وتعالى متصلبة لتكون عمودا للبدن على أشكال مخصوصة ، وقال الألوسي⁽⁸⁸⁾ : وذلك التصيير بالتصليب بما يراد جعله عظاما من المضغة وهذا تصيير بحسب الوصف ؛ وحقيقته إزالة الصورة الأولى عن المادة وإفاضة صورة أخرى عليها .

بداية تكون العظام

وفي الأسبوع السابع يشهد مرحلة انتشار الهيكل العظمي في جسم الجنين ، ويبدأ نمو عظام الأطراف في براعم العظام الجنينية من خلايا النسيج الأوسط ، وتظهر مراكز التعظم الابتدائي في الفخذ خلال الأسبوع السابع ، وفي القص والفك خلال الأسبوعين الثامن والتاسع . إن هذه العظام التي تتكون في المرحلة الجنينية هي التي يكتمل نموها حتى سن العشرين مع عدم التغيير في الشكل حتى نرى الهيكل العظمي بصورته النهائية في الإنسان البالغ (شكل 1/18)



شكل (1/18) الهيكل العظمي الغضروفي لجنين عمره ثمانية أسابيع (يمين) والهيكل العظمي لإنسان بالغ (يسار)

تركيب الجهاز الهيكلي:

⁸⁶ تفسير ابن كثير(251/3).

⁸⁷ فتح القدير للإمام الشوكاني(483/3).

⁸⁸ روح المعاني للإمام الألوسي(21/10)

إن عدد عظام الهيكل العظمي (206) عظمة في الإنسان البالغ. ويتكون الهيكل العظمي من جزأين رئيسيين وهما:

أولاً- الهيكل المحوري: ويتكون من الجمجمة ، والعمود الفقري ، والأضلاع ، والقص

ثانياً- الهيكل الطرفي: ويتكون من عظام كل من الطرف العلوي ، والطرف السفلي ، وعظام الكتف ، وعظام الحوض

و تشمل عظام الهيكل العظمي على التالي: (6) عظام الخاصة بالأذن ، (22) عظمة موجودة في الجمجمة ، (1) العظم اللامي ، (51) عظمة موجودة في العمود الفقري (الأضلاع والقص) ، (64) عظمة موجودة في الذراعان واليدان ، (62) عظمة تتواجد في الساقان والقدمان ، ويمكن للعدد أن يختلف من إنسان إلى آخر حسب عدد العظام الصغيرة التي تلتحم سوياً.

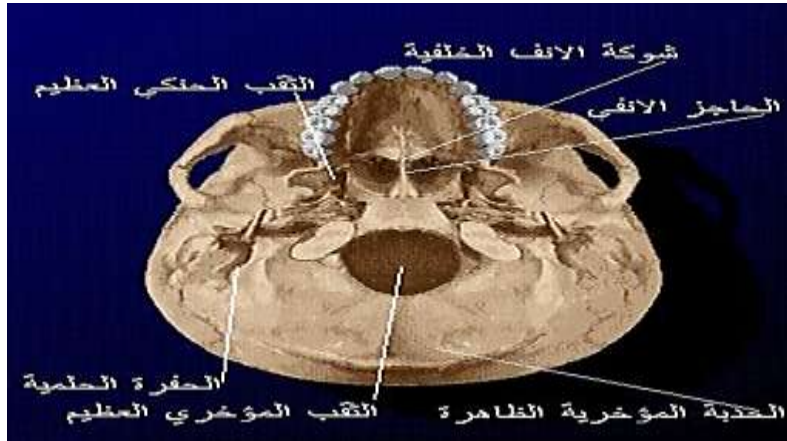
وهذه العظام يمكن أن تقسم إلى مجموعتين : الثمانون عظمة للهيكل العظمي المحوري تشكل المحور العمودي للجسم ، وتتضمن عظام الرأس ، العمود الفقري والأضلاع وعظم القص.

والهيكل العظمي الطرفي ويشمل 126 عظمة ويتضمن العظام الحرة ووصلاتها إلى الهيكل العظمي المحوري . العظام الحرة هي الأطراف العليا والسفلى ، وملحقاتهم التي تدعى الأحزمة . و يترابط الهيكل العظمي بواسطة الارتباطة و الاوتار و العضلات و الغضاريف .

عظام الجمجمة:

وهي مجموعة عظمية منحنية بشكل تؤدي إلى فراغا بداخلها، وتتكون من 28 عظمة ، متصلة معا بمفاصل ثابتة تسمى درزات تسمح بمقدار ضئيل من الحركة وتسمح بنمو الرأس عند الأطفال ، ويوجد في المنطقة السفلى من الجمجمة فتحة يمر عبرها النخاع الشوكي ليصل إلى الدماغ يسمى الثقب العظمي (شكل

(2/18)



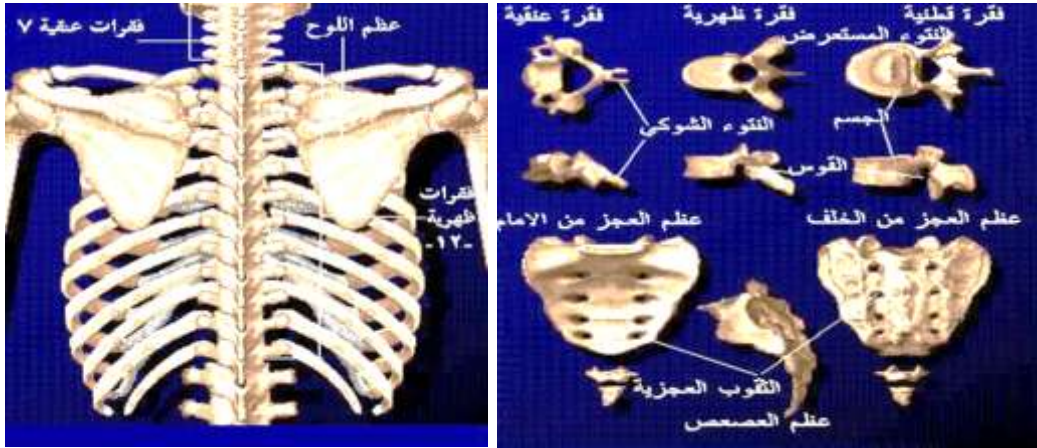
شكل (2/18) يبين عظم الجمجمة

الخلايا العظمية والنسيج العظمي

يحتوى العظم في الجسم البشري نوعان اثنان من أنواع النسيج العظمي :
 العظم المكتنز ، والعظم الإسفنجي. وتشير الأسماء إلى أن نوعية الإثنان تختلف في كثافة النسيج العظمي ، أو مقدار اكتظاظ النسيج داخل العظم . وهناك ثلاثة أنواع من الخلايا التي تساهم في عملية نمو العظم . أوستيوبلاستس Osteoblasts وهي خلايا إنتاج العظم ، أوستيوكلاستس osteoclasts وهي خلايا ماصة أو محطمة للعظم ، وأوستوسايتس osteocytes وهي خلايا عظمية بالغمة . والتوازن بين الأوستيوبلاستس والأوستيوكلاستس يحافظ على النسيج العظمي.

عظام العمود الفقري:

يشكل العمود الفقري الدعامة الرئيسية للجسم البشري ويمتد طوليا في منطقة الجذع ، ويتكون من فقرات فوق بعضها البعض ، وبه 24 فقرة متصلة مفصليا بالفقرات التي تسبقا وتليها ، مما يسمح لها بالحركة ، ومنها الفقرات العنقية (7) الفقرات الصدرية (12) ، الفقرات القطنية (5) ، وعظمة العجز (خمسة فقرات ملتحمة ، وعظمة العصعص (أربعة فقرات عصعصية ملتحمة) ، فيكون المجموع الكامل للفقرات في العمود الفقري 33 فقرة (شكل 3/18)



شكل (3/18) يبين عظام الفقرات والقفس الصدري

عظام القفس الصدري:

يتكون القفس الصدري من مجموعة من الأضلاع ترتبط بعظمة القص من الأمام وفقرات العمود الفقري من الخلف شكل (4/18)، والغرض منها حماية التجويف الصدري (القلب والرئتين) وإعطاء مجال للحركة من أجل التنفس.



شكل (4/18) يبين القفس الصدري وبلاخه القلب والرئتين

أشكال العظم:

للعظام أشكال مختلفة منها العظام الطويلة Long bones وهى طويلة نسبيا ورفيعة ، وتوجد في مناطق عدة مثل الذراعين والفخذين ، وتعد عظمة الفخذ أكبر وأثقل عظام الجسم. والعظام القصيرة Short bones وهى تشبه الصندوق

في مظهرها الخارجي ، مثل عظام الرسغ والكاحل . **Flat** والعظام المسطحة **bone** وسطحها رقيق ومستو وخشن مثل عظمة القص ، ولوح الكتف ، وسطح الجمجمة. **irregular bones** والعظام الغير منتظمة وأشكالها وسطوحها صلبة ومن الأمثلة عليها : فقرات العمود الفقري والعديد من عظام الجمجمة. **العظام السمسامية Selsamoid bone** وهى عظام مسطحة صغيرة تشبه بذور السمسم تقع بالقرب من الأربطة والمفاصل كما في عظام الرضفة في الركبة. **العظام المسننة Sutural bones** عظام صغيرة ومسطحة أشكالها غير منتظمة تقع بين عظام الجمجمة المسطحة و حوافها مسننة بحيث تتداخل مع بعضها.

وظيفة العظم:

العظام الطويلة تكون متصلة بالعضلات الهيكلية بالأوتار . وترتبط العظام بعضها ببعض بواسطة المفاصل والتي ترتبط بالأربطة. ويوجد نخاع العظم الاحمر في المادة الخلوية للعظم الاسفنجي ، مما يسمح للعظم من إنتاج خلايا الدم الحمراء. وأيضاً يوجد نخاع العظم الأبيض في ساق العظام، ويقوم بتوليد خلايا الدم البيضاء. وتعمل العظام على تقوية الجسم كما يعطى الهيكل العظمي للإنسان شكله المميز وهو اعتدال القامة . كما تعمل العظام على اتصال الهيكل العظمي بالعضلات و الأربطة و الأوتار .وتساعد العظام على الحركة حيث أن الهيكل العظمي هو محور الحركة في جسم الإنسان . كما يوفر الهيكل العظمي الحماية للأعضاء الحيوية كالمخ داخل الجمجمة . ومن أهم فوائد العظام تكوين الدم حيث يتم تكوين كرات الدم الحمراء فى العظم الاسفنجى وكرات الدم البيضاء فى النخاع الأبيض للعظام وكل هذا يتم داخل العظم . ويقوم العظم بتخزين الأملاح كالكالسيوم والفوسفور وغيرها .

التوجيه العلمى فى خلق العظام وكسوتها باللحم

وردت في القرآن الكريم مصطلحات محددة لوصف المراحل المختلفة . ويعتبر شكل الجنين سبباً من أسباب اختيار المصطلح المستخدم لكل مرحلة . وعلى سبيل المثال: تصيح النطفة علقه ، حينما تفقد مظهرها الذي يشبه النطفة . وتصيح العلقه مضغة ، وفقاً للتغير في شكلها . والطور الذي يلي المضغة هو طور العظام لأن الجنين يأخذ شكل العظام بانتشار الهيكل العظمي في هذا الطور .

وبشير حرف العطف (الفاء) في الآية الكريمة إلى أن طور العظام ينمو بعد طور المضغة بفترة قصيرة . وبينما يستمر طور المضغة حتى الأسبوع السادس تقريباً فإن طور العظام يظهر في بداية الأسبوع السابع بتطور الهيكل العظمي الغضروفي.

وحول هذه الأمور روى حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا مر بالنطفة ثتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها) (89) صدقت يا سيدي يا رسول الله فإن علم الأجنة يشهد لك ، ويؤكد صدق حديثك ، صلى الله عليك وسلم .

ويتخذ الجنين في بدء طور العظام المظهر الإنساني الذي يميزه عن غيره من الأجنة ، كما يصف الحديث الشريف ذلك بكلمة "صورها". ويصعب قبل اليوم الثاني والأربعين تمييز الجنين البشري عن أجنة كثير من الحيوانات كما بينت من قبل . إلا أن صورته الآدمية تكون واضحة في نهاية الأسبوع السادس أي في اليوم الثاني والأربعين من الحمل ، وهذا ما أكدته علم الأجنة الحديث الذي أكد صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويتم الانتقال من شكل المضغة إلى بداية شكل الهيكل العظمي في فترة زمنية وجيزة خلال نهاية الأسبوع السادس وبداية الأسبوع السابع ، ولا تتجاوز أيام قليلة خلال نهاية الأسبوع السادس (ولهذا استعمل حرف العطف (الفاء) الذي يفيد التابع السريع)، ويتميز هذا الطور بظهور الهيكل العظمي الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي. فيتكون الهيكل العظمي الأولى من الغضروف ، ثم يحل العظم محل الغضروف ، وتحيط طبقة من الأنسجة الضامة - تسمى غشاء الغضروف - بنموذج الغضروف (أو السمحاق الذي يغلف العظام)، ويكون بمثابة خزان للخلايا الأصول (الجزعات الغضروفية أو الجزعات العظمية) عند نمو هذه الأنسجة.

إن مصطلح العظام الذي أطلقه القرآن الكريم على هذا الطور هو المصطلح الذي يعبر عن هذه المرحلة من حياة الجنين تعبيراً دقيقاً يشمل المظهر الخارجي، وهو أهم تغيير في البناء الداخلي وما يصاحبه من علاقات جديدة بين

(89) صحيح الإمام مسلم

أجزاء الجسم واستواء في مظهر الجنين ويتميز بوضوح عن طور المضغة الذي قبله ، قال تعالى: (**فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** 14) سورة المؤمنون. وهذا الهيكل العظمي هو الذي يعطي الجنين مظهره الآدمي بعد أن يكسى باللحم (العضلات) وتظهر العينان والشفتان والأنف وكون الرأس قد تمايز عن الجذع والأطراف ، وهذا مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إذا مرّ بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يا ربّ أذكر أم أنثى) صحيح مسلم . وبعد أن يمر على النطفة 42 ليلة (6 أسابيع) يبدأ التصوير فيها لأخذ الشكل الآدمي بظهور الهيكل العظمي الغضروفي ، ثم تبدأ الأعضاء التناسلية الظاهرة بالظهور في الأسبوع العاشر .

وينجم عن هذه العملية تكون الأعضاء وتهيئتها اللازمة للحياة . وبصبح سطح الجسم أكثر استواءً في طور العظام ، ويتخذ في هذا الطور مظهراً أكثر استقامة كما ورد في القرآن الكريم ﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** 7) سورة الانفطار .

الإعجاز العلمى فى طور تخليق العظام:

أولاً: هذا النص القرآني (**فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا**) يبين أن طور العظام يأتي بعد طور المضغة وهذه حقيقة علمية اجتمع عليها علماء الأجنة ، وأن المضغة قد تطورت لديها عناصر هيكلية . ثانياً: أن المضغة مفردة لأن تشكيلها فى ذلك الوقت لا يوحى بأى تطور فى الأعضاء وإنما هى كقطعة اللحم الممضوغة . ثالثاً: يشير اللفظ (عظاما) إلى الجمع مما يؤكد توافر العديد من العظام فى هذا الطور وهذا ما أكده رائد علم الأجنة كيث مور⁽⁹⁰⁾.

ونعود ونقول هل درس النبى محمد صلى الله عليه وسلم علم الأجنة حتى يقول هذا الكلام العلمى المعجز . وبسبق علماء القرن العشرين بهذه المصطلحات العلمية الدقيق؟.

إن هذا الكلام العلمى المعجز فى زمن لم تتوفر فيه أدوات البحث العلمى يدل دلالة صادقة على أن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين الذى أوحاه إلى

⁽⁹⁰⁾ كيث مور فى كتابه تطور خلق الإنسان

رسوله الكريم. ولذلك رد الله عز وجل على افتراءات المكذبين والمعاندين بأبلغ رد يفحم الخصم قال تعالى: **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105) سورة النحل . وقال تعالى فى سورة الشعراء: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) يَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201) قِيَاتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (203) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) . إنه أعظم رد على المكذبين الكافرين المعاندين ، بين الله عز وجل فيه علامات صدق هذا الكتاب العظيم وهى : أنه تنزيل رب العالمين ، فما استطاع أحد أن يأتي بمثله من الإنس أو الجن أو جميعهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وبالرغم من أن آيات التحدى كثيرة وما استطاعوا أن يأتوا بأبسط شىء يتحدى به ولو آية واحدة ، والذي نزل به هو الروح الأمين جبريل عليه السلام المؤمن على كل حرف فيه ، وإن ما تضمنه هذا الكتاب من عقائد وشرائع موجود فى كتب الأولين فلو كان عندهم ما يخالفه لبيئوه فى وقته تكذيبا به لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ولكنهم ما فعلوا فدل ذلك على تصديق الكتاب السابقة له وتصديقه لهم لأن المصدر واحد وهو رب العالمين ، وإن علماء بنى اسرائيل من الأخبار والرهبان والقساوسة ليعلمون صدقه.**

إن القرآن الكريم كتاب علم وهداية للناس أجمعين ، فبالعلم يهتدى الناس إلى خالقهم عز وجل تقدست اسماءه الحسنی وصفاته العليا.

الفصل التاسع عشر

فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا

يبدأ هذا الطور بكسوة العظام باللحم ، و يبدأ الجنين الطور الأخير من مرحلة التخليق وهو كساء العظم باللحم ، وفي هذا الطور يزداد تشكل الجنين على هيئة أخص . قال ابن كثير في قوله تعالى : (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) : أي جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه . وقال الشوكاني : أي أنبت الله سبحانه على كل عظم لحما على المقدار الذي يليق به ويناسبه

الحقائق العلمية الثابتة في مصطلح الكساء باللحم:

يتميز هذا الطور بانتشار العضلات (Muscles) حول العظام وإحاطتها بها، ويتمام كساء العظم باللحم تبدأ الصورة الآدمية بالاعتدال فترتبط أجزاء الجسم بعلاقات أكثر تناسقاً ، وبعد تمام تكوين العضلات يمكن للجنين أن يتحرك . تبدأ مرحلة تكوين العضلات في نهاية الأسبوع السابع، وتأتي عقب طور العظام مباشرةً وخلال فترة وجيزة وتستمر طوال الأسبوع الثامن.

تأملات قرآنية:

تبدأ مرحلة كساء العظام باللحم في نهاية الأسبوع السابع وتستمر إلى نهاية الأسبوع الثامن (شكل 1/19 يمين)، وتأتي عقب طور العظام كما بين ذلك القرآن الكريم في قوله - تعالى - (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) (14) سورة المؤمنون. ويعتبر هذا الطور الذي ينتهي بنهاية الأسبوع الثامن نهاية مرحلة التخلق، كما اصطلح علماء الأجنة على اعتبار نهاية الأسبوع الثامن نهاية لمرحلة الجنين Embryo، ثم تأتي بعدها مرحلة الحُميل الخاصة Foetus التي توافق

مرحلة النشأة الآخرة ، كما جاء في قوله - تعالى - : "فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ
أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(14) سورة المؤمنون.



شكل (1/19) يبين كسوة العظام باللحم في المرحلة الجنينية وفيها تتشكل الحزم
العظمية بكل أنحاء الجسم وهذه العضلات الضعيفة هي التي تقوى وتحدد كما في حالة
رجال كمال الأجسام (يسار)

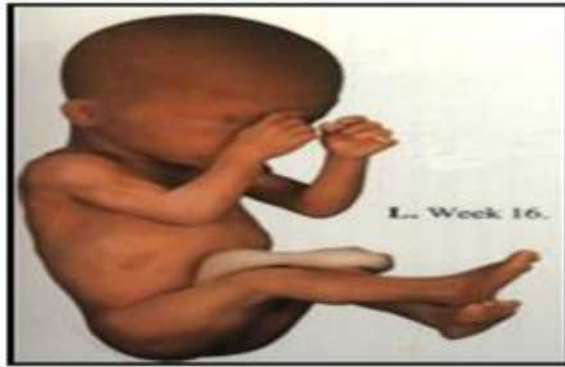
نعم تلي مرحلة العظام مرحلة أخرى تتميز عنها بكساء الهيكل العظمي باللحم
من جميع جوانبه ، فتتعدل الصورة الآدمية للجنين ، وتتناسق الأعضاء بصورة أدق
، وبذلك يبدأ الجنين بالحركة في نهاية الأسبوع الثامن . وهذه مرحلة متميزة عن
مرحلة العظام في التركيب والتناسق والصورة ، وقدرة الجنين على الحركة .

إن عدد عضلات جسم الإنسان 639 عضلة (شكل 2/19) كما هو واضح في
عضلات رجال كمال الأجسام ، وهي عضلات مختلفة في الشكل والحجم ، وأن
أقوى هذه العضلات هي العضلة الماضغة بين الفكين وليس عضلة الساعد . وأن
أكبر هذه العضلات هي عضلة الفخذ.



شكل (2/19) يبين عضلات الإنسان بشكل واضح خصوصا عند رجال كمل الأجسام

والإنسان عندما يضحك يحرك 16 عضلة. كل هذه العضلات تتخذ موضعها المناسب لها وشكلها وربطها بالعظام دون تداخل بين عضلة وأخرى . وتتمو هذه العضلات مع نمو الجنين حتى خروجه طفلا وتزداد نموا وصلابة يوما بعد يوم حتى سن البلوغ ثم تضعف وتترهل في مرحلة الشيخوخة .



شكل(3/19) جنين عمره 13 أسبوع(يمين) و جنين عمره 16 اسبوع(يسار) وتظهر عليهما عضلات الفخذاليد والساق بوضوح

وهكذا جاء النص القرآني دالاً على التتابع السريع بين المرحلتين باستعمال حرف العطف (الفاء) الذي يفيد تعاقب الأحداث التي يربط بينها . وتشير الآية الكريمة أيضاً إلى أن مرحلة الكساء باللحم تمثل نهاية لمرحلة من مراحل نمو الجنين ، لتبدأ بعدها مرحلة النشأة الآخرة بفترة من الزمن يدل عليها استعمال حرف العطف (ثم) الدال على الترتيب والتراخي في الزمن بين الأفعال التي يربط بينها . وكل ذلك قد دلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَقْنَا

الْمُضَعَّةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَ لُقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ(14)

التوجيه العلمى:

إن علم الأجنة والوصف الدقيق لمراحل تطور الجنين لم يتوفر للعلماء المتخصصين الا في النصف الثاني من القرن العشرين باستخدام المجاهر الضوئية القوية والتحليل الهيستولوجي المختص . أما ما يراه العوام وما لا يرونه بالعين المجردة فلا يبنى عليه شيء لأنها لا تأتي بأدق التفاصيل . وفي الأسبوع السابع يكون حجم الجنين 18 ملليمتر أي أقل من 2 سنتيمتر، اما الأسبوع الثامن فيكون حجم الجنين فيه 30 ملليمتر أي 3 سنتيمترات مع العلم أن الجنين في الأسبوع الثامن يكون قد تكون بالفعل وأصبح مميز الشكل وتشكلت أغلب أعضائه وكسي بالعضلات.

فالجهاز الهيكلى للجنين يتكون على مرحلتين : المرحلة الأولى ظهور الهيكل العظمى الغضروفى فى الأسبوع السادس ، و انتشار الهيكل العظمى skelatal system فى الأسبوع السابع ، والمرحلة الثانية هجرة الخلايا الاولى للعضلات والتفافها حول تكوينات العظام كاسية لها مشكلة ما يسمى الجهاز العضلي muscular system ابتداءا من منتصف الأسبوع السابع للجنين وحتى بداية الأسبوع الثامن .

وتشكل العضلات الارادية بعد انتشار الهيكل العظمى فى الجسم لم يعد سرا علميا فى القرن العشرين وسنقل ذلك من أشهر كتب علم الاجنة فى العالم . يقول كيث مور فى كتابه تطور الإنسان(91)

(91) Moore, Developing Human, 6. edition, 1998 ملاحظة هامة : كتاب كيث مور حول تطور الجنين البشري بيعت منه ملايين النسخ وهو فى الطبعة الثانية عشرة و يتم تدريسه فى جميع جامعات العالم لطلبة الطب والأحياء ومرجع هام لأساتذة الطب فى أمريكا وبريطانيا

During the seventh week, the skeleton begins to spread throughout the body and the bones take their familiar shapes. At the end of the seventh week and during the eighth week the muscles take their positions around the bone.

وترجمة هذا الكلام إلى العربية معناه : [أثناء الأسبوع السابع يبدأ الهيكل العظمى بالإنتشار خلال الجسم ، وتأخذ العظام أشكالها المألوفة ، وفى نهاية الأسبوع السابع وأثناء الأسبوع الثامن تأخذ العضلات موقعها حول تكوينات العظام

وفى كتاب علم الأجنة الطبى (92) يقسم الكاتب تشكل الجهاز الهيكلي للجنين الى مرحلتين وخصص فصلا كاملا لتشكيل الجهاز العظمي الذي يبدأ في بداية الأسبوع السادس ويقول: نجد أن البراعم الطرفية التي تُكوّن العظام : تتحوّل إلى غضاريف واضحة منذ الأسبوع السادس

وفى الفصل التالى له يقول المؤلف: أن أول بداية لظهور الجهاز العضلي يكون ابتداء من الأسبوع السابع

by the 6th week of the developpement the first hyaline cartilage models foreshadowing the bone of the extrimities,are formed by this chondrocytes The first indication of limb musculater is observed in seventh week of developement as condensation of mesenchyme near the base of the limb bud

وفى الكتاب الشهيراً سس علم الجنين البشري (93) نجد "مباشرة بعد تشكل الهيكل الغضروفي للعظام تبدأ الخلايا الأولية للعضلات بتشكيل العضلات "

⁽⁹²⁾ <http://site.iugaza.edu.ps/ealattar/f...gy-Langman.pdf> .Langman,Medical Embryology 9th edition,2003 وهو من أشهر كتب علم الأجنة في العالم بعد كتاب كيث مور وقد نفذت منه ملايين النسخ وهو فى الطبعة الخامسة عشرة ويدرس في جميع الجامعات العالمية ومصدر للطلاب وأساتذة الطب ⁽⁹³⁾ John Allan and Beverley Kramer, The Fundamentals of Human Embryology. 2nd Edition. University Press. 2010, page 148

Soon after the cartilaginous models of the bones have been established, the myogenic cells, which have now become myoblasts, aggregate to form muscle masses on the ventral [front] and dorsal [back or posterior] aspects of the limbs

وكل دارس للطب يعلم أن لكل عضل موضعان على جزء العظم الذي تكسوه، والموضع الأول يطلق عليه origin وهى تعني : المنشأ وهو مكان نشأة العضلة على العظم ، والموضع الثانى يطلق عليه insertion وهى تعنى المكان الذي تنتهي إليه العضلة على جزء العظمة فتكسوها وعندما تتقبض تسبب حركة معينة

أوجه الإعجاز العلمى:

إن إستخدام مصطلحي عظام (الهيكل العظمي) ولحم (العضلات) يبين بوضوح السمات الرئيسية للأسبوعين السابع والثامن على التوالي . وهما يتسمان بفترتي تكوين العظام ، وتكوين العضلات ، ويصفان هذين الطورين بلغة واضحة بعيدة عن الغموض . ويستطيع المرء أن يبحث في القرآن الكريم ليجد أول وصف تفصيلي للجنين حسب أطوار التخلق وأحداث النمو ، وكان للقرآن الكريم السبق العلمى فى هذا المجال حيث قد سبق باربعة عشر قرنا من الزمان تلك المعلومات التي لم تتوصل إليها إلا حديثاً فى القرن العشرين عن طريق جهود الكثيرين من العلماء والباحثين . وبعد أن تيسر للإنسان استخدام أدق الأجهزة والآلات التي لم تتوفر للإنسان إلا فى عصرنا الحاضر.

إن هذا الكلام المعجز فى زمن لم تتوفر فيه أدوات العلم لكشف م راحل وأطوار خلق الجنين بهذه الصورة الدقيقة لدليل صدق على أن القرآن الكريم هو وحى من الله العليم الخبير ودليل صدق على رسالة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

فليتأمل الذين ينكرون رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكلام المعجز بشيء من الإنصاف والتجرد من الأهواء . وليتأمل هؤلاء الذين ينكرون الإعجاز العلمى ، والسبق العلمى فى القرآن الكريم ، هل وصل علماء العالم

أجمع إلى هذه الحقائق العلمية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مع وجود أكبر حضارتين على وجه الأرض فى ذلك الزمان وهما حضارتى الفرس والروم ؟ ، وهل توصل العلماء من بعدهم إلى هذه المعلومات حتى قبل قرنين من الزمان؟ . لو ان هناك شىء من العدل والإنصاف والتجرد لكل انسان يتناول على القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة ، أو ينكر السبق العلمى ، والإعجاز العلمى للقرآن الكريم ، والسنة النبوية ووقف أمام هذه الحقائق العلمية فى هذه الآيات والتى كشفها الله عز وجل لمن شاء من عباده مؤمنين أو كافرين بعد أربعة عشر قرنا من الزمان لأيقن تماما أن هذا القرآن الكريم هو كتاب الله العليم الخبير ، ولخر ساجدا شاكرا لله سبحانه وتعالى وعز وجل .

الفصل العشرون

رفع الإشكال فى حديث جمع الخلق

ورد حديث جمع الخلق عند الإمام البخارى ، والإمام مسلم ، وفى سنن الأئمة الترمذى وابن ماجه وأبى داود وفى مسند الإمام أحمد وعند أبى نعيم وعند

الإمام أحمد بن تيمية والإمام الألبانى وابن كثير بروايات متعددة . وفى شرح الحديث للإمام النووى على صحيح مسلم بين أن النفخ فى الروح يكون بعد مائة وعشرين يوماً باعتبار أن كلا من النطفة والمضغة والعلقة تأخذ أربعين يوماً فى التخليق. وبناء على هذا الفهم فقد استنبط الفقهاء أن من تسبب فى قتل الجنين بعد المائة وعشرين يوماً الأولى فقد تسبب فى القتل الخطأ وعليه دية القتل الخطأ. وهذا الكلام وهو أن تخليق الجنين ونفخ الروح فيه يتم بعد مائة وعشرين يوماً ، ينتفى مع الرويات الصحيحة فى التصوير فى الأرحام ، وينتفى برواية الإمام مسلم فى صحيحه ، كما ينتفى بمشاهدات وحقائق العلم الحديث.

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أن الجنين يجمع خلقه فى أربعين يوماً ، فما هو هذا الجمع للخلق ؟

تعنى كلمة (جمع) فى اللغة جمع الشيء عن تفرقة ، قال ابن حجر : والمراد بالجمع ضم بعض الشيء إلى بعض بعد الانتشار (94) . فما هو الشيء المنتشر المفرق الذي يضم بعضه إلى بعض لتحقيق تكون الخلق ؟

إن هذه العبارة النبوية غاية فى الدقة العلوية ؛ حيث يمكن استنتاج أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار بها إلى انقسام وتكاثر الخلايا الجنينية الهائل والسريع ، وعلى تمايز هذه الخلايا فى طور العلقة لتعطى فيما بعد الأعضاء والأنسجة والأجهزة ، ثم تجمع خلايا كل عضو من أعضاء الجنين ليتم تكوينه وتخليقه فى طور المضغة فى صورة براعم أولية ، ولا تنتهى الأربعون يوماً إلا وخلايا جميع أعضاء الجنين المختلفة قد تمايزت وهاجر ما هاجر منها وتجمعت فى أماكنها المحددة لها بعد أن كانت متشابهة وغير متميزة فى مرحلة التكاثر الهائل والسريع للخلايا الجنينية الأولية فى الأسابيع الأولى وهذا ما بينته فى الفصول السابقة .

كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فى نفس الحديث أن أطوار الجنين الأولى ؛ النطفة والعلقة والمضغة ، تبدأ وتكتمل أوصافها وتنتهى خلال هذه الأربعين . فالحديث يتكلم عن التحديد الزمنى لقضيتين : الأولى جمع الخلق لخلايا أعضاء الجسم فى صورة براعم أولية ، والثانية : زمن أطوار الجنين ؛ النطفة ، والعلقة ،

(94) شرح الحديث فى كتاب (فتح البارى شرح صحيح البخارى للإمام بن حجر العسقلانى

والمضغنة نصا وجاءت جميع هذه الكلمات فى روايات صحيحة عند شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وعند الإمام الألبانى فى الجامع الصحيح ، وسأبين هذه الرويات فى جملة روايات هذا الحديث .

وفى هذا الفصل أريد أن أرفع الإشكال والصدام الذى ورد بين شراح الحديث وبين علماء الأجنة . كما أريد أن أصحح المفهوم عند الفقهاء فى مسألة الحكم المترتب على نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوما ، وأن قتل الجنين فى بطن أمه قبلها لا يترتب عليه حكما شريعا لأنه عندهم ليس بنفس ما لم تنفخ فيه الروح . وأخيرا أريد أن أبين دور الإعجاز العلمى فى رفع الإشكال فى الأحاديث المشكّلة ومعنى الرفع: الإزالة، والمقصود: بالإشكال: "الأمر يوجب التباساً فى الفهم (95)" والمشكّل هو: "ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب (96)". وفى هذا الحديث أمور مشكّلة منها اكتمال جمع خلق الجنين فى بطن أمه ونفخ الروح فيه بعد أربعين يوماً أم بعد مائة وعشرين يوماً؟

وبالتفصيل: هل يكتمل خلق الجنين النطفة والعلقة والمضغنة والعظام بعد الأربعين يوماً أم بعد مائة وعشرين يوماً؟ ، وهل هذا بسبب التعارض الظاهر لبعض نصوص هذه الأحاديث فى هذا الموضوع؟ وما هى كيفية استخراج الراجح؟ وما هو السبب الذى أدى إلى هذا التعارض؟ . ويقول قائل أن الإشكال هنا بسبب التعارض فى نصوص الأحاديث ، ويقول آخر أن السبب هو فهم اللغة ، ويقول ثالث أن السبب هو الخطأ فى شرح الحديث وإلى نصوص الأحاديث

وما هى كيفية استخراج الراجح؟

يتم بيان الراجح فى مسألة ما من خلال الآتى:

- 1- الجمع بين النصوص الواردة فى النص
- 2- الاستعانة بنصوص أخرى تعين على فهم النص المختلف فيه
- 3- الجمع بين نصوص الحديث والآيات القرآنية فى نفس الأمر

⁹⁵ (المعجم الوسيط 1/491.

⁹⁶ (التعريفات 1/276.

- 4- الفهم اللغوي الصحيح لمفردات النص
5- الربط بين العلم (فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وبين النصوص
في نفس الأمر حتى لا يحدث التعارض

روايات الحديث الصحيحة (97):

اكتفيت هنا بروايات الحديث الصحيحة ، وتركت الروايات الضعيفة ، وتبين لي من خلال فحص النصوص في الموسوعة الحديثية ، أن الروايات الضعيفة والمنكرة والمقطوعة والتي لا تنتسب إلى المحدثين جميعها لا تتكلم على أن مدة التخليق ونفخ الروح في الجنين تتم بعد مائة وعشرين يوماً بل منها ما يفهم منه أنها بعد مائة وستين يوماً

- 1 - حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَشَقِيئَهُ أَوْ سَعِيدَهُ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ) (98) .
- 2 - حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، قَالَ : إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيَقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيئَهُ أَوْ سَعِيدَهُ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ ،

(97) الدرر السنية-الموسوعة الحديثية <http://www.dorar.net/hadith/index?skeys>

(98) الراوي : عبدالله بن مسعود المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم 3332 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | انظر شرح الحديث رقم 4719

- فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ . ويعملُ حتى ما يكونُ بينه وبين النارِ إلا ذراعٌ ،
 فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعلمِ أهلِ الجنةِ⁽⁹⁹⁾.
- 3 - إنَّ أحدكمُ يجمعُ خلقه في بطنِ أمِّه أربعينَ يوماً ثمَّ يكونُ في ذلكَ علقَةً
 مثلَ ذلكَ ، ثمَّ يكونُ مضغَةً مثلَ ذلكَ ، ثمَّ يرسلُ الملكُ فينفخُ فيه الروحَ
 ويؤمرُ بأربعِ ، كلماتٍ : بكتبَ رزقهُ وأجلهُ وعملهُ وشقى أو سعيدٌ ، فوالذي لا
 إلهَ غيرُهُ إنَّ أحدكمُ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ
 فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُها ، وإنَّ أحدكمُ ليعملُ
 بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ ثمَّ يسبقُ عليه الكتابُ
 فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها⁽¹⁰⁰⁾
- 4 - إنَّ أحدكمُ يجمعُ خلقه في بطنِ أمِّه في أربعينَ يوماً أو قال : أربعينَ ليلةً
 قال وكيعٌ : ليلةً ثمَّ يكونُ علقَةً مثلَ ذلكَ ثمَّ يكونُ مضغَةً مثلَ ذلكَ ثمَّ يرسلُ
 اللهُ عزَّ وجلَّ إليه الملكَ بأربعِ كلماتٍ عملهُ وأجلهُ ورزقهُ وشقى أو سعيدٌ ثمَّ
 ينفخُ فيه الروحَ فوالذي لا إلهَ غيرُهُ إنَّ أحدكمُ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى
 ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيختمُ له بعملِ أهلِ النارِ
 فيكونُ من أهلِها وإنَّ أحدكمُ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونُ بينه وبينها
 إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيختمُ له بعملِ أهلِ الجنةِ فيكونُ من
 أهلِها⁽¹⁰¹⁾
- 5 - إنَّ أحدكمُ يجمعُ خلقه في بطنِ أمِّه في أربعينَ يوماً ثمَّ يكونُ علقَةً مثلَ
 ذلكَ ، ثمَّ يكونُ مضغَةً مثلَ ذلكَ ، ثمَّ يرسلُ اللهُ إليه الملكُ فينفخُ فيه الروحَ
 ويؤمرُ بأربعِ ، يكتبُ رزقهُ وأجلهُ وعملهُ وشقى أو سعيدٌ ، فوالذي لا إلهَ غيرُهُ
 إنَّ أحدكمُ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ ثمَّ
 يسبقُ عليه الكتابُ فيختمُ له بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُها ، وإنَّ أحدكمُ ليعملُ
 بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ ثمَّ يسبقُ عليه الكتابُ
 فيختمُ له بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها⁽¹⁰²⁾
- 6 - إنَّ أحدكمُ يجمعُ خلقه في بطنِ أمِّه أربعينَ يوماً ، ثمَّ يكونُ علقَةً مثلَ ذلكَ ،
 ثمَّ يكونُ مضغَةً مثلَ ذلكَ ، ثمَّ يرسلُ اللهُ تعالى إليه الملكُ فينفخُ فيه الروحَ ،

⁹⁹ (الراوي : عبدالله بن مسعود| المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم 3208 |

خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | شرح الحديث

¹⁰⁰ (الراوي : عبدالله بن مسعود| المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم 2643 | خلاصة

حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم 4719

¹⁰¹ (الراوي : عبدالله بن مسعود| المحدث : أحمد شاكرا| المصدر : مسند أحمد، الصفحة أو الرقم 72/6 |

خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

¹⁰² (الراوي : عبدالله بن مسعود| المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم 2137 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم 4719

وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ (103)

7 - إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ مِثْلَ ذَلِكَ عِلْقَةً ثُمَّ يَكُونُ مِثْلَ ذَلِكَ مَضْغَةً ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ (104)

8 - إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً ثُمَّ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؛ ثُمَّ يُنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ (105)

9 - إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا بَاعٌ أَوْ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا بَاعٌ أَوْ ذِرَاعٌ - فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ (106)

(103) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: الألباني| المصدر: تخريج كتاب السنة، الصفحة أو الرقم 175 |

خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح على شرط الشيخين

(104) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: ابن عساکر| المصدر: معجم الشيوخ، الصفحة أو الرقم 764/2 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح

(105) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: الألباني| المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم 1543 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم 4719

(106) الراوي: عبد الله بن مسعود| المحدث: ابن كثير| المصدر: طبقات الشافعية لابن كثير، الصفحة أو الرقم

515/2 | خلاصة حكم المحدث: متفق على صحته

10- إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَهُ ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَهُ ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ ، فَيُؤَذِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتُبُ : رِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَعَمَلَهُ ، وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا⁽¹⁰⁷⁾

11- إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يَجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ ثُمَّ يَكْتُبُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، أَوْ قِيدٌ ذِرَاعٍ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، أَوْ قِيدٌ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا⁽¹⁰⁸⁾

12- إنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ خَلْقَ أَحَدِكُمْ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ثُمَّ يَرْسَلُ إِلَيْهِ مَلَكٌ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَقَالُ أَكْتُبْ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا⁽¹⁰⁹⁾

13- إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يَجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ ثُمَّ يَكْتُبُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، أَوْ قِيدٌ ذِرَاعٍ

⁽¹⁰⁷⁾ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم: 7454 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | انظر شرح الحديث رقم 4719

⁽¹⁰⁸⁾ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : أبو داود | المصدر : سنن أبي داود ، الصفحة أو الرقم: 4708 | خلاصة حكم المحدث: سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]

⁽¹⁰⁹⁾ الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : أبو نعيم | المصدر : حلية الأولياء ، الصفحة أو الرقم: 284/8 | خلاصة حكم المحدث: صحيح متفق عليه | بين العلماء

ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم
 ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، أو قيد ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها⁽¹¹⁰⁾
 14 - يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ
 يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَقُولُ
 اكْتُبْ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيًّا أَمْ سَعِيدًا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ
 لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ
 الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ
 حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا⁽¹¹¹⁾

15- إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ
 مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعَةٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ ، وَشَقِيًّا أَوْ
 سَعِيدًا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوْ : الرَّجُلُ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا
 يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرَ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَهَا غَيْرَ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ
 فَيَدْخُلُهَا⁽¹¹²⁾

16- إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ لِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ
 يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحُ ثُمَّ يَبْعَثُ
 اللَّهُ تَعَالَى مَلَكًا ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَكْتُبَ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيًّا أَمْ
 سَعِيدًا وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَكُونَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرَ ذِرَاعٍ
 فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

¹¹⁰ (الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود ، الصفحة أو الرقم: 4708 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم4719

¹¹¹ (الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه، الصفحة أو الرقم: 61 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم4719

¹¹² (الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم: 6594 |

خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | انظر شرح الحديث رقم4719

النَّارَ حَتَّى يَكُونَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا⁽¹¹³⁾

17 - يُجْمَعُ خَلْقٌ أَحَدِكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَقُولُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَاكْتُبْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ عَبْدِ اللَّهِ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ غَيْرُ ذِرَاعٍ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الشَّقَاءُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَمُوتُ فَيَدْخُلُ النَّارَ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ عَبْدِ اللَّهِ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ غَيْرُ ذِرَاعٍ ثُمَّ تُدْرِكُهُ السَّعَادَةُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَمُوتُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ⁽¹¹⁴⁾

18 - إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَقُولُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي سَبَقَ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الَّذِي سَبَقَ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ⁽¹¹⁵⁾

19 - إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الْمَلِكَ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ⁽¹¹⁶⁾

20 - إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَأَجَلَهُ ثُمَّ يَكْتُبُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ⁽¹¹⁷⁾

¹¹³ (الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: أبو نعيم| المصدر: حلية الأولياء ، الصفحة أو الرقم| 422/7 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح ثابت متفق عليه|أي:بين العلماء|

¹¹⁴ (الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: أحمد شاكر| المصدر: مسند أحمد ، الصفحة أو الرقم| 16/6 | خلاصة

حكم المحدث: إسناده صحيح

¹¹⁵ (الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان ، الصفحة أو الرقم| 6174 |

خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه| انظر شرح الحديث رقم| 4719 |

¹¹⁶ (الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: أبو نعيم| المصدر: حلية الأولياء، الصفحة أو الرقم| 118/8 |

خلاصة حكم المحدث: صحيح متفق عليه|أي:بين العلماء|

¹¹⁷ (الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: ابن حزم| المصدر: المحلى ، الصفحة أو الرقم| 187/9 | خلاصة

حكم المحدث: احتج به ، وقال في المقدمة(لم نحتج إلا بخبر صحيح من رواية الثقات مسند

- 21- أنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : رِزْقَهُ ، وَعَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، ثمَّ يُكْتَبُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، ثمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ (118)
- 22- إنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (119)
- 23- يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَطْفَةً ، ثمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا (120)
- 24- إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ لِيُجْمَعَ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ، ثمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ وَاللَّهُ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ أَوْ إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا (121)

أوجه الاختلاف في روايت الحديث

- 1- رواية الإمام مسلم هي الرواية الوحيدة التي ذكرت زيادة عن باقي الأحاديث: في ذلك علقه (ثمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ)
- 2- بدأ الحديث بجمع الخلق أربعين يوما من النطفة (يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَطْفَةً ، ثمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ) كما في صحيح الجامع للإمام الألباني الصفحة أو

(118) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: ابن حزم | المصدر: المحلى ، الصفحة أو الرقم 132/6 | خلاصة حكم المحدث: احتج به ، وقال في المقدمة(لم نحتج إلا بخبر صحيح من رواية الثقات مسند)

(119) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: أبو نعيم| المصدر: حلية الأولياء ، الصفحة أو الرقم 267/8 | خلاصة حكم المحدث: صحيح ثابت متفق عليه|أي: بين العلماء| من حديث زيد بن وهب غريب من حديث حبيب

(120) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: ابن تيمية | المصدر: مجموع الفتاوى ، الصفحة أو الرقم 542/8 | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(121) الراوي: عبدالله بن مسعود| المحدث: ابن عساکر| المصدر: معجم الشيوخ ، الصفحة أو الرقم 89/1 | خلاصة حكم المحدث: له طرق في الصحيحين

الرقم: 1543 ، وكما فى مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية

، الصفحة أو الرقم: 542/8

3- أن جمع الخلق يكون فى أربعين ليلة كما فى معجم الشيوخ لابن

عساكر ، الصفحة أو الرقم : 89/1 ، وحلية الأولياء لأبى نعيم ،

الصفحة أو الرقم: 267/8 | ، وحديث الإمام أحمد شاعر فى مسند

أحمد الصفحة أو الرقم : 16/6 - 72/6 رواية وكيع ، وفى طبقات

الشافعية لابن كثير ، الصفحة أو الرقم : 515/2 ، صحيح مسلم ،

الصفحة أو الرقم: 2643 (إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ لِيُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ

لَيْلَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ)

4- ذكر الجمع للخلق فى أربعين يوماً وأربعين ليلة كما فى صحيح ابن

حبان الصفحة أو الرقم: 6174 (إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ)

5- ذكر الجمع للخلق فى أربعين يوماً ، أو لأربعين ليلة كما فى حلية

الأولياء لأبى نعيم الصفحة أو الرقم : 422/7 ، وكما فى صحيح

البخارى ، الصفحة أو الرقم: 7454 (إنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ

أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ لِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ)

ملحوظة : جميع الروايات جاءت عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا راو واحد ، وأخذ العلماء به للجمع الغفير الذى روى عن عبد الله بن مسعود بأسانيد صحيحة . فهو حديث آحاد من جهة عبد الله بن مسعود عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومتواتر فيمن حدثوا عن عبد الله بن مسعود.

السبب فى الإشكال:

1- اختلاف فى بعض نصوص الروايات خصوصاً أن معظمها يتحدث على أن خلق الجنين يتم فى أربعين يوماً أو يكون علقة مثل ذلك كما فى رواية الإمام البخارى (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق ، قال: إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ ، وَرِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لُجْنَةِ إِلا ذِرَاعًا ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ

- أهل النار . ويعملُ حتى ما يكونُ بينه وبين النار إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ ،
 فيعملُ بعمل أهل الجنة) وتم فهمها على أن مدة جمع الخلق 120 يوما
 2 - الخطأ في الشرح لعدم الجمع بين جميع الروايات التي تتكلم في مسألة خلق
 الجنين.
 3 - عدم الاستعانة بروايات آخر تعين على فهم هذه النصوص خصوصا الروايات
 التي تتكلم عن التصوير في الأرحام وخلق العظام واللحم كروايات حذيفة بن
 أسيد الغفاري

روايات أخرى تين على فهم روايات جمع الخلق

- 1 - : إنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بطنِ أمِّه، والسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بغيره قال: فأُتِبْتُ
 حذيفةَ بنَ أسيدِ الغفاريِّ فقلتُ ألا تَعْجَبُ من عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ يحدثُ في
 المسجدِ: إنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بطنِ أمِّه، والسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بغيره ؟
 قال: فما بالُ هذا الطُّفيلِ الصَّغِيرِ. قال: لا تَعْجَبْ، سمعتُ رسولَ اللَّهِ مراراً
 ذاتَ عددٍ يقولُ: إنَّ النُّطفَةَ إذا وَقَعَتْ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ أَصْحَابِي:
خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً تُفَخَّ فِيهِ الرُّوحُ. قال: فَيَجِيءُ مَلَكُ الرَّحِمِ فَيَدْخُلُ فَيَصَوِّرُ
 لَهُ عَظْمَهُ، وَلِحْمَهُ، وَدَمَهُ، وَشَعْرَهُ، وَبِشْرَهُ، وَسَمْعَهُ، وَبَصْرَهُ. ثمَّ يقولُ: أَيُّ
 رَبِّ، أَذْكَرٌ أَمْ أَثَنِي؟ فيَقْضِي اللَّهُ إِلَيْهِ ما يَشَاءُ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ. ثمَّ يقولُ: أَيُّ
 رَبِّ، أَثَرُهُ؟ فيَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ فيقولُ: أَيُّ رَبِّ، أَجَلُهُ؟ فيَقْضِي
 اللَّهُ ما يَشَاءُ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ. ثمَّ تُطَوَّى تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فلا تُمَسُّ إلى يومِ
 الْقِيَامَةِ(122). السامع هنا هو عامر بن واثلة أبو الطفيل كما جاء في بعض
 الروايات

- 2 - "عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إذا مر بالنطفة
 ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها
 وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء
 ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك
 ، ثم يقول يا رب رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج
 الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص(123)"

(122) الراوي: حذيفة بن أسيد الغفاري| المحدث: الألباني| المصدر: تخريج كتاب السنة ، الصفحة أو الرقم: 179 |
 خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح على شرط الشيخين
 (123) صحيح مسلم

- 3 - عن ابن مسعود قال: إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يا ربّ مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال غير مخلّقة مجّها الرحم دماً، وإن قال مخلّقة قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة⁽¹²⁴⁾؟
- 4 - إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها فإذا كان اليوم السابع أحضر الله كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ في أي صورة ما شاء ربك⁽¹²⁵⁾
- 5 - عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال يا ربّ مخلّقة أو غير مخلّقة فإن قال غير مخلّقة مجّها الرحم دماً وإن قال مخلّقة قال يا ربّ فما صفة هذه النطفة فيقال له انطلق إلى أم الكتاب فإنك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب⁽¹²⁶⁾
- 6 - يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: ربّ أشقى أو سعيد؟ فيكتمان. فيقول: أي ربّ! أذكر أو أنسى، فيكتمان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها ولا ينقص⁽¹²⁷⁾
- 7 - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنيّ هاتين، يقول: "إنّ النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك". قال زهير: حسبته قال الذي خلقها "فيقول: يا ربّ! أذكر أم أنسى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى. ثم يقول: يا ربّ! أسوي أو غير سوي؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي". ثم يقول: يا ربّ! ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيّاً أو سعيداً". وفي رواية: "أنّ ملكاً موكلاً بالرحم. إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله، ليضع وأربعين ليلة⁽¹²⁸⁾"

¹²⁴ (الراوي : علقمة بن قيس | المحدث : ابن حجر العسقلاني | المصدر : فتح الباري لابن حجر، الصفحة أو

الرقم : 499/1 | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

¹²⁵ (الراوي : مالك بن الحويرث | المحدث : السيوطي | المصدر : الدر المنثور ، الصفحة أو الرقم : 284/15 |

خلاصة حكم المحدث : إسناده جيد

¹²⁶ (الراوي : علقمة بن قيس | المحدث : العيني | المصدر : عمدة القاري ، الصفحة أو الرقم : 434/3 | خلاصة

حكم المحدث : إسناده صحيح وهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً

¹²⁷ (الراوي : حذيفة بن أسيد الغفاري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم ، الصفحة أو الرقم : 2644 |

خلاصة حكم المحدث : صحيح | شرح الحديث

¹²⁸ (الراوي : حذيفة بن أسيد الغفاري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم ، الصفحة أو الرقم : 2645 |

خلاصة حكم المحدث : صحيح | انظر شرح الحديث رقم 23518

- 8- وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، فيقول: أي رَبُّ نطفةً ، أي رَبُّ علقةً ، أي رَبُّ مضغةً ، فإذا أراد الله أن يقضيَ خَلْقَهَا ، قال : أي رَبُّ ، ذَكَرُ أمِ أنثى ، أشقىُّ أم سعيدٌ ، فما الرزقُ ، فما الأجلُ ، فيُكْتَبُ كذلك في بطنِ أمِّ (129)
- 9- إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وَكَلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يقولُ : يا رَبُّ نطفةً ، يا رَبُّ علقةً ، يا رَبُّ مضغةً ، فإذا أراد أن يقضيَ خَلْقَهُ قال : أَدَكَرُ أمِ أنثى ، شَقِيٌّ أم سعيدٌ ، فما الرزقُ والأجلُ ، فيُكْتَبُ في بطنِ أمِّ (130) .
- 10- إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد وَكَلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا ، فيقولُ : أي رَبُّ ، نطفةً ، أي رَبُّ ، علقةً ، أي رَبُّ ، مضغةً ، فإذا أرادَ اللهُ أن يقضيَ خَلْقًا ، قالَ : قالَ الملكُ : أي رَبُّ ذَكَرُ أمِ أنثى ؟ شَقِيٌّ أم سعيدٌ ؟ فما الرزقُ ؟ فما الأجلُ ؟ فيُكْتَبُ كذلك في بطنِ أمِّ (131)

- 11- أنه سمع عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ يقولُ : الشَّقِيُّ من شَقِيٍّ في بطنِ أمِّه والسعيدُ من وُعِظَ بغيره . فأتى رجلًا من أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، يقال له حُذيفةُ بنُ أسيدٍ الغِفاريُّ فحدّثه بذلك من قولِ ابنِ مسعودٍ فقال : وكيف يشقى رجلٌ بغير عملٍ ؟ فقال له الرجلُ : أتَعْجَبُ من ذلك ؟ فإني سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ " إذا مرَّ بالنطفةِ ثنتانِ وأربعونَ ليلةً ، بعثَ اللهُ إليها ملكًا . فصورها وخلقَ سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم قال : يا رَبُّ ! أذكرُ أمِ أنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء . ويكتبُ الملكُ . ثم يقولُ : يا رَبُّ ! أجله . فيقول ربُّك ما شاء ويكتبُ الملكُ . ثم يقولُ : يا رَبُّ ! رزقه . فيقضي ربُّك ما شاء . ويكتبُ الملكُ . ثم يخرجُ الملكُ بالصحيفةِ في يده . فلا يزيدُ على ما أُمِرَ ولا ينقصُ (132) " .
- 12- إذا مرَّ بالنطفةِ اثنتانِ وأربعونَ ليلةً ، بعثَ اللهُ إليها ملكًا فصورها ، وخلقَ سمعها وبصرها ، وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال: يا رَبُّ أذكرُ أمِ أنثى ؟

(129) الراوي: أنس بن مالك| المحدث: البخاري| المصدر: صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم: 6595 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | انظر شرح الحديث رقم1405

(130) الراوي: أنس بن مالك| المحدث: البخاري| المصدر: صحيح البخاري ، الصفحة أو الرقم: 318 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | شرح الحديث

(131) الراوي: أنس بن مالك| المحدث: مسلم| المصدر: صحيح مسلم ، الصفحة أو الرقم: 2646 | خلاصة حكم المحدث: صحيح | انظر شرح الحديث رقم1405

(132) الراوي: عامر بن وائلة أبو الطفيل المحدث: مسلم| المصدر: صحيح مسلم ، الصفحة أو الرقم: 2645 | خلاصة حكم المحدث: صحيح | شرح الحديث

فيقضي ربك ما شاء ، ويكتبُ الملكُ ، ثم يقولُ: يا ربُّ أجله ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتبُ الملكُ ، ثم يقولُ: يا ربُّ رزقه ، فيقضي ربك ما شاء ، ويكتبُ الملكُ ، ثم يخرجُ الملكُ بالصحيفةِ في يده ، فلا يزيدُ على أمر ، ولا يُنقصُ⁽¹³³⁾

13 - إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نَطْفَةٌ أَيُّ رَبِّ عِلْقَةٌ أَيُّ رَبِّ مَضْغَةٌ ؟ قَالَ : فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ : أَيُّ رَبِّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الْأَجَلُ ؟ فَيَكْتُبُ مَا يَقُولُ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ فِي حَدِيثِهِ فَيُكْتُبُ كَذَلِكَ⁽¹³⁴⁾

ما يستفاد من هذه الأحاديث

- أن الموكل بالرحم ملكا من أول وضع النطفة فيه ، والمقصود بالنطفة هنا هي النطفة الأمشاج بعدما تستقر في الرحم لتكون علقة
- أن تصوير النطفة في اليوم السابع كما في حديث مالك بن الحويرث عند الإمام السيوطي وهذا التصوير هو تصوير من جينات الكروموسومات لكي تترجم فيما بعد إلى خلايا وأعضاء وأنسجة وأجهزة للجسم وهذا التصوير من النطفة يكون بالفعل في اليوم السابع كما بين علماء الأجنة المتخصصين
- أن التصوير من بعد مرحلة التخليق يكون بعد 42 - 45 يوما كما في حيث حذيفة ابن أسيد للإمام مسلم ، وللإمام الألباني في الصحيح الجامع
- أن الأحاديث التي تتكلم عن تخليق النطفة يستعان ع لى فهمها بنص الآية التي في سورة الحج : **(يَأْيُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَاطِفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ (5) ،** والتي تبين أن التخليق يكون للنطفة بعد تطورها للمضغة (فالمضغة بنص الآية أما مخلقة وإما غير مخلقة) ولا تعارض بين القرآن والسنة

شرح الحديث⁽¹³⁵⁾

¹³³ (الراوي: حذيفة بن أسيد الغفاري| المحدث: الألباني| المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم 797 | خلاصة حكم المحدث: صحيح

¹³⁴ (الراوي: أنس بن مالك| المحدث: الألباني| المصدر: تخريج كتاب السنة ، الصفحة أو الرقم 187 | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح على شرط الشيخين

¹³⁵ (كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي(157-161): سنة النشر 1422هـ / 2001م

هذا الحديث متفق على صحته ، وتلقته الأمة بالقبول ، رواه **الأعمش** عن **زيد بن وهب** ، عن **ابن مسعود** ، ومن طريقه خرجه الشيخان في " صحيحيهما " وقد روي عن محمد بن زيد الأسفاطي ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم ، فقلت : يا رسول الله ، حديث **ابن مسعود** الذي حدث عنك ، فقال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق . فقال صلى الله عليه وسلم : " والذي لا إله غيره حدثته به أنا " يقوله ثلاثا ، ثم قال غفر الله **للأعمش** كما حدث به ، وغفر الله لمن حدث به قبل **الأعمش** ، ولمن حدث به بعده⁽¹³⁶⁾ .

فقوله صلى الله عليه وسلم : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة : قد روي تفسيره عن **ابن مسعود** ؛ روى **الأعمش** ، عن خيشمة ، عن **ابن مسعود** قال : إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعرة وظفر ، فتمكث أربعين يوما ، ثم تتحدر في الرحم ، فتكون علقة . قال : فذلك جمعها . خرجه **ابن أبي حاتم** وغيره

وقوله ثم يكون علقة مثل ذلك يعني : أربعين يوما ، والعلقة قطعة من دم . ثم يكون مضغة مثل ذلك يعني : أربعين يوما . والمضغة : قطعة من لحم . ثم يرسل الله إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . فهذا الحديث يدل على أنه يتقلب في مائة وعشرين يوما ، في ثلاثة أطوار ، في كل أربعين يوما منها يكون في طور ، فيكون في الأربعين الأولى نطفة ، ثم في الأربعين الثانية علقة ، ثم في الأربعين الثالثة ، مضغة ثم بعد المائة وعشرين يوما ينفخ الملك فيه الروح ، ويكتب له هذه الأربع الكلمات .

وقد ورد في بعض الروايات في حديث **ابن مسعود** ذكر العظام وأنه يكون عظما أربعين يوما ، فخرج **الإمام أحمد** من رواية **علي بن زيد** سمعت أبا عبيدة يحدث قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن النطفة تكون في

¹³⁶ (روى ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما ... غفر الله للأعمش كما حدث به وغفر الله لمن حدث به قبل الأعمش ولمن حدث به بعده.

الرحم أربعين يوما على حالها لا تغير ، فإذا مضت الأربعون ، صارت علقة ، ثم مضغة كذلك ، ثم عظاما كذلك ، فإذا أراد الله تعالى أن يسوي خلقه ، بعث الله إليها ملكا" ، وذكر بقية الحديث . وروى من حديث عاصم عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "إن النطفة إذا استقرت في الرحم ، تكون أربعين ليلة نطفة ، ثم تكون علقة أربعين ليلة ، ثم تكون عظاما أربعين ليلة ، ثم يكسو الله العظام لحما " . ورواية الإمام أحمد تدل على أن الجنين لا يكسى اللحم إلا بعد مائة وستين يوما ، وهذا غلط بلا ريب ، فإنه بعد مائة وعشرين يوما ينفخ فيه الروح بلا ريب كما سيأتي ذكره ، وعلي بن زيد : هو ابن جدعان لا يحتج به . وقد ورد في حديث حذيفة بن أسيد ما يدل على خلق العظام واللحم في أول الأربعين الثانية ، ففي " صحيح مسلم " عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إذا مر بالنطفة ثتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول يا رب رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص " . وظاهر هذا الحديث يدل على أن تصوير الجنين وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه يكون في أول الأربعين الثانية ، فيلزم من ذلك أن يكون في الأربعين الثانية لحما وعظاما . وحديث مالك بن الحويرث المتقدم يدل على أن التصوير يكون للنطفة أيضا في اليوم السابع

وقد ذكر علماء الطب ما يوافق ذلك ، وقالوا : إن المنى إذا وقع في الرحم ، حصل له زبدية ورغوة ستة أيام أو سبعة ، وفي هذه الأيام تصور النطفة من غير استمداد من الرحم ، ثم بعد ذلك تستمد منه ، وابتداء الخطوط والنقط بعد هذا بثلاثة أيام ، وقد يتقدم يوما ويتأخر يوما ، ثم بعد ستة أيام - وهو الخامس عشر من وقت العلوق - ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة ، ثم تتميز الأعضاء تميزا ظاهرا ، وبتحى بعضها عن ممارسة بعض ، وتمتد رطوبة النخاع ، ثم بعد تسعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الأصابع تميزا يستبين في بعض ، ويخفى في بعض . قالوا : وأقل مدة يتصور الذكر فيها ثلاثون يوما ، والزمان المعتدل في تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما ، وقد يتصور في خمسة

وأربعين يوما ، قالوا : ولم يوجد في الأسقاط ذكر تم قبل ثلاثين يوما ، ولا أثنى قبل أربعين يوما ، فهذا يوافق ما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد في التخليق في الأربعين الثانية ، ومصيره لحما فيها أيضا .

وقد حمل بعضهم حديث **ابن مسعود** على أن الجنين يغلب عليه في الأربعين الأولى وصف المني ، وفي الأربعين الثانية وصف العلقة ، وفي الأربعين الثالثة وصف المضغة ، وإن كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ، وليس في حديث **ابن مسعود** ذكر وقت تصوير الجنين .

وقد روي عن **ابن مسعود** نفسه ما يدل على أن تصويره قد يقع قبل الأربعين الثالثة أيضا ، فروى **الشعبي** عن علقمة ، عن **ابن مسعود** قال : النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك فأخذها بكفه ، فقال : أي رب ، مخلقة أم غير مخلقة ؟ فإن قيل : غير مخلقة ، لم تكن نسمة ، وقذفتها الأرحام ، وإن قيل مخلقة ، قال : أي رب ، أذكر أم أثنى ؟ شقي أم سعيد ، ما الأجل وما الأثر ؟ ، وبأي أرض تموت ؟ قال : فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله ، فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله ، فيقال : اذهب إلى الكتاب ، فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة ، قال : فتخلق ، فتعيش في أجلها وتأكل في رزقها ، وتطأ في أثرها ، حتى إذا جاء أجلها ، ماتت ، فدفنت في ذلك ، ثم تلا **الشعبي** هذه الآية : **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة (5) الحج**. فإذا بلغت مضغة ، نكست في

الخلق الرابع فكانت نسمة ، فإن كانت غير مخلقة ، قذفتها الأرحام دما ، وإن كانت مخلقة نكست نسمة . خرج **ابن أبي حاتم** وغيره . وقد روي من وجه آخر عن ابن مسعود أن لا تصوير قبل ثمانين يوما ، فروى **السدي** عن **أبي مالك** وعن **أبي صالح** ، عن **ابن عباس** ، وعن **مرة الهمداني** ، عن **ابن مسعود** ، وعن **ناس** من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء (6) آل عمران** قال : إذا وقعت النطفة في الأرحام ، طارت في الجسد أربعين يوما ، ثم تكون علقة أربعين يوما ، ثم تكون مضغة أربعين يوما ، فإذا بلغ أن تخلق ، بعث الله ملكا يصورها ، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه ، فيخلطه في المضغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصورها كما يؤمر فيقول :

أذكر أم أنى ؟ أشقى أو سعيد ؟ وما رزقه ، وما عمره ، وما أثره ، وما مصائبه ؟ فيقول الله تبارك وتعالى ، ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد ، دفن حيث أخذ ذلك التراب ، خرج **ابن جرير الطبري** في " تفسيره " ولكن **السدي** مختلف في أمره ، وكان الإمام أحمد ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد ، كما كان هو وغيره ينكرون على الواقدي جمعه الأسانيد المتعددة للحديث الواحد .

اختلاف الحكم الفقهي على الاختلاف في نصوص الحديث:

وقد أخذ طوائف من الفقهاء بظاهر هذه الرواية ، وتأولوا حديث **ابن مسعود** المرفوع عليها ، وقالوا : أقل ما يتبين خلق الولد أحد وثمانون يوما ، لأنه لا يكون مضغة إلا في الأربعين الثالثة ، ولا يتخلق قبل أن يكون مضغة . وقال أصحابنا وأصحاب الشافعي بناء على هذا الأصل : إنه لا تنقضي العدة ، ولا تعتق أم الولد إلا بالمضغة المخلقة ، وأقل ما يمكن أن يتخلق ويتصور في أحد وثمانين ي وما . وقال أحمد في العلقه : هي دم لا يستبين فيها الخلق ، فإن كانت المضغة غير مخلقة ، فهل تنقضي بها العدة ، وتصير أم الولد بها مستولدة ؟ على قولين ، هما روايتان عن أحمد ، وإن لم يظهر فيها التخريط ، ولكن كان خفيا لا يعرفه إلا أهل الخبرة من النساء ، فشهدن بذلك ، قبلت شهادتين ، ولا فرق بين أن يكون بعد تمام أربعة أشهر أو قبلها عند أكثر العلماء ، ونص على ذلك الإمام أحمد في رواية خلق من أصحابه ، ونقل عنه ابنه صالح في الطفل يتبين خلقه . قال الشعبي : إذا نكس في الخلق الرابع ، كان مخلقا ، انقضت به العدة ، وعتقت به الأمة ، إذا كان لأربعة أشهر ، وكذا نقل عنه حنبل : إذا أسقطت أم الولد ، فإن كان خلقه تاما عتقت ، وانقضت به العدة إذا دخل في الخلق الرابع في أربعة أشهر ينفخ فيه الروح ، وهذا يخالف رواية الجماعة عنه ، وقد قال أحمد في رواية عنه : إذا تبين خلقه ، ليس فيه اختلاف أنها تعتق بذلك إذا كانت أمة ، ونقل عنه أيضا جماعة في العلقه إذا تبين أنها ولد أن الأمة تعتق بها ، وهو قول النخعي ، وحكى قولاً للشافعي ، ومن أصحابنا من طرد هذه الرواية عن أحمد في انقضاء العدة به أيضا . وهذا كله مبني على أنه يمكن التخليق في العلقه كما قد يستدل على ذلك بحديث حذيفة بن أسيد المتقدم إلا أن يقال : حديث حذيفة إنما يدل

على أنه يتخلق إذا صار لحما وعظما ، وأن ذلك قد يقع في الأربعين الثانية ، لا في حال كونه علقه ، وفي ذلك نظر⁽¹³⁷⁾ ، والله أعلم. إ.هـ.

ما يستفاد من شرح هذا الحديث:

- هذا الحديث متفق على صحته عند البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود ، وتلقته الأمة بالقبول.
- قول عبد الله بن مسعود أن النطفة يتم جمعها في أربعين يوما ، ويتم تصويرها في الأربعين الثانية وقبل الأربعين الثالثة قول معتبر
- حديث حذيفة بن أسيد يشهد بأن اللحم والعظم والتصوير يكون في مدة 42 يوما " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها " وهذا يبين أيضا أن التصوير يكون في الأربعين الثانية كما فهمه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.
- وحديث مالك بن الحويرث يشهد لتصوير النطفة في سبعة أيام وقد بينت معنى هذا التصوير من قبل.
- حديث الإمام أحمد من رواية **علي بن زيد** سمعت أبا عبيدة يحدث قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوما على حالها لا تغير ، فإذا مضت الأربعون ، صارت علقه ، ثم مضت كذلك ، ثم عظاما كذلك ، فإذا أراد الله تعالى أن يسوي خلقه ، بعث الله إليها ملكا ، وذكر بقية الحديث .ضعفه العلماء
- الأحاديث الموقوفة التي وردت عن الصحابة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود والتي أخرجها الإمام بن جرير الطبري في تفسيره لا يعتد بها ، وكان **السدي** مختلف في أمره ، وكان **الإمام أحمد** ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد ، كما كان هو وغيره ينكرون على **الواقدي** جمعه الأسانيد المتعددة للحديث الواحد .
- اختلاف العلماء في فهمهم لهذا الحديث فمنهم من قال فهذا الحديث يدل على أنه يتقلب في مائة وعشرين يوما ، في ثلاثة أطوار ، في كل أربعين

¹³⁷ (كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي(157-161): سنة النشر 1422هـ / 2001م

يوماً منها يكون في طور ، فيكون في الأربعين الأولى نطفة ، ثم في الأربعين الثانية علقه ، ثم في الأربعين الثالثة ، مضغاً ثم بعد المائة وعشرين يوماً ينفخ الملك فيه الروح ح ، ويكتب له هذه الأربع الكلمات . ومنهم من فهمها في الأربعين يوماً كابن الزمكاني عليه رحمة الله ، وابن رجب الحنبلي عليه رحمة الله

الإشكالات وما ترتب عليه من أحكام فقهية

ورد في هذا الحديث بعض الإشكالات التي قد تؤدي إلى سوء فهم الحديث الإشكال الأول: في الحديث دلالة على أن جمع الخلق ونفخ الروح في الجنين يكون بعد مضي مائة وعشرين يوماً منذ إبتداء الحمل الإشكال الثاني: إتفق الفقهاء على تحريم إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، ونفخ الروح عندهم يكون بعد 120 يوماً

الإشكال الثالث: قوله صلى الله عليه وسلم (فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ظاهره فيه إشكال وهو أن الإنسان مسير وليس بمخير كما يقول القدرية ، وأن الإنسان مجبور على أعماله كما يقول الجبائية وكلاهما باطل

الإشكال الرابع: الحكم على الناس بالخلود في الجنة أو النار

رفع الإشكالات المفهومة من النصوص الواردة

الإشكال الأول: في الحديث دلالة على أن جمع الخلق ونفخ الروح في الجنين يكون بعد مضي مائة وعشرين يوماً منذ إبتداء الحمل بعد أربعين يوماً؟

والذي أدى إلى ذلك هو الفارق بين اللفظين عند الإمامين البخاري وسلم حيث أن لفظ مسلم فيه زيادة على لفظ البخاري لفظة : « في ذلك » ولا توجد هذه اللفظة في صحيح البخاري . ولذلك اختلف شراح الأحاديث إلى قولين في شرح هذا الحديث حول متى يكتمل جمع الخلق بعد أربعين يوماً أم بعد مائة وعشرين يوماً:

القول الأول: اكتمال جمع الخلق بعد مائة وعشرين يوماً وهذا المعنى يمكن فهمه من لفظ الحديث في صحيح البخاري لأنهم حملوا لفظة: «مثل ذلك» على المثلية في الأربعين فيكون أربعين يوماً نطفة، وأربعين يوماً علقة، وأربعين يوماً مضغة، فيكون الجمع لهذه الأيام مائة وعشرين يوماً، ثم يكون نفخ الروح بعدها وأصحاب هذا القول كثر منهم: الإمام النووي⁽¹³⁸⁾. ويدر الدين العيني الحنفي⁽¹³⁹⁾. وابن حجر العسقلاني⁽¹⁴⁰⁾. والقاضي عياض⁽¹⁴¹⁾. ومحمد الأمين الشنقيطي⁽¹⁴²⁾ والإمام القرطبي في تفسيره⁽¹⁴³⁾. وابن القيم الجوزية⁽¹⁴⁴⁾. وابن عاشور⁽¹⁴⁵⁾

القول الثاني: أن اكتمال ج مع الخلق يكون بعد أربعين يوماً : وأما أصحاب هذا القول فنذكر منهم : ابن الزمكاني¹⁴⁶: وهو "محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزمكاني : فقيه، انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره (667 هـ - 727 هـ)⁽¹⁴⁷⁾". وقد بين الإمام بن رجب الحنبلي الاستعانة بنصوص التصوير في الأرحام لفهم حديث عبد الله بن مسعود ورفض حديث الإمام أحمد عن علي بن زيد كما بينت سابقاً.

يقول ابن حجر في فتح الباري "ومال بعض الشراح المتأخرون إلى الأخذ بما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد من أن التصوير والتخليق يقع في أواخر الأربعين الثانية حقيقة. ونقل ابن الزمكاني عن ابن الحاجب في الجواب عن ذلك أن العرب إذا عبرت عن أمر بعده أمور متعددة ولبعضها تعلق بالأول حسن تقديمه لفظاً على البقية وإن كان بعضها متقدماً عليه وجوداً، وحسن هنا لأن القصد ترتيب الخلق الذي سبق الكلام لأجله⁽¹⁴⁸⁾. وتبع هذا القول من المتأخرين في

¹³⁸ (شرح النووي على صحيح مسلم، 190/16.

¹³⁹ (عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي عمدة القاري، 293/3.

¹⁴⁰ (فتح الباري، 483/11.

¹⁴¹ (فتح الباري، 484/11.

¹⁴² (أضواء البيان، 271/4.

¹⁴³ (تفسير القرطبي، 7/12.

¹⁴⁴ (التبيان في أقسام القرآن دراسة وتحقيق محمد حامد الفقي الناشر/2، 340.

¹⁴⁵ (محمد الطاهر بن عاشور التونسي في التحرير والتنوير من التفسير سورة البقرة.

¹⁴⁶ (فتح الباري، 485/11.

¹⁴⁷ (الأعلام للزركلي، 284/6.

¹⁴⁸ (فتح الباري

عصرنا الحاضر بعض العلماء والمشايخ المتخصصين في الإعجاز العلمي منهم الدكتور محمد دودح ، والدكتور مجاهد أبو المجد ، الشيخ عبد المجيد الزنداني ومعه مجموعة من الأساتذة الأجانب المتخصصين في علم التشريح والأجنة⁽¹⁴⁹⁾.

الراجع في أقوال العلماء:

وإذا عدنا إلى فهم علماء المسلمين للحديث النبوي المشار إليه سابقاً نرى أنه قد وقع خلاف بينهم في تحديد مدة النطفة والعلقة والمضغة ، هل هي أربعون يوماً لكل مرحلة منها ؟ ، أم هي أربعين يوماً للمراحل جميعاً ؟ بناء على تفسيرهم لحديث عبد الله بن مسعود السابق.

لقد فسر بعض هؤلاء العلماء هذا الحديث على أنه يعني أن النطفة والعلقة والمضغة تتم على التوالي في فترات طول كل منها أربعون يوماً فيكون المجموع مائة وعشرون يوماً، وفهموا أن عبارة **«مثل ذلك»** تشير إلى الفترة الزمنية **«أربعين يوماً»** واستنتجوا من ذلك أن المضغة لا تتم إلا بعد (120) يوماً⁽¹⁵⁰⁾.

وعلى هذا بنى الإمام أحمد مذهبه المشهور في أن الجنين إذا تم له أربعة أشهر ثم سقط فإنه يصل على وبأخذ حكم الآدميين أما إذا سقط دون أربعة أشهر قبل نفخ الروح فبضعة لحم لا يتعلق به حكم فلا يكفن ولا يصل على ولا يدفن في المقبرة بل يوارى في حفرة . وظاهر الحديث أن التصوير يبدأ في أول الأربعين الثالثة فإذا ألفت المرأة ما يتبين فيه خلق الإنسان بأن كان فيه تخطيط فحكمها حكم النفساء تعتد بهذا الدم وتجلس فيه عن الصلاة والصوم ، والمدة التي يتبين فيها خلق الإنسان غالباً ثلاثة أشهر وأقلها واحد وثمانون يوماً وإن لم يتبين فيه خلق الإنسان فدمه دم فساد لا تعتد به ولا تترك لأجله العبادة وحكمها حكم الطاهرات ولا تنقض به عدة المتوفى عنها زوجها⁽¹⁵¹⁾

¹⁴⁹ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني ومجموعة من الأساتذة الأجانب في علم التشريح والأجنة 149

¹⁵⁰ (علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني ومجموعة من الأساتذة الأجانب في علم التشريح والأجنة

¹⁵¹ (خالد بن سعود البليهد عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة

<http://www.saaaid.net/Doat/binbulihed/12.htm>

حل الخلاف⁽¹⁵²⁾:

وبعد تجميع النصوص الواردة في الباب وتحقيقها والنظر فيها جميعاً تبين أن القول بأن المضغة لا تتم إلا بعد مائة وعشرين يوماً قول غير صحيح للأدلة التالية:

1- روى حديث عبد الله بن مسعود السابق كل من الإمامين البخاري ومسلم، ولكن رواية مسلم تزيد لفظ «في ذلك» في موضعين قبل لفظ «علقة» وقبل لفظ «مضغة» وهي زيادة صحيحة تعتبر كأنها من أصل المتن جمعاً بين الروايات. وعلى هذا تكون الرواية التامة لألفاظ الحديث كما هي ثابتة في لفظ مسلم: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك... الحديث⁽¹⁵³⁾».

2 - ذكر القرآن الكريم أن العظام تتكون بعد طور المضغة، قال تعالى : ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ [المؤمنون: 14] وحدد النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة أن بدء تخلق العظام يكون بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكون النطفة فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها... الحديث⁽¹⁵⁴⁾».

3 - أثبتت دراسات علم الأجنة الحديثة أن انتشار العظام يكون في الأسبوع السادس ، ووكسوة العظام باللحم في الأسبوع السابع ، مما يؤيد المعنى الواضح الظاهر لحديث حذيفة.

في الحقيقة هذا كلام مفيد ، ولكن الأمر يحتاج إلى مزيد إيضاح ، ولذلك أضيف إلى كلام العلماء في هذه المسألة عدة أمور لتتجلى الفائدة

عدة أمور لكي تتم الفائدة من حل هذا الإشكال

¹⁵² (علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة 149- 152 .

¹⁵³ (أخرجه مسلم في صحيحه 4/2036 ، برقم: 2643 .

¹⁵⁴ (أخرجه مسلم في صحيحه 4/2037 ، برقم: 2645 .

- 1 - القول بأن العظام يبدأ تخليقها بعد مائة وعشرين يوماً يتعارض مع النص القرآني الذي يفيد بأن العظام تأتي متعاقبة بعد المضغة وذلك بنص حرف العطف (ف) الذي يفيد التعاقب ومن المعلوم من علم الأجنة أن المضغة التي يتخلق منها العظام تكون في الأربعين يوماً الأولى.
- 2 - ذكر جمع الخلق في حديث عبد الله بن مسعود عند البخاري ومسلم سواء المتفق عليه أو المختلف في زيادة اللفظ عند مسلم ، يقف عند الأربعين يوماً عند المضغة ، بينما حديث حذيفة بن أسيد بين أن التصوير والعظام واللحم والسمع والبصر والجلد يكون في 42 يوماً أي بعد مرحلة جمع التخليق حتى المضغة ، وبذلك يرتفع الإشكال. أي لا بد من الجمع بين الحديثين ، والتفريق بين جمع الخلق ومدته الزمنية التي وردت في حديث عبد الله بن مسعود ، وبين التصوير ومدته الزمنية التي وردت في حديث حذيفة بن أسيد.
- 3 - حديث مالك بن الحويرث يشهد لتصوير النطفة في سبعة أيام (وقد يكون هذا هو التصوير من الجينات في ذلك الوقت بمعنى ترجمة الحمض النووي في الصبغيات إلى خلايا تتميز في هذه المرحلة لتعطى فيما بعد الأنسجة والأعضاء والأجهزة للجسم)
- 4 - حديث الإمام أحمد من رواية **علي بن زيد** سمعت أبا عبيدة يحدث قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً على حالها لا تغير ، فإذا مضت الأربعون ، صارت علقة ، ثم مضغة كذلك ، ثم عظاما كذلك ، فإذا أراد الله تعالى أن يسوي خلقه ، بعث الله إليها ملكا " ، وذكر بقية الحديث .ضعفه العلماء
- 5 - الأحاديث الموقوفة التي وردت عن الصحابة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود والتي أخرجها الإمام بن جرير الطبري في تفسيره لا يعتد بها ، وكان السدي مختلف في أمره ، وكان الإمام أحمد ينكر عليه جمعه الأسانيد المتعددة للتفسير الواحد ، كما كان هو وغيره ينكرون على الواقدي جمعه الأسانيد المتعددة للحديث الواحد .

- 6 - تفسير عبد الله بن مسعود نفسه للجمع أنه فى أربعين يوماً ، ويتم تصويرها فى الأربعين الثانية بين الفرق بين الجمع والتصوير والمدة الزمنية لهما
- 7 - وذكر علماء الطب ما يوافق أن جمع الخلق يكون فى الأربعين يوماً الأولى من الحمل
- 8 - وقد ذكر ذلك كيث مور فى كتابه تطور خلق الإنسان كما ذكره غيره من العلماء المتخصصين فى هذا العلم أمثال مارشال جونسون وبيرسود
- 9 - الآية : **يأيتها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة (5) يبين أن التخليق يكون للمضغة التى تطورت من النطفة**
- 10 - الحديث الموقوف لفظا المرفوع حكما للإمام العيني فى كتابة عمدة القارى فى شرحه لصحیح البخارى ، وعند الإمام مسلم ، ولالإمام بن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى ، ولالإمام الألبانى فى الصحيح الجامع : عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : **(إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا فَقَالَ يَا رَبِّ مَخْلُقَةٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُقَةٍ) والشاهد منه قول عبد الله بن مسعود (إذا وقعت النطفة فى الرحم) ووقوع النطفة فى الرحم يكون بعد تحولها إلى مرحلة التوتة ، التى تتعلق فى الرحم لتعطى العلقة ، التى تتطور إلى مضغة**
- 11 - الأحاديث التى وردت عن حذيفة بن أسيد الغفارى التى تشير إلى أن التصوير للنطفة يكون ما بين 40 - 45 ليلة أو يوماً ، ويتم التنصيص بعد ذلك من نفس الصحابى على 42 ليلة أو يوماً ، تشير إلى أن التصوير لا يتم قبل مدة الأربعين بينما يتم بعدها . قال عبد الله بن مسعود **(إنَّ النُّطْفَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ أَصْحَابِي: خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً تُفَخَّ فِيهِ الرُّوحُ . وعند الإمام مسلم فى صحيحه (يدخلُ المَلَكُ على النُّطْفَةِ بعدما تستقرُّ فى الرَّحِمِ بأربعينَ ، أو خمسةٍ وأربعينَ ليلةً)**

وعلى هذا يتضح أن معنى «مثل ذلك» فى حديث عبد الله بن مسعود لا يمكن أن يكون مثلية فى الأربعينات من الأيام . وللتوفيق بين أحاديث النبى صلى الله

عليه وسلم في هذا الباب نقول⁽¹⁵⁵⁾: إنه لما كان اسم الإشارة في قوله «مثل ذلك» لفظاً يمكن صرفه إلى واحد من ثلاثة أشياء ذكرت قبله في الحديث، وهي: جمع الخلق، وبطن الأم، وأربعين يوماً، فهو لفظ مجمل يحمل على اللفظ المبين للمقصود من اسم الإشارة في قوله ، والذي يبين لنا ذلك حديث حذيفة الذي يمنع مضمونه أن يعود اسم الإشارة على الفترة الزمنية (أربعين يوماً) لأن النص المجمل يحمل على النص المبين حسب قواعد الأصوليين.

ولا يصح أن يعود اسم الإشارة على (بطن الأم) لأن تكراره في الحديث لا يفيد معنى جديداً فكأنه قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك البطن علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك البطن مضغة مثل ذلك) وهذا التكرار للفظ البطن سيكون حشواً في الكلام يتعارض مع فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإذا كان اسم الإشارة في الحديث لا يصح إعادته إلى الأربعين يوماً ولا إلى بطن الأم ، فيتعين بناء على ذلك أن يعود اسم الإشارة في قوله «مثل ذلك» على جمع الخلق، لا على الأربعينات، وهو ما توصل إليه، وحققه أحد علماء المسلمين المشهورين -ابن الزمكاني - في القرن السابع الهجري . واستنتج من ذلك أن النطفة والعلقة والمضغة تتم خلال الأربعين يوماً الأولى.

قال ابن الزمكاني يرحمه الله: "وأما حديث البخاري فنزل على ذلك، إذ معنى يجمع في بطن أمه، أن يحكم ويتقن، ومنه رجل جميع أي مجتمع الخلق". فهما متساويان في مسمى الإتيان والإحكام لا في خصوصه، ثم إنه يكون مضغة في حصتها أيضاً من الأربعين، محكمة الخلق مثلما أن صورة الإنسان محكمة بعد الأربعين يوماً فنصب مثل ذلك على المصدر لا على الظرف.

ونظيره في الكلام قولك: إن الإنسان يتغير في الدنيا مدة عمره. ثم تشرح تغييره فتقول: ثم إنه يكون رضيعاً ثم فطيماً ثم يافعاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا

¹⁵⁵ (عبد الكريم على الفهدي الأثنين 7 يناير 2013 أهمية الإعجاز بين المسلمين قلا من كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة=1 www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1

يتوفاه الله بعد ذلك. وذلك من باب ترتيب الإخبار عن أطواره التي ينتقل فيها مدة بقائه في الدنيا.

ومعلوم من قواعد اللغة العربية أن (ثم) تفيد الترتيب والتراخي بين الخبر قبلها، وبين الخبر بعدها، إلا إذا جاءت قرينة تدل على أنها لا تفيد ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: 153، 154]. ومن المعلوم أن وصية الله لنا في القرآن جاءت بعد كتاب موسى ف (ثم) هنا لا تفيد ترتيب المخبر عنه في الآية، وعلى هذا يكون معنى حديث ابن مسعود: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك» (أي في ذلك العدد من الأيام) «علقة» (مجتمعة في خلقها) «مثل ذلك» (أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين) «ثم يكون في ذلك» (أي في نفس الأربعين يوماً) «مضغة» (مجتمعة مكتملة الخلق المقدر لها) «مثل ذلك» أي مثلما اجتمع خلقكم في الأربعين يوماً.

وقوله: «ثم يكون علقه مثل ذلك» أي: ثم إنه يكون في الأربعين المذكورة علقه تامة الخلق، متقنة محكمة الأحكام الممكن لها، الذي يليق بنعمه سبحانه وتعالى⁽¹⁵⁶⁾.

وبالجمع بين نصوص الرويات جميعها وبينها وبين روايات التصوير في الأرحام لحذيفة بن أسيد الغفاري ، وللجمع بينهما جميعاً وبين نصوص القرآن الكريم يتضح البيان في التالي :

- 1 - نصوص جمع الخلق تتحدث عن مرحلة التخليق من النطفة حتى المضغة وهي مدة الأربعين يوماً أو ليلة
- 2 - نصوص التصوير في الأرحام تتحدث عن المدة ما بين 42-45 والتي تظهر فيها العظام والجلد واللحم والعين والأذن وهي صريحة في ذلك

الإشكال الثاني: إتفق الفقهاء على تحريم إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، ونفخ الروح عندهم يكون بعد 120 يوماً

¹⁵⁶ (علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني ومجموعة برفسورات وغيرهم،

رفع هذا الإشكال بالجمع بين النصوص التي تتكلم عن جمع الخلق في بطون الأمهات ، والتي تتكلم عن التصوير في الأرحام فإذا عُلم أن اللحم والعظم والتصوير يكون في الأسبوع السابع حتى الأسبوع الثامن انتفت الشبهة ، ويجب الإستعانة على فهم هذه النصوص بما توصل إليه العلماء المتخصصون في هذا الشأن والذين بينوا من خلال أبحاثهم أن التخليق ينتهي في الأسبوع السابع لتبدأ بعده مرحلة النشأة الآخرة ، وللأبحاث التي ذكرت أن الأعضاء الداخلية والجلد والرأس والرقبة تكون لها حركة بعد اليوم 42 وأن للمخ موجات كهربائية تم قياسها بالأجهزة المخصصة لذلك وكل هذا يشير إلى نفخ الروح في الجنين بعد 42 يوماً وأنه أصبح نفساً بشرية ، ونشرت هذه الأبحاث في مجلات طبية عالمية وتم تحكيمها قبل نشرها من مراجعين معتمدين في ذات التخصص ، وهذا مفصل في الفصل القادم .

الإشكال الثالث: قوله صلى الله عليه وسلم (فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ظاهره فيه إشكال وهو أن الإنسان مسير وليس بمخير كما يقول القدرية ، وأن الإنسان مجبور على أعماله كما يقول القدرية

يرفع هذا الإشكال ويفسره حديث سهل بن سعد في الصحيحين برواية (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) فهذه الرواية تدل على أن ظاهر عمل الرجل يكون صالحاً وأن باطنه يكون بخلاف ذلك وأن الخاتمة السيئة تكون بسبب دسيئة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس من شك أو نفاق أو رياء ونحوه من أمراض القلب فتغلب عليه تلك الخصلة السيئة عند موته وتوجب له سوء الخاتمة والعياذ بالله ، وكذلك قد يكون ظاهر عمل الرجل فاسداً من أعمال أهل النار وفي باطنه خصلة خفية صالحة لا يطلع عليها الناس من خوف الله ومحبهته وإشفاقه من ذنوبه الكبار وغير ذلك من خصال الخير ثم تغلب عليه تلك الخصلة آخر عمره ويوفق للتوبة فتوجب له حسن الخاتمة . قال عبد العزيز بن أبي رواد "حضرت رجلاً عند الموت يلقي لا إله إلا الله فقال آخر ما قال هو كافر بما تقول ومات على ذلك قال فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر فكان عبد العزيز يقول إتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته".

الإشكال الرابع: الحكم على الناس بالخلود في الجنة أو النار

مذهب أهل السنة والجماعة أن لا يشهد لمعين بجنة ولا نار إلا ما شهد له الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك ، كما شهد بالجنة للعشرة والحسن والحسين وثابت بن قيس وعكاشة وغيرهم ، وكما شهد بالنار لأبي لهب وكركرة وأبي طالب وغيرهم ، ولا يجوز الحكم على أحد بجنة ولا نار من غير دليل يوجب ذلك إلا أننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ونشهد للمؤمنين بالجنة عموماً ونشهد للكفار بالنار عموماً من غير تعيين.

من فوائد هذا الحديث

ذكر الإمام النووي عليه رحمة الله عز وجل جملة من الفوائد لهذا الحديث

قال الإمام النووي :الحديث أصل في إثبات القدر، وفيه من الفوائد تأكيد الرواية بالتصديق بالتحديث) حدثنا ، وأصح منها التصريح بالسماع ، وتأكيد الرواية بذكر صدق المُخِير وصدق من أخبره، وهو الصادق المصدوق أن خلق الإنسان تم على أطوار ، وأن أطوار الجنين- قبل نفخ الروح- ثلاثة : نطفة فعلاقة فمضغة ، وقد ذكر الله هذه الأطوار مجتمعة في آيتين في سورة الحج والمؤمنون، وذكرها متفرقة في مواضع ، وهذا الحديث علم من أعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذه الأطوار وهذه المقادير لم يكن في العادة الاطلاع عليها،و أن لأرحام ملكاً معيناً يتولى تصوير الجنين ونفخ الروح فيه وكتابة قدره ، وأن خلق جسد الإنسان قبل خلق روحه، وأن نفخ الروح فيه يكون بعد مرحلة الجمع هذه، وتقدير أمر الإنسان رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد وهو في بطن أمه وهذا تقدير خاص لا ينافي القدر العام الأول في اللوح المحفوظ ، ولا ينافي وقوع هذه الأمور بأسباب ، وأن الملك لا يعلم ذلك ولا يكتبه إلا بأمر الله وإعلامه ذلك وهذا التقدير أن خلق الإنسان يكون بأسباب ظاهرة وأسباب خفية، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فهو الخالق حقيقة، وجوب الإيمان بالقدر،والحلف على الفتيا وتأكيد اليقين بذكر صفة الوجدانية في الإلهية، وأن الأعمال بالخواتيم، وأن من كتب شقياً لا بد أن يختم له بسبب ذلك وإن كان يعمل بطاعة الله قبل ذلك ، وأن من كتب سعيداً لا بد أن يختم له بسبب ذلك وإن عمل بمعصية الله قبل ذلك ، وجوب الخوف من سوء الخاتمة ، والحذر من أسبابها ، وجوب الأخذ بأسباب حسن الخاتمة ، استعمال المجاز في الكلام وذلك في التعبير عن الزمن اليسير بمقياس المساحة وهو الذراع، وترتيب الجزاء على العمل ، وأن للسعادة أسباباً وهي الإيمان والتقوى، وللشقاوة أسباباً وهي الكفر واتباع الهوى، وأن كلاً ميسر لما جرى به القدر، وفي الحديث الرد على

القدرية من قوله صلى الله عليه وسلم (أمر بكتب أربع كلمات) ، والرد على الجبرية من قوله (فيعمل بعمل أهل الجنة ويعمل بعمل أهل النار) ، وإثبات الملائكة وأن منهم الموكلين بنبي آدم وأن الملائكة عباد يؤمرون ويُنهون وأنهم يكتبون كتاباً الله أعلم بكيفيتها، وأن الروح شيء قائم بنفسه لا عَرَضٌ وهو ما يقوم بغيره خلافاً لبعض المتكلمين، أن الملك ينفخ ولا نعلم كيفية النفخ، وشاهده من القرآن (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) الأنبياء : 91 والمراد نفخ الملك في فرجها

ولله الحمد والمنة

الفصل الحادى والعشرون

ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكِ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ

تنتهى مرحلة التخليق والتي يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الجنينية وهذا يتوافق مع ما ثبت في علم الأجنة من أن العظام تخلق أولاً ثم تكسى بالعضلات في نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن من تلقيح الب وبيضة ، وبهذا تنتهى مرحلة التخليق. وقد أكد علم الفحص بأجهزة الموجات فوق الصوتية أن جميع التركيبات الخارجية والداخلية الموجودة في الشخص البالغ تتخلق من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن من عمر الجنين . كما يمكن أن ترى جميع أعضاء الجنين بهذه الأجهزة خلال الأشهر الثلاثة الأولى . ثم يبدأ الجنين بعد الأسبوع الثامن مرحلة أخرى يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الحميلية ، ويسميها القرآن الكريم : مرحلة النشأة خلقاً آخر. ولذلك يعتبر طور كساء العظام باللحم الحد الفاصل بين المرحلة الجنينية والحميلية



شكل (1/21) مقارنة بين جنين عمره 35 يوم وآخر 60 يوم (1) و جنين عمره 41 يوم وآخر 44 يوماً (2)

مرحلة النشأة الآخرة :

تبدأ مرحلة النشأة في الأسبوع التاسع حيث ينمو الجنين ببطء إلى الأسبوع الثاني عشر ثم ينمو بعد ذلك بسرعة كبيرة . وتستمر هذه المرحلة حتى نهاية الحمل .

نصوص السنة تحدد زمن أطوار الجنين الأولى :

تروى نصوص السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، تفاصيل خلق الجنين فى بطن أمه ، مع تحديد التوقيت الزمنى لذلك . وهيا بنا تتأمل وتتدبر وتتفكر فى هذه النصوص لنزداد إيماناً بصدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى إليه من ربه العليم الخبير

خصائص مرحلة النشأة:

تختص هذه المرحلة بعدة خصائص أهمها : تطور ونمو أعضاء وأجهزة الجنين وذلك بتهيئتها للقيام بوظائفها . كما تختص بنفخ الروح فيها عند جمهور المفسرين . قال ابن كثير: ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب⁽¹⁵⁷⁾. وقال الألوسى : أي مبينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيواناً ناطقاً سميعاً بصيراً⁽¹⁵⁸⁾.

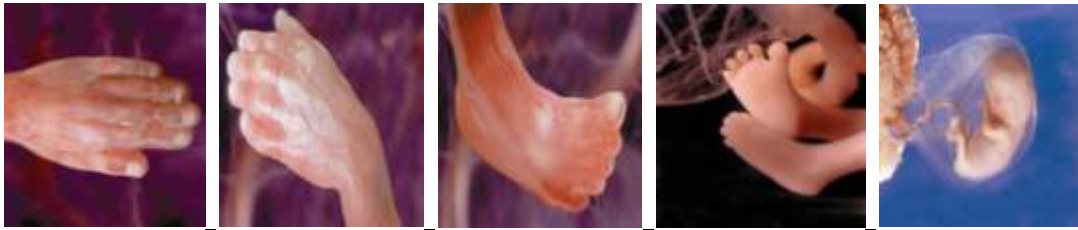
كما تحدث أثناء هذه المرحلة التغيرات فى مقاييس الجسم ويكتسب الجنين صورته الشخصية . وهو ما أشارت إليه الآيات : " الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ(8) سورة الانفطار ، وكلمة " سَوَّاكَ " تعنى جعل الشيء مستويا ومستقيماً ومهياً لأداء شيء محدد ، والتعديل فى اللغة تعنى التقويم وتعنى كلمة " فَعَدَلَكَ " تغير الشكل والهيئة لتكوين شيء محدد . وكلمة صورة تعنى هيئة . وما ذكره القرآن الكريم هو ما قررته حقائق علم الأجنة ؛ فالتسوية تبدأ عقب عملية الخلق والتصوير ونفخ الروح أي بعد الأسبوع الثامن، حيث يستقيم الجنين وتتهياً الأعضاء لأداء وظائفها ، ويتخذ الجنين المقاييس الطبيعية (التعديل).

¹⁵⁷ تفسير بن كثير (251/3)

¹⁵⁸ تفسير روح المعانى للإمام الألوسى (22/10)



شكل (2/21) يبين تحول الجنين من النطفة إلى العقلة ثم النشأة الآخرة مع العمر الزمني ، كما تتغير مقاييس الجسم وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة ، ويكتسب الجنين الصورة الشخصية له " التصوير" (شكل 3/21 ، 4/21 ، 5/21).



شكل(3/21)الجنين في الأسبوع الثامن(1) ، الجنين في الأسبوع الحادي عشر(2) ، الجنين في الأسبوع الثاني عشر(صور3،4،5)



شكل(4/21)الجنين عمره 3شهور(صورة 1) شكل الجنين في 4شهور(صورة 2، 3)



شكل (5/21) الجنين في الشهر الخامس(1)، الجنين في الشهر السادس(2)

إن معجزة خلق الإنسان تذكر الناس دوماً بعظمة الخالق وإبداعه وبأن الله تعالى هو أحسن الخالقين . فيجب أن ينظر الانسان الى نفسه كيف خلق؟؟ ويتدبر ويتفكر في المراحل التي مرت بها خلقته . ما أروع ما ورد في كتاب الله في هذا الشأن قال تعالى : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ(9) سورة السجدة.

من شواهد العلم الحديث على نفخ الروح بعد اليوم 42 من عمر الجنين

وقد لاحظ علماء المخ والأعصاب أن الموجات الصادرة من الدماغ يمكن قياسها في عمر 43-45 يوماً، وكذلك التعابير الواعية من الممكن ملاحظتها بعد هذا العمر

والسؤال ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن هناك تغيرات جذرية تحدث بعد مرور 42 يوماً بالتمام والكمال وفي اليوم 43 يبدأ الدماغ بإطلاق الموجات ويبدأ الطفل بالتفاعل مع محيطه ويبدأ بالإحساس والشعور، إنه يعني أن الروح قد بدأت تمارس نشاطها في جسد الجنين، ويعني أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق علماء الغرب إلى الحديث عن هذه القضية الدقيقة جداً، والتي لا يمكن لبشر أن يتنبأ بها قبل أربعة عشر قرناً!!

وهذا يعني أنه لا يمكن لأحد أن يقدم أي معلومة عن هذه المرحلة إلا إذا كان طبيباً مختصاً وتوافرت له الأجهزة اللازمة ، فهل كان النبي عليه الصلاة والسلام طبيياً ولديه مثل هذه الأجهزة؟ .وهنا لابد أن نتوقف من جديد لنؤكد لأولئك المشككين ونسألهم : كيف علم النبي صلى الله عليه وسلم أن النطفة بعد 42

يومًا بالضبط ستتحوّل إلى مخلوق بشري له سمع وبصر وجلد وعظم؟؟ ! تأمل
يرحمك الله هذه الصورة (شكل 6/22) التي تبين مراحل التخليق والنشأة الآخرة



شكل (6/22) يبين مرحلتى التخليق والنشأة الآخرة

ونستشهد بمشاهدات أهل التخصص لك من البروفيسور كيث مور ، وروغ ببيان
أن العين والأذن تكونان واضحتان فى اليوم 42 وفى الأسبوع السابع

The eyes are developing rapidly, The ears are developing rapidly, 7th week after
conception (Rugh, p 52)⁽¹⁵⁹⁾. The eye is obvious, About day 42 after fertilization
(Moore, p 99)⁽¹⁶⁰⁾

وذكر هيلمان فى سنة 1964 فى جورنال الجمعية الطبية الأمريكية : أن بداية
موجات المخ تم قياسها باستخدام جهاز الكشف على موجات الدماغ وتكون فى
اليوم 40 بعد الإخصاب مما يدل على وظيفة المخ

At only 40 days after fertilization electrical waves as measured by
the EEG can be recorded from the baby's brain, indicating brain
functioning ⁽¹⁶¹⁾

http://www.sfuhi.org/k_appendix_1_sixth_week.htm ⁽¹⁵⁹⁾

(كتاب تطور خلق الإنسان لكيث مور) ⁽¹⁶⁰⁾

⁽¹⁶¹⁾ (47. Hamlin, H. (1964), "Life or Death by EEG," Journal of the American Medical Association, October 12, 113.

وذكر ج ولدن رينج 1982 فى جورنال انجلترا الجديدة للطب : لو اعتبرنا أن الجنين الذى يمثل فى أذهانا نموذجا أكثر تعقيدا إلا أننا نجد باستخدام أجهزة قياس الموجات الكهربائية نجد أن الصادرة من المخ تكون واضحة وحقيقية فى الجنين فى الأسبوع الثامن واستشهد بالأبحاث السابقة له للذين عملوا فى نفس التخصص والدراسة وهم كل من هيلجرز سنة 1978 ، وبرجستروم سنة 1968 ، ايلنجسون وآخرون معه سنة 1970

If we consider⁽¹⁶²⁾ the fetus with the more sophisticated modern definition in mind, we find that brain function, as measured by an electroencephalograph, appears to be reliably present in the fetus at about eight weeks' gestation^(163, 164, 165)

وذكر البروفيسور اندرو هيلجرز هو وزملائه من العلماء والفاحصين فى سنة 1970¹⁶⁶ فى كتابه المنشور فى سنة 1970 أنه قاس هذه الموجات الكهربائية من المخ فى الأسبوع الثامن ، والبروفيسور أندرو هيلجرز هو أستاذ التوليد والتناسل فى مستشفى جامعة جورج تاون ، ومدير معهد كيندى لأخلاقيات البحث العلمى

Hellegers was a professor of obstetrics and gynecology at Georgetown University Hospital and first director of its Kennedy

¹⁶²(Goldenring, J. (1982), "Development of the Fetal Brain," New England Journal of Medicine, August 26, 1982, 564

¹⁶³ (Hellegers A. Fetal development. In: Beauchamp, TL, ed. Contemporary issues in bioethics. Encino, Calif.: Dickenson, 1978:194-9.

¹⁶⁴ (Bergstrom RM. Development of EEG and unit electrical activity of the brain during ontogeny. In: Jilke LJ, Stanislav T, eds. Ontogenesis of the brain. Praha, Czech: University of Karlova Press, 1968:61-71.

¹⁶⁵ (. Ellingson RJ, Guenter HR. Ontogenesis of the electroencephalogram. In: Himwich WA, ed. Developmental neurology. Springfield Ill.: Charles C. Thomas, 1970:441-74.

¹⁶⁶ (Andre Hellegers' "Fetal Development" was first published in *Theological Studies*, March 1970

Institute of Ethics who wrote about biomedical ethics. As with the other scientists and physicians Hellegers was talking about eight weeks from fertilization

وحتى لا أطيل فى سرد التطورات فى مرحلة النشأة الآخرة أحيلك عزيزى القارئ إلى الجدول الأخير فى نهاية الكتاب والذى يشير إلى تطورات التخليق والنشأة الآخرة باللغة الإنجليزية وسأقوم بترجمة كل صف من صفوفه

الفصل الثانى والعشرون

التصوي في الأرحام

وردت آيات كثيرة تبين التصوير فى الأرحام، فما هى حقيقة التصوير فى الأرحام وهل يوجد من السنة النبوية المطهرة ما يفسر الآيات التى ورد فيها التصوير فى الأرحام؟. فلننظر أولا إلى هذه الآيات ثم الأحاديث التى تتكلم عن التصوير فى الأرحام ونوضح هذه الحقيقة العلمية من خلال المعانى اللغوية لكلمة "الخلق" ، "والتصوير" ثم نستشهد بأقوال المفسرين المتخصصين فى تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ، ونوضح الأمر جليا من خلال ابحاث العلماء المتخصصين فى علم التشريح والأجنة.

أولا: الآيات التى ورد فيها التصوير فى الأرحام

وهى بترتيب المصحف كما يلى: قال تعالى:

1. (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) سورة آل عمران.
2. (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سورة الأعراف.
3. (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ) سورة غافر.

4. (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) (24) سورة الحشر.

5. (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (3) سورة التغابن.

6. (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّبَكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ) (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) سورة الانفطار.

ثانيا: الأحاديث النبوية الشريفة التي بينت التصوير فى الأرحام:

- 1 - (خلق الله آدم على صورته) (167)
- 2 - (إذا مرَّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلةً ، بعث الله إليها ملكًا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها ، وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال: يا ربِّ أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتبُ الملكُ ، ثم يقولُ : يا ربِّ أجله ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتبُ لملكُ ، ثم يقولُ : يا ربِّ رزقه ، فيقضى ربك ما شاء ، ويكتبُ الملكُ ، ثم يخرجُ الملكُ بالصحيفةِ في يده ، فلا يزيدُ على أمر ، ولا يُنقصُ) (168)
- 3 - (اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين) (169)
- 4 - وفي رواية أخرى جاء الحديث بزيادة فأحسن صورته موافقة لما في القرآن (سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته) (170)
- 5 - وفي رواية أخرى جاء الحديث بزيادة فأحسن صورته (سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته) (171)

¹⁶⁷ (رواه أحمد والبخاري ومسلم التصوير هنا لأدم عليه السلام

¹⁶⁸ (رواه مسلم بسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري

¹⁶⁹ (رواه مسلم و النسائي و الدراقطني و البيهقي

¹⁷⁰ (رواه مسلم ، وأبو داود ، و النسائي

¹⁷¹ (رواه مسلم و أحمد و ابن حبان و الدار قطني و أبو داود

ملحوظة : أنظر إلى أحاديث التصوير التي وردت في الفصل العشرين في الكلام عم حديث جمع الخلق

التصوير لأدم عليه السلام

ونجد أن بعض الآيات وبعض الأحاديث التي تتكلم عن التصوير توضح أنه يخص آدم عليه السلام كما في سورة الأعراف **(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ (11) ،** وفي الحديث: (خلق الله آدم على صورته) رواه الأئمة أحمد والبخاري ومسلم . والتصوير هنا لأدم عليه السلام ، فذهب بعض العلماء كالطبري وابن كثير إلى أن المقصود في هذه الآية هو آدم ، وأن التصوير حدث بعد الخلق لإيجاد الشكل الخارجي لأدم وقبل سجود الملائكة.

فقال الطبري وابن كثير نقلا عن الزجاج وابن قتيبة **(خَلَقْنَاكُمْ)** أي خلقنا آدم ، **(وَصَوَّرْنَاكُمْ)** بتصويرنا آدم وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر ، فالعرب قد تخاطب الرجل بالأفعال تضيفها إليه ، والمراد في ذلك سلفه كما قال الله لليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ)** فالخطاب موجه إلى الأحياء من اليهود والمراد به سلفهم المعدوم ، فكذلك **(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ)** أي خلقنا أبائكم آدم ثم صورناه.

واختلف العلماء في عودة الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم (على صورته) على من يعود؟ كما في قوله صلى الله عليه وسلم : "خلق الله آدم [على صورته] ، وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسلم على أولئك ، نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ؛ فإنها تحيتك وتحيية ذريتك ، فقال السلام عليكم ، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه: ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورته ، فلم يزل ينقص الخلق حتى الآن (172)" ، وعن أبي هريرة وزاد "فإن الله خلق آدم على صورته" فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها . وقال القرطبي أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكا بما ورد

(172) الراوي: أبو هريرة المحدث **الألباني**- المصدر: **صحيح الأدب المفرد**- الصفحة أو الرقم: 749 خلاصة حكم المحدث: صحيح ، الأدب المفرد للإمام البخاري المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني- الناشر: دار الصديق - الطبعة: الأولى - سنة الطبع 1414هـ

في بعض طرقه (أى طرق الحديث) "أن الله خلق آدم على صورة الرحمن"، قال وكان من رواه أورده بالمعنى متمسكا بما توهمه فغلط في ذلك، وقد أنكر المازري ومن تبعه صحة هذه الزيادة، ثم قال وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى.

قلت الزيادة أخرجها بن أبي عاصم في السنة، والطبراني من حديث بن عمر بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها بن أبي عاصم أيضا من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول، قال "من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن" فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله.

وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم، أي على صفته أي خلقه موصوفا بالعلم، الذي فضل به الحيوان وهذا محتمل. وقد قال المازري غلط بن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره وقال صورة لا كالصور انتهى، وقال حرب الكرمانى في كتاب السنة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن، وقال إسحاق الكوسج سمعت أحمد يقول هو حديث صحيح، وقال الطبراني في كتاب السنة حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: "قال رجل لأبي أن رجلا قال خلق الله آدم على صورته أي صورة الرجل" فقال كذب هو قول الجهمية انتهى. وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد، وأحمد من طريق بن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة مرفوعا: "لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته" وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك.

وكذلك أخرجه بن أبي عاصم أيضا من طريق أبي رافع عن أبي هريرة بلفظ: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورة وجهه" ولم يتعرض النووي لحكم هذا النهي وظاهره التحريم ويؤيده حديث سويد بن مقرن الصحابي أنه رأى رجلا لطم غلامه فقال أو ما علمت أن الصورة محت رمة أخرجه مسلم وغيره⁽¹⁷³⁾.

⁽¹⁷³⁾ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني

قول الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد الدويش العلامة المحدث :

أن الحديث «خلق الله آدم على صورة الرحمن» صحيح بخلاف ما ضعفه الإمام الالباني ، وأن التأويل مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة ، وهو منهج الجهمية ، ونقل هذا الكلام عن ابن تيمية

كلام الشيخ بن باز عن كتاب الشيخ التويجري⁽¹⁷⁴⁾

فهذا كتاب الشيخ التويجري رحمه الله في إثبات صفة من صفات الله عز وجل وهي الصورة، أسأل الله أن ينفع بها وان يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

(قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله خلق آدم على صورته) أخرجه البخاري ومسلم . والصواب في عود الضمير على الرحمن ، وإثبات الصورة لله تعالى على الوجه اللائق به من غير تحريفٍ ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف والمعنى أن الله سبحانه سميعٌ عليم متكلم إذا شاء وهكذا آدم سميع عليم متكلم إذا شاء ، وله وجه ولله وجه ولكن ليس الوجه كالوجه وليس السمع كالسمع وليس العلم كالعلم وليس الكلام كالكلام ؛ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (11) سورة الشورى ا.هـ كلامه (175 ، 176) رحمه الله

ومن مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

- 1 - أخبرني حرب، قال : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : قد صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن آدم خلق على صورة الرحمن".
- 2- وحدثنا إسحاق: ثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن أبي عمير، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا تُقِحُوا الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ".
- 4- قال إسحاق : وإنما عليه أن ينطق بما صحَّ عن رسول الله أنه نطق به . وأخبرنا المروزي، قال : قلت لأبي عبد الله : كيف تقول في حديث النبي (صلى

⁽¹⁷⁴⁾ كتاب (إتخاف أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن) للشيخ التويجري

⁽¹⁷⁵⁾ <http://majles.alukah.net/showthread.php?t=63401>

⁽¹⁷⁶⁾ الكتاب : المنتخب من علل الخلال

الله عليه وسلم): "خلق آدم على صورته"؟ قال أخبرني حرب ، قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول : قد صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن آدم خلق على صورة الرحمن".

5- وحدثنا إسحاق: ثنا جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن أبي عمير، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا تُقِيحُوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن".

6 - قال: الأعمش يقول: عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر : "إن الله خلق آدم على صورة الرحمن". فأما الثوري فأوفقه - يعني: حديث ابن عمر. وأبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) "على صورته". فنقول كما في الحديث(177).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله : خلق الله آدم على صورته(178) أي على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات دفعا لتوهم أن صورته كانت في الجنة على صفة أخرى ، وقيل الضمير لله والمراد بالصورة الصفة من الحياة والعلم والسمع والبصر ، وإن كانت صفاته تعالى لا يشبهها شيء وقيل الضمير للعبد المحذوف من السياق . وأن سبب الحديث أن رجلا ضرب وجه غلام فنهاه عن ذلك وقال : إن الله خلق آدم على صورته كذا في حاشية البخاري للسيوطي . وقال الخطابي الهاء مرجعها إلى آدم عليه السلام فالمعنى إن ذرية آدم خلقوا أطوارا في مبدأ الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صاروا أجنة إلى أن تتم مدة الحمل فيولدون أطفالا وينشؤون صفارا إلى أن يكبروا فيتم طول أجسادهم يقول إن آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة ولكنه أول ما تناولته الخلقة وجد خلقا تاما طوله ستون ذراعا .

وقال الشيخ التوريشتي هذا للام صحيح في موضعه فأما في تأويل هذا الحديث فإنه غير سديد لما في حديث آخر "خلق آدم على صورة الرحمن" ولما في غير هذه الرواية أن النبي رأى رجلا يضرب وجه غلام : "فقال لا تضرب الوجه فإن الله

(177) الكتاب : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . المؤلف : الملا علي القاري . المصدر : موقع المشكاة

الإسلامية www.almeshkat.net/books/index.php

(178) شرح السيوطي لصحيح مسلم : الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، المؤلف : عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي

خلق آدم على صورته" فالمعنى الذي ذهب إليه هذا المؤول لا يلائم هذا القول وأهل الحق في تأويل ذلك على طبقتين: إحداهما المنزهون عن التأويل مع نفي التشبيه وعدم الركون إلى مسميات الجنس وإحالة المعنى فيه إلى علم الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما وهذا أسلم الطريقتين ، والطبقة الأخرى يرون الإضافة فيها إضافة تكريم وتشريف وذلك إن الله تعالى خلق آدم أبا البشر على صورة لم يشاكلها شيء من الصور في الجمال والكمال وكثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة فاستحقت الصورة البشرية أن تكرم ولا تهان إتباعا لسنة الله فيها وتكريما لما كرمه وهو في غاية الأهمية لبهاء ويؤيده قوله تعالى : **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** (كما في سورة التين).

وأغرب الطيبي في تعقبه عليه وفي قوله إن تأويل أبي سليمان سديد يجب المصير إليه وفي ذكر ما لا طائل تحته ولا منفعة لديه فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر أي الجماعة وهم نفر من الملائكة جلوس وقال النووي "خلق الله آدم على صورته" هذه الرواية ظاهرة في أن المصير لآدم وأن المراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفي عليها وهي طوله ستون ذراعا ولم ينتقل أطوارا كذريته وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم يتغير.

وبعد هذا الطرح فخلاصة القول عندي في ما ورد من أحاديث عن خلق آدم على صورته: يتضح رجحان القول بأنه خلق على صورة الرحمن لما يؤيده من أحاديث تبعدنا عن التأويل مع عدم التشبيه أو التمثيل أو التكيف أو التعطيل وهذا منهج أهل السنة والجماعة وهو تمرير النصوص كما جاءت دون تأويل أو تمثيل أو تشبيه أو تكيف أو تعطيل وهذا ما أدين به لله تعالى وعز وجل.

التصوير للذرية:

كما يوجد آيات كثيرة تشير إلى تصوير الذرية في الأرحام منها قوله تعالى:

(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرْكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) (6) سورة آل عمران ، (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) (64) سورة غافر ، (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (24) سورة الحشر ، (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) سورة

التغابن ، (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ يَرْبُّكَ الْكَرِيمُ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(8) سورة الانفطار.

كما توجد أحاديث كثيرة أيضا تتحدث عن تصوير الذرية فى الأرحام ومن هذه الأحاديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا مر بالنطفة اثنتان و أربعين ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها و خلق سمعها وبصرها و جلدها و لحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك) رواه الإمام مسلم ، (اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين) رواه مسلم و النسائي و الدراقطنى و البيهقى. و فى رواية أخرى (سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته) صحيح مسلم و سنن أبى داود و النسائي و جاء الحديث بزيادة فأحسن صورته موافقة لما فى القرآن . و فى رواية أخرى جاء الحديث بزيادة فأحسن صورته (سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته) رواه مسلم و أحمد و ابن حبان و الدار قطنى و أبو داود.

وقد يتوهم أن الخلق والتصوير بمعنى واحد وهذا ما لم يقله أهل العلم الشرعى وكذلك وافقهم علماء الأجنة المحديثين . وقبل أن نبين ذلك لابد من الوقوف على المعانى اللغوية وأقوال المفسرين للفرق بين الخلق والتصوير

معنى الخلق فى اللغة:

ورد فى كتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهانى : أن الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل فى إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال : **خلق السموات والأرض** [الأنعام/1]، أي: أبدعهما، بدلالة قوله : **بديع السموات والأرض** [البقرة/117]، ويستعمل فى إيجاد الشيء من الشيء نحو : **خلقكم من نفس واحدة** [النساء/1]، **خلق الإنسان من نطفة** [النحل/4]، **خلقنا الإنسان من سلالة** [المؤمنون/12]، **ولقد خلقناكم** [الأعراف/11]، **خلق الجن من ماج من نار** [الرحمن/15]، وليس الخلق الذى هو الإبداع إلا لله تعالى، ولهذا قال فى الفصل بينه تعالى وبين غيره : **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** [النحل/17] ، وأما الذى يكون بالاستحالة، فقد جعله الله تعالى لغيره فى بعض الأحوال، كعيسى حيث قال: **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذن** [المائدة/110]،

وفى مختار الصحاح: * خ ل ق * : * الخلق * التقدير يقال خلق الأديم إذا قدره قبل القطع وبابه نصر ، و * الخليقة * الطبيعة والجمع * الخلائق و * الخليقة * أيضا الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله وهو في الأصل مصدر ، و * الخلق * الفطرة ، وفلان * خليق * بكذا أي جدير به ، ومضغة * مخلقة * تامة الخلق ، و * خلق * الإفك من باب نصر و * اختلقه * و * تخلقه * افتراه ومنه قوله تعالى {وتخلقون إفكا} ، و * الخلق * بسكون اللام وضمها السجية وفلان * يتخلق * بغير خلقه أي يتكلفه ، و * الخلاق * النصيب ومنه قوله تعالى { لا خلاق لهم في الآخرة } ، وملحفة * خلق * وثوب خلق أي بال يستوي فيه المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر * الأخلق * وهو الأملس والجمع * خلقان * و * خلق * الثوب بلي وبابه سهل و * أخلق * أيضا مثله و * أخلقه * صاحبه يتعدى ويلزم ، و * الخلوقة * بالفتح ضرب من الطيب و * خلقه تخليقا * طلاه به * فتخلق

الخلق بالنسبة للناس على وجهين :

والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين : أحدهما في معنى التقدير كقول الشاعر:

فلأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري (179)

والثاني: في الكذب نحو قوله : **وتخلقون إفكا** [العنكبوت/17]، وكل موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب.

فإن قيل: قوله تعالى: **فتبارك الله أحسن الخالقين** [المؤمنون/14]، يدل على أنه يصح أن يوصف غيره بالخلق؟ قيل: إن ذلك معناه: أحسن المقدرين، أو يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويزعمون أن غير الله يبدع، فكأنه قيل: فاحسب أن ههنا مبدعين وموجدين، فالله أحسنهم إيجادا على ما يعتقدون ، كما قال: **خلقوا كخلقهم** [الرعد/16]،

والخلق يقال في معنى المخلوق ، والخلق في الأصل واحد، كالشرب والشرب، والصرم والصرم، [لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة] (ما بينا القوسين ذكره المؤلف في

(179) (البيت لزهير وهو في ديوانه ص29؛ وديوان الأدب/2/123)

الذريعة ص 39). قال تعالى: **وانك لعلى خلق عظيم** [القلم/4]، وقرئ: **إن هذا** **إلا خلق الأولين** (سورة الشعراء: آية 137، وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر والكسائي⁽¹⁸⁰⁾). والخلق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه، قال تعالى: **ما له في الآخرة من خلاق** [البقرة/102]، وفلان خليق بكذا، أي: كأنه مخلوق فيه، ذلك كقولك: مجبول على كذا، أو مدعو إليه من جهة الخلق. وخلق الثوب وأخلق، وثوب خلق ومخلق وأخلق، نحو جبل أرمام وأرمات، وتصور من خلقة الثوب الملامسة، فقيل: جبل أخلق، وصخرة خلقاء، وخلقت الثوب: ملسته، واخْلوق السحاب منه، أو من قولهم: هو خليق بكذا، والخلوق: ضرب من الطيب.

معنى التصوير فى اللغة:

ورد فى كتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني: الصورة: ما ينتقش به الأعيان، ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامه، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس، والحمار بالمعانيه، والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامه، كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل، والروية، والمعاني التي خص بها شيء بشيء، وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى: **ثم صورناكم** [الأعراف/11]، **وصوركم فأحسن صوركم** [غافر/64]، وقال: **في أي صورة ما شاء ركبك** [الأنفطار/8]، **وبصوركم في الأرحام** [آل عمران/6]، وقال عليه السلام: (إن الله خلق آدم على صورته) (الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)⁽¹⁸¹⁾. وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله تعالى آدم على صورته، طوله ستون ذراعا⁽¹⁸²⁾ الخ. فالصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك، لا على سبيل البعضية والتشبيه، تعالى عن ذلك، وذلك على سبيل التشريف له كقوله: بيت الله، وناقاة الله، ونحو ذلك. قال تعالى: **ونفخت فيه من روحي** [الحجر/29]،

⁽¹⁸⁰⁾ انظر: الإتحاف ص333

⁽¹⁸¹⁾ أخرجه أحمد2/244

⁽¹⁸²⁾ أخرجه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم/362؛ ومسلم في الجنة برقم(2841)

لسان العرب:

المُصَوِّرُ هو الذي صَوَّرَ جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة يتميز بها على كثرتها. وقد صَوَّرَهُ صُورَةً حَسَنَةً فَتَصَوَّرَ (تشكل). والتَّصَاوِيرُ : التَّمَاثِيلُ.

مختار الصحاح:

مِثْلٌ كَلِمَةٌ تَسْوِيَةٌ وَالمِثْلُ مَا يَضْرِبُ بِهِ مِنَ الأمْثَالِ وَ مِثْلٌ لَهُ كَذَا تَمَثِيلًا إِذَا صَوَّرَ لَهُ مِثَالَهُ بِالْكِتَابَةِ أَوْ غَيْرِهَا وَ التَّمَثَالُ الصُّورَةُ وَالجَمْعُ التَّمَاثِيلُ

تاج العروس:

الصُّورَةُ بِالضَّمِّ : الشَّكْلُ وَالهَيْئَةُ وَالحَقِيقَةُ وَالصِّفَةُ . وَقَالَ المصنِّفُ فِي البصائر : الصُّورَةُ مَا يَنْتَفَشُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَبِمَيِّزٍ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ وَذَلِكَ ضَرْبَانِ : ضَرْبٌ مُحْسوسٌ يُدْرِكُهَا الْإِنْسَانُ وَكثِيرٌ مِنَ الحَيَوَانَاتِ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ وَالفَرَسِ وَالحِمَارِ . وَالثَّانِي : مَعْقُولٌ يُدْرِكُهُ الْخَاصَّةُ دُونَ الْعَامَّةِ كَالصُّورَةِ الَّتِي اخْتَصَّ الْإِنْسَانُ بِهَا مِنَ الْعَقْلِ وَالرَّوْبِضَةِ وَالمَعَانِي الَّتِي مَيَّزَ بِهَا وَإِلَى الصُّورَتَيْنِ أَشَارَ تَعَالَى (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ). وَقَدْ صَوَّرَهُ صُورَةً حَسَنَةً فَتَصَوَّرَ (تشكل).

قال القرطبي و الشوكاني أصل اشتقاق الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله ، فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة (أ.هـ-).

تفسير العلماء لقوله تعالى : {هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء}

تفسير ابن كثير : {هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء} أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى ، وحسن وقبيح ، وشقي وسعيد ، {لا إله إلا هو العزيز الحكيم} أي هو الذي خلق ، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له ، وله العزة التي لا ترام ، والحكمة والأحكام . وهذه الآية فيها تعريض ، بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق ، كما خلق الله سائر البشر ، لأن الله صورته في الرحم وخلقته كما يشاء ، فكيف يكون إلهاً كما زعمته النصارى ، وقد تقلب في الأحشاء وتنقل من حال إلى حال ؟ كما قال تعالى : {يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث}.

تفسير الجلالين : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لا إله إلا هو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه

تفسير القرطبي : قوله تعالى: "هو الذي يصوركم" أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات وأصل الرِّحِم من الرحمة، لأنها مما يتراحم به . واشتقاق الصورة من صاره إلى كذا إذا أماله؛ فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة . وهذه الآية تعظيم لله تعالى، وفي ضمنها الرد على نصارى نجران، وأن عيسى من المصوّرين، وذلك مما لا ينكره عاقل . وقوله تعالى: "كيف يشاء" يعني من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهة، إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة. وذكر عن إبراهيم بن أدهم أن القراء اجتمعوا إليه ليسمعوا ما عنده من الأحاديث، فقال لهم : إني مشغول عنكم بأربعة أشياء، فلا أفرغ لرواية الحديث. فقيل له: وما ذاك الشغل؟ قال: أحدها أني أتفكر في يوم الميثاق حيث قال: (هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي) فلا أدري من أي الفريقين كنت في ذلك الوقت . والثاني حيث صورت في الرحم فقال الملك الذي هو موكل على الأرحام: (يا رب شقي هو أم سعيد) فلا أدري كيف كان الجواب في ذلك الوقت والثالث حين يقبض ملك الموت روعي فيقول: (يا رب مع الكفر أم مع الإيمان) فلا أدري كيف يخرج الجواب . والرابع حيث يقول: "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" [يس:59] فلا أدري في أي الفريقين أكون. ثم قال تعالى: "لا إله إلا هو" أي لا خالق ولا مصور سواه وذلك دليل على وحدانيته، فكيف يكون عيسى إلهًا مصورًا وهو مصور . "العزيز" الذي لا يغالب . "الحكيم" ذو الحكمة أو المحكم، وهذا أخص بما ذكر من التصوير.

تفسير البغوي: "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء" ذكرًا أو أنثى، أبيض أو أسود، حسنًا أو قبيحًا، تامًا أو ناقصًا ، "لا إله إلا هو العزيز الحكيم" وهذا في الرد على وفد نجران من النصارى ، حيث قالوا : عيسى ولد الله ، فكأنه يقول : كيف يكون لله ولد وقد صوره الله تعالى في الرحم . عن زيد بن وهب ، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق "إن خلق أحدكم يجمع في بطن امه أربعين يومًا نظفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك" أو قال: "يبعث إليه الملك بأربع كلمات فيكتب رزفه وعمله وأجله وشقي أو سعيد" قال: "وإن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع

فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". وعن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول : يارب أشقى أو سعيد؟ فيكتب ذلك ، فيقول : يارب أذكر ام أنتى؟ فيكتبان ، ويكتب عمله وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزداد فيها و لا ينقص".

تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني : "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء" أصل اشتقاق الصورة من صاره إلى كذا أي أماله إليه، فالصورة مائلة على بيان إحاطة علمه، وأن من جملة معلوماته ما لا يدخل تحت الوجود، وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم من نطف آبائهم كيف يشاء من حسن وقبيح وأسود وأبيض وطويل وقصير. وقد كان عيسى ممن صور في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل . وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود في قوله : "يصوركم في الأرحام كيف يشاء" قال: ذكوراً وإناثاً. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله : "يصوركم في الأرحام كيف يشاء " قال: من ذكر أو أنثى، وأحمر وأسود، وتام الخلق وغير تام الخلق.

تفسير العلماء فى قوله تعالى : "ولقد خلقناكم ثم صورناكم"

تفسير ابن كثير: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) بينه تعالى بني آدم فى هذا المقام على شرف أبيهم آدم ، وبين لهم عداوة عدوهم إبليس ، وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالى: **{ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا}** وهذا كقوله تعالى: **{وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين}** وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشراً سوياً ونفخ فيه من روحه ، أمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لشأن الله تعالى وجلاله ، فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير ، أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام. وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن منهال بن عمرو

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** } قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء ، رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ، ونقل ابن جرير : عن بعض السلف أيضاً أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية .

تفسير القرطبي: " **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** " لما ذكر نعمه ذكر ابتداء خلقه قال " **ثم صورناكم** " أي خلقناكم نطفاً ثم صورناكم، ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما : المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره . وقال الأخفش : " ثم " بمعنى الواو . وقيل: المعنى " **ولقد خلقناكم** " يعني آدم عليه السلام، **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ، ثم صورناكم؛ على التقديم والتأخير. وقيل: " **ولقد خلقناكم** " يعني آدم؛ ذكر بلفظ الجمع لأنه أبو البشر. " **ثم صورناكم** " راجع إليه أيضاً . كما يقال: نحن قتلناكم؛ أي قتلنا سيدكم . " **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** " وعلى هذا لا تقديم ولا تأخير؛ عن ابن عباس أيضاً. وقيل: المعنى ولقد خلقناكم، يريد آدم وحواء؛ فآدم من التراب وحواء من ضلع من أضلاعه، ثم وقع التصوير بعد ذلك . فالمعنى: ولقد خلقنا أبويكم ثم صورناهما؛ قاله الحسن . وقيل: المعنى خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق . هذا قول مجاهد، رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح . قال النحاس: وهذا أحسن الأقوال . يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق، ثم كان السجود بعد . ويقوي هذا " **واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** " [الأعراف: 172]. والحديث (أنه أخرجهم أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق). وقيل: " ثم " للإخبار، أي ولقد خلقناكم يعني في ظهر آدم صلى الله عليه وسلم، ثم صورناكم أي في الأرحام. قال النحاس: هذا صحيح عن ابن عباس.

قلت: كل هذه الأقوال محتمل، والصحيح منها ما يعضده التنزيل؛ قال الله تعالى : " **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** " [المؤمنون: 12] يعني آدم . وقال: " **وخلق منها زوجها** " [النساء: 1]. ثم قال: " **جعلناه** " أي جعلنا نسله وذريته " **نطفة** " **في قرار مكين** " [المؤمنون: 13] الآية . فآدم خلق من طين ثم صور وأكرم بالسجود، وذريته صوروا في أرحام الأمهات بعد أن خلقوا فيها وفي أصلاب الآباء . وقد تقدم في أول سورة " الأنعام " أن كل إنسان مخلوق من نطفة وتربة؛ فتأمله .

وقال هنا: "**خلقناكم ثم صورناكم**" وقال في آخر الحشر: "هو الله الخالق البارئ المصور" [الحشر: 24]. فذكر التصوير بعد البرء.

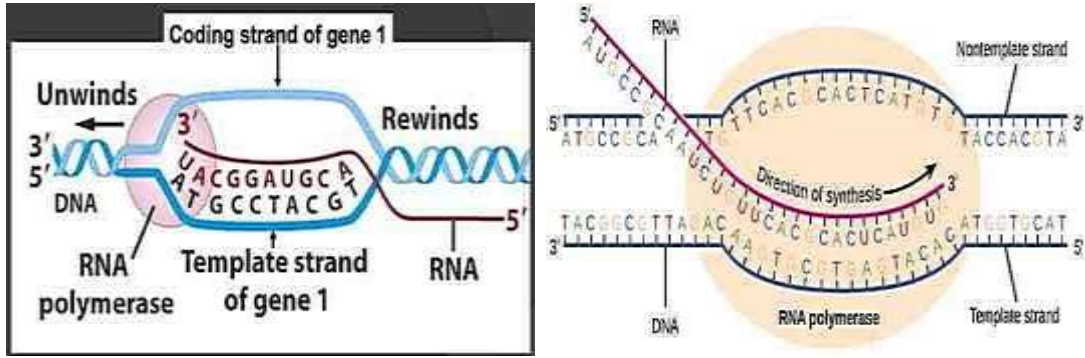
التوجيه العلمى

إن آدم عليه السلام هو أصل البشرية جمعاء لقول الله عز وجل : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)** فهذه النفس الواحدة هى آدم عليه السلام ، وحواء خلقت من ضلع من أضلع آدم لقول الله عز وجل **(وخلق منها زوجها)** ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم **(حواء خلقت من ضلع آدم)** فأخذت منه التركيب البشرى فى الاستقامة والاعتدال والهيئة ، والذرية منهما إلى أن تقوم الساعة لقول الله عز وجل : **(وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** وتواصل بث الذرية يتم فى الأرحام من خلال التصوير . وإذا رجعنا إلى أقوال المفسرين فى مسألة التصوير يعطينا فكره عن لوازم التصوير و هى مصور (وهو الله تعالى) لقوله عز وجل **(هو الذى يصوركم فى الأرحام)** ومكان التصوير (الأرحام) وآلة تصوير والشئ المراد أخذ صورته له (الإنسان ذكرا كان أو أنثى) ومادة يتم التصوير عليها (الفيلم وهو الحمض النووى فى الكروموسومات). والسؤال ماهى آلة التصوير؟

بعد أن خلق الله آدم خلقا كاملا بصورته كما فى الحديث المتفق عليه (خلق الله آدم على صورته) ثم خلق حواء من آدم من ضلع من أضلعه كما بينا سابقا ، فأخذت حواء كثيرا من آدم فى استقامة الجسد وتسوية الأعضاء والأجهزة فيما عدا الاختلافات التكوينية والفسولوجية التى بينهما ، أى أن حواء صورة من آدم عليه السلام وهذا مذكور فى كتابه العزيز فى قوله عز وجل **(وخلق منها زوجها)** وهنا ندرك القدرة الإلهية فى أن خلق حواء من آدم لم يكن نسخة طبق الأصل إنما هناك اختلافات بينهما فالله سبحانه وتعالى عدل هيئة وصورة حواء لتناسب وظيفتها التى خلقت لها . لقد صار الحيوان المنوى من آدم عليه السلام (وهو يحتوى نصف الكروموسومات فى أى خلية جسدية أخرى) صورة طبق الأصل له ، وصارت بويضة حواء عليها السلام (وهى تحتوى نصف الكروموسومات فى أى خلية جسدية أخرى) صورة طبق الأصل لها . وعندما تزوجا آدم حواء وتولدت منهما الذرية أخذت الذكور صورة آدم عليه السلام مع بعض الصفات من حواء عليها السلام ، وأخذت النساء صورة حواء عليها السلام مع بعض الصفات من آدم عليه السلام ، وذلك إلى أن تقوم الساعة مع عدم الاختلاف فى التعديل والاستقامة والتسوية والقدرة على التخطيط والتفكير . ومعنى هذا أن ذرية آدم

وحواء من الذكور والإناث وإلى أن تقوم الساعة هي من صورة آدم وحواء عليهما السلام منذ أن خلقهما الله تعالى على الهيئ البشرية التي كانا عليها من استقامة الجسد وتسويته وتعديله ، فلا نجد في ذرية الرجال والنساء قرودا أو شمبانزى أو فيلة أو حيتان أو غير ذلك من الصور المعروفة لدينا من شتى أنواع المخلوقات الأخرى. وعندما يقدر الله عز وجل من الذرية ذكرا تنسخ صورة من النطفة الأمشاج (نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم) لتكون جميع خلايا الجسد إلا الخلايا التناسلية فيتم اختزال الكروموسومات إلى النصف في كل من الحيوان المنوى والبويضة ، وعند التزاوج تتكون النطفة الأمشاج من 46 كروموسوم وهكذا ، وتكون كروموسومات الحيوان المنوى هي الأصل الذي تؤخذ منه الصورة وهذه الصورة هي ما تسمى بحامل الشفرة (شكل 1/22) messenger RNA (mRNA) وهو الذي يتم ترجمته إلى بروتينات تكون خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة الجسم ، وتكون الهرمونات والانزيمات ، التي يحتاجها الجسم للقيام بوظائفه الحيوية . وعندما يقدر الله أنثى تؤخذ صورة من النطفة الأمشاج وتكون كروموسومات البويضة هي الأصل الذي تؤخذ منه الصورة . إذن فالصورة تكون طبق الأصل من آدم أو حواء على حسب جنس الجنين ، وهي صورة الحامض النووي الموجود بداخل النطفة الأمشاج . ومن المعلوم أن الحامض النووي هو صورته طبق الأصل من صاحبه ، فالله سبحانه وتعالى هو المصور وهو الذي قدر وجعل آلة للتصوير وهي انزيم ر.ن.ا بوليميراز RNA Polymerase ، وهذا الإنزيم موجود في النواة ، وحدث خطأ في هذا التصوير ضئيل جدا ويكون بنسبة 1:1000000 أى أن فى كل مليون نسخة نجد خطأ واحد وهذا الخطأ عند التصوير من الأصل ، وليس فى الأصل نفسه ، حتى يستمر بقاء البشرية إلى أن تقوم الساعة . وهذا يحقق معنى قوله تعالى **(إني جاعل فى الأرض خليفة)** أى إنسان يخلف بعضه بعضا ، دون أن يحدث له انقراض ، فكم من البشر خلقوا فى الماضى والحاضر وخلقوا فى المستقبل دون انقراض لهذا الخليفة الذى يخلف بعضه بعضا دون تشويه فى التسوية والقامة و الصورة التى خلق عليها كل من آدم وحواء . إن الحامض النووي يمثل الوسيط فى نقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء بحيث يكون الآباء هم الأصل و الذرية لهم صورة. كما أن الله عز وجل جعل انزيم آخر له مسئولية تصحيح البروتينات التى

يتم ترجمتها من حامل الشفرة (الصورة من الأصل) وهو انزيم ر.ن.ا ترانسفيراز RNA transferase tRNA



شكل (1/21) يبين نسخ الصفات الوراثية من على الحمضالنووى باستخدام انزيم ر.ن.ا بوليمراز RNA polymerase لتكوين حامل الشفرة الوراثية

التصوير الجينى والتصوير الجينى

إذن فنحن أمام أمرين اثبتهما العلم الحديث فى نهاية القرن العشرين وهما التصوير الجينى ، والتصوير الجينى . أما التصوير الجينى الأول كان لذرية آدم من نطفته ونطفة حواء عليهما السلام ، ويوارثها الأجيال من بعده ما جيلا من بعد جيل . وكان ومازال التصوير الجينى للذرية من خلفهما جيلا من بعد جيل حتى تقوم الساعة . والتصوير الجينى الأول كان لأبناء آدم وحواء فى رحم حواء ، والتصوير الجينى للذرية من بعدهما من الأباء والأمهات فهو مستمر للأجيال جيلا من بعد جيل فى أرحام الأمهات .

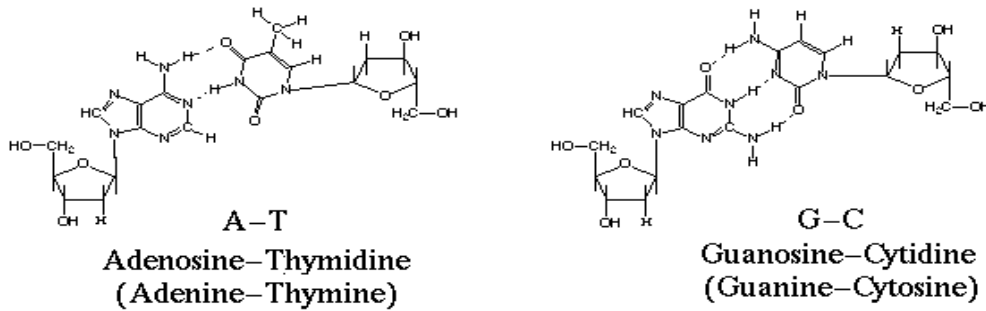
كيف يكون التصوير الجينى :

أصبح من المعلوم أن الصفات الوراثية التى تنتقل من الأباء والأمهات تكون متواجدة على الحمض النووى وهذا الحمض عليه نيوكليتيديات ، وكل واحدة منها تتكون من سكر الدى أوكسى ريبوز Deoxyribose وقاعدة نيتروجينية ومجموعة فوسفات. ويوجد أربع قواعد نيتروجينية على الحمض النووى (شكل 2/22) وهى الأدينين ويرمز لها بالرمز A ، والثيامين ويرمز لها بالرمز T ، والجوانين ويرمز لها

بالرمز G ، والسيتوزين ويرمزها بالرمز C. ويعد الترتيب المحدد لل قواعد النيتروجينية A و T و C و G في غاية الأهمية ، فهذا الترتيب يحدد جميع أوجه التنوع الحيوي بين جميع الكائنات الحية ، رغم أن هذه القواعد الأربعة موجودة كما هي في أي كائن حي ، وإنما الذي يعطيه الصفات الخاصة به هو ترتيب هذه القواعد على الحمض النووي فسبحان الخلاق العظيم . ففي هذا الترتيب تكمن الشفرة الوراثية Genetic code ، فكما أن ترتيب الحروف التي تتكون منها الكلمات هو الذي يجعلها ذات معنى ، فإن ترتيب هذه الحروف يحدد كون هذا الكائن الحي إنساناً أو حيواناً أو طيراً أو ميكروباً من الميكروبات أو نباتاً من النباتات. كل هذه الكائنات الحية ، التي اكتشفها العلماء على وجه الكرة الأرضية سواء في وديانها وسهولها وجبالها أو في بحورها ومحيطاتها وأنهارها والتي تقدر بملايين الأنواع ، أو تلك التي لم تكتشف بعد ، فجميعهم مبنى على هذه القواعد النيتروجينية الأربعة **(سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا)**. إن فصيلة واحدة من الحيوانات أو النباتات أو الطيور أو الأسماك تحتوي على آلاف الأنواع تحتها . إن العلماء سواء منهم المتخصصين في علم البيولوجي ، أو الميكروبيولوجي ، أو النباتات ، أو الوراثة درسوا التابع النيوكليتيدي للعديد من هذه الكائنات الحية ، وكانت النتيجة أن جميع الأحماض النووية لهذه الكائنات تتشابه في احتوائها على القواعد النيتروجينية الأربعة وإنما تختلف عن بعضها في ترتيب هذه القواعد على الحمض النووي فيألها من قدرة الالهية على الخلق والإبداع **(بديع السموات والأرض)** أي خلقهما على غير مثال سابق . هذه القدرة الإلهية على الخلق والإبداع وهذا التنوع في شتى أنواع المخلوقات الحية المعروفة لنا تجعلنا نفكر في عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل ، وتجعلنا نتدبر عظمة هذه المخلوقات ، ولهذا يشير المولى عز وجل إلى هذا في كتابه العزيز **(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)** بل يشير المولى إلى مخلوقات هي أعظم خلقاً من خلقنا نحن البشر فيقول سبحانه وتعالى **(أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها (27) رفع سمكها فسواها (28) وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (29) والأرض بعد ذلك دحاها(30)أخرج منها ماءها ومرعاها (31) والجبال أرساها(32) متاعاً لكم ولأنعامكم(33) سورة النازعات ، ويقول سبحانه وتعالى وعز وجل **(لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون(57) سورة غافر. نعم بشهادة علماء الفلك أن السماء الدنيا تحتوي على 100 مليار مجرة ،****

وكل مجرة تحتوى على ملايين النجوم والكواكب (وكل فى فلك يسبحون) دون تصادم لهذه المجرات ببعضها ، أو النجوم والكواكب داخل المجرة ببعضها فسبحان من خلق فأبدع يقول سبحانه وتعالى ومذكرا ومنها لعباده حتى يتفكروا ويتدبروا (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (7) سورة السجدة

DNA Basepairs



شكل (2/22) يبين ترابط القواعد النروجينية مع سكر خماسى ومجموعة فوسفور على الحمض النووى ويبين فيه ترابط بين A-T , G-C

نعم إن التصوير لا يتم إلا من خلال هذه القواعد التروجينية على اختلاف ترابطها وتكوينها للجينات ، والجينات يتكون منها حامل الشفرات ، وحامل الشفرات يترجم إلى بروتينات فى الريبوسومات ، والبروتينات تكون الخلايا والأنسجة والعضلات والأعضاء والأجهزة والعظام والانزيمات والهرمونات وكل ما يحتاجه الجسم البشرى ليكون فى أحسن صورة كما قال ربنا عز وجل {وصوركم فأحسن صوركم} [غافر/ 64]



شكل (3/22) يبين صورة الجنين (يمين) وقد بلغ عمره 41 يوماً، وحتى هذه اللحظة لا نكاد نميز الصورة البشرية له، ولكن بعد اليوم الثاني والأربعين تبدأ مباشرة الصورة الإنسانية بالوضوح، ولذلك فإن الصورة اليسرى نرى فيها ملامح جنين إنسان ويظهر لها الأذنين والعينين بوضوح وكذلك القدمين واليدين والأصابع



جنين عمره 47 يوماً، فنرى الأذنين والعينين

شكل (4/22) جنين عمره خمسة أسابيع والجلد

ولا نرى أية ملامح بشرية عليه (يمين)

(يسار)

نعم يتم التمايز بين أجنة الحيوانات ومنها الانسان بعد مرحلة التصوير فى الأرحام ، أما قبل مرحلة العظام واللحم فتشابه الأجنة . يقول العلماء إن معظم أنواع الحيوانات فى طور المضغ تأخذ شكلاً غير متميز فلا نستطيع التمييز بين أجنحتها فى هذا الطور، وبالتالي فإن الجنين لم يتم تصويره بعد بالشكل الإنسانى إلا من بعد الأسبوع السابع . ولا نرى السمع والبصر والجلد والعظام واضحاً إلا فى الأسبوع الثامن (الشكل 4/22) فسبحان الله الخالق البارئ المصور سبحانه الله العظيم .

يقول كيث مور "أما العين فتبدو واضحة في اليوم 42 بعد الاخصاب" (183)

The eye is obvious, About day 42 after fertilization



شكل (5/22) يبين تمايز أجنة الحيوانات عن الانسان في مرحلة التصوير في الارحام

الفرق بين الخلق والتصوير

أولا يبين الله عز وجل في كتابه العظيم أن الخلق يشمل جميع المخلوقات والتصوير يشمل المخلوقات التي فيها روح ، وإليك عزيزي القارئ الآيات التي تشير إلى ذلك.

- ◆ حواء (خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) النساء
- ◆ الأنعام (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ) (5) النحل
- ◆ النبات (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) (36) يس
- ◆ إبليس (وَإِنِّي خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (12) الأعراف
- ◆ الجن (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) (27) الحجر
- ◆ السماء والأرض (لَخَلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) (57) غافر
- ◆ الطرائق (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) (17) المؤمنون

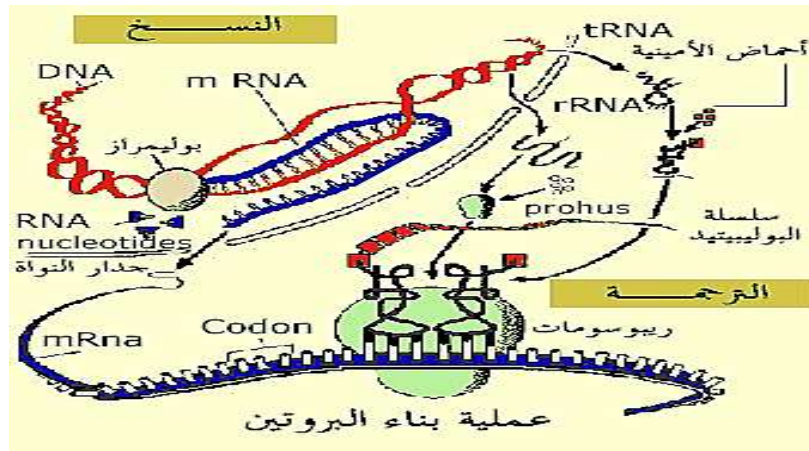
وهذا يوضح لنا أن كل مصور مخلوق و ليس كل مخلوق بمصور , قال تعالى (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (16) الرعد.

ومن سنة النبي صلى الله عليه و سلم كما في البخاري (أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ولد لي غلام أسود فقال النبي هل لك من

(The human developing) Moore, p 99 (183)

ابل, قال نعم, قال ما ألوانها, قال حمر, قال هل فيها أورك, قال نعم, قال فأنى ذلك, قال لعل نزع عرق, قال لعل ابنك هذا نزع عرق.

لا يستطيع أي عالم من علماء الوراثة أن ينكر أن ترجمة الحامض النووي في الخلية البشرية يعطى صورة الجسم البشرى ، وأن الجنين في الرحم هو نتيجة ترجمة هذا الحامض النووي في النطفة . ولذا سمي الله الجنين في الرحم صورة (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ) ، (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبُّكَ). و كلمة التصوير المستخدمة في ال قرآن و السنة أدق من كلمة النسخ (Copy = Transcript) المستخدمة في اللغة الانجليزية لوصف انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر الأمشاج إلى حامل الشفرة mRNA, فالنسخ يقتضى النقل الحرفي بدون تغيير ، أي المساواة أو التكرار. والتكرار قد يحدث في التكاثر اللاجنسى في الكائنات الحية من أجل تضاعف عدد الخلايا ، ولكنه لا يحدث في أثناء انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر الأمشاج ، وإلا لما كان هناك تحسين في النسل ، ولأصبح الأبناء مثل الآباء في الشكل و التركيب الوراثي. أما كلمة التصوير (التمثيل) فهي فى لغة العرب تدل على احتمالية حدوث تغير في الصورة عن الأصل حتى ولو كان التغيير في الاتجاه فقط كما يحدث لصورة الإنسان في المرآة أو في الصور الفوتوغرافية . كما أن التصوير قد يكون مطابق للأصل فيكون بمعنى النسخ . إذا فالتصوير قد يراد به التساوي أو الاختلاف عن الشئ المصور منه إلى حد ما . والغالب أن التصوير كما بينه علماء اللغة هو الإمالة أى إمالة الصورة إلى أصلها وليست نسخة مكررة منه .



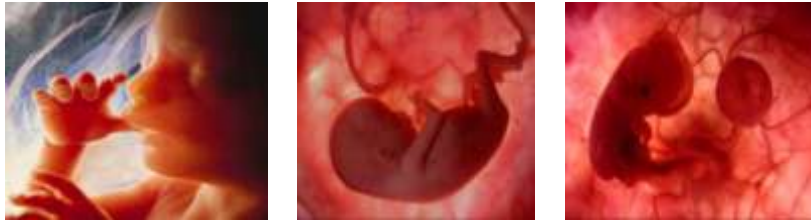
شكل(6/22) تكوين البروتين(التصوير الجنينى) من حامل الشفرة

التصوير الجيني يترجم إلى التصوير الجيني :

يحدث التصوير الجيني من كل الكروموسومات التي تكونت في النطفة الأمشاج (23 زوج من الكروموسومات) بحيث يتكون من كل زوج من الكروموسومات مرتبطين ببعضهما حامل الشفرة (شكل 5/21) وهو ما يسمى massengar RNA ، وحوامل الشفرات تخرج من الثقوب التي في النواة وتذهب إلى الريبوسومات لكي يتم ترجمتها إلى البروتينات التي تكون الخلايا والأنسجة والأعضاء والأجهزة والإنزيمات والهرمونات على اختلاف أشكالها وتركيباتها ووظائفها . ومن عجائب هذا الجسم أن جميع الخلايا التي تتكاثر بالجسم لتكون أنسجة وأعضاء وأجهزة حتى خلايا الدم تحتوى نواتها على 46 كروموسوم (23 زوج من الكروموسومات) بينما الخلايا التناسلية التي تتكون في الأجنة لتكون فيما بعد الأجهزة التناسلية يتم اختزال هذا العدد فيها إلى 23 كروموسوم فقط أى إلى النصف ، ولذلك عندما تتحد نواة الحيوان المنوى مع نواة البويضة (كل منهما يحتوى على 23 كروموسوم) تتكون النطفة الأمشاج وبها 46 كروموسوم.

وقد يحدث في التصوير الجيني genotype نسبة خطأ 1/10000000 ويترجم في الخلية إلى الصفات الشكلية للكائن من حامل الشفرة ، بحيث يكون لكل صفة شكلية phenotype تراكيب جينية (Genotype) مقابل لها بكيفية لا يعلمها إلا الله ، وبحيث يكون لكل كائن حي صورة وراثية خاصة به تختلف عن غيره من الكائنات الحية التي تتكاثر وتعطى خلايا وأنسجة . إن هذا التصوير الجيني يحدث في الأرحام من التصوير الجيني لحامل الشفرة الوراثية من النطفة الأمشاج ، فنرى الجنين البشرى بكل خواصه البشرية . كل ما فى هذا الجنين من لحم ودم وعظم وعصب وأجهزة وأعضاء وأنسجة إنما تشكلت من خلال التصوير الجيني لحامل الشفرة الوراثية من النطفة الأمشاج . ولك أن تتخيل كيف يترجم الحمض النووى إلى لحم ودم وعصب وعظم ، وأشكال مختلفة للعظام والأنسجة والأعضاء ، بل ووظائف مختلفة لكل نسيج وعظم وخلايا الدم سواء منها الأحمر أو الأبيض . وتأمل صنع الله الذى أتقن كل شىء صنعه ، خلايا تعطى هرمونات كالإنسولين والأدرينالين وهرمونات النمو ، وخلايا أخرى تعطى إنزيمات كالتريبسين والكيموتريبسين ، وخلايا ثالثة تعطى سيتوكينات كالإنترفيرون ، ولا غنى للجسم عن أى شىء منها . وكل هذه المكونات مع اختلاف تراكيبها الكيميائية

تترجم من حامل الشفرة الوراثية . بل تأمل عظمة الخالق في التباين بين البشر منهم الأحمر ، والأصفر ، والأبيض ، والأسود ، وتأمل لون العينين ، وصفة ولون الشعر لتعرف عظمة الخالق سبحانه وتعالى وكل هذا مترجم من حامل الشفرة الوراثية من النطفة الأمشاج الذي يحمل أربعة قواعد نيروجينية مع اختلاف تتابعها عليه . بل إن شئت قل أن العالم أجمع بكل كائناته مع اختلاف أشكالهم وصفاتهم ، قائم على هذه القواعد النيروجينية الأربع واختلاف الصفات فيها يكون باختلاف تتابعها على الحمض النووي وعلى حامل الشفرة سبحانه سبحانك جل شأنك وعظم سلطانك.



شكل(7/22)عمر الجنين 8 اسابيع (صورة 1) وفي هذه المرحلة الجنين يطفوا فيها في رحم الام ، (صورة2) (الاسبوع ال16 من الحمل الجنين وقد ظهرت الاطراف ، (صورة 3) جنين يدرّب نفسه على مص أصابعه استعدادًا ليخرج إلى الدنيا ويبدأ مباشرة بمص ثدي أمه

فسبحان من خلق فسوى وصور فأبدع ، الذي علم هذا الحميل مص أصبعه وهو في بطن أمه وعلمه الحركة والقيام والقعود في بطن أمه (شكل 6/21) وقال تعالى : **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)** سورة النحل. في هذه المرحلة نشأة الآخرة والتصوير في الأرحام تأمل كيف يبدأ الجنين بالاحساس والشعور في ما يدور حوله من (البيئه الخارجية) ، فمن الذي شق سمعه وبصره وصوره في أحسن صورة إنه الله ، وتأمل اكتمال نموه في الشهر التاسع ، وتأمل استعدادة للخروج من بطن أمه فمن الذي علمه كل ذلك إنه الله . نعم إن كل شيء في الكون يدل على أنه الواحد.



شكل (8/22) الاسبوع 40 اي الشهر التاسع والجنين يبقى نائم هادئ ساكن ، وفي الايام القليلة الباقية الرتتان وغشاء الجنين الذي يخرج منه عندلولاده يكونا على اهبة الاستعدادلان ساعة الولاده قدحانت

لو أننا نظرنا إلى كتب علماء الأجنة من مختلف بقاع الأرض قبل القرن العشرين لتبين لنا عجزهم عن توصيف هذه المرحلة وما يتم فيها ، وما استطاعوا لقلة أدوات الفحص والعلم لديهم آنذاك ، بل بينه نبي عربي أمى م ن وحى إلهى منذ 1437 سنة ، إن هذا ليدل على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم وأنه مبلغ عن ربه عز وجل ، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وإن هذا ليدل أيضا على أن القرآن الكريم هو كتاب علم وهداية للناس أجمعين وكذلك السنة النبوية المطهرة.

الفصل الثالث والعشرون

الظلمات الثلاث

بين ربنا عز وجل أنه خلق الجنين فى ظلمات ثلاث ، واختلف العلماء فى بيان هذه الظلمات الثلاث هل هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، أم أنها غير ذلك. وليبيان هذا الأمر لابد من الوقوف على المعنى اللغوى للظلمة ، وتفسير العلماء لهذه الآية ، ثم بيان رأى العلم الحديث فيها . يقول رب العزة سبحانه وتعالى: **"يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ(6)"** الزمر

المعنى اللغوي:

قال ابن منظور فى لسان العرب :الظُّلْمَةُ: الظلمة بضم اللام : ذهاب النور، وهى بخلاف النور. وجمع الظُّلْمَةُ ظُلْمٌ وظُلُمَاتٌ وظُلُمَاتٌ.

ما تشير إليه الآية الكريمة

- خلق الأجنة يكون فى بطون الأمهات
 - التطور فى الخلق (خلقا من بعد خلق) يكون فى ظلمات ثلاث فى داخل البطن
 - إذن البطن ليست داخله فى الظلمات الثلاث
 - الدليل على ذلك حرف الجر "فى" الذى تكرر مرتين فى الآية الأول فى البطن ، الثانى فى الظلمات الثلاث
 - حرف الجر "فى" يدل على ظرفية المكان وهو بمعنى الاحتواء
 - أى أن البطن تحتوى خلق الجنين الذى يحاط بظلمات ثلاث
 - فما هى هذه الظلمات الثلاث؟
- خلق الأجنة يكون فى الأرحام:**

وردت آيات كثيرة فى كتاب الله عز وجل تشير إلى أن خلق الأجنة يكون فى الأرحام منها:

- (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرْكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (6)
سورة آل عمران
- (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) (8) سورة الرعد
- (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (34) سورة لقمان
- (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (78) النحل

معنى بطن:

- أصل البطن الجارحة، وجمعه بطون، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم/32]
- ويقال لكل غامض : بطن، ولكل ظاهر : ظهر، ومنه : بطنان القدر وظهرانها، ويقال لما تدركه الحاسة ظاهر، ولما يخفى عنها باطن.
- قال عز وجل: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام/120]، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطِنَ﴾ [الأنعام/151]، والبهلین: العظيم البطن، والبطن: الكثير الأكل، والمبطان: الذي يكثر الأكل حتى يعظم بطنه، والبطنة كثرة الأكل.

تفسير بن كثير:

وقوله عز وجل : {يخلقكم في بطون أمهاتكم} أي قدركم في بطون أمهاتكم {خلقاً من بعد خلق} يكون أحدكم أولاً نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحمًا وعظامًا وعصبًا وعروقًا وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر {فتبارك الله أحسن الخالقين}. وقوله جل وعلا: {في ظلمات ثلاث} يعني في ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد ، وظلمة البطن. كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد.

فهم المفسرين لمعنى الظلمات الثلاث:

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير الظلمات الثلاث : " يعني: في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة " ، وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك، وورد ذلك أيضاً عن الألويسي والقرطبي في تفسيريهما. وزاد القرطبي أقوالاً أخرى منها : وقال ابن جبير : ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة الليل . وقيل: ظلمة صلب الرجل ، وظلمة بطن المرأة ، وظلمة الرحم. وهذا مذهب أبي عبيدة. أي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين . والقول الأول أصح.

ما يستفاد من تفسير الآية:

- أن معنى الآية أن العبد يطور في الرحم خلقاً من بعد خلق
- خلقاً من بعد خلق: النطفة ، العلقة ، المضغة ، العظام ، كسوة العظام باللحم ، النشأة الآخرة (ثم أنشأناه خلقاً آخر)
- اختلاف علماء التفسير في معنى الظلمات الثلاث فمنهم من قال ظلمة البطن والرحم والمشيمة ، ومنهم من قال هي ظلمة صلب الرجل ، وظلمة بطن الأم وظلمة الرحم بقريئة خلقاً من بعد خلق . فهل لهذه الآراء من صواب أم أن للعلم رأياً آخر

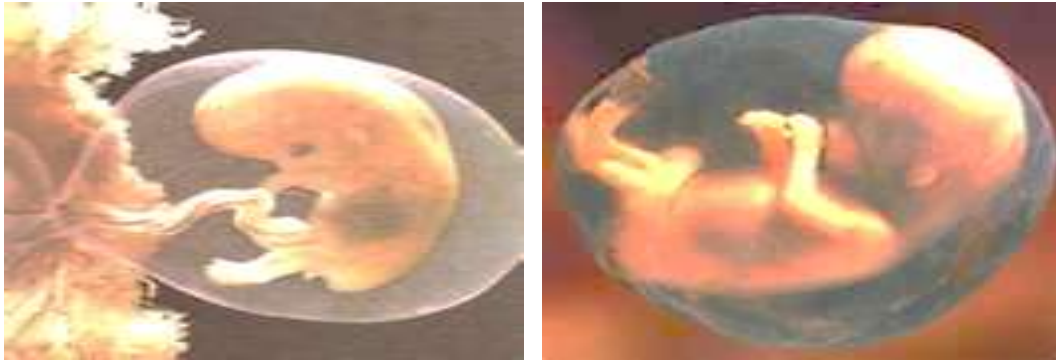
التوجيه العلمي:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي تُصْرَفُونَ } [الزمر: 6]. تشير الآية القرآنية الكريمة إلى أن الجنين يمر تخلقه عبر ظلمات ثلاث في بطن أمه، ولقد ذكر علماء التفسير قديماً بأن الظلمات الثلاث هي: "ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة"، وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك.

وتأخذ البويضة الملقحة المعروفة بالـ "زيجوت" (Zygote) بعد عملية الإخصاب مدة ثلاثة أسابيع لتكوّن أول كتلة بدنية للجنين، ثم ينمو هذا الجنين ليتحول إلى حميل مع مطلع الأسبوع التاسع، بعدها ينتقل في نموه من مرحلة إلى أخرى داخل ظلمات ثلاث

ولم يتوصل العلم إلى الكشف عن هذه الظلمات إلا مؤخراً في القرن العشرين حيث قامت الثورة التكنولوجية وبواسطة آلات التنظير الجوفي (endoscopies) بالكشف عنها ورؤيتها. من بين هؤلاء العلماء الدكتور "كيث مور" صاحب الكتاب الشهير The Developing Human والذي تُرجم إلى (الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والألمانية والإيطالية واليابانية) حيث ذكر: "أن الجنين ينتقل في تخلّقه من مرحلة إلى مرحلة داخل ثلاثة أغشية وهي : جدار البطن ، جدار الرحم ، المشيمة مع أغشيتها".

إن الآية الكريمة تدل كما فسرها علماء التفسير وبينها كيث مور على أن (الظلمات الثلاث) هي تلك الأغشية المحاطة بالجنين خلال مراحل تخلّقه (ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة). فجدار البطن يحتوي الرحم وجدار الرحم يحتوي المشيمة والتي بدورها تحيط الجنين بأغشيتها هذه الظلمات التي تحيط بالجنين ترافقه خلال نموه (خلقاً من بعد خلق) وتتأقلم مع حاجاته ريثما يخرج إلى النور، إذ يزداد حجم البطن والرحم وكذلك المشيمة مع ازدياد حجم الجنين، فهي تحيط به وتحفظه من الصدمات. كما تقوم بنقل الغذاء والأكسجين له من الأم ونقل ثاني أكسيد الكربون والفضلات(البولينا) منه إلى الأم.



شكل (1/23) يبين الأغشية التي تحيط بالجنين(الغشاء الأمنيوسي)



شكل (2/23) غشاء الرحم يحيط بالجنين

التدقيق العلمى فى اختلاف الآراء حول الأغشية الثلاث (الظلمات الثلاث) والرد عليها:

الرأى الأول : وهو للمفسرين للقرآن العظيم : تفسير الطبرى، والألوسى والقرطبى وبن كثير وغيرهم أن الظلمات الثلاث هى : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة لهما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد.

الرد على ذلك: التطور فى الخلق (خلقا من بعد خلق) يكون فى الرحم ، وبهذا تكون فيه الظلمات الثلاث ، وحيث أن الرحم فى داخل البطن والخلق يكون فى الرحم إذن البطن ليست داخله فى الظلمات الثلاث ، والدليل على ذلك حرف الجر "فى" الذى تكرر مرتين فى الآية : الأول "فى بطون" ، الثانى "فى ظلمات ثلاث" حيث أن حرف الجر "فى" يدل على ظرفية المكان وهو بمعنى الاحتواء أى أن الرحم يحتوى الجنين وتكون الظلمات الثلاث التى تحيط بالجنين هى الرحم والأغشية التى تحيط بالجنين ومعنى آخر أن البطن تحتوى خلق الجنين الذى يحاط بظلمات ثلاث.

ومن جهة أخرى فإن المشيمة لا تحيط بالجنين من كل جوانبه بل هى جزء يقوم بتغذية الجنين من خلال الأوردة والشرايين التى تمر منها إلى الجنين وهى مغطاة ومحاطة بالغشاء الكوريونى .

الرأى الثانى: وقال ابن جبير: ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل

الرد على ذلك: وهذا لا يصح أيضا لأن ظلمة الليل غير داخلة أصلا في تخليق الجنين ، والمشيمة جزء يحيط بالجنين ، ولا تحيط بالجنين احاطة كاملة .

الرأى الثالث: قال ابن القيم جوزيه: وقال(ابوقراط) إذا أقام المنى حينا خلقت له حجب آخر، فتمتد داخلا من الحجاب الأول ، وتكون مختلفة الأنواع كثيرة ، وقال إن الحجب منها ما يخلق أولا ومنها ما يخلق من بعد الشهر الثاني ومنها ما يخلق في الشهر الثالث ..

الرد على ذلك: وهذا أيضا باطل لأن الخلق يكون بعد تكوين اللاقحة المخصبة من منى الرجل وبويضة المرأة وليس للمنى وحده أو البويضة وحدها . إنما الظلمات الثلاث هى مع الخلق بعد خلق

الرأى الرابع : أن الظلمات الثلاث هى البطن والرحم والغشاء الكوريوأمنيوسى:

الرد على من قال ذلك: كما بينت من قبل أن البطن لم تكن من الظلمات الثلاث التى تحيط بالجنين وبهذا يكون الغشاءان هنا هما الرحم والغشاء الكوريوأمنيوسى وهذا باطل لأن ارتباط تطور الخلق بالظلمات الثلاث ، فإذا خرجت البطن من هذه الظلمات الثلاث لم يبق إلا الغشاء الكوريوأمنيوسى وهذا باطل . ومن جهة أخرى فإننا نجد فى الأربعة أشهر الأولى من الحمل الغشاءان منفصلان بينما فى الخمسة أشهر الأخيرة من الحمل الغشاءان ملتصقان ، فلو قال قائل أن التصاق الغشاءان فى الخمسة أشهر الأخيرة يجعلهما غشاءا واحدا فهو وفى نفس الوقت يوجه الاتهام لنص الآية بكونه تعبير جزئى ناقص ، فهو يصف 5 اشهر من الحمل (الاخيرة) حيث الغشاءان ملتصقان ، وينسى الاربعة اشهر الاولى حيث الغشاءان منفصلان وهذا باطل أيضا . والرد على ذلك أن اختلاف التركيب النسيجى للغشائين يدل على اختلافهما وإن التصقا ومن هنا يتضح خطأ دمج الغشائين . وفى الواقع دمج الغشائين الكوروينى والامنيوسى بغشاء واحد ، هو دمج غير مبرر ولايقوم على اساس تصنيفى واضح (فهذه الاغشيه هي جزء من الجنين، تطورت عنه ، وتحمل نفس جيناته).

الرأى الخامس: وهو رأى كيث موز حيث أنه لم يقبل بهذا التفسير وقال يحيط الجنين كل من : جدار البطن ، وجدار الرحم ويتكون من ثلاث طبقات الاولى هى

البطانة (Endometrium) والتي تتحول أثناء الحمل الى (deciduas) والثانية هي العضلية Myometrium والثالثة هي Perimetrium ، والغشاء الكوروني (Chorionic membrane) ، والغشاء الامنيوسي (Amniotic membrane)

ورايه هذا يجعل الجنين محاط بستة أغشية وهذا يناقى الآية

الرد على ذلك:

أولاً: سبق وأن خرجنا البطن من كونها غشاء تحيط بالجنين لأن هذا ينفي احاطة البطن بباقي الأحشاء الداخلية ومنها الجهاز الهضمي وملحقاته من الكبد والبكرياس ، والجهاز البولي والجهاز التناسلي . وقد بينت أن الخلق يكون فى الرحم لكثرة الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك فيلزم الظلمات الثلاث فيه وتخرج البطن منها.

ثانياً: قوله أن جدار الرحم به ثلاثة طبقات هذا من حيث التوكيب النسيجي وهو ما يسمى بعلم الهستولوجى ، وهذا لا ينفى كون الرحم جداراً ، وليس ثلاثة جدر فأى عضو بالجسم يتكون من طبقات نسيجية ولم يقال عن هذه الطبقات جدر ، كما فى المعدة فجدارها يتكون من عدة طبقات ولم يقال أن المعدة تتكون من عدة جدر لأن هذا خطأ ، وبهذا تخرج الطبقات من الحسبان ويبقى جدار الرحم فقط .

ولو اعتبرنا أن البطن جدار ، وأن الرحم جدار ، وأن الغشاء الأميوسي جدار ، وأن الغشاء الكوروني جدار تكون الظلمات هنا أربع وهذا أيضا يخالف نص الآية.

وأرى أن هذه الآراء جانبها الصواب للأسباب التالية

- 1- بين ربنا عز وجل فى الآيات القرآنية ، كما بينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن تخليق الجنين يكون فى الأرحام.
- 2- المشيمة لا تحيط بالجنين احاطة كاملة فتخرج من كونها ظلمة تحيط بالجنين.

3 - بين العلماء المتخصصون أن الحمل خارج الرحم (أى فى البطن) يتبعه وفاة الجنين ، كما يتسبب فى حالات مرضية بالغة قد تؤدى إلى وفاة الأم الحامل

وبهذا تخرج البطن ، والمشيمة من كونهما من الظلمات الثلاثة

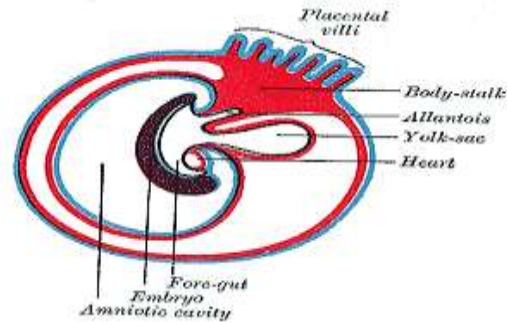
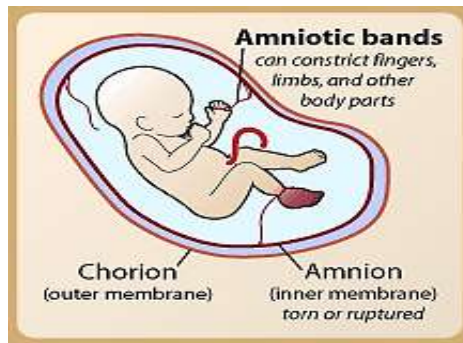
وأستخلص من آراء العلماء والمفسرين الراى الراجح - من وجهة نظرى - فى هذه المسألة وهوان الظلمات الثلاث هى

1 -الظلمة الأولى: جدار الرحم الذى يكون فيه التخليق خلقا من بعد خلق بنصوص الآيات والأحاديث الصحيحة

2 -الظلمة الثانية: الغشاء الأميوسى والسائل الأميوسى بينه وبين الجنين (الجنين يسبح فى السائل الأميوسى)

3 -الظلمة الثالثة: الغشاء الكوريونى والسائل الكوريونى الناتج عن إخراجات الجنين ، والغشاء الكويونى يحيط بالمشيمة

وإذا نظرنا إلى الصفة التشريحية للجنين وهو متعلق بجدار الرحم نجد أنه محاط بجدار الرحم من الخارج ، وبالغشاء الكوريونى ، والغشاء الأميوسى . وبين الغشاء الأميوسى والجنين سائل يسمى السائل الأميوسى الذى يسبح فيه الجنين . والغشاء الكوريونى به تجويف يتجمع فيه سائل يحتوى على المواد الإخراجية للجنين. من جهة أخرى نجد أن التركيب النسيجى لهذه الأغشية الثلاث تختلف عن بعضها البعض مما يجعلها ثلاث أغشية منفصلة كما فى الأشكال التالية .



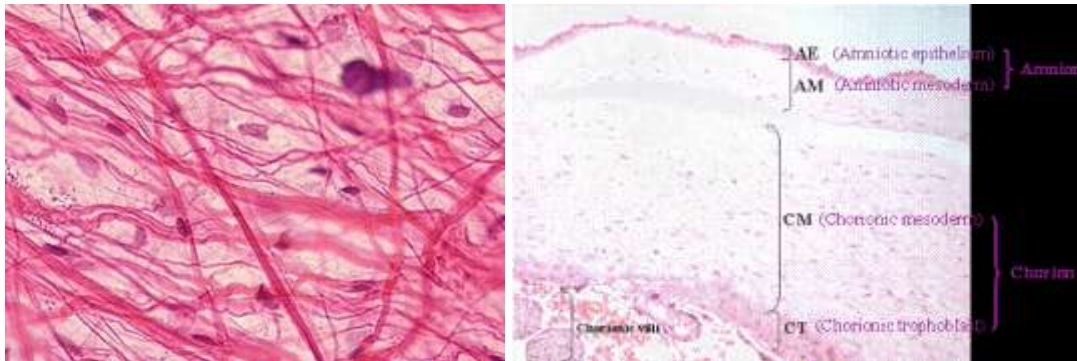
شكل (3/23) يبين شكل توضيحي لانفصال الغشاء الأمنيوسي عن الغشاء الكوريوني



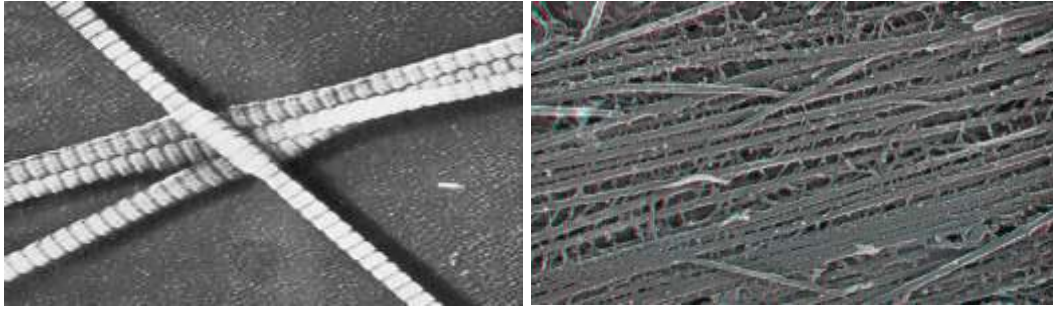
شكل (4/23) يبين احاطة الغشاء الأمنيوسي بالجنين (صورة 2،1) والغشاء الكوريوني يحيط بالمشيمة صورة 3

تركيب أغشية الجنين:

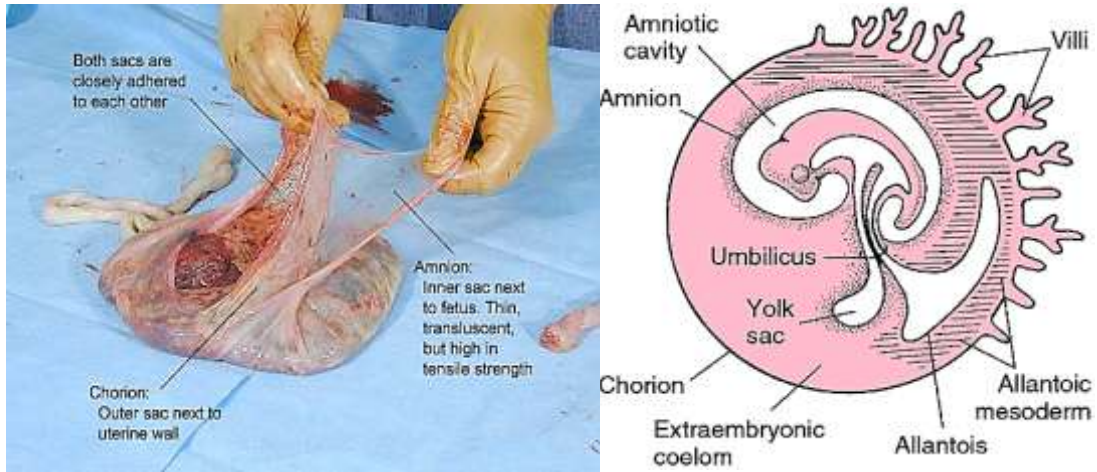
من الناحية الهستولوجية نجد أن التركيب النسيجي مختلف في كل منهما كما هو مبين في الشكل (5/23) فنجد أن الغشاء الأمنيوسي يتكون من الخلايا الطلائية ثم من خلايا ضامة وهي الميزودرم، بينما الغشاء الكوريوني يتكون من طبقة الميزودرم وهي خمسة اضعاف مثلتها في الغشاء الأمنيوسي ثم نجد طبقة خلايا التروفوبلاست



شكل (5/23) خيوط الكولاجين التي يتكون منها الغشاء الأمنيوسي والكوريوني



شكل (6/23) صورة من تحت الميكروسكوب الالكترونى تبييرالتركيب النسيجى للغشاء الكورونى خيوط متشابكة (يمين) والغشاء الامنيوسى (يسار) خيوط أقل تشابكا وأكثر شفافية مما يبينان أنهم مستقلان



شكل (7/23) يبين انفصال الغشاءين عن بعضهما فى الشكل التوضيحى (يمين) وفى التركيب التشريحي (يسار)

ولنأتى إلى خير شاهد على ما نقول وهو أن الظلمات الثلاثة هى ظلمة الرحم وظلمة الغشاء الكورونى والسائل الذى فيه ، وظلمة الغشاء الأميوسى والسائل الذى فيه كما صورها جهاز السونار لجنين عمره 20 أسبوع وبين احاطة الجنين بالغشائين وانفصالهما عن بعضهما وعن جدار الرحم

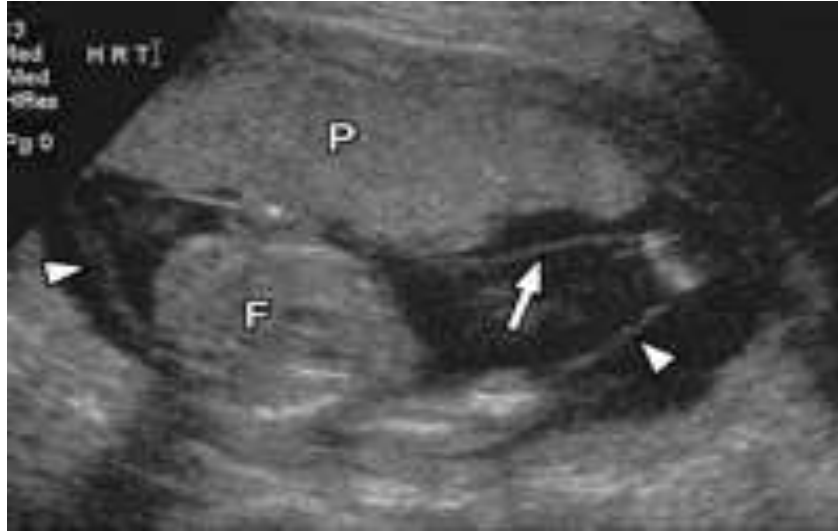


Figure (23/8) Chorioamniotic separation. Transverse (a) and sagittal (b) images from obstetric US performed at 20 weeks gestation show a free-floating membrane (arrowheads) surrounding the fetus (F). This membrane is the amnion, which is completely separated from the underlying chorion; there is even separation (arrow) over the surface of the placenta (P). This was a sporadic case of chorioamniotic separation that caused no complications.

في هذا الشكل صورة لجنين (F) في الأسبوع العشرين وبه انفصال للغشاء الأمنيوسي عن الغشاء الكوريوني ، ويوجد سائل بين الجنين والغشاء الأمنيوسي ، وسائل في التجويف بين الغشاء الكوريوني وبشير رأس السهم إليهما الصغير ، ويحيط الغشاء الكوريوني بالمشيمة (P)

مناط الإعجاز العلمي في الآية:

- أن الآية بينت أن خلق الأجنة يكون في البطون (الرحم وما حوى)
- أن خلق الجنين يكون خلقاً من بعد خلق (التطور في الخلق)
- أن هذا التطوير يكون في ظلمات (غير نافذة للنور)
- أن هذه الظلمات ثلاث (ثلاثة في العدد)

أوجه الإعجاز في الآية:

- إشارة القرآن الكريم إلى أن عملية تخلّق الجنين تتم في الأرحام التي في بطون الأمهات
- التخليق عبر ظلمات ثلاث فقال تعالى: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ}، وهذا ما كشف عنه علم الأجنة الوضعي في القرن العشرين .
- الأغشية الثلاث من ا لداخل إلى الخارج الغشاء الأمنيوني والغشاء الكوريوني و الرحم
- في أي من الكتب الطبية عند الأقدمين توجد معلومات عن ظلمة الغشائين وظلمة الرحم كل هذه الحقائق العلمية الجنينية تتطلب وجود مجهر وآلات تنظير جوفي وهو ما لم يكن متوفراً للإنسان قبل القرن العشرين. فمن علم النبي محمد صلى الله عليه وسلم العربي الأمي علم التشريح وعلم الأجنة؟ وأي أجهزة متطورة كانت عنده لكشف هذه الحقائق؟ فلندع لبقية آية الظلمات الإجابة على ذلك: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [الزمر: 6] ما أروع القرآن الكريم لا يترك العقول في متاهات الحيرة والتخبط بل تجد الإجابات على كل ما يدور في أدمغة الناس والعلماء تجدها كافية شافية
- وتأتيك الأدلة والشواهد من علماء العالم على اختلاف سنتهم ومعتقداتهم لتدل على صدق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

الفصل الرابع والعشرون

تحديد جنس الجنين

مسألة تحديد جنس الجنين تشغل بال العديد من الناس من مختلف دول العالم ، وهى مسألة مرغوبة يتطلع إليها الناس بشغف. وهى فكرة قديمة تتجاذبها عدة عوامل منها ما هو خرافة ، ومنها ما هو مبنى على اجتهادات بعض العلماء على اختلاف تخصصاتهم ، فمنهم من يقول أن التغذية تلعب دورا كبيرا فى تحديد جنس الجنين كعلماء التغذية ، ومنهم من يقول أن أيونات الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم تلعب دورا فى هذا الصدد كعلماء البيولوجى والكيمياء الحيوية ، ومنهم من يستخدم الأجهزة الحديثة فى اختيار الحيوان المنوى المراد منه الجنين ذكرا كان أو أنثى كعلماء الأجنة. ولكن يتغافل الناس أينما كانوا أن هذه مسألة تتحدد بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهبة منه ، وبين ذلك فى القرآن الكريم والسنة .

الدليل من القرآن الكريم

نجد آية فى كتاب الله تعالى تبين أن وجود الجنين وتحديد جنسه مرهون بمشيئة الله تعالى ، وإن توفرت الأسباب لذلك. وإقرأ معى هذه الآية وتأمل معانيها«**لله**

ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور(49) او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير(50)" الشورى

من السنة النبوية المطهرة

1 - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ يَقْدُومُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ فَآتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَيْلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: " أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ أَيْنًا قَالَ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : فَتَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامِ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِزَادَةٌ كَيْدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجْلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ(184)الحديث. أ.هـ

2 - وعن أنس رضي الله عنه بلفظ: إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزع(185). وهذا الحديث فيه اشارة علمية دقيقة وهى مسألة سبق أى من الماعين وبها يكون تحديد جنس الجنين فما هو هذا السبق وعلى أى كيفية يكون؟

3 - وعن ثوبان رضي الله عنه بلفظ: " ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة ، أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل ، آثا بإذن الله (186) " وهذا الحديث أشار إلى مسألة علمية أخرى وهى مسألة علو أى من الماعين على الآخر فما هو هذا العلو وما هى كفيته؟

(184) رواه الإمام البخاري - واللفظ له - الإمام مسلم في صحيحهما

(185) رواه البخاري/4480 وغيره

(186) رواه مسلم/315

- 4- وعن ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً: " مَاءُ الرَّجُلِ أَيْبُضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِ الرَّجُلُ مَنِ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا يَأْذُنُ اللَّهُ وَإِذَا عَلَا مَنِ الْمَرْأَةِ مَنِ الرَّجُلِ أَنَا يَأْذُنُ اللَّهِ (187) " .
- 5- وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: " إِذَا عَلَا مَأْوُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ وَإِذَا عَلَا مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ (188) "، وفي هذا الحديث إشارة إلى علم الوراثة فمتى يكون الولد يشبه أعمامه أو أخواله؟ كما أشار أيضاً إلى مسألة العلو
- 6- وعن أم سلمة رضي الله عنها، قال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَيْبُضٌ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيْقٌ أَصْفَرٌ فَمِنْ أَيْهَمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ (189) " . وهذا الحديث كالذي سبق إلا أنه جمع بين السبق والعلو والشبه للأخوال أو الأعمام
- 7- وعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء) فقال : (نعم) فقالت لها عائشة: تربت يداك وألّت . قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دعيتها ، وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك ، إذا علا مأؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله ، وإذا علا ماء الرجل ماءها ؟ أشبه أعمامها (190))
- 8- وعن ابن عباس رضي الله عنه ما مرفوعاً بلفظ : " يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنتن (191) "

هذه جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تتكلم عن مسألة علمية دقيقة للغاية ، وبينت الأحاديث جملة من المعانى والمصطلحات العلمية والخصائص لكل من ماء الرجل (السائل المنوي) وماء الأنثى (البويضة وما يحيط بها) وهذه المعانى بياناها كالتالى

(187) رواه مسلم فى صحيحه

(188) رواه مسلم

(189) رواه مسلم

(190) رواه مسلم 314

(191) رواه أحمد 2483 وقد حسنه الشيخ شعيب فى تعليقه على المسند

- 1 - أن تحديد جنس الجنين ذكرًا كان أو أنثى يكون بسبق أحد المائين عن الآخر. فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة أذكرًا بإذن الله تعالى ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل أنثى بإذن الله تعالى كما فى رواية أنس ابن مالك عند الإمامين البخارى ومسلم .
- 2 - كما يتحدد جنس الجنين بعلو أحد المائين على الآخر. فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة يكون المولود ذكرًا بإذن الله تعالى ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل تكون المولودة أنثى بإذن ربها ، وهذا واضح من رواية ثوبان رضى الله عنه عند الإمام مسلم ورواية ابن عباس رضى الله عنهما عند الإمام أحمد
- 3 - بيان أن الشبه إلى الأحوال أو إلى الأعمام يكون بعلو أحد المائين على الآخر ، فيكون الولد قريب الشبه إلى الأحوال إذا علا ماء المرأة ماء الرجل ، ويكون قريب الشبه إلى الأعمام إذا علا ماء الرجل ماء المرأة كما فى رواية عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما عند الإمام مسلم
- 4 - كما يتحدد الشبه من العلو أو السبق لأحد المائين على الآخر كما فى حديث أم سلمة رضى الله عنها عند الإمام مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم (فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ)
- 5 - بيان لون ماء الرجل (أبيض) وماء المرأة أصفر كما فى رواية ثوبان ورواية أم سلمة عند الإمام مسلم.
- 6 - بيان قوام ماء الرجل (غليظ) وماء المرأة (رقيق) كما فى رواية أم سلمة عند الإمام مسلم
- 7 - خلاصة هذه الأحاديث أن تحديد جنس الجنين يكون بالسبق أو العلو ، وتحديد الشبه إلى الأحوال أو إلى الأعمام أيضا يكون أيضا بالسبق أو العلو
- 8 - الهمنى المشترك بين هذه الألفاظ هو العلو والسبق فما هو العلو وما هو السبق؟

معنى السبق والعلو فى اللغة العربية:

يقول الراغب الأصفهاني:

سبق: أصل السبق التقدم في السير، نحو : **فالسابقات سبقا** [النازعات/4]، والاستباق: التسابق. قال: **إنا ذهبنا نستبق** [يوسف/17]، **واستبقا الباب** [يوسف/25]، ثم يتجاوز به في غيره من التقدم ، قال : **ما سبقونا إليه** [الأحقاف/11]، **وسبقت من ربك** [طه/129]، أي: نغدت وتقدمت ، وبستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز، وعلى ذلك : **والسابقون السابقون** [الواقعة/10]، أي: المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة، نحو قوله : **ويسارعون في الخيرات** [آل عمران/114]، وكذا قوله : **وهم لها سابقون** [المؤمنون/61]، وقوله : **وما نحن بمسوقين** [الواقعة/60]، أي : لا يفوتونا، وقال: **ولا يحسن الذين كفروا سبقوا** [الأنفال/59]، وقال : **وما كانوا سابقين** [العنكبوت/39]، تنبيه أنهم لا يفوتونه .

علا

- العلو: ضد السفلى، والعلوي والسفلي المنسوب إليهما، والعلو: الارتفاع، وقد علا يعلو علوا وهو عال (راجع: الأفعال للسرقي 204/1)، وعلي يعلو علاء فهو علي (راجع: الأفعال للسرقي 252/1)، فعلا بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثر. قال تعالى: **عاليهم ثياب سندس** [الإنسان/21]. وقيل: إن (علا) يقال في المحمود والمذموم، و (علي) لا يقال إلا في المحمود، قال: **إن فرعون علا في الأرض** [القصص/4]، **لعال في الأرض وانه لمن المسرفين** [يونس/83]، وقال تعالى: **فاستكبروا وكانوا قوما عالين** [المؤمنون/46]، وقال لإبليس : **أستكبرت أم كنت من العالين** [ص/75]، **لا يريدون علوا في الأرض** [القصص/83]، **ولعلا بعضهم على بعض** [المؤمنون/91]، **ولتعلن علوا كبيرا** [الإسراء/4]، **واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا** [النمل/14]. والعلوي : هو الرفيع القدر من: علي، وإذا وصف الله تعالى به في قوله : **إن الله هو العلي الكبير** [الحج/62]، **إن الله كان عليا كبيرا** [النساء/34]، فمعناه: يعلوا أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين . وعلى ذلك يقال : تعالى، نحو : **تعالى الله عما يشركون** [النمل/63]، [وتخصيص لفظ التفاعل لمبالغة ذلك منه لا على سبيل التكلف كما يكون من البشر] (ما بين [] نقله الزركشي في البرهان 395/2)، وقال عز وجل: **تعالى عما يقولون علوا كبيرا** [الإسراء/43]، والأعلى: الأشرف. قال تعالى: **أنا ربكم الأعلى** [النازعات/24]، والاستعلاء: قد يكون طلب العلوم المذموم، وقد يكون طلب العلاء، أي : الرفعة، وقوله : **وقد أفلح اليوم من**

استعلى [طه/64]، يحتمل الأمرين جميعا. وأما قوله: **سبح اسم ربك الأعلى** [الأعلى/1]، فمعناه: أعلى من أن يقاس به، أو يعتبر بغيره، وقوله: **والسماوات العلى** [طه/4]، فجمع تأنيث الأعلى، والمعنى: هي الأشرف والأفضل بالإضافة إلى هذا العالم، كما قال: **أنتم أشد خلقا أم السماء بناها** [النازعات/27]، وقوله: **لفي عليين** [المطففين/18]، فقد قيل هو اسم أشرف الجنان (انظر: الدر المنثور 448/8؛ والبصائر 97/4)، كما أن سجيننا اسم شر النيران، وقيل: بل ذلك في الحقيقة اسم سكانها، وهذا أقرب في العربية.

وفي مختار الصحاح

س ب ق : سابقه فسبقه : من باب ضرب ، واستبقا في العدو أي : تسابقا ، وقيل في قوله تعالى (إنا ذهبنا نستبق) : أي نتضل ، والسبق بفتحين :الخطر الذي يوضع بين أهل السباق ، و سباقا : البازي قيده من سير أو غيره

علا ع ل ي : علا : في المكان من باب سما ، وعلي : في الشرف بالكسر ، وفلان من علية الناس وهو جمع علي أي شريف رفيع مثل صبي وصيبة ، وعلا في الأرض : تكبر ، و العلياء : كل مكان مشرف ، و العلاء ، والعلا :الرفعة والشرف

التحقيق في هذه المسألة:

هل المقصود بالسبق هنا هو سبق إنزال أحد المائين عن الآخر؟ ، وهل المقصود بالعلو هنا هو علو أحد المائين على الآخر ؟ فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة ، ، كان الذكر . وعند العكس يحدث العكس . وهل سبق الإنزال ، أي إذا سبق إنزال الرجل كان ذكراً ، وإذا سبق إنزال المرأة كان أنثى ؟ وللتحقيق في هذه المسألة لابد وأن نبين أقوال علماء الحديث في هذه المفردات والمعاني التي وردت في هذه الأحاديث ثم نبين التوجيه العلمي وخلاصة نتائج أبحاث العلماء المتخصصين . وتبقى لنا فرصة الترجيح من خلال الجمع بين أقوال هؤلاء وهؤلاء.

أقوال علماء تفسير القرآن والحديث فى مسألة العلو والسبق:

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى: أن المقصود هو الإحاطة ، قال : (وكان المراد بالعلو الذي يكون سبب الشبه بحسب الكثرة ، بحيث يصير الآخر مغموراً فيه ، فبذلك يحصل الشبه (192) وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله فى فتح الباري : "والمراد بالعلو هنا السبق ، لأن كل من سبق فقد علا شأنه فهو علو معنوي ، وأما ما وقع عند مسلم من حديث ثوبان رفعه : "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا ميني الرجل ميني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا ميني المرأة ميني الرجل أثا بإذن الله ". فهو مشكل من جهة أنه يلزم منه اقتران الشبه للأعمام إذا علا ماء الرجل ويكون ذكرا لا أنثى وعكسه، والمشاهد خلاف ذلك لأنه قد يكون ذكرا وبشبه أخواله لا أعمامه وعكسه .

فى الحقيقة هذا الكلام فى رأى جانبه التوفيق لانه لا يتفق مع كلام النبى محمد صلى الله عليه وسلم لأن النبى صلى الله عليه وسلم حدد الكلام بالسبق والعلو وليس بالكثرة والاحاطة.

وقال الإمام الزهوي رحمه الله فى شرح صحيح مسلم : وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى : قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْعُلُوِّ هُنَا السَّبْقُ ، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْكَثْرَةَ وَالْقُوَّةَ ، يَحْسَبُ كَثْرَةَ الشَّهَوَةِ . اهـ .

وقال الإمام القرطبي: يتعين تأويل حديث ثوبان بأن المراد بالعلو السابق، قلت : والذي يظهر ما قدمته وهو تأويل العلو فى حديث عائشة ، وأما حديث ثوبان فيبقى العلو فيه على ظاهره فيكون السابق علامة التذكير والتأنيث والعلو علامة الشبه فيرتفع الإشكال، وكان المراد بالعلو الذي يكون سبب الشبه بحسب الكثرة بحيث يصير الآخر مغموراً فيه فبذلك يحصل الشبه، وينقسم ذلك ستة أقسام : الأول أن يسبق ماء الرجل ويكون أكثر فيحصل له الذكورة والشبه، والثاني عكسه، والثالث أن يسبق ماء الرجل ويكون ماء المرأة أكثر فتحصل الذكورة والشبه للمرأة، والرابع عكسه، والخامس أن يسبق ماء الرجل وبستوبان فيذكر ولا يختص بشبهه، والسادس عكسه، اهـ .

(192) فتح الباري شرح صحيح البخارى 273/7

وقال ابن القيم (193): **إِنَّ سَبْقَ أَحَدِ الْمائِينَ سَبَبٌ لَشَبْهِ السَّابِقِ مَأْوُهُ ، وَعَلُو أَحَدِهِمَا سَبَبٌ لِمَجَانَسَةِ الْوَلَدِ لِلْعَالِي مَأْوُهُ ، فَهَذَا هُنَا أَمْرَانِ : سَبْقٌ ، وَعَلُو ، وَقَدْ يَتَفَقَّانِ ، وَقَدْ يَفْتَرِقَانِ ، فَإِنَّ سَبْقَ مَاءِ الرَّجْلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ وَعَلَاهُ ، كَانَ الْمَوْلُودُ ذَكَرًا ، وَالشَّبْهُ لِلرَّجُلِ ، وَإِنْ سَبِقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَعَلَا مَاءَ الرَّجْلِ ، كَانَتْ أُنْثَى ، وَالشَّبْهُ لِلْأَمِّ ، وَإِنْ سَبِقَ أَحَدُهُمَا ، وَعَلَا الْآخَرَ ، كَانَ الشَّبْهُ لِلْسَّابِقِ مَأْوُهُ ، وَالْإِذْكَارُ ، وَالْإِيْنَاتُ ، لِمَنْ عَلَا مَأْوُهُ .** انتهى كلامه رحمه الله .

ذكر الشيخ عبد الرشيد قاسم في دراسة قيمة (194) آراء علماء السلف عن هذا الحديث ، كما ذكر فيها أيضا تفسيرات المع اصرين ، ومما ذكره الشيخ : " أما المعاصرون فقد فسروا الحديث بعدة تفسيرات ، ومن أبرزها : الأول : إذا علا مني الرجل مني المرأة : أي جاء فوقه ، وبالطبع لا يأتي شيء فوق شيء إلا إذا كان هذا الشيء موجودًا قبل ، وهذا يعني أن المرأة تصل إلى ذروتها فيأتي سائله المنوي بعد إفرازات المرأة ويأتي فوقه ، وفي هذه الحالة يأتي المولود "ذكرًا" "بإذن الله" ، وأما إذا علا مني المرأة مني الرجل أي إذا وصلت المرأة ذروتها وقذفت بالسوائل في المهبل بعد أن يقذف الرجل سائله المنوي في مهبلها وتأتي إفرازاتها على سائل الرجل المنوي فإن المولود يكون "أنثى" حيث يصل الرجل أولاً ثم المرأة ووصول المرأة لذروتها بعد الرجل يساعد على إنجاب البنات ، وفي الحقيقة هذا الرأي السابق قد جانبه التوفيق ، وذلك من جهتين : أولاً ، لأنه يفترض أن السوائل التي تفرزها المرأة عندما تصل إلى ذروتها هي منها الذي يقابل مني الرجل ، وهذا كما سبق إيضاحه غير صحيح علمياً ، ثانياً : يفترض هذا الرأي أن أحد المنيين يكون موجوداً و يأتي الآخر فوقه ، و أيضاً هذا التأويل يعتبر غير صحيح علمياً ، فمن المعروف أن من خواص السوائل أنها تمتزج مع بعضها البعض عن اختلاطها ، فلا يقع أحدهما على الآخر خاصة إذا كانت كثافتهما متقاربة كما هو الحال في السوائل التي يفرزها جسم الإنسان كالمني وغيره .

التوجيه العلمي

(193) ابن القيم في كتابه (تحفة المودود بأحكام المولود) [ص 221]

(194) قاسم ، عبد الرشيد محمد أمين: "اختيار جنس الجنين" دراسة فقهية طبية طبع ونشر دار الأسد بركة المكرمة .

قبل تقدم العلم ، كان السائد أن مسئولية ولادة طفل ذكر أو أنثى تتحملها المرأة وحدها ، ولا يوجد أي دور للرجل في تحديد جنس الطفل ، و مع تطور العلوم وتقدم وسائل البحث العلمي واكتشاف نوعين من الحيوانات المنوية ؛ أحدهما ذو الصبغي (Y) والثاني للصبغي (X) ، ومنذ ذلك الإكتشاف وعلماء الأحياء يعتبرون أن الذكر هو المسئول عن تحديد جنس الطفل ولا يوجد أي دور للمرأة في هذه العملية ، وهذا كلام خاطئ غير مبنى على أي أساس علمي معتبر لأن جنس الجنين يحدده صبغى من الذكر وآخر من الأنثى وليس من أحد هما وتعالوا بنا تتعمق أكثر فى هذه المسألة .

أولا: الجماع والإخصاب

خلال عملية الجماع يذهب ماء الرجل من المهبل ليقابل البويضة في ماء المرأة في قناة البيض (قناة فالوب) ، ولا يصل من ماء الرجل إلا القليل ، ويخترق منوي واحد البويضة ، و يحدث عقب ذلك مباشرة تغير سريع في غشائها يمنع دخول بقية المنويات ، وبدخول المنوي في البويضة يحدث الإخصاب و تتكون النطفة الأمشاج ، وهذا يعني أن الإخصاب لا يحدث من كل السوائل التناسلية وأنه هناك اختيار خاص لعناصر الإخصاب . وتتطابق هذه الحقائق العلمية مع الحديث النبوي الشريف الذي يحدد بوضوح ودقة أن خلق نسل الإنسان لا يكون من كل ماء الرجل و المرأة ولكنه يحدث من جزء ضئيل فقط منهما : " ما من كل الماء يكون الولد(195)" وهذا الحديث فيه اشارة علمية دقيقة تدل على اصطفاء الذرية وبفسر قوله تعالى (من نطفة خلقه فقدره) فجزء من ماء الرجل هو المقدر له اخصاب البويضة . إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما درس الطب ولا علم الأجنة ، ولم يكن فى زمنه ولا حوله من حضارات الشرق أو الغرب ما يقول هـ ذا الكلام المعجز ، ولم يتوفر له ولمن عاش قبله أو فى زمنه أدوات العلم آنذاك والتي يكتشف بها هذه الحقائق العلمية ، وهذا يدل على أن السنة النبوية المطهرة فيها من العلوم الطبيعية كعلوم الطب ومنها هذا العلم وهو علم التشريح والأجنة ، كما فيها الهداية إلى رب العالمين . وعندما توفرت أدوات العلم لعلماء القرن العشرين من المتخصصين فى هذا العلم أظهرت هذه الحقائق العلمية ، وهذا

¹⁹⁵ صحيح مسلم كتاب النكاح ، بالاعزل .

يجعلنا متيقنين بصدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى إليه من رب العالمين العليم الخبير سبحانه وتعالى وعز وجل.

ثانياً: دور الذكر والأنثى فى تحديد جنس الجنين

ومن المعلوم أن الإخصاب يحدث عند إلتقاء ماء الذكر وهو المنى مع ماء الانثى (البويضة)، والمنى يحتوى حيوانات منوية منها ما يحمل صفة الأنوثة X ومنها ما يحمل صفة الذكورة Y، ولقد تبين أن ٥٠% من الحيوانات المنوية تحمل صفات الأنوثة (أي الكروموسوم X)، بينما تحمل الـ ٥٠ بالمئة المتبقية الصبغى المذكر (Y)، أما الأنثى فهي تحتوى حصراً الكروموسوم الأنثوي الصفات (X)، فإذا لقح حيوان منوي يحمل صفات الذكورة Y، بويضة الأم فإن الناتج الصبغى الجنسى للجنين سيكون (XY)، أي أنه سيكون ذكراً بإذن الله تعالى، وأما إذا تم اللقاء بين البويضة وبين حيوان منوي يحمل الصبغى الأنثوي (X)، فإن البويضة الملقحة ستكون (XX)، أي أن الجنين سيكون أنثى بإذن الله تعالى. من هنا نقول أن ولادة مولود، ذكراً أو أنثى، له سبب بعد مشيئة الله تعالى، وهذا السبب معلق بالرجل والمرأة معاً، وليس بأحدهما دون الآخر، وهذا ما ذكره رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله تعالى فى الآية الأولى من سورة النساء (ويث **منهما**) أى من الذكر والأنثى، وأيضاً ما ذكره النبي محمد صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف الذى أخرج الإمام أحمد فى مسنده أن يهودياً مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت له قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، فقال: يا محمد، مِمَّ يُخْلَق الإنسان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا يهودي، من كلِّ يخلق: من نطفة الرجل و من نطفة المرأة" فقال اليهودي: "هكذا كان يقول من قبلك" (أي من الأنبياء).

وفى رواية مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْدُثُ أَصْحَابَهُ قَالَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ يَا يَهُودِيٌّ إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ قَالَ لِأَسْأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مِمَّ يُخْلَقُ الْإِنْسَانُ قَالَ يَا يَهُودِيٌّ مِنْ كُلِّ

يُخْلَقُ من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقام اليهودي فقال هكذا كان يقول مَنْ قَبْلَكَ⁽¹⁹⁶⁾. فإن اليهودي يؤكد هذه الحقيقة العلمية من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وبزبدها تأكيدا على لسان من كان قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين . وهذا من جهة أخرى تأكيد على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من قبل هذا اليهودي الذي تكلم بالحق والصدق.

وقد تبين للعلماء أن الحيوانات المنوية علي نوعين : أحدهما يحمل صفات الذكورة وفي داخله الصبغي (y) ، وهو سريع الحركة و ذو رأس صغير مدبب مغزلي الشكل و ذيله طويل و دقيق ويتأثر وبشدة في الوسط الحامضي ، فهو يتشبث و يفنى عدد كبير منه بفعل سوائل و مفرزات عنق الرحم الحامضية التفاعل ، و يتحرض وينشط في الوسط القلوي ، أما النوع الآخر فهو بطيء الحركة و رأسه كبير نسبيا و مستدير و ذيله قصير و غليظ ، ويحتوي في داخله الكروموسوم (x) الذي يمثل الصفات الأثوية و الجنس الأثوي ، وهو يتحرض في الوسط الحامضي و يتشبث في الوسط القاعدي " .

ثالثا: العلم وكيفية تحديد جنس الجنين :

يتم تحديد جنس الجنين من خلال عدة طرق . وتوصلت دراسات العلماء منذ 1933 وحتى وقتنا هذا إلى أنه يتم تحديد جنس الجنين من خلال فصل الحيوانات المنوية حسب شحنتها الكهربائية ، ولم يتطرق أي بحث منهما إلى فصل البويضات بنفس الطريقة⁽¹⁹⁷⁾. ويوجد اتجاهين لفصل الحيوانات المنوية التي تحمل صفات الذكورة (Y) عن التي تحمل صفات الأنوثة (X) ، والإتجاه الأول منهما يعتمد على

¹⁹⁶ (رواه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود الصفحة أو الرقم 244/8 | خلاصة حكم المحدث : [روى بأسانيد] في أحدها عامر بن مدرك وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقيه رجاله ثقات

¹⁹⁷ (D.L. Garner, "An Overview of Separation of X- and Y- Spermatozoa", Proceedings of the

Tenth Technical Conference on Artificial Insemination and Reproduction, Apr. 12-14, 1984,

pp. 87-92.

الخواص الفيزيائية للحيوانات المنوية مثل شكل وطبيعة الحيوانات المنوية (198) ،
بينما الإتجاه الثانى يعتمد على صفات الأنوية التى بها الصبغيات وتركيب الكروماتيد
داخل الصبغيات (199).

Modern preconception sex-selection methods may be classified into two general types: those that attempt to segregate spermatozoa on the basis of subtle physical or kinetic features, and those that rely on distinctive nuclear characteristics unique either to X- or Y-chromosome bearing sperm.

ولقد ظهر حديثا اتجاه ثالث عن فصل الحيوانات المنوية بطريقة مناعية أى باستخدام أجسام مناعية (200 ، 201) ضد أحدهما فيتم ترسيبه بها ويبقى الآخر حر يمكن فصله بسهولة.

وكثير من العلماء تكلموا عن تحديد جنس المولود من المسلمين وغيرهم وكانت معظم الأبحاث تتكلم عن ذلك فيما يخص الحيوانات (202 ، 203) ، والقليل منهم هو الذى تكلم عن ذلك فى الإنسان (204) ، إلا أنه اتخذ بعض علماء الغرب هذه التقنية ، وهى تقنية اختيار جنس المولود مصدرا للتربح والثراء حتى وإن كان لها

¹⁹⁸ (L.B.SHETTLES - «Human spermatozoa shape in relation to sex ratios» - Fertil. Steril. 1961, 12, page 502.

¹⁹⁹ (L.B.SHETTLES - «Nuclear morpholy of human spermatozoa» - NATURE, 1960, n°186 page 648.

²⁰⁰ Ali, Eldridge Koo and Schanbacher (1990), "Enrichment of Bovine X- and Y- (

Chromosome-Bearing sperm with monoclonal H-Y Antibody-Fluorescence-Activated Cell Sorter", Arch. of Andrology vol. 24, pp. 235-245.

²⁰¹ Blecher, S.R. et al., "A New Approach to Immunological Sexing of Sperm", (

Theriogenology, 1999, pp. 1309-1321, vol. 52, Elsevier Science, Inc.

²⁰² Johnson LA, Flook JP, Hawk HW (1989) Sex preselection in rabbits: live births from X and Y sperm separated by DNA and cell sorting. Biol Reprod 41:199-203

²⁰³ (KOLTZOFF ET SCHROEDER. - «Artificial control of sex in the progeny of mammalians». - NATURE n°329 March 1933.

²⁰⁴ (Kaneko S, Yamaguchi J, Kobayashi T, Iizuka R (1983) Separation of human X- and Y-bearing sperm using Percoll density gradient centrifugation. Fertil Steril 40:661-665

أضرار تذكر. وجعلوا لذلك طرقاً لاختيار جنس الجنين ذكراً كان أو أنثى. وبالرغم من أن الدكتور النشواتي⁽²⁰⁵⁾ بين أن من آيات الإعجاز الأخرى ما جاء في {قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19)} [سورة عبس] ، حيث قال : تفصح الآيات عن أن جنس الجنين يتحدد ويقدر ذكراً أم أنثى منذ اللحظات الأولى من حياته الجنينية ، أي منذ ا لتقاء نطفة والده بنطفة والدته {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ} إلا أنه قال : " لقد تبين أن أهم العوامل التي تتحكم بجنس الجنين تفاعل مفرزات عنق الرحم قبيل القذف ، والرعيشة لدي الزوجة . ويضيف الدكتور النشواتي في فقرة أخرى عند الإثارة الجنسية التامة للزوجة تزداد مفرزات عنق الرحم غزارة و تصبح قلوية التفاعل ، خصوصاً إذا بلغت المرأة قمة النشوة فاستجابت وارتعشت ، وبما أن السوائل القلوية تنشط سباحة وحركة الحويئات المنوية الذكرية الصفات و تثبط في الوقت ذاته النطف الأثوية الصفات ، لذا ستنفق الغ البية العظمى من النطف الأخيرة و سيثبط ما بقي منها ، فتتخلف و تنسحب من السباق ، بينما تسعى النطف المذكرة بحرية ونشاط فائقين لتحظى بشرف تلقيح البويضة ونجاب مولود مذكر "بإذن الله تعالى" ، أما إذا لم تبلغ الزوجة مرحلة الرعيشة ، كأن تكون مصابة بالبرود الجنسي فإن مفرزاتها ستبقى حامضية و ستكون السبب في إنجاب البنات من دون البنين "أ.هـ.

الرد على ذلك من وجوه:

- 1 - تقييد تحديد جنس الجنين بالنشوة عند الرجل أو المرأة هو تقييد ظني بلا علم موثق بل الواقع من عالم الزوجية يخالفه سواء حدث نشوة المرأة قبل أو بعد نشوة الرجل.
- 2 - قد يحدث الحمل من تقنية طفل الأنابيب أو الحقن المجهري وليس لنشوة المرأة أو الذكر أي دور يذكر فيهما.
- 3 - أن تفاعل المهبل حمضي في الظروف الطبيعية (pH 3.8 – 4.5) ، إلا أنها قد تصبح قلوية pH > 4.5 لأسباب طبيعية غير معدية كما يحدث في أثناء الطمث ، وزيادة إفراز عنق الرحم (وقت التبويض) ، وبعد اللقاء الجنسي (بسبب وجود السائل المنوي) ، وتنتج هذه الحموضة بسبب

⁽²⁰⁵⁾ النشواتي ، محمد نبيل ، الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان و تفهيريّة داروين دار القلم ، دمشق

وجود العصيات اللببية (عصيات دودرلين ، (Doderlin's bacilli عن طريق إفراز مواد حمضية التفاعل (206) وفي الظروف الطبيعية ، تعتبر هذه الدرجة البسيطة من الحموضة في المهبل واحدة من الآليات الوقائية للمهبل ضد الجراثيم الضارة (207) وليست آلية انتقاء للحيوانات المنوية.

4 - بعد القذف مباشرة ، تقوم "بلازما السائل المنوي" (Seminal plasma) بتكوين "كتلة متخثرة من المنى" (Coagulum)، بتأثير وجود عناصر مسببة للتخثر تنتجها "الحويصلات المنوية" (Seminal vesicles)، يتم إذابة هذا التخثر بواسطة إنزيمات من السائل المنوي أفرزتها غدة البروستاتا، وفي الظروف الطبيعية تستغرق هذه الإذابة من 10 إلى 30 دقيقة ، وفي الظروف الطبيعية ، يكون للسائل المنوي وهو قلوي التفاعل قليلا (PH:7.2-8)، قدرة عالية على معادلة تأثير الحموضة داخل المهبل ذات التأثير الضار للحيوانات المنوية ، ولقد أثبتت الدراسات أهمية هذا التخثر للسائل المنوي وأن "السمنوجلين" (Semenogelin) هو البروتين الرئيسي في السائل المنوي المتخثر ، وهو يوجد بتركيزات عالية في إفرازات "الحويصلة المنوية" ، وهو لايؤثر على حركة الحيوانات المنوية ولكنه يمنع تماما الحدوث المبكر لعملية التمكين (Capacitation)، وهي سلسلة التحولات التي تحدث للحيوانات المنوية لتجعلها قادرة على التلقيح (208) ومعنى هذا أن حموضة المهبل والقناة التناسلية ليس لها دور يذكر في انتقاء الحيوانات المنوية.

(206) Mardh, (1991) : The vaginal ecosystem. Am. J. Obst. & Gyn., 165 : 1163 - 68

(207) Hanna, N. F., D. Taylor-Robinson, M. Kalodiki-Karamanoli, J. R. Harris, and Mc Fadyen I.

R. (1985) : The relation between vaginal pH and the microbiological status in vaginitis. Br. J.

Obstet. Gynaecol., 92:1267-1271

(208) E. de Lamirande, K. Yoshida, T. M. Yoshiike, T. Iwamoto and C. Gagnon (2001) :

Semenogelin, the main protein of semen coagulum, inhibits human sperm capacitation by interfering with the superoxide anion generated during this process. Journal Article , Journal of Andrology, Vol 22, Issue 4 672-679

5 - يفرز عنق الرحم مادة هلامية تسمى "بمخاط عنق الرحم " (Cervical

mucus) وتتغير خواصه مع دورة الطمث ، فخلال النصف الأول من الدورة ، يكون المخاط مائي غزير وصافي وذو مرونة وهذا النوع تتمكن الحيوانات المنوية من اختراقه بسهولة بعد اللقاء الجنسي لتصل إلى داخل الرحم ، أما في النصف الثاني من الدورة ، أي بعد التبويض ، تتغير نوعية المخاط ، فيصير أقل في الكمية وأكثر سمكاً وأقل صفاءً ، ولا تستطيع الحيوانات المنوية جميعها اختراقه ، ويكون كسد يمنع دخولها إلى داخل الرحم ، وتعيش الحيوانات المنوية التي اخترقت هذا المخاط مدة أطول ، قد تصل إلى عدة أيام بعد اللقاء الجنسي ، و بمجرد دخول الحيوانات المنوية إلى داخل المخاط فإنها تسبح بثبات فيه إلى الأعلى باتجاه الرحم خلال فترة تتراوح بين ٤٨ إلى ٧٢ ساعة ، و بذلك يعمل مخاط عنق الرحم كمستودع للحيوانات المنوية ، و تخزينها في حالة عدم حدوث لقاء جنسي وقت التبويض و يقوم مخاط عنق الرحم أيضاً بالعمل كمرشح يسمح فقط بالمرور لأفضل الحيوانات خلاله إلى الرحم ، ومن ثم إلى أعلى نحو البيضة الموجودة في قناة فالوب⁽²⁰⁹⁾.

6 - عندما تحدث النشوة للمرأة والرجل في آن واحد ، فإن "عنق الرحم "

(Cervix)، ينقبض وتكون هذه المنطقة غنية بالمني ، وهذه الحركة لعنق الرحم تقوم في الحقيقة بعملية سحب للسائل المنوي إلى داخل عنق الرحم و بالتالي إلى داخل الرحم لتسهيل مروره في اتجاه البيضة الناضجة⁽²¹⁰⁾.

والخلاصة أن نشوة الرجل أو المرأة ليس لهما دور يذكر في مسألة انتقاء الحيوانات المنوية المذكرة أو المؤنثة وهذا الكلام لا يفسر مسألة السبق أو العلو التي وردت في أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم

⁽²⁰⁹⁾ Cervical mucus : http://www.hashmi.com/cervical_mucus.ht

⁽²¹⁰⁾ Female Orgasms and Conception

<http://infertility.about.com/od/repr...maleorgasm.htm>

(<http://infertility.about.com/od/reproductionbasics1/a/femaleorgasm.htm>)

وتبقى مسألة العلو أو السبق تحتاج إلى تفسير علمي دقيق ولكي نصل إلى حقيقة علمية توضح لنا ذلك تعالوا معي ننظر في أبحاث العلماء

في عام 1933 توصل العالمان فيرا شرودر وكولتزووف (SCHROEDER and KOLTZOFF) إلى فصل الحيوانات المنوية التي تحمل صفة الذكورة عن التي تحمل صفة الأنوثة بطريقة الفصل الكهربائي . ولقد بينا أن الحيوان المنوي الذي يحمل صفة الذكورة يحمل شحنات موجبة بينما الذي يحمل صفة الأنوثة يحمل شحنات سالبة⁽²¹¹⁾

In 1933 professors Mrs. Vera SCHROEDER and Mr. KOLTZOFF the famous Russian scientists concluded that it was possible to separate the sperms with y and x chromosomes through a charge from an anode or a cathode, describing the fact that depending on whether they carry an X or Y chromosome, spermatozoa have opposite polarisation. The X spermatozoa have a negative charge and the Y spermatozoa a positive charge.

وفي عام 1990 ، وجد عالم في "جامعة روسكوف" (Roscoff university) أن التقاء الحويين المنوي مع البيضة يسبب حدوث حلقة مضيئة تتأثر بالكهرباء ، مما أثبت حدوث تدخل كهربائي أثناء عملية الإخصاب .

In 1990, scientist at the university of Roscoff found that the fact of the Sperm joining the ovule produced an electrically influenced luminous ring.

وفي عام 1992 ، في الجامعة العلمية بطوكيو تبين تأكيد النتائج التي توصل إليها العالمان الروسيان "شرودر" (SCHROEDER) و"كولتزووف" (KOLTZOFF)

⁽²¹¹⁾ (KOLTZOFF ET SCHROEDER. - «Artificial control of sex in the progeny of mammalians».

- NATURE n°329 March 1933.

، أملازمة القدرة علي فصل الحويونات المنوية الحاملة للصبغي (Y) عن تلك الحاملة (x) باستخدام طريقة "التحليل الكهربائي" (Electrolysis)، حيث تبين أن التيار الكهربائي الضعيف يجعل الحيوانات المنوية التي تحمل صفة الأنوثة X تتجه ناحية القطب الموجب مما يشير إلى أنها تحمل شحنات كهربية سالبة ، بينما الحيوانات المنوية المذكورة Y تتجه ناحية القطب السالب مما يشير إلى أنها تحمل شحنات كهربية موجبة

In 1992 the Science university of Tokyo confirmed the Koltzoff V Schroder findings and recognised the ability to separate the sperm containing y and x Chromosomes by electrolyses. Numerous studies revealed that when a weak electrical current was passed through a solution containing spermatozoa, those with the X chromosome were attracted by the anode (+) and those with the Y chromosome by the cathode (-).

وفي عام 1994 تبين للعلماء الفرنسيين من دراستهم لمدة 15 سنة على 1000 حالة من السائل المنوي للتديات أن نسبة نجاح فصل الحيوانات المنوية بالكهرباء تصل إلى 98.7% (212)

In 1994 a French Scientist completed his 15 year study on 1000s of mammal case studies and in 1996 followed by his final tests of the method based on 155 human couples showing a 98.7% success rate.



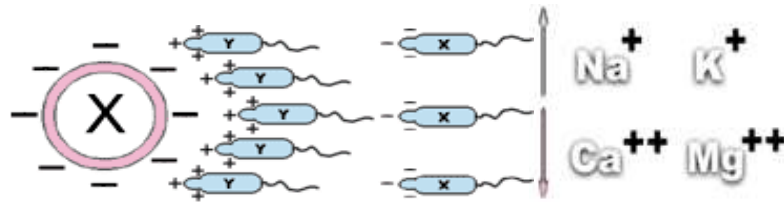
شكل (1/24) يبين طريقة فصل الحيوانات المنوية بالكهرباء مما يشير إلى وجود شحنات كهربية عليها

http://www.babybygender.com/NewSite/Product_Information/Scientific_Review.asp (212)

إذن هذه الدراسات تبين أن للحيوانات المنوية والبويضة شحنات كهربية (214,213) وأن عملية السبق أو العلو تتوقف على وجود هذه الشحنات الكهربية على كل من الحيوانات المنوية والبويضة. وتبين للعلماء أن الأجسام ذات الشحنات المماثلة تتافر بينما الأجسام ذات الشحنات المختلفة تتجاذب.

ومن جهة أخرى فقد أثبتت الأبحاث (215 ، 216) بأن تغذية المرأة كان لها تأثير في عملية اختيار جنس المولود . وذلك بتأثيره على المستقبلات التي ترتبط بها الحيوانات المنوية في جدار البويضة ، والتي عن طريقها تخترق الجدار ويحدث التلقيح . إن للتوازن الأيوني للصوديوم والبوتاسيوم مقابل الكالسيوم والمغنيسيوم تأثير حيوي على هذه المستقبلات مما يؤدي إلى حدوث تغييرات على مستقبلات الجدار مما يؤثر على انجذاب الحيوانات المنوية بنوعها

الذكر



الأثني

Hagiwara S and Jaffe LA (1979) : Electrical properties of egg cell membranes . Ann. Rev. (213)

Biophys. Bioeng. , 8 : 385 - 416

Tosti E and Boni R (2004) : Electrical events during gamete maturation and fertilization in (214)

animals and humans , Human Reproduction Update, Vol.10, No.1 pp.53-65

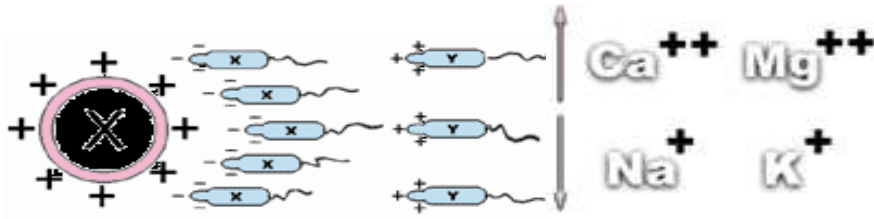
M.DUC - «de l'influence des apports nutritionnels en ions K, Na, Ca, Mg, sur le sexe ratio (215)

chez l'homme. Thèse de doctorat en médecine, Paris, 1977.

J.STOLKOWSKI et M.DUC - «Alimentation minérale (Na+, K+, Ca++, Mg++) chez les (216)

femmes n'ayant que des enfants du même sexe.» - Cahiers nutrition et diététique, 1977, 12,

2, pages 153 à 156 et Union Médic. Canada, 106, page 1351 à 1355.

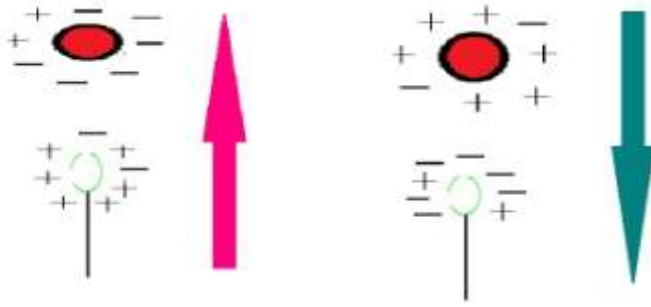


شكل (2/24) يبين تأثير الأيونات الموجبة والسالبة على جذب الحيوانات المنوية للبويضة

وبناء على ما سبق فإن زيادة نسبة الصوديوم والبوتاسيوم في الغذاء وانخفاض نسبة الكالسيوم والمغنيسيوم يحدث تغييرات على جدار البويضة لجذب الحيوان المنوي الذكري (Y-sperm) واستبعاد الحيوان المنوي الأنثوي (X-sperm) وبالتالي نتيجة التلقيح تكون ذكرا ، والعكس صحيح فإن زيادة نسبة ال كالسيوم والمغنيسيوم في الدم وانخفاض الصوديوم والبوتاسيوم يجذب الحيوان المنوي الحامل للكروموسوم الأنثوي (X-sperm) ويستبعد الحيوان المنوي الحامل للكروموسوم الذكري (Y-sperm) وبالتالي تكون نتيجة التلقيح والحمل أنثى .

ومن خلال هذه الدراسات يتبين لنا أن الذي يسبق أو يعلو هو الأكثر شحنة موجبة ونوضح هذا بالمثال التالي:

لو أن الحيوان المنوي شحنته الأكثر موجبة (+) والبويضة شحنتها الأكثر سالبة فإن التحرك يكون من الموجب للسالب كما هو موثق في علم الكهرباء (أن التيار الكهربائي التقليدي يتحرك من الموجب إلى السالب خارج المصدر وهو عكس اتجاه حركة الالكترونات) وبهذا تتحرك الحيوانات المنوية ذات الشحنة الموجبة إلى البويضة ذات الشحنة السالبة فيكون لها السبق ولها العلو ، وعند الركون إلى أن الحيوانات المنوية ذات الصبغى المذكر Y تكون ذات رأس صغير وأقل في الحجم من الحيوانات المنوية ذات الصبغى X وهى أسرع منه فهى التى تسبق وتخصب البويضة ذات الشحنتات الكهربائية الأكثر سالبة . والعكس صحيح لو أن البويضة عليها شحنتات موجبة فإنها تتحرك ناحية الحيوانات المنوية ذات الشحنتات السالبة ويكون لها السبق ولها العلو أيضا وبهذا يرتفع الإشكال كما هو مبين فى الشكل (3/24).



شكل (3/24) يبين اتجاه حركة البويضة أو الحيوان المنوي ذو الشحنات الموجبة

وتنص الأحاديث الشريفة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم منذ القرن السابع الميلادي بشكل واضح و صريح علي أن تحديد نوع الجنين مسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة ، وهذا الحديث الذي رواه ثوبان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبر بصدق عن اشتراك الرجل والمرأة في ذلك ، و النص في الحديث "ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة : أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أثنا بإذن الله" ، أي أن علو ماء أحدهما يكون سبباً في اكتساب جنس من علا مأوه ، و في ضوء المكتشفات الحديثة لخصائص الأمشاج الكهربائية ، تبين للعلماء أن الحيوان المنوي أو البويضة عليهما شحنات كهربية سالبة أو موجبة وبهذا يكون العلو المقصود هو العلو الكهربائي وهو علو حقيقي وليس علواً معنوياً . ومن هنا نجد أنه عندما تكون البويضة "سالبة الشحنة" فإنها تجذب إليها الحوين المنوي (Y) الذي يحمل شحنة موجبة و ينتج عن ذلك "طفل ذكر" ، وبما أن الحامل للصبي "الشحنة الموجبة" هي الأعلى حسب قواعد الطبيعة يكون مني الرجل هو الأعلى و بذلك يكون علو مني الرجل سبباً في إنجاب "طفل ذكر" ، وهذا يطابق ما أوضحه الحديث النبوي بشكل مذهل " فإذا اجتمعا ، فعلا مني الرجل مني المرأة : أذكرا بإذن الله "

وأما إذا كانت البويضة موجبة الشحنة فإنها تكون الأعلى ويكون لها السبق إلى الحيوان المنوي (X) ذو الشحنات السالبة و تجذبه إليها و ينتج عن ذلك " أنثى" ، وهذا ما أوضحه أيضا الحديث النبوي " وإذا علا مني المرأة مني الرجل أثنا بإذن الله ."

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا صدق حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث أن هناك دور مشترك للرجل والمرأة في تحديد جنس الطفل . إن العلم الحديث الذي ظهر للعلماء في القرن العشرين ليدل دلالة واضحة على صدق أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى بل هو كلام العليم الخبير سبحانه وتعالى وعز وجل ، وبدل أيضا على الإعجاز العلمي في هذه الأحاديث التي وردت في مسألة تحديد جنس الجنين ، وسبقه العلمي لعلماء القرن العشرين في هذه المسألة كما سبقهم في مسائل أخرى كثيرة بينها في حينها ومكانها.

اجتهادات والرد عليها:

تكلم بعض العلماء في بيان تحديد جنس الجنين وذكروا عدة طرق لذلك نبيها ونرد عليها:

- 1 - نشوة المرأة ونشوة الرجل : منهم من عزي تحديد جنس الجنين إلى النشوة عند المرأة أو الرجل وسبق أحدهما بها الآخر ورددنا على ذلك .
- 2 - اتباع حمية غذائية: ومنهم من تكلم في دور الغذاء واتباع حمية غذائية معينة لمدة شهرين متتابعين تسبق الدورة الشهرية المراد منها تحديد جنس الجنين . وبينت الدراسة التي نشرت في جورنال المجتمع الملكي والعلوم البيولوجية أن انجاب أنثى يتطلب حمية غذائية تعتمد على الخضروات والسّمك ، بينما الحصول على مولود ذكر يتطلب حمية غذائية تعتمد على كثرة اللحوم والبيض وملح الصوديوم .

Eat lots of vegetables and fish if you desire a girl. For a boy, they ought to consume lots of meat, sodium and eggs, a protein-based diet. The research, published in the journal Proceedings of the Royal Society B: Biological Sciences

والرد على ذلك: هذا تعسف وتضييق على المرأة ، وعلى الزوجين كما أن فرص النجاح في هذا ضئيلة جدا ، ولا يستطيع أى علماء الأغذية الركون إلى ذلك باعتباره أمرا مسلما به .

3 - توقيت الجماع: ومنهم من تكلم فى مسألة توقيت الجماع Sex Timing

فقال مثلا اذا حدث الجماع مباشرة بعد حدوث الاباضة فان الكفة ترجح للذكورة والعكس صحيح
والرد على ذلك: أن موعد الإباضة يختلف من امرأة لأخرى وفي نفس المرأة من شهر لآخر . وهذا لا يعول عليه فى تحديد جنس الجنين لأن مسألة الجماع هى مسألة غريزية لا تتوقف ولا تؤجل لاختيار الوقت المناسب لتحديد جنس الجنين.

4 - الوسط الحامضى: ومنهم من ذكر أن الوسط الحامضى هو أكثر ملائمة للحيوان المنوي الأثوي والوسط القاعدي يناسب الحيوان المنوي الذكري , ونادوا بما يسمى بلدش المهبلى وساد الاعتقاد بأن عمل دش مهبلى حامضى أو قاعدي يمكن أن يغير من الوسط وهذه الطريقة فى نظرهم غيرت فرص النجاح إلى ما يقارب 5 %
والرد على ذلك:

- a. هذه المحاليل المستخدمة قد تكون سببا فى موت الحيوانات المنوية أو ضعفها خصوصا إذا كانت هذه المحاليل ع الية الأس الهيدروجينى الحمضى أو القاعدى.
- b. أن اتباع هذه الطريقة قد يضر بالغشاء المبطن للمهبل وعنق الرحم عند المرأة خصوصا عندما يكون الوسط قلويا لأن الأصل فيه أن يكون الوسط حمضيا للقضاء على الميكروبات التى تغزو هذا الجهاز التناسلى صعودا من أسفل إلى أعلى مما قد يسبب ضررا بالغا لبطانة الرحم ولقناة فالوب وربما يؤدى للتعقم
- c. وضع العلماء لهذه الطريقة وربطها بحمية غذائية لمدة شهرين متتابعين تسبق الدورة الشهرية التى سيتم تطبيق البرنامج خلالها ، وتوقيت الجماع هو عمل شاق بالنسبة للمرأة ولا يرتقى إلى تحقيق الهدف المطلوب لأننا قلنا فى بداية هذا الفصل أن مسألة تحديد جنس الجنين هى مقدرة بقدر الله عز وجل منذ القدم ، وهى هبة من الله عز وجل لمن يشاء من خلقه .
ملحوظة هامة: لا يمنع كلامنا هذا العلماء من البحث والتنقيب فى هذه المسألة بشرط عدم الاضرار بأحد الزوجين أو كليهما أو بالجنين نفسه .

5 - غربلة الحيوانات المنوية وفصلها وحقنها داخل الرحم intruterine
(IUI) insemination

وتتم هذه الطريقة بعد تجهيز جسم المرأة بإعطاء الأدوية المنشطة للمبايض لزيادة عدد البويضات وبالتالي رفع فرصة الحمل وتحريض الإباضة والقيام بحقن الرحم بالحيوانات المنوية الحاملة للجنس المرغوب به بعد فصلها بالمختبر بطريقة الغربلة باستخدام أدوات خاصة ، والأخذ بعين الاعتبار الحمية الغذائية والتوقيت الزمني بالاعتماد على موع د الإباضة لدى السيدة لإجراء الحقن في الوقت المناسب ، وهذه الخطوات مجتمعة استطاعت أن ترفع فرص نجاح الغربلة والحقن الى 80 % . وهناك طرق عديدة لفصل الحيوانات المنوية بهذه الطريقة ، فمنها : ما يعتمد على الغربلة ، ومنها ما يعتمد على الطرد المركزي ، ومنها ما يعتمد على اختلاف الشحنات الكهربائية .

الرد على ذلك من خلال أبحاث العلماء

- (a) أن هذه الطريقة لا تقوم بعمل فصل تام ونجاح 100 % أي أن احتمالية تواجدها الحيوانات المنوية للجنس الغير مرغوب به واردة
- (b) نسبة النجاح محدودة
- (c) بالرغم من أن هذه الطريقة هي الأكثر انتشارا في العالم إلا أن نتائجها لم تكن مرضية
- (d) هذه الوسائل مجتمعة لم تحقق نتائج مرضية .
- (e) هذا الأمر دفع العلماء للبحث عن طرق أكثر دقة وأكثر نجاحا وفعالية .

6 - طريقة فصل الحيوانات المنوية المعتمدة على قياس انسياب خلايا
الحيوانات المنوية (Flow Cytometry / Sperm Separation)
وتسمى أيضا MicroSort®

بعد إخفاق طرق عزل الحيوانات المنوية سابقة الذكر بتحقيق النتائج المرضية . انكب العلماء على البحث عن وسيلة تكون أكثر دقة و نتائج نجاحها عالية ، فلجأ العلماء إلى طريقة فصل الحيوانات المنوية بالاعتماد على محتويات المادة الوراثية (DNA) وتسمى هذه الطريقة Flow Cytometry / Sperm

(Separation) وترتكز طريقة الفصل هذه على أن الحيوان المنوي الحامل للكرموسوم الأثوي يحتوي على المادة الوراثية DNA بما يقارب 2.8 % أكثر من الحيوان المنوي الحامل للكرموسوم الذكري ، وبناء عليه فإن هذا الاختلاف يمكن قياسه بجهاز يسمى (Instrument Flow Cytometer) وهي أداة تستخدم لدراسة وحساب الخصائص الكيميائية والوظيفية للخلية . ولفحص دقة ونقاوة الفصل هذه يمكن دراسة الناتج بطريقة Fluorescence in-situ hybridization (FISH) وفيها يتم صبغ الكروموسومات لجزء من العينة التي تم فصلها ليعطى كروموسوم الحيوان المنوي الذكري اللون الأخضر وكروموسوم الحيوان المنوي الأثوي اللون (الزهري / الأحمر) ومن ثم تدرس هذه العينة تحت الميكروسكوب لدراسة دقة الفصل ونقاوته (217) . وجدير بالذكر هنا الإشارة الى أن السائل المنوي بالحالة الطبيعية يحتوي بصورة تقريبية على 50 % حيوانات منوية أنثوية و50 % حيوانات منوية ذكورية باستثناء بعض الحالات الشاذة . وبطريقة الفصل هذه استطاعت أن تجهز عينة غنية بالحيوانات المنوية الذكورية بنسبة 73 % وعينة غنية بحيوانات منوية أنثوية بنسبة 88 % وبعد ذلك يتم استخدام العينة المجهزة أما للحقن الاصطناعي في الرحم (intrauterine IU) (classical in vitro fertilization التقليدية أو لأطفال الأنابيب التقليدية) (C-IVF) (intracytoplasmic sperm injection) أو للحقن المجهري (ICSI) بنسب نجاح تصل الى 90 % اذا حصل الحمل.



⁽²¹⁷⁾ Richards WE, Dobin SM, Malone V, Knight AB, Kuehl TJ (1997) Evaluating sex chromosome content of sorted human sperm samples with use of dual-color fluorescence in situ hybridization Am J Obstet Gynecol 176:1172-1180

شكل (4/24) عملية الحقن المجهرى للحيوان المنوي داخل سايتوبلازم البويضة
(intracytoplasmic sperm injection) (ICSI)

الرد على ذلك: أن هذه الطريقة ما زالت حكرًا على مراكز محدودة جدًا في العالم فهي حديثة التطور بعد أن أجريت لها تجارب عديدة على الحيوانات أصبحت الآن تحت التنفيذ ولكن بشكل محدود جدًا. كما أن نسبة فصل الحيوانات المنوية المذكرة أو المؤنثة لم تصل إلى نسبة 100% وبالتالي تكون نسبة حدوث حمل بالجنس الغير مرغوب فيه واردة أيضا. وتبين أن 0.5-2% من الأجنة الناتجة بهذه الطريقة تكون مشوهة⁽²¹⁸⁾ وربما تتوافق هذه النسبة مع ما يحدث تلقائيا The observed major congenital abnormality rate of 2.05% for babies born after using this sperm sorting method coincides with that occurring spontaneously.

7 - طريقة فصل الأجنة : تكلم بعض العلماء فى اختيار جنس المولود
باستعمال طريقة

فصل الأجنة (PGD) وهذه الطريقة هي أكثر الطرق ضمانًا للنجاح حاليًا حيث أن نسبة نجاح الحمل بالجنين المراد تحديده تصل من 99-100% ، وهذه الطريقة لها عدة اعتبارات هامة ، وقبل التطرق لتفاصيل هذه العملية يتم مناقشة الموضوع مع الزوجين ودراسة بعض النقاط المهمة ومنها : (1- عمر الزوجة (2. عدد الأطفال في العائلة وجنسهم (3. الوضع الصحي للزوجة وإمكانية تكرار الحمل وطريقة الولادة (4. نسبة تقبل حصول حمل بجنين غير مرغوب فيه. وتتم هذه الطريقة بعدة مراحل .

المرحلة الأولى: برنامج تحريض الإباضة عن طريق إبر هرمونات تعطى للزوجة من بداية الدورة . ويتم خلال البرنامج مراقبة البويضات باستمرار لغاية وصولها الحجم المطلوب للسحب.

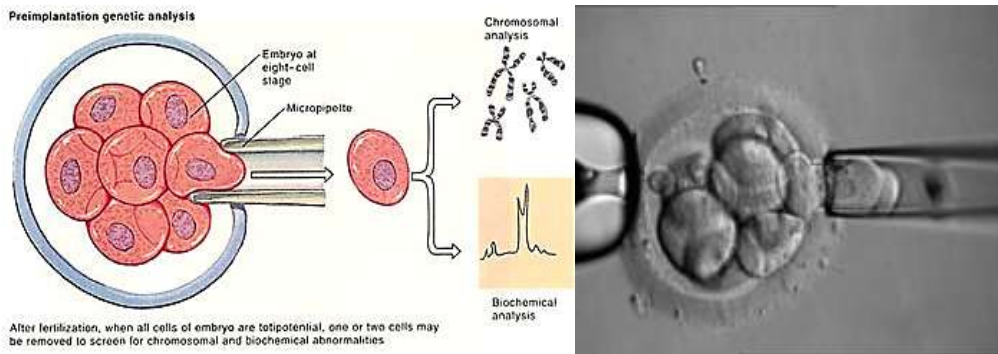
⁽²¹⁸⁾ Joseph D. Schulman, David S. Scientific aspects of preconception gender selection
DOI: [http://dx.doi.org/10.1016/S1472-6483\(10\)62217-1](http://dx.doi.org/10.1016/S1472-6483(10)62217-1) *Reproductive BioMedicine* Karabinus, PhD
2005 Volume 10, Supplement 1, Pages 111-115 Online

المرحلة الثانية : سحب البويضات من الجسم عن طريق إبرة مهبلية خاصة تحت التخدير العام ويتم بنفس اليوم تلقيح البويضة مجهرياً .

المرحلة الثالثة: وضع الأجنة في حاضنات خاصة وتركها لمدة 3 أيام لحين وصول كل جنين إلى مرحلة 6-8 خلايا ويتم حينها ثقب جدار الجنين وسحب خلية واحدة من غير أي يؤدي ذلك إلى ضرر أو أذى في الجنين وتدرس الخلية بطريقة صبغ الكروموسومات (FISH) Fluorescence in-situ hybridization لتحديد الجنين وكذلك ثمن دراسة بعض الفحوصات الكروموسومية .

المرحلة الرابعة : إرجاع الأجنة من الجنس المطلوب ولا يتم إرجاع إلا الأجنة المرغوب في جنسها ، والأجنة السليمة . ونود أن نذكر هنا أن هناك حالات لا يكون فيها أجنة سليمة أو من الجنس المطلوب ولا يتم الإرجاع في هذه الحالة ويلغى البرنامج .

المرحلة الأخيرة : هي أخذ برنامج مثبتات للحمل والانتظار لمدة أسبوعين لمعرفة حدوث الحمل . ما يميز هذه الطريقة عن غيرها من طرق تحديد جنس المولود أنها أكثر ضماناً وتصل نسبة نجاحها تقريباً إلى 100% كما أنها لا تشكل خطراً على الأجنة حيث ان الخلية المفحوصة تؤخذ من جنين مازال في طور الانقسام مما لا يؤدي إلى حدوث أي تشوهات أو تأثيرات جانبية على المولود لاحقاً ولكن تقلل نسبة حدوث الحمل بدرجة بسيطة جداً عن الطرق الأخرى لأطفال الأنابيب العادية التي لا يصاحبها اختيار لجنس المولود . وأصبحت هذه الطريقة شائعة جداً في هذه الأيام .



شكل (5/24) يبين أخذ خلية من بويضة مخصبة وبها 8 خلايا



سحب خلية من الجنين



عملية ثقب جدار الجنين
باستخدام الطريقة الميكانيكية

شكل (6/24) يبين كيفية ثقب جنين به عدة خلايا وأخذ خلية لفحص الكروموسومات

8- البرنامج الصيني

وهو عبارة عن جدول يعتمد على عمر المرأة والشهر الذي يتم به التلقيح بشكل رئيسي ، وقد انتشر انتشارا واسعا في أوساط العامة (219 ، 220) إلا أنه لم يحقق النجاح المطلوب

9- التشخيص الجيني عن طريق الزرع المسبق: ويعتمد على إعطاء المرأة أدوية خاصة مما تؤدي إلى إنتاج عدد من البويضات، من ثم شفطها، ويتم شفطها بإبرة من المبيض ويتم تلقيحها بالحيوانات المنوية ، وبعد ذلك تنمو في الأنابيب من 5 - 10 خلايا و باستخدام ألوان فلورسنت يظهر الذكر ذو خيط أخضر وخيط أحمر، والأنثى يكون الخيطان بلون أخضر، ومن ثم يتم وضع اثنين أو ثلاثة منها حسب الجنس المطلوب في رحم الأم.

10- ترشيح الألبومين Clomid® : وتعتمد على الطرد المركزي للحيوانات المنوية باستخدام الألبومين لفصل الحيوان المنوي (X) عن (Y) والفكرة في أن Y أخف وزناً يرتفع لأعلى وينزل X الأثقل لأسفل (221). وبعد فصل الحيوانات

Scientific research for the Right Baby method. (219)

http://www.gendersselection.info/scientific_review.html

Your choice boy or girl!, The nationalist , Friday, February 19 , 1999, Editorial (220)

Ericsson RJ, Langerrio CN, Nishirro M (1973) Isolation of fraction-rich in human Y sperm. (221)

Nature 246:421-424

المنوية يتم إدخالها عن طريق التلقيح الرحمي، فإذا كان مطلوب بنت تتناول الأم عقارًا خاصًا للخصوبة. وهذه الطريقة Clomid® مشابهة لطريقة micrsort®

Dr. Ericsson PhD, is an American scientist who developed the Albumin Method while conducting research in Berlin, Germany. With Ericsson, the sperm is filtered through albumin and then an intrauterine insemination (IUI) is completed with the sample. While the sample doesn't provide you with more of a single distinct sex, like a MicroSort® sample, it does aid pick the sex of the baby. For a girl, Clomid® is utilized since it has been shown to boost the number of girls.

الرد على ذلك : لا يمكن فصل الحيوانات المنوية المرغوب فيها بنسبة 100% ولذلك قد يكون المولود من الجنس الغير مرغوب فيه. وظهر بحث 1976 للدكتور Flaherty وآخرون معه (222) يبين أن هذه الطريقة لا تفصل كل الحيوانات المنوية المرغوب فيها.

لابد من قيود أخلاقية لاختيار جنس المولود ؟

من العلماء من يؤيد اختيار جنس الجنين بهذه الطرق ومنهم من يعارض هذا (223) ، ويجب على المسؤولين عن الصحة الانجابية وصحة الأسرة ، ومراكز الأمراض والسيطرة عليها في الدول التي تجرى بها هذه العمليات على نطاق واسع ، ومنظمة الصحة العالمية بيان النواحي الأخلاقية من جراء هذه الممارسات ، ووضع القيود والشروط بصدد هذه الطرق المستخدمة في فصل الحيوانات المنوية لتحديد جنس الجنين . كما يجب اجراء دراسات عميقة

Flaherty SP, Michalowska J, Swann NJ, Dmowski WP, Matthews CD, Aitken RJ (1997) Albumin(²²² gradients do not enrich Y-bearing human spermatozoa. Hum Reprod 12:938-942

Dawson K, Trounson A (1996) Ethics of sex selection for family balancing – why balance(²²³ families? Hum Reprod 11:2577-2578

ومستفيضة لبيان ارتباط جنس المولود بأحدى هذه الطرق بمرض وراثي أو تشوه خلقي يتناقل مع الأجيال وما الاستسناخ منّا ببعيد.

خرافة شعوب

بعض الشعوب لها خرافات فى مسألة تحديد جنس الجنين منها ما يعتقد أنه الإغريق قديما أن الذكور تكون فى الخصية اليمنى ، والإناث فى الخصية اليسرى ، واعتقد الشعب التايونى بأن زواج الرجل البدين من السيدة النحيفة لإنجاب الإناث والعكس صحيح . كما افترضوا أن أكل المتبلات واللحوم والأسماك المملحة والحامضة وخصيتى الحيوان يساعد على إنجاب الذكور . ومن الشعوب المختلفة الأخرى اعتقدوا أن الجماع فى الأيام الزوجية ينتج ذكورا والجماع فى الأيام الفردية ينتج إناثا . وكل هذا من باب الخرافات ولا ينتمى أصلا لأى علم معترف به.

الخلاصة:

بعد هذا البيان ، يتبين لنا من الآيتين الكريمتين من سورة الشورى من قوله تعالى : " لله ملك السموات و الأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور(49) أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (50) هبة الله عز وجل لمن يشاء من عباده بالبنيان أو البنات أو يزوجه م ذكرا وإناثا أو يجعل من يشاء عقيما ، وبيان أحاديث النبى محمد صلى الله عليه وسلم التى ذكرها فى بيان من المسؤول عن تحديد جنس الجنين والكيفية التى يتحدد بها وشروح العلماء المعتبرين لهذه الأحاديث ، وبيان العلوم التجريبية الحديثة عن فصل الحيوانات المنوية والبويضة وإخبار جنس الجنين يتضح لنا عدة حقائق هامة نوجزها فيما يلى:

- 1- أن كلا من الزوجين الذكر والأنثى مشتركين ومسؤولين عن تحديد جنس الجنين وليس لأحدهما فضل على الآخر وليست الزوجة وحدها أو الزوج وحده هو المسؤول عن ذلك.
- 2- أن مقولة أن الحيوان المنوى وحده هو الذى يحدد جنس الجنين أصبحت تخالف العلم الحديث لأن الجنين يحمل نصف عدد الكروموسومات من الزوج والنصف الآخر من الزوجة

- 3- أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم سبق علماء القرن العشرين في بيان هذه المسؤولية
- 4- أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بين أن الجنين يتخلق من بعض الماء وليس من كل الماء وقد سبق علماء القرن العشرين بهذا
- 5- أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بين أن الجنين يتحدد بسبق وعلو لماء الزوج أو ماء الزوجة ويكون جنس الجنين لمن سبق ماؤه وعلا وهذا السبق وهذا العلو هو سبق حقيقى وعلو حقيقى وليس معنوى بشواهد العلم الحديث
- 6- أن الذى يحدد السبق والعلو الحالة الكهربية التى عليها ماء الرجل أو ماء المرأة وأن السبق يكون للأعلى شحنة موجبة بقاعدة التيار الكهربائى التقليدى.
- 7- أن الطرق التى استخدمها العلماء لفصل الحيوانات المنوية الذكرية عن الأنثوية لم ترتقى إلى درجة النقاوة بنسبة 100% وأن نسب النجاح فيها متفاوتة
- 8- أن هذا الفصل قد يأتى منه جنينا غير مرغوب فيه لعدم اكتمال نقاوة الفصل بين الحيوانات المنوية مما قد يؤدى إلى مشاكل أسرية خصوصا بعد التكلفة المالية العالية لهذا العمل.
- 9- أن النفس البشرية تطمئن إلى هبة الله عز وجل ولا تطمئن إلى مثل هذا العمل لما فيه من أخطار
- 10- أن طريقة تحديد جنس الجنين بفصل خلية من الجنين المتكون ودراسة تركيب الكروموسومات فيها لاختيار الجنين المرغوب فيه قد تؤدى إلى تشوه فى الجنين بنسبة تتراوح من 0.5 - 2%
- 11 - تبقى مشيئة الله عز وجل هى القائمة رغم اجتهادات العلماء
- 12 - يتولد عن هذا الاختيار التجريبي مشاكل قد تعترى الأسرة أو المجتمع وعلى علماء المسلمين أن يبذلوا جهودهم من أجل حماية الأسرة والمجتمع وإصدار الفتاوى الشرعية والقوانين الأخلاقية التى تصون الأسرة والمجتمع وبيان مغبة النواحي الأخلاقية من هذا العمل

أوجه الإعجاز العلمى فى أحاديث تحديد جنس الجنين

- 1 - فى قوله صلى الله عليه وسلم (ما من كل الماء يكون الولد) فيه من الإعجاز العلمى الذى سبق به علماء القرن العشرين لأن الولد يكون من حوين منوى واحد من ثلاثة ملايين تم قذفهم داخل فرج المرأة ، ومن البويضة دون ما حولها من خلايا جريبية أخرى بالملايين وماء الحويصلة الجريبية التى انفجرت لخروج البويضة
- 2 - فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ثوبان عند الإمام مسلم (مَاءُ الرَّجُلِ أَيْبُضٌ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرٌ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِ الرَّجُلُ مَنِ الْمَرْأَةُ أَذْكَرًا يَأْذُنُ اللَّهِ وَإِذَا عَلَا مَنِ الْمَرْأَةُ مَنِ الرَّجُلُ آتَا يَأْذُنُ اللَّهِ) عدة حقائق علمية سبق بها النبى العلماء المتخصصين أثار من 1400 سنة الأول منها قوله صلى الله عليه وسلم (ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر) بيان للون الماء مع أنه ما استطاع أحد من العلماء أن يعرف لون ماء المرأة على التحديد لأنه يكون فى قناة فالوب(قناة اخصاب البويضة).
- 3 - أن اجتماع ماء الرجل وماء المرأة يكون منه الولد ، ولا يكون من أحدهما دون الآخر . وهذا دليل علمى لم يتوصل إليه العلماء إلا فى القرن العشرين . وكان الاعتقاد السائد سابقا أن الجنين يكون قزما فى منى الرجل ، أو يتولد من بويضة ودم المرأة فى رحمها .
- 4 - بيانه صلى الله عليه وسلم لمسألة العلو وقد توصل إليها العلماء فى أواخر القرن العشرين بعدما تيقنوا من وجود شحنات كهربية متغيرة على كل من الحيوانات المنوية والبويضات
- 5 - أن تحديد الجنس لمن علت شحنته الكهربية على الآخر وهو علو حقيقى وليس معنوى
- 6 - وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضيت الله عنها عند الإمام مسلم: "إِذَا عَلَا مَأْوُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ وَإِذَا عَلَا مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ" ، أن الشبه يكون لمن على ماؤه بيان علمى فريد فى علم الوراثة أن الحيوان المنوى الذى يحمل صفات الذكورة يحتوى على الجينات الوراثية للرجل ولمن جاء من صلب أبيه كإخوته والذين يصبحوا أعماما للمولود من هذا الحيوان المنوى ومن جهة أخرى لو علا ماء المرأة أى أن البويضة منها ذات الشحنات الموجبة هى التى علت

يكون الولد منها قريب الشبه بأخواله وهذا دليل على أن بويضة المرأة ذات الشحنات الكهربية الموجبة تحمل الصفات الوراثية للمرأة ولمن جاء من أمها وهذا سبق علمي فريد لم يتوصل إليه العلماء حتى الآن ويحتاج إلى دراسات علمية دقيقة لبيانه

7- ومن حديث أم سلمة رضي الله عنها، قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَيْضٌ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيْقٌ أَصْفَرٌ فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ" إضافة صفة أخرى لماء الرجل كونه (غليظا) ولماء المرأة كونه (رقيقا) هي سبق علمي لصفات ماء المرأة سبق بها النبي صلى الله عليه وسلم العلماء المتخصصين بأكثر من 1400 سنة ، وبين صلى الله عليه وسلم مسألة أخرى ألا وهي أن الشبه للمولود بأبيه أو بأمه يكون لمن علا أو سبق ماؤه

8- إنه لشرف وعز لكل إنسان أن يتخذ النبي محمد صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة لما جاء به من علوم دينية ودينية يفخر ويتقرب إلى الله العلى القدير بها وصدق الله العلى العظيم إذ يقول (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تعلمون) سورة

الفصل الخامس والعشرون

وليس الذكر كالأنثى

لقد بين القرآن الكريم القول الفصل في موضوع المساواة والمماثلة بين الذكر والأنثى منذ 1437 سنة فى أبلغ الألفاظ وأفصحها من قوله تعالى فى سورة آل عمران: **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن لَّدُنِّي لَذَكَّرٌ كَالْأُنْثَىٰ ۚ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) آل عمران.**

والمقصود بالذكر والأنثى فى هذه الآية من جنس بنى البشر. ولكن اطلاق كلمة ذكر ، وكلمة أنثى تشمل الإنسان والحيوان لمن له منهم أعضاء تناسلية ظاهرة يستخدمها كوسيلة عند الجماع . ولذلك كانت دراسات العلماء عن الفروق بين الذكر والأنثى فيما يخص الحيوان والإنسان دون غيرهما أما باقى الكائنات الحية التى ليس لها أعضاء تناسلية أو النباتات فلا يطلق عليها هذا المسمى ، ولكن يطلق عليها مسمى أزواج لقول الله عز وجل : **(وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) [سورة الرعد]** وقوله تعالى **(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(49) [سورة الذاريات]** وقوله تعالى : **(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (53) [سورة طه]** ، وقوله تعالى : **(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ(36) [سورة يس]**

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال - كما ثبت ذلك فى البخاري من حديث ابن عباس فلو كانا متساويين لكان اللعن باطلاً، ومعاذ الله أن يكون فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لغو أو باطل!

وإذا أخذنا بالقاعدة الأصولية التى تنص على "أن الشرع لا يمكن أن يفرق بين متماثلين، ولا يجمع بين متناقضين " ، وبالنظر إلى بعض الاختلافات البديهية التى يعلمها القاصى والدانى ومن كان له أدنى نظر أو تحقيق لكل من الذكر والأنثى لوجدنا أن الأنثى ليست مماثلة للذكر فى بعض النواحي مثل : التركيب التشريحي ، وعلم وظائف الأعضاء (مثل كيفية حدوث الدورة الشهرية عند المرأة وكيفية الحمل والولادة والرضاعة وغيرهم مما تتفرد به الأنثى عن الذكر) ، وكذلك السلوك والميول والاهتمامات الشخصية منذ الصغر لكل منهما . بل إن هناك ثمة اختلافات فى الميول والنواحي الاجتماعية والانسانية والنفسية .

وجدير بنا أن نقول وبكل انصاف أن بعض ما جبل الله عليه الأنثى هو نوع من الكمال فى حقها، وإن كان نقصاً فى حق الرجال . إننا نرى أن الضعف الخلقى والعجز عن الإبانة فى الخصام عيب ناقص فى الرجال ، مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التى تجذب إليها القلوب برقة مشاعرها وجياشة أحاسيسها التى تطغى على قوة الإبانة عندها وهذا فى أغلب أمرها . وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه العزيز **{أَوْمَنُ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ }** [الزخرف:18]

فبين أن من جمال المرأة تنشأتها في الحلية وحبها للزينة وإن لم تفعل ذلك لكان هذا من أسباب تنافر الرجال منها . فالرجل بطبيعته حُب على حب المرأة المترينة وعلى بغض المرأة المبتذلة ، كما أنه يميل للمرأة التي لا تجادل ، وينفر من المرأة المجادلة أو الأثانة أو الزنانة أو التي تريد أن تنازعه القوامه في البيت والمعيشة. هذا هو حكم الله القدري : أن الذكر ليس كالأنثى، وهذا حكم الأعلم بالحكم والمصالح ، هذا كلام الذي خلق الخلق، وعلم ما بينهم من التفاوت والاختلاف: **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الملك: 14] .

وقد تفرع على ذلك الاختلاف بين الذكر والأنثى جملة من الأحكام الشرعية - وإن كانا في أصل الخلقة سواء ، فأدم من تراب ، وحواء من تراب لأنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام فهي قطعة منه تميل إليه ويميل إليها وصدق الله العظيم الذي بين في صدر سورة النساء الآية الأولى **(وخلق منها زوجها)** وصدق رسوله الصادق الأمين **(النساء شقائق الرجال)**(224).

وهذه الآية المعجزة اشتملت الحقيقة الخالدة الدائمة عبر العصور كلها إلى أن تقوم الساعة وهي أن المساواة المطلقة الكاملة بين الذكر والأنثى غير ممكنة علما وواقعاً. لكن المساواة النسبية بين الجنسين هي التي يمكن تحقيقها على أرض الواقع ومن خلال دراسات العلماء.

لقد أخطأ كثير من الناس غربيين أو مستشرقين أو علمانيين حينما تصوروا أن الفروق بين الذكر والأنثى ما هي إلا فروق تشريحية وعضوية ، تتمحور حول حجم الأعضاء فقط ، فنظروا إلى المرأة على أنها "رجل صغير الحجم". ونسوا أنه يوجد تفاوت بين الجنسين بين العليم الخبير في القرآن الكريم من قوله تعالى: **{ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ يَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ } وَهُمْ الرِّجَالُ { عَلَى بَعْضٍ }** وهن النساء ، وقوله تعالى: **{ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ }**، وذلك لأن في الذكورة رجحان عقلي ، وكمال في البنية الجسمانية ، وقوة طبيعية على تحمل أصعب الشدائد ، وشرف وجمال. بينما الأنوثة رجحان عاطفي ، ونقص في البنية الجسمانية ، وضعف طبيعي يجعلها تتهاجر ربما أمام أهون الشدائد ، كما هو محسوس ومشاهد لجميع العقلاء ، لا يكاد ينكره إلا معاند مكابر.

²²⁴ (الإمام الخطابي في معالم السنن

بل إن الاختلاف فى بعض الأحكام الشرعية التى تخص الجنسين راجع إلى طبيعة الاختلاف ال بنيانى والعقلى والفسىولوجى والطبيعى بينهما. وهذا الاختلاف فى الأحكام الشرعية بين الذكر والأنثى راجع إلى مراعاة طبيعة المرأة من حيث خلقتها وبنائها الجسمانى ، وتركيبها العقلى، والنفسى ، وغير ذلك من صور الاختلاف التى لا ينكرها العقلاء والمنصفون من أي مجتمع ريفى أو مدنى متحضر.

إن المتدبر لكتاب الله عز وجل يجد اختلافات فى الأحكام الشرعية للأنثى ذاتها ، وهذه الاختلافات تكون بحسب حالتها ، فنجد أن الزوجة المدخول بها تختلف عدتها فى حال الطلاق عن الزوجة الغير مدخول بها ، وتختلف عدة الحامل عن عدة الأرملة التى مات عنها زوجها . ومن بديع القرآن الكريم نجد أن الأنثى لها عدة كلمات مترادفة من حيث الذات إلا أنها مختلفة من حيث مدلولها فمثلا كلمة زوجة ، وامرأة ، وأثى ، لا يظن أحد أن أى من هذه الكلمات تخرج عن نطاق مفهوم الأنثى ، إلا أننا مع التدقيق فى دلالات هذه الكلمات نجد أنها تختلف فى المعانى(225)

إن سنة الله عز وجل اقتضت أن يكون الرجل هو الذي يكدح ويتعب فى تحصيل الرزق ثم يعود ليسكن عند زوجته بعد حركة ، وبأنس بعد فرقة ، تخفف عنه آلامه وتواسيه وتجبره بالبسمة والنظرة والكلمة الحلوة العذبة الطيبة . ولذلك جعل الله عز وجل الزواج آية من آياته فقال سبحانه وتعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (21) سورة الروم

واقترضت حكمة الله عز وجل أن الرجل هو الذى يدفع للأنثى المهر ، ويؤسس بيت الزوجية ، لبيان اهتمامه بها وحاجته إليها ، ولا يكون ذلك إلا بالبذل والعطاء لها ، لكى يطمئن قلبها إليه ويحافظ هو عليها . بل قد يشاركها فى دفع الدية - عند قيام المقتضى لذلك . هكذا يكون حال الرجل مع المرأة ينفق عليها أبا أو أخا أو زوجا.

(225) انظر بحثنا(الإبلاج فى معنى الأزواج فى الفرق بين مدلول هذه الكلمات

والله عز وجل هو الذى خلق وحكم وعدل ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا قاذح فى عدله (خلق فسوى وقدر فهدى) كما فى سورة الأعلى ، وهو الذى فرق بين الرجل والمرأة فى بعض الأحكام مثل التفريق فى الشهادة من قوله عز وجل {وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } [البقرة: 282] وهذا التفريق فى شهادة المرأة عن الرجل ليس مطلقا ، بل هناك أحكام شرعية شهادتها فيها مثل شهادة الرجل تمام ا بتمام ، كشهادتها فى دخول شهر رمضان فلو قالت أنها رأت هلال شهر رمضان يؤخذ بشهادتها ويصوم المسلمون الشهر، وفى باب الرضاع ، والحيض ، والولادة ، واللعان وغير ذلك من الأحكام . بل جاءت أحكام تفرق بينهما تفريقاً تميزت فيه المرأة ، ومن ذلك: أن الجهاد لا يجب على النساء لطبيعة أجسادهن، فسبحان العليم الحكيم الخبير . أما فى مسألة الدين فقد نصت الآية على أن شهادة الرجل بشهادتين من النساء لأن هذا الأمر - وهو الدين - يخص الغير ، فلا ضرر ولا ضرار، عملاً بالقاعدة الفقهية ، كما أنه يخص عصب الحياة وهو المال ، والمرأة محكومة بعواطفها أكثر من عقلها ، وهذه ميزة فيها وليست بنقيصة ، فإن حكمت بعواطفها فى مسألة الدين أضاعت المال وظلمت غيرها وظلمت نفسها ، ويكون هذا عبأ عليها فرفع الله عز وجل الحرج عنها ، وأمر المسلمين أن يستشهدوا برجل وامرأتين أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ، فنعمَ الرب ربنا عز وجل الذى وضع الضوابط والقيود التى تصون للناس أنفسهم وأموالهم .

وتتوفر أدلة شرعية مستفيضة على أن الذكر ليس كالأثني ، ومن توهم من الناس أنهما سواء فقد أبطل دلالة القرآن والسنة على ذلك ، بل يخشى عليه أن يكون من المكذبين الضالين.

إن الفروق الجلية بين الذكر والأثني تؤكد إعجاز هذه الآية كما تؤكد إعجاز قوله تعالى : {وللرجال عليهن درجة} وليست المرحلة مقتصرة فقط على التركيب البيولوجي ، ولكنها أيضا تشمل تركيب النفس ، والقدرات العقلية للمرأة. فإذا نظرت فى التاريخ وجدت أن أكثر النابغين فى كل فرع من فروع المعرفة والاختراع والحياة من الرجال ، بينما النابغات من النساء فى أي مجال من مجالات المعرفة أو الاختراع محدودات ومعدودات ، ونستطيع أن نذكر المئات من الرجال فى كل فن من فنون المعرفة ، وفى قيادة الجيوش ، وفى

والدماغ لكل من الجنسين . فإلى متى التظاهر بتساوي النساء مع الرجال رغم اختلافهما بيولوجياً؟ فالوقت حان لمراجعة الموقف التقليدي القديم حول مساواة المرأة بالرجل الذي عمّ أرجاء من العالم بسبب أن النساء خرجن من بيوتهن ليزاحمن الرجال فى الأعمال ، وكان هذا نتاجا للحرب العالمية الأولى والثانية والتي قضت على معظم الشباب والرجال فنادت المانيا ومن بعدها أوروبا بخروج المرأة للعمل فى المصانع والشركات والمؤسسات الخدمية . وحين الوقت لتصفية الخرافة الاجتماعية القائلة : الرجال والنساء متعاوضون ، أي يمكن قيام أحدهم بدور الآخر . ولكن اعلم أن الرجل يختلف عن المرأة ، مهما تحمست الدعوة إلى المساواة بينهما . إن الدعوة إلى المساواة بينهما هى دعوة باطلة لا سند لها من العلم وهى ظلم لكلا الجنسين . ألم تر أن المرأة تنفر من الرجل المخنث ، وأن الرجل ينفر من المرأة المترجلة ، فلو كانا فى الجنسين سواء فلم كان النفر؟

وبالتدقيق العلمى فهما متساويان فقط باعتبارهما من نفس الجنس ، الجنس البشرى. فكل من يدعو إلى تساوي المرأة والرجل فى المدركات ، المهارات ، الاستعدادات ، السلوك ، فهو يدعو دون أن يدرك إلى بناء مجتمع على أساس كذب بيولوجي (أحيائي) وعلمي.

وانى فى هذا البحث آخذ بقلوبكم وعقولكم لتفنيد هذه الفرية ، فللجنسان متبايران ، والدماغان مختلفان. فكما للمرأة جسد أنثوي فلها دماغ أنثوي ، وكما للرجل جسد ذكري فله دماغ ذكري . فيصاغ دماغ الجنين الذكر إلى بنية ذكريّة لتعرضه فى الرحم إلى جرعات كبيرة من هرمونات منشطة للذكورة ، التستوسترون ، حيث تقدر عموماً كمية تلك الهرمونات عند الذكر فى سن البلوغ عشرة أضعاف الكمية عند الأنثى، أو 1000% مما فى المرأة. وأى أنثى تتصرف تصرف الرجال ، فقد تعرض دماغها فى الرحم إلى كميات غير اعتيادية من هرمونات الذكورة.

والذين يريدون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فى أى مكان لأنها يريدون من المرأة أن تكون سلعة رخيصة ، وملهاة للرجال ، ومشبعة لشهواتهم ، وأبى الله عز وجل إلا أن يجعل لها حياة كريمة بصون عرضها وعفتها وطهارتها .

ويتسائل هؤلاء الذين فسدوا فى اخلاقهم ودينهم لماذا التفريق فى الميراث؟ ولماذا لا تمارس المرأة حياتها مثل الرجال فتذهب للنوادى ، والملاهى الليلية ، وتلبس مثل الرجال وتتسكع فى الطرقات ، بل وتدخن الغليون والسيجار والشيشة ، وتشرب المخدرات والمسكرات مع أن كل هذه الموبقات محرمة على الرجال والنساء سواها بسواء . إنهم طلبوا من المرأة ذ لك لمرض فى أنفسهم ، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى نساء النبى صلى الله عليه وسلم والتحذير يشمل جميع النساء (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا) (الأحزاب 32)، لأن الحكم الشرعى عام لجميع النساء ، فلا يفهم أبدا أن الحكم يخص نساء النبى فقط ، بل هن أمهات المؤمنين وقدوة لنساء العالمين ، وهل يكون بمفهوم المخالفة أن النساء من غير أزواج النبى يخضعن بالقول ؟! (أى يرققن الكلام ويليننه) فيكن نهبة للذين فى قلوبهم مرض ، وهذا فهم سقيم إذ ينادى بالفجور بين النساء ، وحاش لله عز وجل أن يطالب غير نساء النبى بالخضوع فى القول.

مواضع المساواة بين الرجل والمرأة فى كتاب الله عزوجل

والذين ينادون بمساواة الذكر بالأنثى نقول لهم أأنتم أعلم أم الله؟ الذى بين فى كتابه العزيز مواضع المساواة بينهما ، كما بين عوامل التفرقة بينهما فى مواضع أخرى. فجدد الله سبحانه وتعالى وعز وجل جعل المساواة بينهما فى الأعمال والمجازاة عليها فى القرآن الكريم قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضِ (195) [سورة آل عمران] وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) [سورة النساء] وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) [سورة النحل] وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) [سورة غافر] وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) [سورة الحجرات] فكل هذه الآيات تشير إلى مساواة الذكر والأنثى فى المجازاة على الأعمال لأن كلا منهما طوبى بالصلاة والزكاة والصيام

والحج وبالمعاملة الحسنة مع الآخرين . ولو كان ثمة تفريقا بينهم فى الأعمال التكليفية لهما لكان من الأولى أن يكون التفريق فى المجازة على الأعمال وحيث أنه لم يثبت التفريق فى الأعمال التكليفية ، فكانت المساواة بينهما فى المجازة على الأعمال وهذا هو العدل الإنصاف . قد يقول قائل أن المرأة فى حال الحيض لا تصلى ولا تصوم !! وأقول هل يؤدي الرجل الصلاة وهو جنب ، أو يطوف بالبيت الحرام وهو جنب ؟ الجواب بالطبع لا إنه يغتسل أولا ثم يأتى بالعبادة على وجهها الصحيح بعد الطهارة ، فكذلك الحال بالمرأة تمنع من العبادة وهى فى حالة جنابة أوح بهن أو نفاس يقول الله تعالى : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)** سورة البقرة . فإذا كان النهى عن الصلاة والصيام والطواف للنساء فى حال الحيض والنفاس ، فكان النهى مصاحبا أيضا للرجال بعدم القرب منهن فى هذه الحالات ولا يأتى الرجال النساء إلا بعد طهارتهن فتأمل هذا فإنه مفيد وفى غاية الأهمية.

تفسير قوله تعالى {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى}:

قال الفخر الرازى (227) :

فيه قولان الأول : أن مرادها (إمرأة عمران) تفضيل الولد الذكر على الأنثى، وسبب هذا التفضيل من وجوه:

أحدها: فى شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث .

والثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ، ولا يصح ذلك فى الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان .

والثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

والرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب فى الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى .

(227) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازى

والخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأثى . فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأثى في هذا المعنى .

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأثى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوب ، وهذه الأثى موهوبة لله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوب ، كالأثى التي هي موهوبة لله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريد العبد لنفسه. اهـ.

قال الزمخشري⁽²²⁸⁾:

فإن قلت: فما معنى قولها: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}؟ قلت: هو بيان لما في قوله: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ} من التعظيم للموضوع، والرفع منه، ومعناه: ليس الذكر الذي طلبت كالأثى التي وَهَبْتُ لها، والألف واللام فيهما يحتمل أن تكون للعهد وأن تكون للجنس، على أن المراد: أن الذكر ليس كالأثى في الفضل والمزية؛ إذ هو صالح لخدمة المتعبدات والتحرير ولمخالطة الأجانب، بخلاف الأثى؛ لما يعترها من الحيض، وعوارض النسوان. وليس جنس الذكر مثل جنس الأثى، لما بينهما من التفاوت فيما ذكر، ولولا هذه المعاني التي استنبطها العلماء، وفهموها عن الله - تعالى - لم يكن لمجرد الأخبار بالجملة الليسية معنى؛ إذ كلُّ أحدٍ يَعْلَمُ أن الذكر لَيْسَ كالأثى.

من فوائد الشيخ الشعراوي⁽²²⁹⁾:

قال رحمه الله: قد قالت: {إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} وقال الله: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}. إن الحق يقول لها: لا تظني أن الذكر الذي كنت تتمينه سيصل إلى مرتبة هذه الأثى، إن هذه الأثى لها شأن عظيم. أو أن القول من تمام كلامها: {إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} ويكون قول الحق: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ} هو جملة اعتراضية، ويكون تمام كلامها {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}. أي أنها قالت: يارب إن الذكر ليس كالأثى، إنها لا تصلح لخدمة البيت.

²²⁸ تفسير الكشاف للزمخشري

²²⁹ www.al-eman.com/ الحاوي 20% تفسير

ولياخذ المؤمن المعنى الذي يحبه ، وسنجد أن المعنى الأول فيه إشراق أكثر، أنه تصور أن الحق قد قال: أنت تريدون ذكرنا بمفهومك في الوفاء بالندى، وليكون في خدمة البيت ، ولقد وهبت لك المولود أنثى ، ولكني سأعطي فيها آية أكبر من خدمة البيت ، وأنا أريد بالآية التي سأعطيها لهذه الأنثى مساندة عى اند ، لا مجرد خدمة رقعة تقام فيها شعائر . إنني سأجعل من هذه الآية مواصلة لمسيرة العقائد في الدنيا إلى أن تقوم الساعة . ولأنني أنا الخالق، سأوجد في هذه الأنثى آية لا توجد في غيرها ، وهي آية تثبت طلاقة قدرة الحق . وهي أنثى وهي مريم وبأتي منها المسيح عيسى ابن مريم بلا ذكر . وهذه هي الآية في العالمين ، وثبت قمة عقديّة. فلا يقولن أحد: ذكرًا، أو أنثى، لأن نية امرأة عمران في الطاعة أن يكون المولود ذكرًا، وشاء قدر ربكم أن يكون أسمى من تقدير امرأة عمران في الطاعة ، لذلك قال : **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى}**. أي أن الذكر لن يصل إلى مرتبة هذه الأنثى أ.هـ.

وأقول هذا بيان فضل لمريم عليها السلام إذ جعل الله لها حملا دون ذكر ، ومولودا دون أب ، فهل يأتي أحد من الرجال بمثل ما جاءت به مريم العذراء البتول ، وهذا بيان فضل للأنثى لم يكن أبدا للرجال .

التوجيه العلمى:

فقد ذكر العالم ديل جوديك فى Del Giudice 2012 (230) أن المسافة بين المريخ وفينوس تعادل الفروق العالمية بين الجنسين .

قال الدكتور/ محمد علي البار(231) :

إن الفروق الفسيولوجية الوظيفية والتشريحية بين الذكر والأنثى أكثر من أن تحصى وتعد ، وتظهر هذه الفروق على مستوى الصبغيات الجسيمات الملونة أو الكروموسومات التي تتحكم بالوراثة ، وكل خلية في جسم الإنسان توضح لك تلك الحقيقة الفاصلة بين الذكورة والأنوثة ، وتتجلى الفروق بأوضح ما يكون في نطفة الذكر (الحيوانات المنوية) ونطفة المرأة (البويضة)، ثم ترتفع الفروق بعد

Del Giudice, M., The Distance Between Mars and Venus: Measuring Global Sex (230) Differences in Personality, PLOS ONE, 2012; 7, 1-8.

(231) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د محمد علي البار 313

ذلك في أجهزة الجسم المختلفة من العظام إلى العضلات ، وتتجلى كأوضح ما يكون في اختلاف الأجهزة التناسلية بين الذكر والأنثى ، ولا تقتصر الفروق على الجهاز التناسلي وإنما تشمل جميع أجهزة الجسم ، ولكنها تدق وتدق في بعض الأجهزة وتتضح في أخرى. وجهاز الغدد الصماء هو أحد الأجهزة التي تتجلى فيها الفروق كأوضح ما يكون ، فهرمونات الذكورة تختلف عن هرمونات الأنوثة في تأثيرها اختلافاً كبيراً رغم أن الفرق الكيماوي بسيط ، ويتمثل في زيادة ذرة من الكربون وثلاثة ذرات من الهيدروجين إلى التركيب الجزئي في هرمون الأنوثة .

وهذه ملاحظة أخرى هامة أشار إليها القرآن الكريم {وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} سورة البقرة الآية 228، فهرمون الذكورة يساوي هرمون الأنوثة + مجموعة مثيلية ، وكذلك الجهاز التناسلي للرجل يساوي الجهاز التناسلي للمرأة + أعضاء إضافية.

والفروق بين الذكر والأنثى تتجلى في الجنين من الشهر الرابع ، حيث تتميز أعضاء الذكورة وأعضاء الأنوثة ، وحيث يكون المخ ومنطقة تحت المهاد قد تميزت تميزاً كاملاً بين الجنين الذكر والجنين الأنثى . وقد لاحظ العلماء والأطباء والمربون الاختلاف الشاسع في سلوك الأنثى ، ولو كانا توأمين ، فالصبي عادة أكثر عنفاً ونشاطاً وإدراكاً من أخته . وتستمر الفروق تنمو يوماً بعد يوم حتى تبلغ أوج اختلافها عند البلوغ ، عندما تستيقظ الغدد التناسلية من هجعتها الطويلة وتنشط ، وترسل هرمونات الذكورة إلى الصبي ليصبح رجلاً ، فينمو شعر عذاربه وذقنه وشاربه ، ويصبح صوته أجش غليظاً ، وتنمو عضلاته وعظامه وتقوى ، ويتوزع الدهن في جسمه توزيعاً عادلاً ، ويكون عريض المنكبين قوي الساعدين مفتول الذراعين. أما الفتاة فتتهدم عليها هرمونات الأنوثة ، فتتوحد أعضاؤها وأجهزتها التناسلية وتبدأ الحيض ، ويتوزع الدهن في جسمها بحيث يخفي أي تنوء أو حفرة لا ترتاح لها العين ، ويزداد الدهن في أربابها وعجزها ، وينعم صوتها ويصير رخيماً، ليس هذا فحسب ولكن الهرمونات تؤثر في السلوك كما تؤثر في القوام والمشية ، فتجعل الفتى مقداماً محباً للمغامرة ، وتجعل الفتاة شديدة الخفر والحياء ، ميالة إلى الدلال والتغنج . وهي فروق تظهر في الحيوان المنوي والبويضة كما تظهر في الفتاة اليافعة والشاب الذي طر شاربه. اهـ.

ويقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل(232):

يصعب في جميع الكائنات الحية التمييز بين الذكر والأنثى بالشكل الظاهر، فغالبًا ما تتشابه الذكور مع الإناث تشابهًا يكاد يكون تامًا بحيث لا يمكن التفريق بينها إلا عن طريق الفحص الدقيق ، فيما عدا الإنسان إذ يختلف الذكر عن الأنثى في الشكل الظاهري اختلافًا كبيرًا بحيث يتبين الإنسان الذكر ، وتعرف الأنثى ، من النظرة العابرة السريعة. ولا يختلف الرجل عن المرأة في الشكل الخارجي فقط ولا في التركيب الداخلي علاوة على المظهر الخارجي فقط وإنما أثبتت الدراسات العلمية اختلاف الرجل عن المرأة اختلافًا كبيرًا في كل ناحية من النواحي وفي مختلف المناشط

يقول الدكتور الكسيس كاريل(233) :

ولا ترجع الفوارق القائمة بين الرجل والمرأة إلى اختلاف شكل الأعضاء التناسلية عند كل منهما كشكل الرحم ونمو الثديين وغير ذلك فحسب، وإنما ترجع إلى سبب أعمق كثيرًا وهو عمر الكيان العضوي كله بمواد كيميائية تنتجها الغدد التناسلية التي تختلف طبيعتها وتركيبها وخواصها في الذكر عن الأنثى. والواقع أن المرأة تختلف عن الرجل جد الاختلاف ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها وهذا أيضا شأن أجهزتها العصبية وعلى الأخص جهازها العصبي . وأن دور الرجل في عملية التكاثر دور قصير الأجل ومحدود جدًا بينما دور المرأة يطول إلى تسعة أشهر تخضع فيها المرأة إلى هذا الكائن الجيني فتظل حالتها الفسيولوجية دائمة التأثر به والإناث لا تبلغ تمام نموها إلا بعد أن تحمل مرة أو أكثر فإذا لم تلد تصبح أقل اتزانًا وأكثر عصبية.

ويقول الدكتور تيودر وايك

(لقد مارست التحليل النفسي خمسًا وأربعين سنة وأظن أنني يمكنني أن أقرر فيم يختلف الرجل والنساء . إن عواطف الغيرة في المرأة أكبر مما هي في

(232) : من الآيات العلمية الأستاذ عبد الرزاق نوفل ...ص56 - 58

(233) الكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول)

الرجل ، وقد يعتقد البعض أن الغيرة قد لا تكون شيئاً هاماً بحيث يلتفت إليه ، ولكن ثبت أن الغيرة تصحبها انفعالات قاسية وتغييرات نفسية وجسدية معاً مما يؤدي تأثيراً مباشراً على اتزان الفكر ودقة الحكم ، وفي حالة التكاثر يستمر الأمر بالنسبة للمرأة لمدة طويلة تبلغ تسعة أشهر في أثنائها تكون عواطفها موزعة بين جنينها وبين باقي الأفراد الذين تمارس معهم شؤون الحياة . كما اثبت التحليل النفسي أن الرجال أكثر استعداداً للاعتراف بالأخطاء من النساء ، والاعتراف بالخطأ له تأثيره الكبير في خطة العمل في الحياة.

ولا يقتصر الاختلاف بين الذكر والأنثى في ذلك فقط بل أنه يتعدى ذلك إلى السلوك في العمل فقد أثبتت التجربة لاسيما أخيراً بعد أن شاركت المرأة بنصيب كبير في العمل أن هناك من الأعمال ما تجيده المرأة عن الرجل ، خصوصاً تلك التي تحتاج إلى صبر ووقت طويل ، وهناك من الأعمال ما لا تستطيع المرأة وإن قامت بها كان إنتاجها فيها أقل من الرجل (234).

الثوابت العلمية وأثرها في المساواة بين الرجل والمرأة:

وتأمل في حالة متعارف عليها تفرّق الرجال عن النساء : فأبرز خصال سلوكية تميز الرجال عن النساء العدوانية والمغامرة ، المخاطرة ، المنافسة ، الجزم والإصرار والزعيم ، الولوع إلى السلطوية ، هي خصال جُبلية غير مكتسبة : وإلى هذه الخصال تُعلّل هيمنة الرجال بدرجة كبيرة على مدار التاريخ . فالرجال لم يكتسبوا سلوكية المغامرة مثلاً عن طريق ال تعليم أو الممارسة أو نتيجة مؤثرات اجتماعية أو بيئية ؛ وليس في مدرسة درس يعلم المغامرة وتكتيكها ؛ بل حتى العلماء المختصين في مجال الفوارق بين الجنسين ، يقرون بأن هذه الخصال متميزة عند الرجال لأن نسبة هرمون التستوسترون عندهم عشرة أضعاف ما عند النساء (235) .

(234) /.../ www.al-eman.com/الحوايء20% في20% تفسير

(235) Maccoby, E. E. & Jacklin, C. N. The Psychology of Sex Differences Vol. 1 (Stanford Univ. Press, Stanford, 1974).

واليك دراسة حديثة في المملكة المتحدة مما يعزز خيار التعليم في مدارس
لجنس منفرد وأفضليته على مدارس تعليم مختلط : أجريت الدراسة على 100
مدرسة نموذجية ذات 12 درجة ، 10 منها فقط ذات تعليم مختلط و90 ذات تعليم
منفرد (منها للذكور وأخرى للإناث).

وبعد تفحص نتائج الاختبار السنوي ، ظهر أن النتائج لمدارس جنس منفرد للبنين
20% أفضل من نتائج بنين في مدارس مختلطة ، وذات الحال بالنسبة للإناث في
مدارس للإناث مقارنة بنظيرتهن في مدارس مختلطة . وفي سنة 1996 أجريت
مراجعة لنتائج اختبار سنوية لمدارس ثانوية للبنات ، فأظهرت تفوقهن على
نظيرتهن لمدارس ثانوية مختلطة!

لعلك أدركت أن المرأة بيولوجيًا تتميز على الرجل في نواحي تعددها لأداء الدور
اللائق بها : فهي مثلاً تتميز في الإبصار المحيطي ، في الإبصار ليلاً ، السمع
والتذوق واللمس ، الحدس ، مهارات اللغة واللباقة ، المقدرة على أداء أعمال
متعددة ، التفاعل مع أفراد أعلى عن التفاعل مع أشياء ، النزعة نحو مجالات ذات
طابع اجتماعي وشخصي ، أقل تقييداً بالقواعد من الرجل ، ونحو ذلك : كل ذلك
ضروري لأداء متطلبات البيت المتشابكة من ضمنها التربية والرعاية المباشرة
للأطفال بخاصة تعلقهم الفطري الحاسم بالأم أكثر من الأب، بالإضافة إلى
ممارسة نشاطات ذات طابع اجتماعي أو شخصي ، أو ذات طابع إنساني وخيري
خارج قيود القواعد، أو القيام بأعمال مكتيبة رتيبة .

فدعنا نسلم بحقيقة بيولوجية هي أن الرجل والمرأة لم يُخلقا متساويان؛ إنما
خُلقا متكاملان، فنستمر على الحياة على هذا المنوال. إن مايكل ليفن Michael
Levin بروفيسور الفلسفة في جامعة المدينة بنيويورك (Newyourk city) كتب
يقول: أدركت أن معظم النساء يجدن في الأمومة رضاء تاماً، ومعظمهن كأمهات
لا يتمتعن بالوالدية أكثر من الآباء فحسب ؛ إنما بالأحرى هن أفضل في أدائها ،
أي هن أكثر ملائمة للوالدية من الآباء . فوقوف المرأة الأم على إطعام الجيل
الخلف وكسائهم وتربيتهم وتعليمهم هي مهمة رفيعة نبيلة ترقى على مهمة
كسب المال من خلال العمل. اهـ.

قد يعجب كثير من الأزواج رجالاً ونساءً عندما يسمعون أن هناك فروقاً هامة بين
الرجل والمرأة ، وأن فهم طبيعة هذه الفروق بين الجنسين من شأنه أن يغير

حياتهم ، ويزيد من قدرتهم على التعايش الزوجي ، ويجنبهم الكثير من المشكلات والصعوبات ، والتي يمكن أن يؤدي عدم فهمها إلى تفكك هذه العلاقة الزوجية المقدسة. قد تستطيع المحبة وحدها حفظ الزواج لبعض الوقت، وإن كان زواجاً فيه الكثير من الخلافات والمشكلات ، وإنما لابد مع الحب من الفهم العميق والصحيح للفروق بين الرجل والمرأة ، ومعرفة الطريقة الأنسب للتعامل مع الجنس الآخر. وكثير من الناس يقرون ويعرفون نظرياً أن هناك فروقاً بين الجنسين ، إلا أن طبيعة هذه الفروق قد لا تكون واضحة ، إلا إذا كانت الفروق جسدية أو ربما انفعالية وعاطفية.

ودراسة الفروق بين الجنسين تكون لدينا فهماً عميقاً عن الآخر، وهذا الفهم العميق يولد المحبة والمودة والاحترام أيضاً ، وهذا الفهم سيولد نوعية من الاقتراحات والبدائل لحل كثير من المشكلات على ضوءه ذا الفهم⁽²³⁶⁾.

معالم الفروق بين الذكر والأنثى⁽²³⁷⁾:

1- اختلاف القيم والنظرة إلى الأمور : فالرجل يخطئ عندما يبادر إلى تقديم الحلول العملية للمشكلات ، ولا يرى أهمية لشعور المرأة بالانزعاج أو الألم ، وهذا ما يزعج المرأة من حيث لا يدري . والمرأة تبادر إلى تقديم النصائح والتوجيهات للرجل ، وهذا ما يزعجه كثيراً من حيث لا تدري. فالمرأة عندما ينتابها أمر أو تحل عليها مشكلة ، تحب أن تتكلم وتحب من يستمع إليها فإن ذلك يشعرها بالحب والرعاية ، ولا تطرح المشكلة للبحث عن حل وخصوصاً في بداية الطرح ولكن لتحس أن هناك من يهتم به ويرعاها ويقدر ما هي فيه من البلاء . في حين أن الرجل عندما تتابه مشكلة فهو يرى أن عليه المسؤولية في حلها وأن أي نصح للمرأة في هذه الحالة دون طلب ذلك منه فإنه يشعره أنها ترى أنه عاجز وأنه غير قادر على حلها وهو بدوره يبحث عن الحل بنفسه أو يسأل من يظن أنه خبير ويستطيع الحل.

2- اختلاف الوسائل في التعامل مع المشاكل : فالرجل عندما يواجه مشكلة ما، فإنه يميل بطبعه إلى الانعزال بنفسه والتفكير بهدوء في مخرج من هذه

²³⁶ /.../www.al-eman.com/الحاوي%20في%20تفسير

²³⁷ (وهذه المعالم كما ذكرها لامون مبيض في كتابه التفاهم بين الزوجين نذكرها مختصرة

المشكلة التي تواجهه ، بينما تميل المرأة إلى الرغبة في الجلوس مع الآخرين ، والحديث فيما يشغل بالها، والمرأة كلما كانت المشكلة كبيرة، شغلت بالها كثيراً وكانت في حاجة إلى الكلام كثيراً والعكس من ذلك الرجل .
3- اختلاف المحفزات والدوافع للعمل والعطاء : فالرجل يقوم ويعمل ويعطي ما عنده عندما يشعر أن هناك من يحتاج إليه . بينما تميل المرأة للعمل والتقديم والعطاء عندما تشعر أن هناك من يريعاها .

4- القرب من الطرف الآخر : فعندما يقترب الرجل من المرأة يشعر بالحاجة الملحة للابتعاد لبعض الوقت ، وليعود للاقتراب من جديد ، مما يشعره باستقلاليته المتجددة ، بينما تميل المرأة في علاقتها ومشاعرها إلى الصعود والهبوط ، وفهم هذه الفروق يساعد المرأة على التعامل الأمثل مع الأوقات التي يميل فيها الرجل لبعض الابتعاد ، ويعين الرجل على التعامل الأفضل مع المرأة عندما تتغير فجأة طبيعة مشاعرها ، وكيف يقدم لها ما تحتاج في هذه الأوقات .
5- تقدير أعمال الآخر : حيث تقوم المرأة باعتبار تقدير كل العطايا و ما يقدمه الرجل بنفس الدرجة تقريباً، فمثلاً إذا اشترى لها مجوهرات بمبلغ كبير فقدره عندها كخاتم صغير من الذهب، بينما يميل الرجل إلى التركيز على عمل واحد كبير، أو تضحية عظيمة، ويهمل الأعمال الأخرى الصغيرة . وأخيراً فالرجل يتصرف دائماً وكأنه دوماً على حق، مما يشعر المرأة بعدم صحة مشاعرها وعواطفها .

6- اختلاف الحاجات العاطفية : فالرجل يحتاج إلى الحب الذي يحمل معه الثقة به وقبوله كما هو، والحب الذي يعبر عن تقدير جهوده وما يقدمه . بينما تحتاج المرأة إلى الحب الذي يحمل معه رعايتها وأنه يستمع إليها ، وأن مشاعرها تفهم وتقدر وتحترم . وبالطبع فهذه المعالم ليست كل الفروق بين الرجل والمرأة ولكنها أهمها ، وبداية حل أي مشكلة هي تفهم دوافع الطرف الآخر ما حملك على هذا؟ وفهم طبيعة وجبله الطرف الآخر يعين على التفاهم معه .

وقال عبدالله بن إبراهيم الطريقي . الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء: في بحثه الأنوثة في نصوص الوحيين(238):

²³⁸ <http://www.islamtoday.net/salman/services/saveart-43-3779.htm> موقع الشيخ سلمان بن فهد

خلق الله آدم عليه السلام ، وقدر أن يوجد له مخلوقاً يأنس به ويسكن إليه ، فخلق منه زوجه حواء ، كما أشارت إلى ذلك الآية الأخرى { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الأعراف:189]. وجاء توكيد ذلك في أول سورة النساء { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمُ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } . وجاء في الأحاديث الصحيحة أن حواء خلقت من ضلع آدم ، كما في حديث: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه». وهذا يفيد أمرين:

الأول: أن المرأة إنسان كالرجل

الثاني: أنها جزء من الرجل وفرع منه .

ولعل ما يؤكد هذه الحقيقة قوله عليه السلام : «إنما النساء شقائق الرجال». قال الخطابي في معالم السنن : أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع، فكأنهن شققن من الرجال . وعلى هذا لا فرق في القيمة الإنسانية بين الرجل والمرأة ، بل هما متساويان فيها ، مما يجعلهما مشتركان في جملة الفضائل الإنسانية ، التي أشارت إليها نصوص القرآن الكريم كقوله تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } [الإسراء: 70]. وقوله تعالى : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [البينة:4].

وبرغم تلك المساواة في القيمة الإنسانية أو أصل التكوين ، إلا أنه مما تقتضيه الحكمة الإلهية، والخلقة الطبيعية أن يكون الزوجان - الذكر والأنثى - مختلفين في بعض الخصائص والمكونات،

ولو كان الرجل والأنثى سواء في كل شيء لم يكن في التعددية فائدة ، لذلك لابد أن يقول العقل ومنطق الأشياء : إن بينهما اختلافاً في مجالي : الخلق والتكوين والخلق والطبع

وقد يكون من غير الممكن هنا تفصيل ذلك عند علماء الطب والتشريح ، أو عند علماء النفس والأخلاق ، لكنني أشير إلى ماله صلة وثيقة بالتشريع، وهو علم اللغة الذي عني أصحابه بالموضوع عناية واضحة وبالغة.

فابن سيده في (المخصص) بدأ بخلق الإنسان ، وذكر اسم كل جزء فيه ، ثم كل نعت فيه ، بما يشمل الذكر والأنثى ، ثم جاء بعنوان آخر هو: كتاب النساء ، حيث أورد ما فيهن من خصائص وسمات ، ثم نعوت وصفات ، مما يحمد أو يذم . وسبق ابن سيده علماء آخرون من أهل اللغة والأدب مثل الجاحظ وابن قتيبة ، كما يلحظ ذلك في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ، حيث خص النساء بكتاب مستقل سماه (كتاب النساء).

بل إن الأصل اللغوي لكل من لفظتي (الذكر، والأنثى) تعطي أبعاداً للمفاهيم، فالذكر: مأخوذ من الذكرة ، وهي القطعة من الفولاذ ، ويقال: حديد ذكر: أي يابس شديد ، ورجل ذكر : قوي شجاع . أما الأنثى، فمأخوذ من الأنوثة وهي الليونة ، يقال: أنث في الأمر: لان ولم يتشدد، وأرض أنيثة : سهلة منبات (239). ولعل من المناسب أن نتوقف عند بعض الخصائص التي وردت في الوحيين، والتي لا يختلف عليها مسلم يؤمن بالاله واليوم الآخر؛ لإيمانه وتسليمه بالوحي أولاً ، ثم لكون الخصائص هذه حقائق أكيدة ثانياً.

1- أن المرأة محل الزينة والجمال : **{ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْيَنِينِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ }** [آل عمران: 14].

وفي الحديث : «حبب إلي من الدنيا النساء والطيب» ، وهو ما عبرت عنه تلك الشاعرة بقولها:

إن النساء رياحين خلقن لكم ** وكلكم يشتهي شم الرياحين

2- والمرأة محل الحرث : **{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ }** [البقرة: 223].

والجنين منذ مرحلة النطفة حتى ساعة الميلاد وهو يعيش في رحم أمه، وهو معنى الحرث.

(239) ينظر: المعجم الوسيط مادتا: أنث وذكر

3- وهي عرضة للطمث، والحمل والولادة والرضاع: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَىٰ فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ}** {البقرة: 222}. **{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ {لِقْمَان: 14}. {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا {الأحقاف: 15}.**

4- وفي جنس النساء نقص أكثر منه في جنس الذكور: ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في يوم العيد إلى المصلى فمر على النساء فوعظهن وقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله، قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لب الرجل الحازم من إحدائكن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها». وهذا النقص أمر نسبي، في كل من الرجل والمرأة، ولكن في المرأة أكبر نسبة.

ومما يؤكد وجود النقص في الرجل، قوله عليه الصلاة والسلام: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» فإذا كان كثير من الرجال قد كمل، فإنه يقابلهم كثير آخرون ناقصون. ومما يؤكد وجود خصائص في كل من الذكر والأنثى: قول الحق تعالى في سياق قصة مريم عليها السلام: **{إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}** [آل عمران: 35-36]. والشاهد هنا هو قوله تعالى: **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ}** وهو من تنمة كلام امرأة عمران، بعد الجملة الاعتراضية **{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ}** وهي من كلام الرب تعالى. قال الطبري: فتأويل الكلام إذاً والله أعلم من كل خلقه بما وضعت، ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها، وأنها قالت - اعتذاراً إلى ربها مما كانت نذرت في حملها فحررته لخدمة ربها **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ}**، لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعترها من الحيض والنفاس.

5- والنساء لهن خصيصة في اللباس تختلف عن الرجا ل: {وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ
أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ
الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنَ
زِينَتِهِنَّ} [النور:31].

مواطن التسوية والتفرقة كما بينها ابن القيم فى رده على نفاة القياس :

قال ابن القيم فى رده على نفاة القياس عندما قالوا : إن الإسلام سوى بين
الرجل والمرأة فى العبادات البدنية والمالية كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة
والحج ، وفى العقوبات كالحدود، ثم جعلها على النصف من الرجل فى الدية
والشهادة والميراث والعقيقة.

فعلق ابن القيم على هذه المقولة بقوله : هذا من كمال شريعته وحكمته ،
ولطفها ؛ فإن مصلحة العبادات البدنية ومصلحة العقوبات، الرجال والنساء
مشتركون فيها، وحاجة أحد الصنفين إليها كحاجة الصنف الآخر، فلا يليق التفريق
بينهما، نعم فرقت بينهما فى أليق المواضع بالتفريق، وهو الجمعة والجماعة .
وكذلك فرقت بينهما فى عبادة الجهاد التى ليس الإناث من أهلها، وسوت بينهما
فى وجوب الحج لاحتياج النوعين إلى مصلحته، وفى وجوب الزكاة والصيام
والطهارة.

وابن القيم يفصل هنا مواطن التسوية والتفرقة بين الجنسين . والنصوص
الشرعية واضحة وقاضية فى كلا الأمرين والمقام لا يتسع لإيراد التفصيلات، لكن
نشير إلى أهم مواطن الاختلاف بين الجنسين مما لا نزاع فيه بين أهل العلم فى
الجملة.

ففى نظري أن القضايا والأحكام ذات العلاقة لها أنواع :

1 - تخفيف الحكم على المرأة من الوجوب إلى ما دونه ، مثل : صلاة
الجمعة، والجماعة ، والجهاد.

- 2 - إسقاط الحكم التكليفي عن ها ، مثل : عدم قضاء الصلاة بسبب الحيض والنفاس، وعدم النفقة على الزوج والأولاد.
- 3 - تأجيل الحكم التكليفي وتأخيره ، مثل: صيام رمضان بسبب الحيض والنفاس.
- 4 - تمييز المرأة بأحكام تتعلق بأنوثتها : كالحجاب، وإباحة التحلي بالذهب والحريز، وعدم حلق شعر الرأس ، وإرضاع الأطفال وتربيتهم.
- 5 - وضع أحكام احتياطية لصالح المرأة، مثل : عدم السفر إلا مع ذي محرم ، وعدم الخلوة بالرجل الأجنبي إلا مع ذي محرم ، وعدم التبرج ، وعدم الاختلاط في غير مواطن الحاجة.
- 6 - إسناد الأعمال القيادية للرجل دون المرأة، مثل:

أ- قوامة الرجل على المرأة ، ولزوم طاعة الزوج بالمعروف.
ب - ولاية النكاح.
ت -ولايات العامة للمجتمع (كالإمامة، والإمارة، والوزارة).

- 7- تحديد أنصبة أقل من الرجل، في الميراث، والديات والشهادة.
- 8- منحها حقوقاً مادية مثل: المهر، والنفقة.

وكل هذه الأحكام الخاصة بالمرأة، والتي تميزت بها عن الرجل هي عند التدقيق عين الحكمة ومقتضى العقل الصحيح

لقد بدأت الدراسات على الاختلافات بين الجنسين الذكر والأنثى منذ عام 1966 على يد العالم Levine ليفين⁽²⁴⁰⁾. وثمت اعتقادات ومفاهيم خاطئة كانت تدور بين الناس منذ القدم وحتى بعد دراسات العلماء حتى نهاية القرن العشرين . إلا أن قيام بعض العلماء بعمل مسح للمخ فى حال النشاط وحال الكسل بين الجنسين ، ودراسة تركيب المخ بالرنين المغناطيسى وباستخدام تقنية البوزيترون للتفرقة بين الجنسين الذكر والأنثى فى أوائل القرن الحادى والعشرين قد

⁽²⁴⁰⁾ Levine, S. Sex differences in the brain. *Scientific American* 214, 84–90 (1966).

صححت هذه المفاهيم ، وبينت بما لا يدع مجالاً للشك أن الجنسين الذكر والأنثى مختلفين في التركيب التشريحي للمخ ، وفي العمل الكيميائي والهرموني للمخ ، وفي النواحي الوظيفية له.

واستطاع العلماء بعمل التصوير المقطعي بابتعاث البوزيترونات والتصوير بالرنين المغنطيسي الوظيفي، من دراسة الدماغ السليم أثناء عمله . ولاتتطلب هاتان التقنيتان اتصالاً مباشراً بالدماغ، ولكنهما ينتجان صوراً شبيهة بصور الأشعة السينية، والتي توضح أي أجزاء الدماغ يعمل أثناء أداء الشخص نشاطاً ذهنياً أو بدنياً، حيث يوضح التصوير المقطعي بابتعاث البوزيترونات أجزاء الدماغ الأكثر استهلاكاً للجلوكوز، بينما يوضح التصوير بالرنين المغنطيسي الوظيفي، الأجزاء التي يشير فيها استهلاك معدلات عالية من الأكسجين إلى نشاط الجزء.

مفاهيم خاطئة عن الاختلافات بين الجنسين الذكر والأنثى:

ثمت بعض المفاهيم الخاطئة التي شاعت في الأوساط العلمية منذ الستينيات من القرن العشرين وحتى نهاية هذا القرن وهذه المفاهيم الخاطئة⁽²⁴¹⁾ نوجزها فيما يلي:

- الفروق بين الجنسين الذكر والأنثى طفيفة وغير حقيقية
- متوسط الفروق بين الجنسين ناتج من اختلافات في التوزيع
- أن الاختلافات في الجنس الواحد أكثر من الاختلافات بين الجنسين
- أن الاختلافات في الجنسين من خلال الاختلاف في هرمون الجنس وهذا المفهوم يشير إلى أن كل تركيب المخ في الجنسين متشابهة إلا في تأثير هرمونات الجنس
- إذا لم يكن هناك اختلافات بين الجنسين في السلوك يفترض أن المادة العصبية التي تحكم هذا السلوك متماثلة في كليهما

لقد وجد العلماء⁽²⁴²⁾ فروقا علمية دقيقة بين الرجل والمرأة وهذه الفروق نوجزها فيما يلي: من الثابت علمياً أن الأنثى البالغة من بنات حواء - بصفة عامة

²⁴¹ Larry Cahill¹ Why sex matters for neuroscience *Nature Reviews Neuroscience* 7, 477- (2006)

484 (June 2006) | doi:10.1038/nrn1909

²⁴² Geary, D. C. *Male, Female: the Evolution of Human Sex Differences* (American Psychological Association, Washington DC, 1998).

- أصغر حجمًا من نظيرها الذكر؛ فهي أقصر في الطول، وأقل في الوزن بنحو (10 : 15 %) في المتوسط، وهما كذلك يختلفان في منابت الشعر، وأحجام كل من الرأس والعنق والذقن والصدر، وطول كل من الأطراف والأصابع والجذع الأعلى، وفي قوة الاحتمال بصفة عامة (243)

هذا بالإضافة إلى أن جسم المرأة له قابلية أكثر لتخزين الشحم؛ إذ إن كل جسمها قابل لتجميع الدهون على صورة شحم، في حين أنه يتجمع في مناطق معينة عند الرجل في البطن والأرداف، وتبلغ نسبة الشحم عند الرجل (18%) من وزنه وعند المرأة (28%). ويمكننا أن نلاحظ العلاقة بين النسيج العضلي والنسيج الدهني؛ فعضلات المرأة تقلُّ في القوة عن عضلات الرجل بمقدار (25%)، كما أن الرجل بمقدوره زيادة قوة عضلاته بممارسة الألعاب الرياضية بنسبة (8%)، في حين أن المرأة لا يمكنها ذلك إلا بمقدار (4%) فقط (244)

الاختلافات في الصفات التشريحية:

توجد فروق في التركيب التشريحي بين كل من الذكر والأنثى البالغين (245) خصوصاً في الجهاز البولي التناسلي وهذا معروف بين الناس ، فلأنثى البالغة من تعترها الدورة الشهرية، والحمل، والوضع، والنفاس، والإرضاع، وغير ذلك من مسؤوليات الأمومة بينما هذا مفقود بالنسبة للذكر. ويختلف الجنسان كذلك في حجم كل من المعدة والكليتين، والزائدة الدودية، وكلها أكبر حجمًا في الأنثى البالغة عنها في نظيرها الذكر البالغ، بينما يتفوق هو في حجم كل من الرئتين، والقلب، والكبد، والعضلات؛ فالقلب في الأنثى البالغة أصغر حجمًا عن نظيرها الذكر بنحو 25%، وعدد ضرباته أسرع بنحو 10%، وضغطه أقل بنحو 10مم زئبق.

Waber, D. P. Sex differences in mental abilities, hemispheric lateralization, and rate of (243 physical growth in adolescence. *Dev. Psychol.* 13, 29–38 (1977).

(244) وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى (آل عمران: ٣٦)، د. رشيد كهوس أبو اليسر، مقال منشور بموقع السعادة

www.ser8.org

Waber, D. P. Sex differences in mental abilities, hemispheric lateralization, and rate of (245 physical growth in adolescence. *Dev. Psychol.* 13, 29–38 (1977).

إنّ العلماء ولا سيما علماء نفس الطفولة والمراهقة يقرّرون أنّ الأثى لها خصائص غير الخصائص البيولوجية المادية ، أضف الى أنّ جسم الأثى ، وجسم الذكر يختلفان اختلافاً بيناً.

الفروق في البنية الجسمانية: إنّ قائمة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قائمة الرجل ، وكذلك الوزن ففي الغالب يكون وزن الرجل أكبر من وزن المرأة في نفس المرحلة العمرية ، وهيكل المرأة العظميّ أخفّ من هيكل الرجل العظميّ ، واتساع عظام الحوض عندها عن الرجل لقدرتها على الحمل والولادة ، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بمقدار الثلث مما يجعل قدرتها على الحركة وممارسة الأعمال الشاقة أقل من الرجل ، ولكنها تفضله بنسيجها الخلويّ الذي يحتوي على كثير من الأوعية الدموية ، والأعصاب الحساسة ، ونسيجها الخلويّ يسمح لها باختزان طبقة دهنية ، ويفضل هذه الطبقة الدهنية تكون استدارة الشكل ، وصدر المرأة ، ورتتها أقل سعة من صدر الرجل ورتته لكن تنفسها أسرع من تنفسه ، وقلبيها أصغر من قلبه ، لكن نبضها أسرع من نبضه بل ثمة اختلافات كثيرة في الكبد وجهاز المناعي حتى المفاصل (246).

ويختلف الجنسان أيضاً في تركيب الدم وصفاته الطبيعية والكيميائية، ورتتا الأثى البالغة أقل حجماً من رتتي نظيرها الذكر بنحو 25:30%، وحجم كبدها أصغر بنحو 20%، وكتلة عضلاتها تبلغ نصف كتلة عضلات نظيرها الذكر، كما أن عدد كُريّات الدم الحمراء تقل بنسبة 20% في الإناث عن نظائرها من الذكور (247). فلقد أثبتت الفحوصات المخبرية أن التركيز العددي للخلايا الدموية الحمراء عند الرجال (4,5 - 6 مليون/مم³)، بينما عند النساء (3,9 - 5,6 مليون/مم³)، كما أن التركيز العددي للخلايا الدموية البيضاء عند الرجال (4000 - 8000 كُرية / مم³)، وعند النساء (4000 - 7000 كُرية/مم³)، أما نسبة الهيموجلوبين عند الرجال (13,5 - 18 جم/سم³)، وعند النساء (11,5 - 16,5 جم/سم³)، والكسر الحجمي عند الرجال (40 - 54%)، وعند النساء (36 - 47%)، وغير ذلك من الفحوص

²⁴⁶ Schenck-Gustafsson, K et al., Handbook of Clinical Gender Medicine, Karger Press, (Basel, 2012.

²⁴⁷ من آيات الإعجاز العلمي: الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم، وغلول النجار، مرجع سابق، ص247 بتصرف.

المختبرية التي تظهر التفرقة بين الذكور والإناث في ك ل ورقة فحص مختبري (248)

ونجد فروقاً في معدلات النمو والبلوغ والشيخوخة حيث يتباين الجنسان الذكر والأنثى تبايناً واضحاً في معدلات النمو والبلوغ. فالذكور أسرع في النمو في مرحلة الطفولة المبكرة من الإناث بصفة عامة، ويبدأ الذكور في البلوغ من سن (10 - 14) سنة، بينما تبدأ الإناث في البلوغ من سن (11 - 15) سنة، والرجل يصل إلى الشيخوخة بين (55، 65)، وتبدأ المرأة طور الشيخوخة بين (45، 55) سنة بصفة عامة.

وثمة فروقاً أخرى بين الجنسين في النواحي النفسية حيث يختلف التكوين النفسي لكل من الذكر والأنثى اختلافاً كبيراً؛ ففي الوقت الذي يتميز فيه الذكور - بصفة عامة - بشيء من الخشونة، وسيادة العقل للعاطفة، وبالواقعية في التفكير بعيداً عن الخيال، وبالفاعلية في الأعمال بعيداً عن السلبية، فإننا نجد الإناث - بصفة عامة - يتميزن بالحساسية المفرطة ورقة المشاعر، وسيادة العاطفة للعقل، وهيمنة المشاعر الشخصية، واتساع الخيال على الأمور الواقعية والمنطقية، وبروز ملكة الحدس والبداهة الفطرية، والتميز بالغيرة الشديدة، وحب التملك، والوهم، والخوف، والتشاؤم، واختيار الأشياء بغير موضوعية وبغير منطق في أغلب الأحيان، وعدم القدرة على الانسلاخ من الذاتية الشخصية، وعن التقاليد الموروثة، والتنشئة في مراحل الطفولة.

ولقد اتضح من بعض التجارب المختبرية والدراسات أن هناك تفاوتاً بين الأولاد والبنات في تحمل الألم والضغط النفسية، سواءً كان هذا الألم نتيجة صدمة كهربائية، أو تعرض للهب الحرارة، أو أي مصدر آخر، وهذا ما قد يفسر ميل الأولاد إلى المخاطرة أكثر من البنات؛ مما دفع كثيراً من العلماء في السنوات

Grabowski, T. J. , Damasio, H. , Eichhorn, G. R. & Tranel, D. Effects of gender on blood flow (²⁴⁸ correlates of naming concrete entities. *Neuroimage* 20, 940-954 (2003).

الأخيرة إلى محاولة تطوير عقاير مختلفة لمعالجة الآلام في كل من الجنسين⁽²⁴⁹⁾

كما أن تجارب وكالة الفضاء الأمريكية تؤكد على أن أغلب النساء عندما يعدن من رحلة فضائية يشعرن بدوخان وانخفاض في ضغط الدم لعدة أيام بعد الهبوط على الأرض، ولم تُشاهد هذه الآثار على الرجال إلا في حالات نادرة⁽²⁵⁰⁾.

ووجدت الباحثة كيميورا⁽²⁵¹⁾ Kimura - وهي رائدة منذ عدة سنين في البحث عن الاختلافات النيوية والوظيفية بين الجنسين - أن الإناث يتفوقن على الذكور في الإنجاز في المجالات الآتية: الأعمال الدقيقة والتنسيق الحركي الدقيق، الطلاقة التصورية، نشاط البحث عن أشياء، الاستعانة بعلامات دالة على مواقع مطلوبة وفي استعمال الخرائط. وعلى هذا الأساس تتفوق الإناث على الذكور في أداء الأعمال الآتية: أعمال التجميع، أشغال الإبرة بخاصة التطريز، حِرَف يدوية تتطلب غاية الدقة والإتقان، الإنتاج المجهري، أشغال شبكات الاتصال، الخياطة، التمريض، الصيدلة، الفنون الجميلة. أما الذكور، فوجدت كيميورا أنهم يتفوقون على الإناث في المجالات الآتية: مهارات بدنية هادفة، والتي تتطلب التركيز، كما في ألعاب الرياضة البدنية، مثل الرماية بالسهم، وكرة القدم، ولعبة المضرب (Cricket)، ولعبة السهام المربشة (Darts)، ونحوها، نشاطات ترتبط بمكان ومسافة، التركيز على أجسام دوّارة، أشكال ومخططات متداخلة، المحاجة والاستنتاج في الرياضيات، أشغال جسمانية ثقيلة. وعلى هذا الأساس تبين أن الذكور يتفوقون على الإناث في أداء الأعمال الآتية: النشاطات الحركية المُجهدّة، والميكانيكا، والمحاسبة، والهندسة، والرياضيات، والبناء والإنشاء، والنحت.

بالإضافة إلى أن الرجال يفوقون النساء في السعي لممارسة نشاطات محفوفة بالإثارة والمخاطر، مثل ألعاب الرياضة الخطرة، والهبوط بالباراشوت، والنساء أقلُّ تأثراً بالسّم من الرجال من جرّاء ممارسة أعمال رتيبة. وتبين بعض

Jackson, E. D. , Payne, J. D. , Nadel, L. & Jacobs, W. J. Stress differentially modulates fear (²⁴⁹ conditioning in healthy men and women. *Biol. Psychiatry* 59, 516–522 (2005).

²⁵⁰ ليس الذكر كالأنثى، قسطاس إبراهيم النعيمي، موقع: جامعة الإيمان www.jameataleman.com

Kimura, D. Sex, sexual orientation and sex hormones influence human cognitive function. (²⁵¹ *Curr. Opin. Neurobiol.* 6, 259–263 (1996).

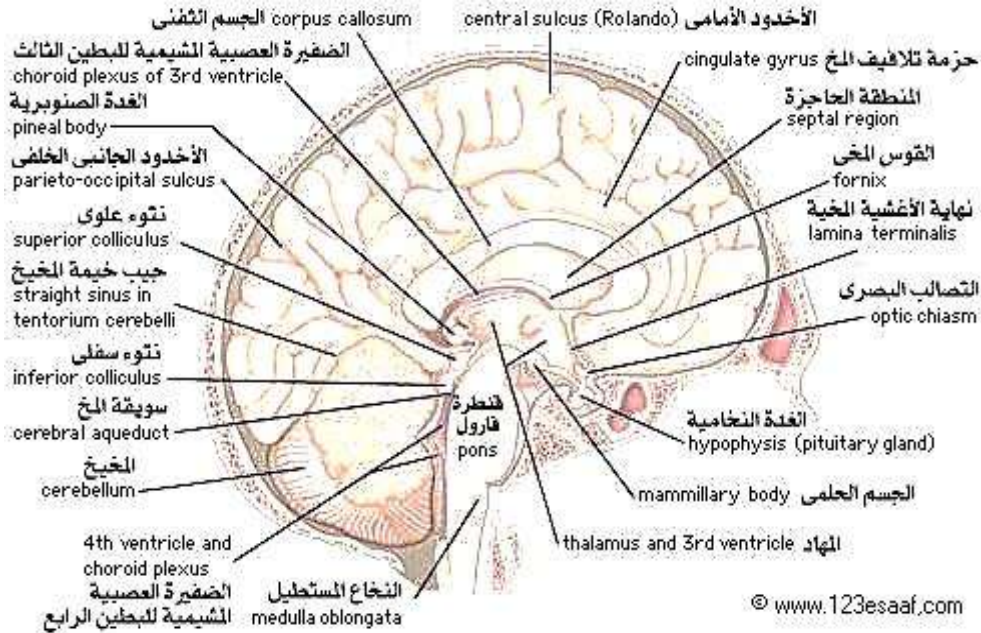
الإحصاءات التي قدمتها آن موير في نسبة الرجال والنساء لبعض المهن في بريطانيا، والتي تعزز النتائج التي توصل إليها البحث العلمي في هذا الخصوص، أضف إلى ذلك آخر إحصاءات الأمم المتحدة عن منظمة العمل الدولية التابعة لها؛ حيث تبين النسبة الضئيلة جدًا للنساء اللاتي يشغلن مناصب الإدارة العليا للشركات في أوروبا ودول أخرى؛ ففي مجالس إدارة الشركات في أوروبا نسبتهم فقط (5%)، وفي المناصب العليا لإدارة الشركات: أستراليا (3,1%)، فرنسا (2%)، إنجلترا (3,6%).

ويختلف الجنسان - الذكر والأُنثى - اختلافًا بيِّنًا على مستوى الخلية، ففي حالة الذكر تحتوي كل خلية جسدية على (44) صبغيًا جسدًا + (صبغيين) تناسليين هما (X) الذي يحمل صفات مؤنثة، (Y) الذي يحمل صفات الذكورة، وذلك فيما عدا خلايا التكاثر - الحيوانات المنوية - التي يحمل كل منها: (22) صبغيًا + (X) أو (22) صبغيًا + (y). وفي المقابل تحمل كل خلية جسدية في الأُنثى (44) صبغيًا + صبغيين تناسليين (X) و(X)، بينما تحمل البيضة نصف هذا العدد (22) صبغيًا + (X). والحيوان المنوي الذي يحمل شارة التذكير (Y) يختلف في شكله ومميزاته عن ذلك الذي يحمل شارة التأنيث (X)؛ فالأول أكثر لمعانًا ووميضًا، وإن كان أصغر حجمًا، وهو مُدبَّب الرأس، والثاني أكبر حجمًا، وأقل ضخامة في الرأس. والحيوان المنوي الذي يحمل شارة الذكورة أسرع حركة، وأقوى شكيمة في الغالب من الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنوثة، فالحيوان المنوي المذكر يسير حثيثًا حتى يصل إلى موضع البويضة في 6 ساعات تقريبًا. وأما الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنوثة فيسير بطيئًا في الغالب، ولا يصل إلى موضع البويضة إلا بعد أكثر من اثنتي عشرة ساعة، وربما وصل في أربع وعشرين ساعة، وهذا الاختلاف - بين الحيوانات المنوية التي تحمل شارة الذكورة Y، والأخرى التي تحمل شارة الأنوثة X - هو ما يفسر اختلاف جسدي كل من الذكر والأُنثى من الوجهة الشكلية والتشريحية والوظيفية، على مستوى

كل من الخلية والنسيج والعضو والجهاز والجسد كله، كما يفسر التباين في القدرات العقلية والعاطفية والسلوكية وغير ذلك⁽²⁵²⁾

الاختلافات في تركيب الدماغ والجهاز العصبي:

المخ ذلك الجهاز العصبي المركزي الذي يقوم بتنظيم عمل خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة الجسم على اختلاف تمايزها وأنواعها وتركيبها كما يقوم بالوظائف الإدراكية (الحواس) كالنطق والشم والتذوق والبصر والسمع وهو مركب من مناطق مختلفة التركيب وأيضاً في عملها الوظيفي (شكل 1/25) والدماغ هو الجهاز الإداري والعاطفي المركزي لحياة الإنسان، وتختلف بنيته في الرجال عن النساء من الفطرة، فتنتج اختلافات بين الجنسين في العمليات العقلية والقدرات الفكرية وفي المهارات والاستعدادات؛ ويتعامل الدماغ مع المعارف المستلمة بطريقة مختلفة بين الجنسين، مما يؤدي إلى اختلاف في المدركات، ترتيب الأسبقيات، السلوك، ونحو ذلك. فدعوى المساواة بين الجنسين تتعارض مع الفطرة ومع العلم.



Kopsida, E. et al., The role of the Y chromosome in brain function, Open ⁽²⁵²⁾ Neuroendocrinol J, 2009 ; 2: 20-30. doi:10.2174/1876528900902010020.

شكل (1/25) يبين تركيب مناطق المخ

لقد بين العلماء أن ثمة اختلافات بين الجنسين في الفئران في كل من فصى المخ تشمل منطقة الذاكرة مثل الهيوكامبس ، امجدالا ، وقشرة المخ⁽²⁵³⁾ ولا يملك العلماء مايشير إلى أن هناك علاقة بين عدد الخلايا الدماغية والقدرة على التفكير او مستوى الذكاء.

وبشكل عام يحتوي الدماغ عند الرجل على مادة رمادية اكثر بخمسة ونصف بالمئة عما لدى النساء، وبالمقابل يحتوي دماغ المرأة على مادة بيضاء اكثر بعشرة مرات مما عند الرجل. والمادة الرمادية تكون بشكل رئيسي مركز الدماغ لمعالجة المعلومات، في حين المادة البيضاء تمثل بشكل رئيسي شبكة الانهالات بين الخلايا والفصوص الدماغية.

هذا يوضح قدرة الرجل على معالجة قضايا تتطلب نشاطا في مراكز خاصة، مثل الرياضيات، في حين قدرة المرأة افضل في جمع المعلومات من المراكز الخاصة واعادة تقييمها وربطها، مثلا اللغات ⁽²⁵⁴⁾. عالم الدماغ الامريكي ريتشارد هاير من جامعة كاليفورنيا، ايرفينه، اثبت ان 84% من المدة الرمادية لدماغ المرأة لها علاقة بالقدرة على التفكير، وان 86% من المادة البيضاء المرتبطة بعملية التفكير، توجد في جبهة المرأة. مايتعلق بالرجل، فأن الارقام تصح 45% للاول وصفر للثاني. المادة الرمادية المرتبطة بالتفكير عند الرجل منتشرة في كل المنطقة المركزية لدماغه. الامر الذي يشير الى ان الاصابات بالجبهة اخطر على المرأة منها على الرجل. والابحاث تربط اسباب نجاح بعض الاشخاص افضل من البعض الاخر، بكمية المادة الرمادية النشطة ومر كز تموضعها في الدماغ. كما تشير الى ان الانسان قد يكون عبقريا في اللغات او الرياضيات في حين لايتجاوز

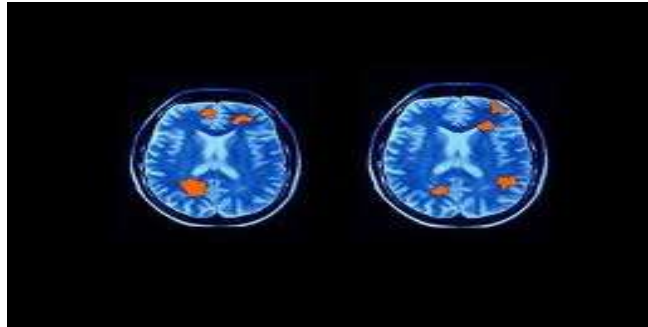
²⁵³ Juraska, J. M. Sex differences in 'cognitive' regions of the rat brain. (

Psychoneuroendocrinology 16, 105–109 (1991).

²⁵⁴ Allen, J. S. , Damasio, H. , Grabowski, T. J. , Bruss, J. & Zhang, W. Sexual dimorphism and asymmetries in the gray–white composition of the human cerebrum. *Neuroimage* 18, 880–894 (2003).

مستواه في العلوم الغير طبيعية عن المستوى العادي . ووجد العلماء أن فروقا كثيرة بين تركيب ووظيفة المخ في كلا الجنسين منها : أن مخها أقل ثبات ، وتلافيها أقل نظاما ، والقسم السنجابي (القسم الادراكي في المخ) فهو أقل مساحة، لكن مراكز الاحساس ، والاثارة، والتهيج أشد فاعلية بكثير من مراكز الرجل، ويقول العلماء إن دماغ الذكر منذ بداية خلقه (في الجنين) يختلف عن دماغ الأثى.

وبين الدكتور Larry Cahill أن دماغ الرجل يعالج المعلومات بطريقة مختلفة جداً عن دماغ المرأة، حتى في حالة الراحة، واستخدم الباحث إشعاع Positron Emission Tomography أو اختصاراً PET في تجربة تشمل 36 رجلاً و 36 امرأة، وذلك لدراسة نشاط الدماغ أثناء الراحة دون التفكير بشيء، وأظهرت الصور أن المناطق التي تنشط في دماغ المرأة تختلف عن المناطق التي تنشط في دماغ الرجل!



شكل (2/25) الصورة اليمنى دماغ رجل واليسرى دماغ امرأة في حالة الراحة

العجيب أن تصميم دماغ الرجل ودماغ المرأة جاء كل منهما متناغماً مع العمل الذي سيقوم به⁽²⁵⁵⁾.

وفي دراسة ثانية تبين أن دماغ الأثى يختلف عن دماغ الرجل في تخزين المعلومات بالنسبة للذاكرة الطويلة ، أي أن الرجل يستعمل مناطق من دماغه تختلف عن المرأة في تخزين المعلومات لفترة طويلة . ومع تقدم العمر تتأثر

Larry Cahill¹ Why sex matters for neuroscience *Nature Reviews Neuroscience* 7, 477-(²⁵⁵)

484 (June 2006) | doi:10.1038/nrn1909

المعلومات التي اختزنها الرجل في دماغه بطريقة مختلفة عن المرأة، فمثلاً المواد المخدرة الطبيعية التي يفرزها الدماغ ليعالج بها الآلام تؤثر على الذاكرة الطويلة لدى النساء بنسبة أكبر من الرجال، وربما ندرك لماذا كانت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، يقول تعالى : **(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)** [البقرة: 282].

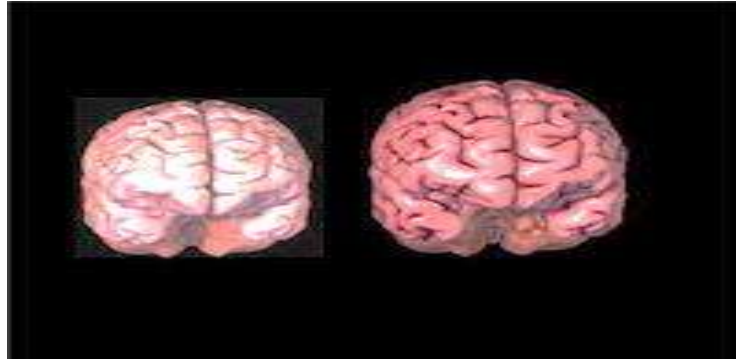
- وتبين الأبحاث الجديدة أن عاطفة المرأة تؤثر على ذاكرتها بطريقة أكبر من الرجل،
- ولذلك فإن نسبة الإبداع عند الرج ل تكون أكبر من المرأة، وهكذا نجد أن المبدعين عبر التاريخ كان معظمهم من الرجال!
- وفي دراسة جديدة تبين أن المرأة تتعرض لانخفاض في ذاكرتها أثناء فترة الحمل وبعده بعام، وأن ذاكرة المرأة تتأثر بالأحداث والظروف أكثر من ذاكرة الرجل، من أجل هذه الأسباب : هل نعلم لماذا شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل أمام القضاء!
- ويؤكد العلماء على وجود اختلافات واضحة بين دماغ الذكر ودماغ الأنثى وتظهر جلية في المنطقة ال مسماة hypothalamus والمنطقة قبل البصرية حيث تحوي هذه المنطقة عند الرجال ضعف عدد الخلايا عند النساء.
- كذلك هناك اختلاف واضح في استجابة الدماغ والإبداع والسلوك ما بين الرجال والنساء . وتتجلى هذه الاختلافات في الإدراك والذاكرة حيث تختلف ذاكرة المرأة عن ذاكرة الرجل.
- وحتى نسبة موت الخلايا في الدماغ تختلف من الرجل إلى المرأة، وطريقة عمل هذه الخلايا تختلف، فقد وجد الباحثون أن نسبة انكماش الدماغ (تتكس الخلايا) عند الرجل أكبر منه وأكثر وضوحاً من المرأة مع تقدم العمر. وهكذا اختلاف في كل شيء تقريباً..

• بين هذا المخطط تغير وزن الدماغ مع تقدم العمر، الشكل الأعلى يوضح تغير وزن الدماغ مع تقدم العمر منذ الولادة وحتى عمر 86 سنة، والشكل السفلي بين النسبة المئوية لوزن الدماغ بالنسبة لوزن الجسم وكيف تتغير مع تقدم العمر . ويتبين لنا أن دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة . ويتبين كذلك أن نسبة وزن دماغ المرأة إلى وزن جسدها تكون هذه النسبة أكبر عند النساء بقليل من الرجال.

• إِذَا هُنَاكَ مِيزَاتٌ فَضَّلَ اللَّهُ فِيهَا الرَّجُلَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَذَلِكَ لِمَصْلَحَةِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَلِكَيْ تَسْتَقِيمَ الْحَيَاةُ وَيَعِيشَانَ بِسَعَادَةٍ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى : **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ يَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)** [النساء: 34]. ولكي يقوم الرجل على المرأة يرفعها ويوفر لها الحماة والأمان والمعيشة الكريمة لآبد أن يتمتع ببعض الميزات ليتمكن من القيام بذلك، وهكذا يجب أن نفهم التفضيل هنا . فتفضيل الرجل على المرأة ليس لأن الله يحب الرجل أكثر أو لأن الله "يميز" بينهما كما يقول بعض المشككين، لا، بل ليتمكن الرجل من القيام بأعباء الحياة، وبالمقابل أعطى للمرأة ميزات لا يتمتع بها الرجل، فمثلاً زودها في دماغها بخلايا مختصة بتحمل الألم والضغط والإجهادات أكثر من الرجل، فسبحان الله !

• ومن الفروق بين الرجل والمرأة أن المرأة لديها فرصة مضاعفة للإصابة بالكآبة أكثر من الرجل، وهي تحزن أكثر 8 مرات من الرجل

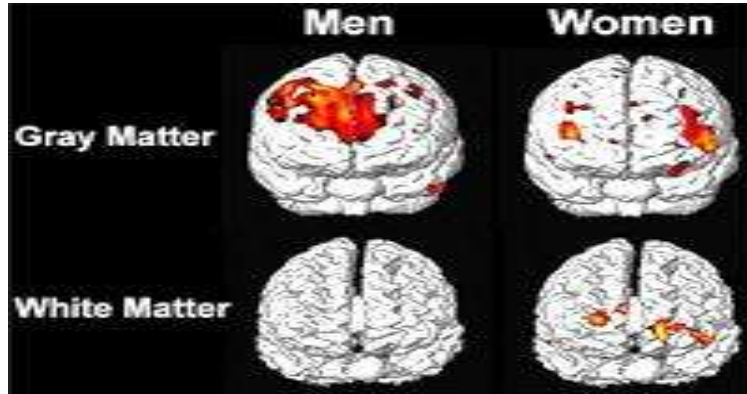
والذكر والأنثى ليسا مختلفين في التركيب البنائي والتشريحي للجسد ؛ وإنما في الخصائص العقلية أيضاً، والتي من شأنها تقرير أنماط سلوك كل من الجنسين في مختلف مجالات الحياة، حتى إن المكتشفات العلمية الحديثة أظهرت أن دماغ الأنثى أقل وزناً من دماغ الذكر؛ حيث يزن دماغ الأنثى في المتوسط (44 أونس)، أو ما يعادل (2,1245 جرام)، بينما يزن دماغ الذكر في المتوسط (49 أونس)؛ أي ما يعادل (7,1386 جرام).



شكل (3/25) يبين اختلاف حجم المخ في الذكر (يمين) والأنثى (شمال)

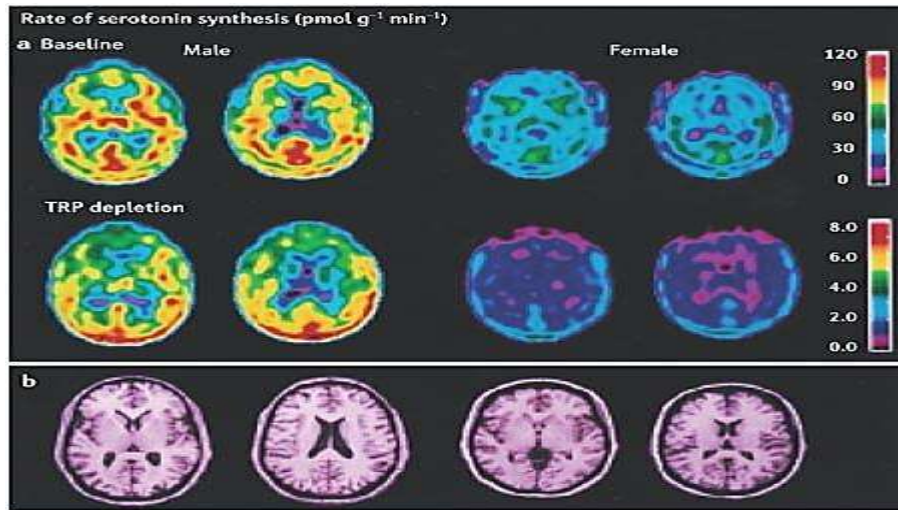
بيّنت الدراسات أن حجم دماغ الرجل أكبر من حجم دماغ المرأة عند العمر نفسه، وذلك بنسبة 10 - 20%، وهذه الزيادة عند الرجل في حجم دماغه تجعله مختلفاً عن المرأة في الكثير من العمليات الدماغية

هذه البحوث المتطورة الحديثة العهد في العقود الثلاثة الأخيرة ؛ والتي ظهرت من خلال علماء في الطب ، والاجتماع وعلم النفس، عملوا على تقديم مجموعة نتائج كوّنت معاً صورة لافتة النظر عن اللاتماثل بين الجنسين من حيث بنية الدماغ ؛ إذ أفرزت بحوثهم أدلة قوية على الاختلاف الحاصل بين بنية دماغ المرأة وبنية دماغ الرجل من ناحية ، وبين عمليات تفاعل الهرمونات مع دماغ المرأة وعمليات تفاعل الهرمونات مع دماغ الرجل من ناحية أخرى؛ حيث يأخذ هذا الاختلاف مأخذه منذ بداية حياة الإنسان، وهو في رحم أمه جنيناً . وقد تبين لهم أن دماغ الرجل مُصمّم للتعامل مع معلومات بصرية ومكانية ؛ وللتعليل في الرياضيات أي في التحليل والتنظير، ويتميز بالتركيز في وقت ما على أمر واحد، أما دماغ المرأة فمصمّم للتعامل مع مهارات متضمنة تفاصيل، كالطلاقة الشفهية في الكلام ، ونشاطات تعاقبية متوالية، ونشاطات اجتماعية أُلغية، ويتميز بالتفكير في وقت ما على عدة أمور؛ أي التشتت في التفكير.



شكل (4/25) يبين اختلاف تفاعلات المخ في كل من الذكر والأنثى عند التوجيه لعمل متماثل

ولقد وجد العالم نيشيزاوا وآخرون معه Nishizawa, S. *et al.* أيضا اختلاف في تعامل المخ في كلا الجنسين مع افراز هرمون السيروتونين⁽²⁵⁶⁾ كما هو موضح بالشكل (4/25) ففي تجربة أجراها العلماء على افراز هرمون السيروتونين من خلال تقنية البوزيترون PET قبل وبعد اختزال التريتوفان من البلازما أن هرمونالسيروتونين يفرز بنسبة أعلى 52 % في الرجال عن النساء



Copyright © 2006 Nature Publishing Group
Nature Reviews | Neuroscience

Nishizawa, S. *et al.* Differences between males and females in rates of serotonin synthesis in ⁽²⁵⁶⁾ human brain. *Proc. Natl Acad. Sci. USA* 94, 5308–5313 (1997).

شكل (4/24) زيادة افراز هرمون السيروتونين في الذكور عن الإناث

إن السر في هذا الاختلاف والتباين يكمن في هذا الهرمون المسمى "هرمون الذكورة التستسترون" (Testosterone) ، فهو المسبب الرئيس للاختلافات البيولوجية بين الجنسين؛ فخلق الرجل يحمل هرمون التستسترون عشرة أضعاف الذي تحمله المرأة . ومن هذا التباين الجوهري في الدماغ، وعمليات الهرمونات لكل من الجنسين، تبدأ الفوارق بين الذكر والأنثى في رحم الأم، وتظهر للعالم منذ الولادة ، تقول الباحثة "آن موير (Anne Moir) (257) "إنها إحدى القصص الأسرة للحياة والخلق؛ قصة مطوية على نطاق واسع؛ ولكن الآن وأخيراً بدأت تتجلى في كليتها، نحن نعرف أن الجينات تحمل مخططاً مرموزاً لخصائنا في الحمض النووي (D.N.A)، التي تجعل منا ذكراً أو أنثى؛ فأى خلية مجهرية من جسم رجل تختلف عن أي خلية مجهرية من جسم امرأة؛ لأن كل خلية من كياننا لها مجموعة مختلفة من الصبغيات /الكروموزومات من داخلها، متوقفاً على كوننا ذكراً أم أنثى".

وقد درس العالم جولدشتين وآخرون (Goldstein et al) (258) حجم الدماغ في كل من الذكور (27 عينة) والإناث (21 عينة) عن طريق مسح المخ بالرنين المغناطيسي (MRI) وتبين لهم اختلافات معنوية كثيرة في مناطق الدماغ على مستوى الجنسين

الهرمون الذكري التستسترون Testosterone أو هرمون منشط الذكورة هو المؤثر الأكبر على الدماغ وبقية الجهاز العصبي المركزي، فيقوم بدور تحديد جنس الدماغ ابتداء من طور الجنين في رحم أمه وحتى تدفق هرمونات الحلم

(257) (Anne Moir): حاصلة على بكالوريوس العلوم مع مرتبة الشرف وشهادة الدكتوراه في علم الوراثة من جامعة أكسفورد، ولها كثير من البرامج التلفزيونية والبحوث المتعلقة بالصحة والقضايا الاجتماعية والفوارق بين الجنسين، وأشهر أعمالها كتاب جنس الدماغ الفارق الحقيقي بين الرجل والمرأة (258) Goldstein, J. M. et al. Normal sexual dimorphism of the adult human brain assessed by *in vivo* magnetic resonance imaging. *Cereb. Cortex* 11, 490–497 (2001).

في سن البلوغ؛ حيث تتحدد مستويات الجنس لدماع الجنين نسبة إلى كمية الهرمون في الرحم، والذي تفرزه الخصية أصلاً، ومن ثم تتحدد الاختلافات في السمات العقلية بين الجنسين؛ كنمط الإدراك، والقابلية والاستعداد، والاهتمام، ونحو ذلك.

وقد قام عالما الوراثة "موير" Moir و"جيسيل" Jessel بإجراء 65 دراسة حول الدور الذي يقوم به هرمون التستسترون في تحديد الجنس؛ إذ أعطت تلك الدراسات برهاناً حاسماً على أن هذا الهرمون هو المفتاح في تطور جنس الدماغ إلى ذكري أو أنثوي؛ ففي الأسبوع السادس الذي يلي الحمل، يتحدد نهائياً نوع الجنس بكمية الهرمون الذكري التستسترون في الرحم، فإذا كانت المصغة أنثى (XX) ولا تتعرض لكمية كبيرة من هذا الهرمون في الرحم، فسيكون الجنين أنثى من حيث المظهر والدماغ معاً، أما إذا تعرضت المصغة الأنثوية إلى كمية قليلة من هذا الهرمون، فستكون النتيجة بدن أنثوي بدماغ ذكري، على حين يؤدي تعرض المصغة إلى كمية كبيرة من الهرمون الذكري إلى أن يكون بدن الجنين ذكراً ودماغه ذكراً أيضاً، حتى لو كانت الكروموسومات أصلاً أنثوية (XX)، ذلك بإطلاق هذا الهرمون تعليمات إلى بدن الجنين بعدم تطوير جهاز تناسلي أنثوي. فهرمون التستسترون المفتاح في تطور دماغ أي من الجنسين إلى دماغ ذكري أو دماغ أنثوي أو ما بين الجنسين؛ فنجد نساء ذوات دماغ ذكري؛ لارتفاع هذا الهرمون عندهن عن المستويات المعتدل.

وأظهر البحث العلمي الحديث التفاوت في تطور الدماغ بين الجنسين خلال السنين الأولى من عمر الطفل (من الأشهر الأولى وحتى سن الخامسة)، فتبين في تجربة أجريت على 200 طفل أن دماغ البنين يتطور أسرع من دماغ البنات في التخصص، وفي القدرة على إنجاز أعمال ذات طابع مكاني، وأظهرت التجربة فيما يتعلق باللغة أن البنات تتفوق على البنين في تعلمها، كما تتعلم البنات اللغة أبكر من البنين، وعلى وجه العموم، البنين أبطأ من البنات في فهم اللغة واستعمالها. وأظهرت دراسة أخرى أن البنات أقل استعداداً من البنين في تعلم الرياضيات واستيعابها في مستويات عليا من الدراسة؛ لذلك وجد المعدل 13 ذكراً إلى 1 إناث في صفوف الدراسات العليا للرياضيات الأمريكية.

والتباين ليس في تطور الدماغ بين الجنسين ف حسب؛ إنما في انحلال خلاياه أيضاً، فدماع الإناث يمتد أطول عمراً من الذكور في المطاوعة أو الليونة Plasticity، أي بقاء دماغ الإناث مفتوحاً للنمو والتغيير لسنين أكثر في النساء من الرجال، ويسبق الذكور الإناث في انحلال أو تفسُّخ الخلايا العصبية بعشرين سنة، على الرغم من أن معدل فقدان تلك الخلايا أعظم في الإناث منه في الذكور.

دماغ الذكر والأنثى مختلفان بنيويًا:

تمكَّنت مجموعة من علماء الجهاز العصبي في أمريكا بعد سنين من البحث من التوصل إلى استنتاجات عميقة؛ فتبين أن دماغ الذكر ودماغ الأنثى مختلفان، ليس من حيث أداء عمليات عقلية فحسب، إنما هما مختلفان بوضوح أيضاً من حيث بنيتيهما. وأضيفت إلى بحوث الأمريكيان للجهاز العصبي بحوث كنديين أمثال "ستيوارت" من جامعة كونكورديا بمونتريال، و "كولب" من جامعة ليثريدج في ألبرتا، جميعهم اتفقوا على أن بنية الدماغ تأخذ خطوطاً متباينة بين الذكر والأنثى منذ الأيام الأولى من حياتهما، إلى أن تظهر بكل وضوح عند بلوغ سن الرشد، فتفسر هذه الفوارق البيولوجية بجلاء العمليات المنهجية المختلفة التي يقوم بها كلٌّ من دماغ الذكر والأنثى؛ فدرجة التركيز Concentration أو عكسه؛ أي : التشتت Dispersion في التفكير لدماغي المرأة والرجل مختلفة فيما يتعلق بأداء عمل ما؛ فالرجال يركِّزون على أداء عمل معين، ولا يصرف انتباههم عن ذلك معلومات طارئة أو زائدة؛ عكس النساء، فقابلية التركيز أقل منها في الرجال، فيغلب التشتت على تفكيرهن.

وثبت لعدة باحثين نفسانيين أن الرجال يفوقون النساء في القابلية المكانية؛ أي : المكان جزء مهم من أداء الأعمال، فتبين لهم أيضاً أن هذه القابلية عند النساء يسيطر عليها جانباً الدماغ معاً؛ مما يزيد درجة التشتت ويقلل من درجة التركيز، ويزيد من درجة النسيان، لذا تجد مثلاً مهندسات معماريات أقل من الرجال.

فالخلاصة إذاً أن دماغ الرجل يعطيه قابلية متميزة عن المرأة في التركيز على الشيء المراد إنجازه، بينما دماغ المرأة لا يساعدها كثيراً على التركيز بل التشتت في الأفكار(259)

اختلاف تنظيم الدماغ عند كل من الرجل والمرأة:

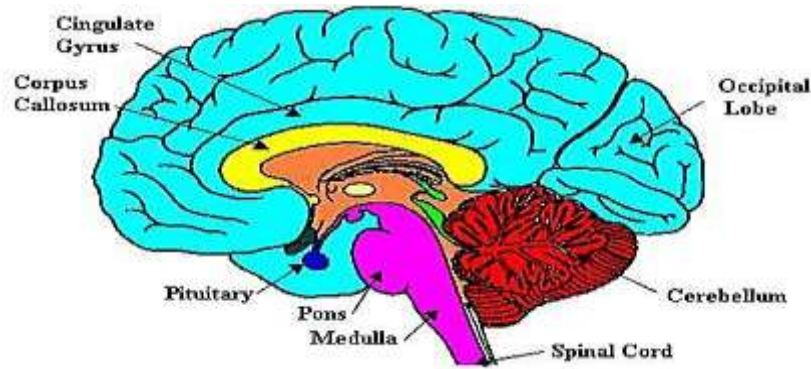
إن الأبحاث العلمية خلال العشرين سنة الماضية تشير إلى أن الجانب الأيسر من دماغ الرجل مخصص للغة والمخاطبة، بينما الجزء الأيمن من هذا الدماغ متخصص في التخيل والتأمل، ونتيجة لهذه التجزئة فإن حصول جلطة في الجانب الأيسر من دماغ الرجل يشلُّ في الغالب قدرته على التحدث، أو القدرة على المخاطبة، بينما حصول هذه الجلطة في الجانب الأيمن من دماغه لا يعطل قدرة المخاطبة، وهذا يؤكد أن الجانب الأيسر من دماغ الرجل مهم جداً للمخاطبة والتحدث، بينما الجانب الأيمن ليس بهذه الأهمية للتحدث، ولكن هل ينطبق هذا التصنيف الدماغي على المرأة؟ . إن تنظيم دماغ المرأة مختلف عن الرجل؛ وذلك لأن التجزئة المشاهدة في دماغ الرجل - ل - والتي ذكرناها سابقاً - غير موجودة عند المرأة التي تتصف وظائف الدماغ عندها بالانتشار في كل الدماغ وعدم التركيز، ونتيجة لذلك فقد لوحظ أن حدوث جلطة في الجزء الأيمن من دماغ المرأة يقلل من قدرتها على التخاطب بنسبة قليلة جداً، وكذلك الحال لو حصلت الجلطة في الطرف الأيسر من دماغها، وهذا سببه أن المرأة تستخدم جانبي الدماغ في المخاطبة وليس جانباً واحداً كما هو الحال في الرجل .

ومن انعكاسات هذا الاختلاف في تنظيم الدماغ هو كون الأولاد أكثر ميلاً للمخاطبة من البنات؛ وذلك لأن الأولاد لديهم ميل للمبالغة في قدراتهم، بينما العكس هو الصحيح في حالة البنات، ومن أمثلة ذلك أن كثيراً من الذين يغرقون في المياه هم من الذكور وليس من الإناث؛ لأن الذكور يبالغون في تقديرهم لقدرتهم على السباحة، ويعزو العلماء هذا السلوك إلى فوارق في تركيبية نظام الأعصاب لدى الجنسين(260)

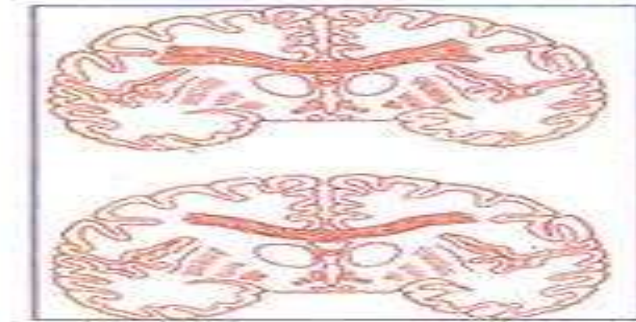
²⁵⁹ (معجزات القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبد الوهاب الوهاب، مرجع سابق، ص77: 83 بتصرف.

²⁶⁰ (ليس الذكر كالأثى، قسطاس إبراهيم النعيمي، موقع جامعة الإيمان www.jameataleman.org

وثمة فرق بنيوي أساسي آخر اكتُشف بعد اختبارات على 14 امرأة أجراها علماء أعصاب، يتعلق بالجسم الجاسي Corpus Callosum، وهو كتلة ألياف عصبية موصلة تربط شطري الدماغ نصف الكرويين، فتبيّن اختلاف واضح في هذا الجسم الموصل عند دماغي الجنسين؛ ففي الإناث (الصورة العليا) هو أسمك، وأكثر انتفاخاً ووزناً، وبصلي الشكل منه في الذكور (الصورة السفلية)، حيث يعمل على نقل معلومات وتبادلها مرورياً بين نصفي الدماغ بكميات أكبر في الإناث مما في الذكور.



شكل (5/25) يبين الجسم الجاسي corpus callosum الملون باللون الأصفر في منتصف المخ



شكل (6/25) يبين اختلاف في حجم الجسم الجاسي فهو سميك في الأثقل أعلى الصورة) ورفيع في الذكر(أسفل الصورة)

هذا الفرق البنيوي بين دماغي الإناث والذكور من شأنه أن يمدّ قدرات واستعدادات إضافية للإناث، وينقصها قدرات أخرى، فيجعل هذا الفارق الأساسي المرأة أكثر طلاقة ووضوحاً من الرجل في التعبير الملفوظ، يساعدها في أعمال

تتطلب التقريب بين يديها والتنسيق بينها كما في الـ حياكة والتطريز والأعمال المنزلية، على حين ينقصها القدرة على التركيز في الأداء، الذي يُعزى إلى الانتشار والتشتت في أفكارها، كما يعزّز ازدحام سمك الجسم الجاسى ووزنه قابلية المرأة على الربط الذهني بين الأشياء والأفكار، وعلى الإدراك والتواصل بصورة ملفوظة ممزوجة بانفعالات ومشاعر؛ هذا الفرق ربما يدُلنا على مفتاح سر غامض للمرأة هو تفوقها على الرجل في الحدس أو البديهة.

ولما كان الجسم الجاسى أشبه بجسر يحمل معلومات مارة بين شطري الدماغ، فيجعل هذا الجسر دماغ المرأة وكأنما يتكلم مع ذاته Talk to itself بدرجة أعلى من دماغ الرجل؛ حيث يحدث التحوار التلقائي لدماغ المرأة خلفية مُشوَّشة لا سيطرة لها عليها، مما يجعل الانتشار أو التشتت خاصية لتفكيرها، وبعيقها من التركيز على تادية عمل واحد في آن واحد.

وهناك فوارق بنيوية أخرى بين دماغي الذكر والأنثى عبّرت عنه عالمة الأعصاب "كيمورا" Kimura بقولها: عند اعتبار الفوارق مجتمعة تعطينا بيناتها بأن أدمغة الرجال والنساء كانت انتظمت على خطوط مختلفة منذ السنين الأولى من العمر⁽²⁶¹⁾

تباين أجهزة الحواس بين الذكور والإناث:

بالعودة إلى اختلاف تكوين أجهزة الحواس بين الجنسين، يؤكّد الباحثون أن حواس الإناث والذكور تعمل أحياناً بأشكال متباينة، والدراسة التي قام بها الطيب والمعالج النفسي الأميركي "ليونارد ساكس"، تشير إلى وجود صلة وثيقة بين تكوين أجهزة الحواس، وبين نمو القدرات الإدراكية والسلوك والفكر التحليلي، وهذا يعود إلى أن المرأة قد ترى في المشهد نفسه أو اللوحة ألواناً لا يراها الرجل، وتسمع في الأغنية نفسها ألحاناً تختلف أصداؤها وإيقاعاتها عن تلك التي تصل إلى أذنيه، وقد تستمتع بروائح لا تصل إلى أنفه، ومن ثم تكون معلومات تختلف عن المعلومات التي يتلقاها دماغه، واللافت أن آخر الدراسات

²⁶¹ Kimura, D. Sex, sexual orientation and sex hormones influence human cognitive function. (

Curr. Opin. Neurobiol. 6, 259–263 (1996).

التي أُجريت على ذكور الفئران وإناثها، أفادت أن شبكية عين الذكور مزوّدة بخلايا كثيفة لمراقبة سرعة الحركة، بينما ثبت أن شبكية عين الإناث هي أكثر فعالية لجمع المعلومات المتعلقة بالأشكال والألوان، وإذا ما أخذنا بالحقيقة العلمية التي تؤكد على الشبه الشديد بين سلوك الفئران والبشر، ندرك سبب انجذاب الأطفال الذكور إلى الدُمى المتحركة أكثر من الأطفال الإناث، واللواتي يجدن متعة في اقتناء الدمى الملونة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اضطراب الحركة الزائدة الم مرتبط بنقص التركيز عند صغار الذكور - وخصوصاً خلال سنوات الدراسة الأولى - تنجم عموماً عن ضعف حاسة السمع، والتي تقوى تدريجياً مع تطوّر النمو . ويشير "ساكس" إلى أن الطرق التربوية القديمة التي كانت تقضي بفصل الذكور عن الإناث في المدارس، وخصوصاً في المراحل الا بتدائية، كانت تراعى بالفطرة المعطيات العلمية لهندسة أدمغة الجنسين وأجهزة حواسهم (262)

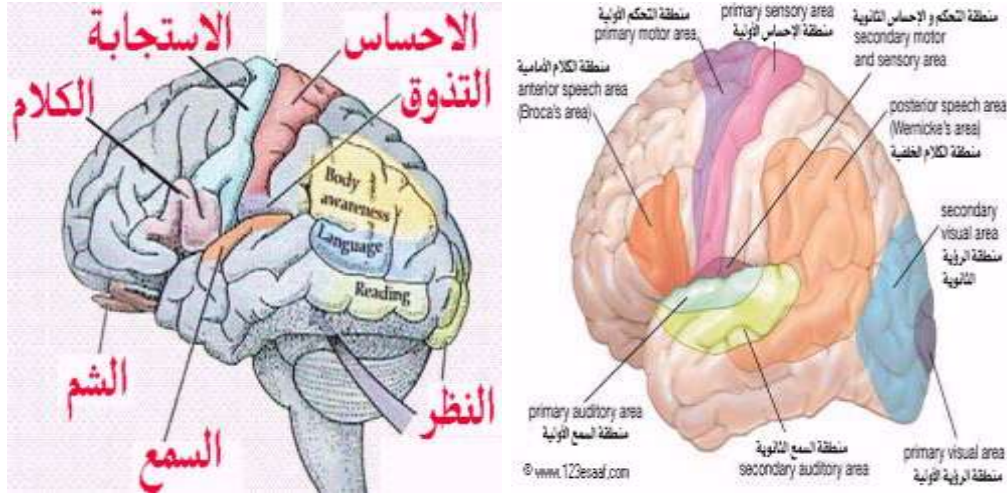
وإليك موجز للفوارق بين الذكر والأنثى من هذا الجانب:

السمع: تتفوق الإناث على الذكور في حاسة السمع، بما يعادل الضعف تقريباً؛ ولذلك تجد الأطفال الإناث يتعلمن النطق قبل الذكور، كما تتعلم الإناث اللغات أسرع من الذكور بسبب تفوقهن في السمع، وفي الذاكرة اللفظية Verbal memory؛ ومن ثم فثلاثة أرباع طلاب اللغات الأج نبية في جامعات أمريكا هم من الإناث.

الإبصار: يتفوق الذكور على الإناث في الإبصار لمسافات بعيدة، وفي الإدراك البصري العميق، كما أن إبصار الذكور في النهار أفضل من الليل، وإبصار الإناث في الليل أفضل من النهار، وتتفوق الإناث في "الإبصار الحولي أو المحيطي" (Peripheral vision)؛ أي الإبصار حول الشيء المرئي، الذي يعينها على تقدير المسافات بدقة، ومن ذلك يمكن القول أن هذا التفوق في الإبصار الليلي والحولي يعين الأم على رعاية أطفالها ليلاً، وتتفوق الإناث على

²⁶² هل الرجل أذكى من المرأة، غريس فرج، مجلة الجيش، مؤلف الجيش اللبناني www.lebarmy.gov.lb

الذكور في الذاكرة الصورية، لذلك هن أعلى قابلية في التعرف على وجوه وأسماء الآخرين.



شكل (7/25) يبين مناطق الإحساس في المخ

اللمس: اللمس اليدوي عند الإناث أكثر حساسية وانتشاراً عنه في الذكور، ويظهر ذلك منذ الولادة، لذلك يتفوقن على الذكور حذقاً وبراعة في إنجاز أعمال يدوية دقيقة، ويشعرن بالألم أسرع من الذكور؛ ويتحملنه لمدة أطول منهم.

الشم والتذوق: للنساء حاسة شم أقوى من الرجال، وهن أكثر حساسية للرائحة والعبير ولأي تغير رقيق فيهما؛ إذًا يظهر من هذه الفوارق الحسية أن الذكور في عالم، والإناث في عالم آخر، والله سبحانه وتعالى خلق المرأة وزودها بحواس أقوى نسبيًا من حواس الرجل، لتمكّنها من أداء وظائف الأمومة، وأخرى منزلية رقيقة دقيقة (263)

الفصل السادس والعشرون

²⁶³ (معجزات القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل، عبد الوهاب الراوي 5هـ 86.

ثم نخرجكم طفلاً

لقد جمع الله رحلة هذا الإنسان المعجز في تخليقه وتركيبه ومشوار حياته حتى الممات وبين ذلك في أروع بيان منذ أن خلق الله عز وجل الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام من التراب وخلق أمنا حواء من ضلعه إلى خلق الذرية من بعده ما ، من خلال جعل النطاف في ظهر أينا آدم وأمنا حواء ثم رحلة التخليق في الأرحام إلى أن تصل إلى رحلة الخروج طفلاً من الرحم يتبعها مشوار الحياة حتى مرحلة الأشد إلى مرحلة الشيخوخة وأردل العمر إلى مرحلة البعث والنشور في آية جامعة مانعة وهي الآية الخامسة من سورة الحج فيالها من روعة للنص القرآني ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتَّقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتُ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿5﴾ سورة الحج) . ولقد سرنا في هذه الرحلة المعجزة المباركة حتى وصلنا إلى قوله تعالى (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) بعد بيان النطف في الأصلاب ثم مرحلة التخليق في الأرحام بكل أنواعها من العلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ثم النشأة الآخرة إلى الشهر السادس حيث تبدأ رحلة الخروج الطبيعية للجنين من رحم الأم بعدما يكتمل نموه ويصبح مهياً للحياة خارج الرحم بعد تمام الشهر السادس إلى الشهر التاسع.

وفي هذا الفصل نبين معنى قوله تعالى (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) ونبين فيه معنى طفلاً من حيث اللغة وتفسيرها عند علماء التفسير ثم لتوجيه العلمى للآية

المعنى اللغوى لكلمة "طفلاً":

مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني

الطفل: الولد ما دام ناعماً ، وقد يقع على الجمع، قال تعالى : **ثم يخرجكم طفلاً** [غافر/67]، **أو الطفل الذين لم يظهروا** [النور/31]، وقد يجمع على أطفال. قال: **وإذا بلغ الأطفال** [النور/59]، وباعتبار النعومة قيل: امرأة طفلة ،

وقد طفلت طفولة وطفالة، والمطفل من الطيبة : التي معها طفلها، وطفلت الشمس: إذا همت بالدور، ولما يستمكن الضح من الأرض

تفسير بن كثير:

وَقَوْلُهُ " ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا " أَي ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ وَسَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَحَوَاسَّهُ وَبَطْشَهُ وَعَقْلَهُ ثُمَّ يُعْطِيهِ اللَّهُ الْقُوَّةَ شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَلْطَفُ بِهِ وَيُحْنِنُ عَلَيْهِ وَالِدِيهِ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ

تفسير أضواء البيان للشنقيطي:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : **ثم نخرجكم طفلا** ؛ أي : وذلك بعد أن يخلق الله المضغة عظاما ، ثم يكسو العظام لحما ، ثم ينشئ ذلك الجنين خلقا آخر ، فيخرجه من بطن أمه في الوقت المعين لوضعه في حال كونه طفلا ؛ أي : ولدا بشرا سويا.

تفسير الحاوي⁽²⁶⁴⁾ :

{**ثم نخرجكم**} بعد ذلك {**طفلا**} أي في حال الطفولة من صغر الجثة وضعف البدن والسمع والبصر وجميع الحواس، لئلا تهلكوا أمهاتكم بكمب أجرامكم، وعظم أجسامكم، وهو يقع على جميع، وعبر به دونه للتساوي في ضعف الظاهر والباطن أ.هـ.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن نلاحظ البيان القرآني قد ذكر في سورة الأحقاف أن مرحلة الحمل وال رضاعة حتى الفصال (الغطام) قد تستغرق 30 شهراً "**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**" (الأحقاف: 15)، وفي سورة لقمان يذكر أن فترة الرضاعة حتى وقت الفصال هي 24 شهراً "**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**" (لقمان: 14) وبحساب بسيط نستنتج أن البيان القرآني يقرر أن أقل فترة للحمل هي 6

²⁶⁴ الحاوي في تفسير القرآن الكريم وُسَمِيَ (جَنَّةُ الْمُشْتَقَاتِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ) لمؤلفه /عبد

الرحمن بن محمد القماش

إمام وخطيب مسجد بورسلي - رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة

أشهر ، وقبل الأسبوع الثاني والعشرين الذي يبدأ فيه هذا الطور يخرج الجنين سقطاً ناقصاً فى نموه وتهيئه للحياة خارج الرحم فى معظم الأجنة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وان هذا البيان القرآنى لأقل مدة حمل للمرأة لكى يبرأ الله عز وجل الأرحام التى تقذف أجنحتها بعد حملها لمدة ستة أشهر وهذا ما استنتجه الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه من فهمه بعد الجمع بين الآيتين من سورة الأحقاف وسورة لقمان وحكم به بين الناس به لتبرئة الأرحام. وبناء عليه يجب على الأزواج التريث فى مسألة قذف الأرحام للأجنة بعد ستة أشهر وعدم اتهام أزواجهن بالباطل والوقوع فى اتهامات باطلة قد تؤدى إلى مشاكل سيئة بين المرأة وزوجها من جانب وبين العائلتين من جانب آخر . ولكن قد ينزل الجنين سقطاً قبل ذلك لأسباب قهرية كضرب المرأة أو سقوطها من مكان ما أو عدوى بكتيرية أو فيروسية أو غير ذلك.

وتعالوا بنا ننظر فى كيفية خروج الجنين من بطن أمه للحياة خارج الرحم . وتسمى هذه الرحلة بوحلة المخاض أو طور المخاض

طور المخاض:

بعد مرور المدة التى قدرها الله لمكث الجنين فى رحم أمه سواء كانت ستة أشهر أو تسعة أشهر قمرية يكون الجنين قد أتم نموه فى الرحم وحن موعد خروجه منه بعد انقضاء هذه الفترة المحددة بقول الله تعالى :- **"وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى"** (الحج: 5) فالأجل مسمى ومحدد، والفترة مقدره معلومة **"فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مُّكِينٍ(21) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ(22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ(23)"** (سورة المرسلات).



شكل (1/26) يبين استعداد الجنين لمرحلة المخاض

وقبل التحدث عن أطوار المخاض يجدر بالذكر هنا التنويه إلى إشارات البيان القرآني حول فوائد التمر للمرأة الماخض حينما يذكر السيدة مريم واصفاً حالها :
**"فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
 منسياً(23). فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزِنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24). وَهُزِّي
 إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حِينًا(25). فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا(26)"**
 (سورة مريم)، فقد ثبت علمياً وجود فوائد عديدة للتمر، من أهمها على سبيل
 المثال بالنسبة للمرأة الماخض:

- غنى التمر بالألياف مما يساعد على تجنب الإمساك فهو ملين طبيعي يساعد على إتمام الولادة
- واحتواء التمر على السكريات البسيطة (الجلوكوز) بنسبة تزيد على 70% وهو سهل الامتصاص والتمثيل حيث يتم امتصاصه من المعدة في أقل من خمسة دقائق مما يضمن توفير الطاقة اللازمة أثناء المخاض
- وهو غني بالأملاح وخاصة الم غنيسهوم اللازم لفسولوجيا الخلايا والبوتاسيوم اللازم للعضلات وتقلصاتها، وكذلك الحديد اللازم لإصلاح فقر الدم لدى الماخض
- وأخيراً يعتبر احتواء التمر على مادة تساعد على تنبيه تقلصات عضلة الرحم وزيادة انقباضاتها أثناء الولادة (وهذه المادة تشبه هرمون Oxytocin الذي تفرزه الغدة النخامية)، هذا بالإضافة إلى فوائد أخرى كثيرة للتمر لا مجال لذكرها هنا، فسبحان الله العليّ القدير.



شكل (2/26) يبين التمر لما له من أهمية للحاض والنفساء وللصائمين ولتحنيك المولود

مراحل المخاض:

يتضمن طور المخاض الذي ينتهي بالولادة 4 مراحل:

المرحلة الأولى وهى مرحلة توسع عنق الرحم وانقباض عضلة الرحم وهو ما يسمى "طور المخاض المبكر early labor":

ويحدث ذلك نتيجة عوامل عديدة منها الميكانيكية ومنها الهرمونية، حيث يتم إفراز مجموعة من الهرمونات تساعد على بدء المخاض ، ومن هذه الهرمونات: البروستاجلاندين Prostaglandin ، والكورتيكوتروپين المحفز الهرمونى Cortico Tropin Releasing Hormon ، والأوكسيتوسين Oxytocin ، والإستروجين Estrogin ، وتستغرق هذه المرحلة حوالي (7-12 ساعة) حيث يتهيا عنق الرحم بتوسعه وتمدده لمرور الجنين .

وفى هذا الطور ينفتح أو يتوسع عنق الرحم فى أثناء المخاض مما يسمح للطفل بالتحرك إلى الأسفل باتجاه المهبل استعدادا للدفع والولادة؛ ومع مضي الوقت، يتحول عنق الرحم من كونه مغلقا بشكل تام إلى أن يصبح مفتوحا بشكل تام (أي يكون عرضه حوالي 10 سم)، ويعد ذلك الاتساع كافيا لمرور رأس الطفل من خلاله . والرحم هو عضو عضلي مجوف يؤوي الطفل ، ويمكن تشبيهه بقارورة مرنة مقلوبة ، حيث تشكل فتحة الرحم (العنق) عنق تلك القارورة، وعندما يبدأ المخاض ، يكون العنق مغلقا ، ولكن التقلصات الحادثة تسبب فتح العنق عن طريق خلق ضغط فى أسفل الرحم ، حيث توجه تلك القوة خلال الرحم بطريقتين : يتعرض الطفل فى أثناء التقلصات إلى ضغط يدفعه بقوة باتجاه العنق ، كما أن التقلصات تسبب ترققا وشدا فى عنق الرحم

حول رأس الطفل ، وفي النهاية تؤدي التقلصات المتكررة إلى تمدد عنق الرحم حوالي عشر سنتيمترات كاملة.

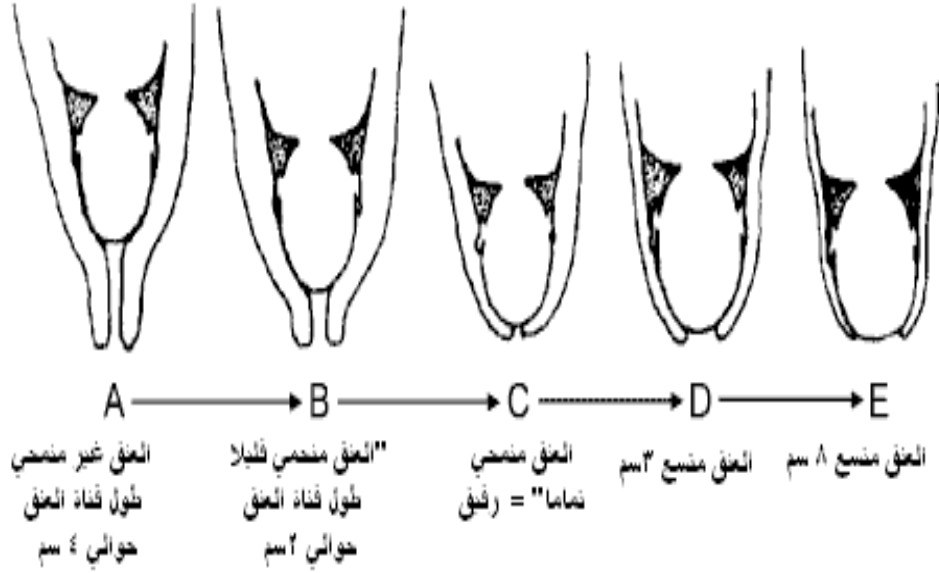
ويحدث في طور المخاض المبكر توسع عنق الرحم من الصفر وحتى أكثر من 3 سم بقليل ، وتعد تلك الفترة هي الأطول ؛ وهي - ولله الحمد - الأقل شدة من بين أطوار المخاض ؛ ويبدأ طور المخاض المبكر مع بدء حدوث التقلصات التي تختلف بشكل كبير من امرأة وأخرى؛ حيث قد لا تعلم بعض النساء أنهن في المخاض عندما تكون التقلصات خفيفة وغير منتظمة ، بينما قد يتوسع عنق الرحم حوالي 10 سم كاملة مع تقلصات واضحة في غضون ساعات قليلة .

وتستمر التقلصات بشكل عام خلال المخاض المبكر حوالي 30 - 60 ثانية ، وقد تكون منتظمة أو غير منتظمة ، وتحدث بفواصل قدرها 5 - 20 دقيقة ، كما قد تكون خفيفة أو متوسطة القوة . كما قد تعاني المرأة بالإضافة إلى التقلصات من آلام الظهر وبعض الانزعاج في المعدة وربما الإسهال ، كما قد تشكو بعض النساء من حرارة أو سخونة في البطن عند بدء المخاض ، كما قد تظهر العلامة الدموية في هذا الوقت - هي ضائعات مهبلية م خاطية ممزوجة بالدم - عندما يبدأ عنق الرحم بالانفتاح.

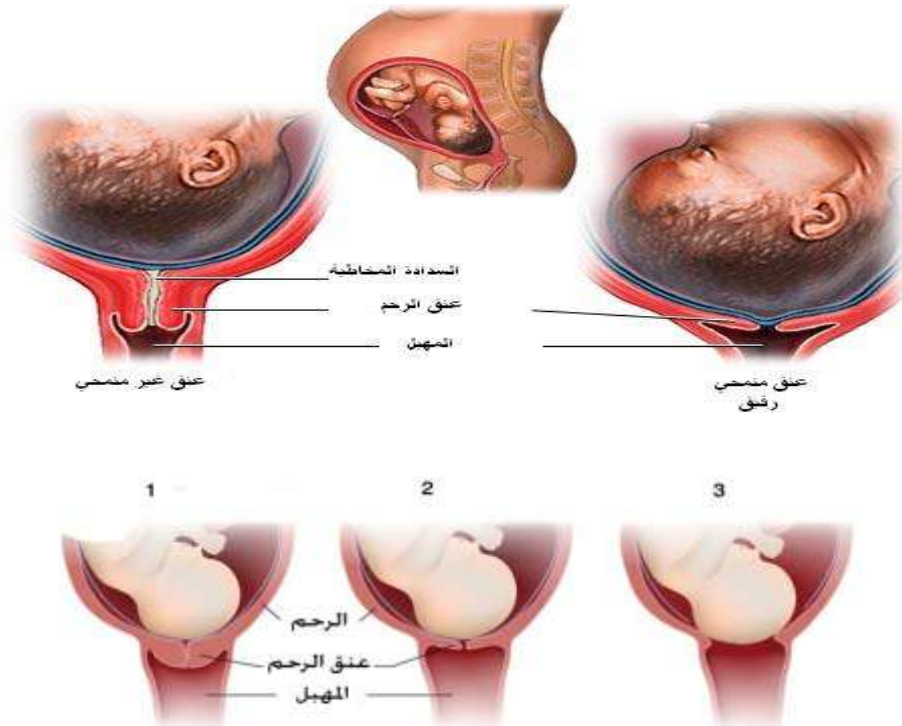
وقد يستمر المخاض المبكر (المخاض الخافي latent labor) ساعات أو أياما ، لذا يجب علي المرأة الماخض أن تكون صبورة ، إذ يجب أن يتلين عنق الرحم قبل أن يتمكن من التوسع .

ومن غير الضروري أن يبدأ المخاض دائما عند بدء التقلصات ، فقد تعاني المرأة من تقلصات غير مؤلمة وغير منتظمة لساعات وربما لأيام قبل أن يبدأ عنق الرحم بالتوسع ، لا سيما عند ولادة الطفل الأول⁽²⁶⁵⁾.

تطور عنق الرحم أثناء المخاض



شكل (3/26) تطور فتح عنق الرحم استعدادا لنزول الجنين



شكل (4/26) يبين مراحل فتح عنق الرحم واستعداد الجنين للنزول من بطن أمه

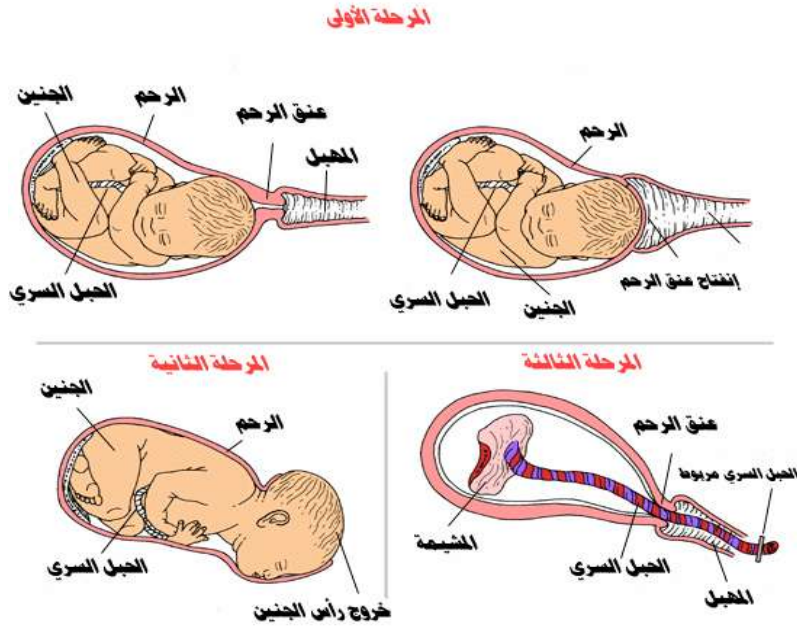
المرحلة الثانية وهي مرحلة خروج الجنين

وتستغرق مرحلة خروج الجنين هذه حوالي (30-50 دقيقة) ، وتبدأ بعد توسع عنق الرحم بشكل كافٍ ونتيجة انقباضات الرحم وتقلصاته المتتابعة يبدأ رأس الجنين بالخروج أولاً، ثم يبدأ الكتف بالخروج . الكتف الأول ثم الثاني ثم ينزلق الطفل سريعاً ليخرج إلى العالم . ومن اللافت للنظر أن قطر رأس الجنين قد يتجاوز 12 سم وهذا يتجاوز ثلاثة أضعاف قطر القناة المهبلية في الحالة الطبيعية!. بالإضافة إلى تمدد أربطة الحوض وعضلاته لتيسير وتسهيل هذا الخروج. نعلم أنها حكمة وقدرة الخالق عز وجل فمن هيئه لذلك إنه الله سبحانه وتعالى القائل في محكم التنزيل : **"من نطفة خلقه فقدره (19) ثم السبيل يسره(20)"** سورة عبس . قد تحتاج المرأة في هذه الحالة إلى الذهاب إلى المستشفى وأخذ بعض العقاقير مثل الأوكسيتوسين للمساعدة في نزول الجنين

المرحلة الثالثة وهي مرحلة خروج المشيمة

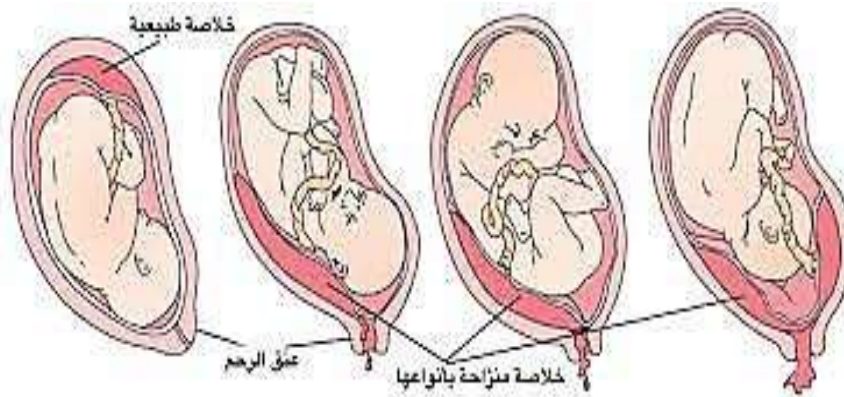
وهذه المرحلة تستمر حوالي 15 دقيقة. وتبدأ هذه المرحلة مع ولادة الجنين وتنتهي بولادة المشيمة (الخلاص).

ونعني بولادة المشيمة : انفصال المشيمة وأغشيتها من جدار الرحم، ولو لم تنزل المشيمة لكان هذا سبباً في آلام شديدة ومشاكل لا حصر لها بالنسبة للمرأة الماخض



شكل (5/26) يبين المراحل الثلاثة لطور المخاض وفي المرحلة الأولى اتساع عنق الرحم وفي الثانية خروج الجنين برأسه وفي المرحلة الثالثة خروج المشيمة

وفي بعض الأحيان تتقدم المشيمة في النزول إلى عنق الرحم قبل رأس الجنين كما هو في الشكل (6/26 ، 7/26) مما يتطلب الذهاب إلى المستشفى للمساعدة وعمل ولادة قيصرية.



شكل (6/26) يبين الوضع الطبيعي للمشيمة مقارنة بأوضاع الأخرى التي تبين ازاحة المشيمة عن وضعها الطبيعي



شكل (7/26) المشيمة تسد عنق الرحم مما يتطلب عمل ولادة قيصرية



شكل (8/26) خروج الطفل للحياة خارج رحم أمه لقد أهل صارخا

المرحلة الرابعة وهي مرحلة انقباض الرحم: لتخفيف النزف الدموي بعد انتهاء عملية الولادة ، قد تستمر هذه المرحلة حوالي ساعتين. أي أن طور المخاض منذ بدايته وحتى بعد تمام نزول دم المخاض قد تتراوح من (10 - 15) ساعة تتحملها المرأة من آلام ومتاعب لا يقدر عليها أعتى وأقوى الرجل وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأله أحد الصحابة وهو يحمال أمه على كتفيه ويطوف بها (هل أدبت حقها) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا بطلقة من طلاقات ولادتك

وبعد الولادة وقطع الحبل السري الذي كان يعتمد عليه الجنين لتحصيل الغذاء من أمه طوال فترة الحمل يبدأ المولود مرحلة أخرى في محطة جديدة من حياته! فسبحان القائل: **"وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْكُمُ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا"** (النمل: 93)،

وقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت 53) صدق الخالق العظيم - سبحانه وتعالى وعز وجل.

يخرج الجنين من بطن أمه غضا طريا كالطفلة الهشة بعضلات ضعيفة غير ممتلئة أو قوية ، وبعضام واهنة غير مكتنزة بخلايا العظم ، فلا يستطيع القيام والقعود والوقوف ، ولذلك سمى طفلا من طفلة التربة لأنه يشبهها في ضعفها وهشاشتها ولذلك يقول الله عز وجل " **وخلق الإنسان ضعيفا(28)**" سورة النساء ، فيتعامل معه أهله من هذا المنطلق فيحرصون على التقام ثدي أمه وعلى رعايته حق الرعاية لما به من ضعف.

من أهم الأعمال للطفل بعد خروجه من بطن أمه

- 1 - قطع الحبل السرى
- 2 - غسله بماء دافىء لتنشيط الدورة الدموية فيه
- 3 - لفه وتجفيفه وتلييسه بثياب نظيفة فضفاضة
- 4 - التقام ثدى أمه
- 5 - تحنيكه بالتمر وهى سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم كما فعل مع عبد الله بن الزبير وهو طفلا غضا طريا(266) .
- 6 - أهمية اللبأ أو السرسوب وهو أول لبن ينزل من ثدى الأم لتغذية الجنين لما فيه من الأجسام المناعية المضادة ، والخلايا الليمفاوية

²⁶⁶ انظر بحثنا رطبنا جنيا

الفصل السابع والعشرون

مستقر ومستودع

ذكر الله تعالى أنه أنشأنا من نفس واحدة وجعل لها مستقرا ومستودعا فما هو هذا المستقر وهذا المستودع وأين يكونان؟ قال تعالى في سورة الأنعام (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) . ولقد اختلف العلماء في بيان المستقر والمستودع على أقوال شتى . واستنتج بما تفضل الله على به من علم تحصلته من علوم حديثة ظهرت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وأوائل القرن الحادى والعشرين وهى علوم البيولوجيا الجزيئية أن أوضح أن المستقر والمستودع أعم وأشمل مما تكلم به العلماء السابقون

المعانى اللغوية فى الآية

مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني: قر: قر فى مكانه يقر قرارا، إذا ثبت ثبوتا جامدا، وأصله من القر، وهو البرد، وهو يقتضى السكون، والحر يقتضى الحركة، قال تعالى: **﴿جعل لكم الأرض قرارا﴾** [غافر/64]، أي: مستقرا، وقوله: **﴿اجتث من فوق الأرض ما لها من قرارا﴾** [إبراهيم/26]، أي: ثبات، ويوم القر: بعد يوم النحر لاستقرار الناس فيه بمنى، واستقر فلان : إذا تحرى القرار، وقد يستعمل فى معنى قر، كاستجاب وأجاب . قال فى الجنة: **﴿خير مستقرا وأحسن**

مقيلاً [الفرقان/24]، وفي ال نار: **ساعت مستقرا** [الفرقان/66]، وقوله : **فمستقر ومستودع** [الأنعام / 98]، قال ابن مسعود : مستقر في الأرض ومستودع في القبور (انظر: الأقوال في الدر المثور 332/3). وقال ابن عباس : مستقر في الأرض ومستودع في الأصلاب . وقال الحسن : مستقر في الآخرة ومستودع في الدنيا. وجملة الأمر أن كل حال ينقل عنها الإنسان فليس بالمستقر التام. والإقرار: إثبات الشيء، قال: **ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل** [الحج/5]، وقيل: قرت ليلتنا تقر، ويوم قر، وليلة قره، وقر فلان فهو مقررور : أصابه القر، وقيل: حرة تحت قره (قال ابن منظور: ومثل العرب للذي يظهر خلاف ما يضمنر: حرة تحت قره . انظر: اللسان (قر) ؛ والمجمل 727/3؛ ومجمع الأمثال 197/1؛ وتقدم في مادة: حر)، وقررت القدر أقرها : صببت فيها ماء قار، أي : باردا، واسم ذلك الماء القرارة والقررة . واقتقر فلان اقتارارا نحو: تبرد، وقرت عينه تقر: سرت، قال: **كبي تقر عينها** [طه/40]، وقيل لمن يسر به: قره عين، قال: **قره عين لي ولكب** [القصص/9]، وقوله : **هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قره أعين** [الفرقان/74]، قيل : أصله من القر، أي : البر، فقرت عينه، قيل : معناه بردت فصحت، وقيل : بل لأن للسرور دمة باردة قارة، وللحزن دمة حارة، وأقر بالحق: اعترف به وأثبتته على نفسه . وتقرر الأمر على كذا أي : حصل، والقارورة معروفة، وجمعها: قوارير قال: **قوارير من فضة** [الإنسان/16]، وقال: **صرح ممرد من قوارير** [النمل/44]، أي: من زجاج.

مختار الصحاح

* ودع * * التوديع * عند الرحيل والاسم * الوداع * بالفتح وقوله تعالى { **ما ودعك ربك** } قالوا ما تركك و * الودعات * خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر الواحدة * ودعة * بسكون الدال وفتحها و * الدعة * الخفض تقول منه * ودع * الرجل بضم الدال فهو * وديع * أي ساكن و * وادع * أيضا مثل حمض فهو حامض و * الموداعة * المصالحة و * التوادع * التصالح وقولهم دع ذا أي اتركه وأصله ودع يدع وقد أميت ماضيه فلا يقال ودعه وإنما يقال تركه ولا وادع ولكن تارك وربما جاء في ضرورة الشعر * ودعه * و * مودوع * أيضا على الأصل و * الوديعة * واحدة * الودائع * يقال * أودعه * مالا أيضا قبله منه وديعة وهو من الأضداد و * استودعه * وديعة استحفظه إياها

قال ابن جرير الطبري (267)

يقول تعالى ذكره : والهكم ، أيها العادلون بالله غيره ، **"الذي أنشأكم"** ، يعني : الذي ابتداء خلقكم من غير شيء ، فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً ، **"من نفس واحدة"** ، يعني : من آدم . وعن السدي وقتادة : **"من نفس واحدة"** ، قال : آدم عليه السلام

وأما قوله : **"فمستقر ومستودع"** ، فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون

- 1 - فقال بعضهم : معنى ذلك : وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ، فمنكم مستقر في الرحم ، ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنشر القيامة ، وهذا قول عبد الله بن مسعود : **"يعلم مستقرها ومستودعها"** [هود: 6]. قال : مستقرها ، في الأرحام ، ومستودعها ، حيث تموت
- 2 - وقال آخرون : المستودع ، ما كان في أصلاب الآباء ، والمستقر ، ما كان في بطون النساء ، ويطون الأرض ، أو على ظهورها وهو قول عبد الله بن عباس ، وسعيد بن جبير في قوله : **"فمستقر ومستودع"** ، قال : مستودعون ، ما كانا في أصلاب الرجال . فإذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو في بطنها ، فقد استقروا . وقال ابن عباس : استودع في الصلب ، والمستقر ، ما كان على وجه الأرض أو في الأرض . وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : **"فمستقر ومستودع"** ، قال : المستقر ، في الرحم ، والمستودع ، ما استودع في أصلاب الرجال والدواب ، وعن ابن جريج عن عطاء : قال : المستقر ، ما استقر في أرحام النساء ، والمستودع ، ما استودع في أصلاب الرجال . وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال : المستقر ، الرحم ، والمستودع ، في الأصلاب
- 3 - وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمستقر في الأرض على ظهورها ، ومستودع عند الله وهو قول ثان : عن سعيد بن جبير ، عن ابن

(267) تفسير ابن جرير الطبري

عباس : المستقر الأرض ، والمستودع ، عند الرحمن وهو قول مجاهد أيضا قال : المستقر الأرض ، والمستودع عند ربك . وهو قول ثاب لعبد الله بن مسعود : مستقرها أي في الدنيا، ومستودعها في الآخرة ، وعن سعيد بن جبير قال : المستودع ، في الصلب ، و المستقر، في الآخرة وعلى وجه الأرض.

4- وقال آخرون : معنى ذلك : فمستقر في الرحم ، ومستودع في الصلب. وهى رواية عكرمة عن ابن عباس في قول الله : **"فمستقر ومستودع"**، قال : مستقر في الرحم ، ومستودع في صلب ، لم يخلق سيخلق. وعن عكرمة: قال : المستقر، الذي قد استقر في الرحم ، و المستودع ، الذي قد استودع في الصلب . ، وهى رواية عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس : سل! فقلت : مستقر ومستودع ؟ قال : المستقر، في الرحم ، و المستودع ، ما استودع في الصلب. وعن سعيد بن جبير قال : قال لي ابن عباس : تزوجت ؟ قلت : لا! قال : فضرب ظهري وقال : ما كان من مستودع في ظهرك سيخرج. وهى رواية عن ليث عن مجاهد قال : المستقر، الرحم ، و المستودع ، الصلب . وعن السدي قال : المستقر، في الرحم ، و المستودع ، في الصلب . وعن قتادة : **"فمستقر ومستودع"**، قال : مستقر، في الرحم ، و مستودع في الصلب . وعن الضحاك : أما مستقر ، فما استقر في الرحم ، وأما مستودع ، فما استودع في الصلب . وقال ابن زيد : مستقر ، في الأرحام ، ومستودع ، في الأصلاب.

5- وعن قتادة قال : كان الحسن يقول : مستقر، في القبر، ومستودع في الدنيا، وأوشك أن يلحق بصاحبه قال أبو جعفر: وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عم بقوله : **"فمستقر ومستودع"**، كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة، مستقراً ومستودعاً، ولم يخص من ذلك معنى دون معنى . ولا شك أن من بني آدم مستقراً في الرحم ، ومستودعاً في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر

الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر في القبر، مستودع على ظهر الأرض . فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعاني ، فداخل في عموم قوله : **"فمستقر ومستودع"** ومراد به ، إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنى دون معنى، وخاص دون عام

قال الفخر الرازي⁽²⁶⁸⁾:

هذا نوع رابع من دلائل وجود الإله وكمال قدرته وعلمه، وهو الاستدلال بأحوال الإنسان فنقول لا شبهة في أن النفس الواحدة هي آدم عليه السلام وهي نفس واحدة. وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه . فصار كل الناس من نفس واحدة وهي آدم. فإن قيل: فما القول في عيسى؟ قلنا: هو أيضاً مخلوق من مريم التي هي مخلوقة من أبويها . فإن قالوا: أليس أن القرآن قد دل على أنه مخلوق من الكلمة أو من الروح المنفوخ فيها فكيف يصح ذلك؟ قلنا: كلمة من **(أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)** تفيد ابتداء الغاية ولا نزاع أن ابتداء تكون عيسى عليه السلام كان من مريم وهذا القدر كاف في صحة هذا اللفظ.

وأما قوله: **{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ}** ففيه مباحث:

البحث الأول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو **{فَمُسْتَقَرٌّ}** بكسر القاف والباقون بفتحها قال أبو علي الفارسي. قال سيوييه، يقال: قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك وجب أن يكون خبره المضمرة منكم أي منكم مستقر. ومن فتح القاف فليس على أنه مفعول به لأن استقر لا يتعدى فلا يكون له مفعول به فيكون اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر.

وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون خبره المضمرة منكم بل يكون خبره لكم فيكون التقدير لكم مقر . وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعول لين تقول استودعت زيدا ألفاً وأودعت مثله، فالمستودع يجوز أن يكون اسماً للإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه. إذا عرفت هذا فنقول: من قرأ مستقراً بفتح القاف جعل المستودع مكاناً ليكون مثل المعطوف عليه والتقدير فلکم مكان استقرار ومكان استيداع ومن قرأ **{فَمُسْتَقَرٌّ}** بالكسر، فالمعنى: منكم

²⁶⁸ (تفسير الفخر الرازي

مستقر ومنكم مستودع، والتقدير : منكم من استقر ومنكم من است ودع. والله أعلم.

المبحث الثاني: الفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب إلى ال ثبات من المستودع فالشيء الذي حصل في موضع ولا يكون على شرف الزوال يسمى مستقرًا فيه، وأما إذا حصل فيه وكان على شرف الزوال يسمى مستودعًا لأن المستودع في معرض أن يسترد في كل حين وأوان.

إذا عرفت هذا فنقول : كثر اختلاف المفسرين في تفسير هذين اللفظين على أقوال: فالأول: وهو المنقول عن ابن عباس في أكثر الروايات أن المستقر هو الأرحام والمستودع الأصلاب قال كريب : كتب جرير إلى ابن عباس يسأله عن هذه الآية فأجاب المستودع الصلب والمستقر الرحم ثم قرأ: **{وَنَقِرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَأُ}** [الحج: 5] ومما يدل أيضًا على قوة هذا القول أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زمانًا طويلاً والجنين يبقى في رحم الأم زمانًا طويلاً، ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى.

والقول الثاني: أن المستقر صلب الأب والمستودع رحم الأم، لأن النطفة حصلت في صلب الأب لا من قبل الغير وهي حصلت في رحم الأم بفعل الغير، فحصول تلك النطفة في الرحم من قبل الرجل مشبه بالوديعة لأن قوله : **{فَمُسْقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ}** يقتضي كون المستقر متقدماً على المستودع وحصول النطفة في صلب الأب مقدم على حصولها في رحم الأم، فوجب أن يكون المستقر ما في أصلاب الآباء، والمستودع ما في أرحام الأمهات.

والقول الثالث: وهو قول الحسن المستقر حاله بعد الموت لأنه إن كان سعيداً فقد استقرت تلك السعادة، وإن كان شقيماً فقد استقرت تلك الشقاوة ولا تبديل في أحوال الإنسان بعد الموت وأما قبل الموت فالأحوال متبدلة. فالكافر قد ينقلب مؤمناً والزنديق قد ينقلب صديقاً، فهذه الأحوال لكونها على شرف الزوال والفناء لا يبعد تشبيهها بالوديعة التي تكون مشرفة على الزوال والذهاب .

والقول الرابع: وهو قول الأصم. إن المستقر من خلق من النفس الأولى ودخل الدنيا واستقر فيها، والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق .

والقول الخامس: للأصم أيضًا المستقر من استقر في قرار الدنيا والمستودع من في القبور حتى يبعث . وعن قتادة على العكس منه فقال مستقر في القبر ومستودع في الدنيا.

القول السادس: قول أبي مسلم الأصبهاني أن التقدير هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمنكم مستقر ذكر ومنكم مستودع أنثى إلا أنه تعالى عبر عن الذكر بالمستقر لأن النطفة إنما تتولد في صلبه وإنما تستقر هناك وعبر عن الأنثى بالمستودع لأن رحمها شبيهة بالمستودع لتلك النطفة . والله أعلم.

المبحث الثالث: مقصود الكلام أن الناس إنما تولدوا من شخص واحد وهو آدم عليه السلام، ثم اختلفوا في المستقر والمستودع بحسب الوجوه المذكورة فنقول: الأشخاص الإنسانية متساوية في الجسمية ومختلفة في الصفات التي باعتبارها حصل التفاوت في المستقر والمستودع والاختلاف في تلك الصفات لا بد له من سبب ومؤثر وليس السبب هو الجسمية ولوازمها وإلا لامتنع حصول التفاوت في الصفات، فوجب أن يكون السبب هو الفاعل المختار الحكيم ونظير هذه الآية في الدلالة قوله تعالى: **{واختلاف ألسنتكم وألوانكم}**. اهـ.

قال الماوردي⁽²⁶⁹⁾:

{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} فيه ستة تأويلات:

أحدها: فمستقر في الأرض ومستودع في الأصلاب، قاله ابن عباس . والثاني: فمستقر في الرحم ومستودع في القبر، قاله ابن مسعود . والثالث: فمستقر في أرحام النساء ومستودع في أصلاب الرجال، قاله عطاء وقتادة. والرابع: فمستقر في الدنيا ومستودع في الآخرة، قاله مجاهد . والخامس: فمستقر في الأرض ومستودع في القبر، قاله الحسن . والسادس: أن المستقر ما خُلِقَ، والمستودع ما لم يُخْلَق، وهو مروى عن ابن عباس أيضًا. اهـ.

قال ابن الجوزي⁽²⁷⁰⁾:

²⁶⁹ (النكت والعيون (تفسير الماوردي)

²⁷⁰ (زاد المسير لابن الجوزي

وللمفسرين في هذا المستقر والمستودع تسعة أقوال :
أحدها: فمستقر في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي، وقتادة، والسدي، وابن زيد.
والثاني: المستقر في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود.
والثالث: المستقر في الأرض، والمستودع في الأصلاب، رواه ابن جبير عن ابن عباس.
والرابع: المستقر والمستودع في الرحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عباس.
والخامس: المستقر حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه مقسم عن ابن عباس.
والسادس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر.
والسابع: المستقر في القبر، والمستودع في الدنيا، وهو عكس الذي قبله، رواه عن الحسن.
والثامن: المستقر في الدنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد.
والتاسع: المستقر في الأصلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو عكس الأول. اهـ.

قال ابن عطية⁽²⁷¹⁾:

بعد أن سرد اختلاف المفسرين قال: والذي يقتضيه النظر أن ابن آدم هو مستودع في ظهر أبيه وليس بمستقر فيه استقراراً مطلقاً لأنه ينتقل لا محالة ثم ينتقل إلى الرحم ثم ينتقل إلى القبر ثم ينتقل إلى المحشر ثم ينتقل إلى الجنة أو النار فيستقر في أحدهما استقراراً مطلقاً، وليس فيها مستودع لأنه لا نقلة له بعد وهو في كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقر بالإضافة إلى التي قبلها ومستودع بالإضافة إلى التي بعدها لأن لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد. اهـ.

قال الخازن⁽²⁷²⁾:

²⁷¹ (المحرر الوجيز لابن عطية

²⁷² (تفسير الخازن

والفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع، لأن المستقر من القرار والمستودع معرض لأن يرد . ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الأمهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ **{ونقر في الأرحام ما نشاء}** ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الأب زماناً طويلاً والجنين يبقى في بطن الأم زماناً طويلاً، ولما كان المكث في بطن الأم أكثر من صلب الأب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب . وروي عنه أنه قال : بالعكس يعني أن المستقر صلب الأب والمستودع رحم الأم . ووجه هذا القول، أن النطفة حصلت في صلب الأب قبل رحم الأم فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم . وقال ابن مسعود : المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في القبر إلى أن يبعث وقال مجاهد : المستقر على ظهر الأرض في الدنيا لقوله: **{ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين}** والمستودع عند الله في الآخرة. وقال الحسن: المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في أهلك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر إما في الجنة والنار، لأن المقام فيهما يقتضي الخلود والتأييد. اهـ.

قال الألوسي⁽²⁷³⁾:

{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} أي فلکم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو في القبر أو موضع استقرار واستيداع فيما ذكر، وجعل الصلب مقر النطفة والرحم مستودعها لأنها تحصل في الصلب لا من قبل شخص آخر وفي الرحم من قبل الأب فأشبهت الوديعة كأن الرجل أودعها ما كان عنده، وجعل وجه الأرض مستقراً وبطنها مستودعاً لتوطنهم في الأول واتخاذهم المنازل والبيوت فيه وعدم شيء من ذلك في الثاني، وقيل : التعبير عن كونهم في الأصلاب أو فوق الأرض بالاستقرار لأنهما مقرهم الطبيعي كما أن التعبير عن كونهم في الأرحام أو في القبر بالاستيداع لما أن كلاً منهما ليس بمقرهم الطبيعي.

²⁷³ (تفسير روح المعاني للألوسي

ويؤيد تفسير المستقر بالرحم قوله تعالى : { وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ } [الحج: 5] وأما تفسير المستودع بالأصلاب فقال شيخ الإسلام : إنه ليس بواضح وليس كما قال، فقد ذكر الإمام بعد أن فرق بين المستقر والمستودع بأن المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع، ومما يدل على قوة هذا القول يعنى المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زماناً طويلاً والجنين يبقى زماناً طويلاً، ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى . ويلزم ذلك أن حمل الاستيداع على المكث في الصلب أولى.

وأنا أقول: لعل حمل المستودع على الصلب باعتبار أن الله تعالى بعد أن أخرج من بني آدم عليه السلام من ظهورهم ذريتهم يوم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم وكان ما كان ردهم إلى ما أخرجهم منه فكأنهم وديعة هناك تخرج ح ين يشاء الله تعالى ذلك، وقد أطلق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اسم الوديعة على ما في الصلب صريحاً.

قال ابن عاشور⁽²⁷⁴⁾:

والاستيداع: طلب التُّرك، وأصله مشتقٌّ من الوَدْع، وهو التُّرك على أن يُسترجع المستودَعُ.

يقال: استودعه مالا إذا جعله عنده وديعة، فالاستيداع مؤذن بوضع موقت، والاستقرار مؤذن بوضع دائم أو طويل . وقد اختلف المفسرون في المراد بالاستقرار والاستيداع في هذه الآية مع اتِّفاقهم على أنَّهما متقابلان . فعن ابن مسعود: المستقرُّ الكون فوق الأرض، والمستودَع الكون في القبر . وعلى هذا الوجه يكون الكلام تبيهاً لهم بأنَّ حياة النَّاس في الدُّنيا يعقبها الوضع في القبور وأنَّ ذلك الوضع استيداع موقت إلى البعث الَّذي هو الحياة الأولى ردًّا على الَّذين أنكروا البعث.

وعن ابن عباس : المستقرُّ في الرَّحم والمستودَع في صلب الرجل، ونقل هذا عن ابن مسعود أيضاً، وقاله مجاهد والضَّحَّاك وعطاء وإبراهيم النخعي، وفسرَّ به الزجاج.

²⁷⁴ (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

وقال ابن عاشور: والأظهر أن لا يقيد الاستيداع بالقبور بل هو استيداع من وقت الإنشاء، لأن المقصود التذكير بالحياة الثانية، ولأن الأظهر أن الواو ليست للتقسيم بل الأحسن أن تكون للجمع، أي أنشأكم فشانكم استقرار واستيداع فأنتم في حال استقراركم في الأرض ودائع فيها ومرجعكم إلى خالقكم كما ترجع الوديعة إلى مودعها.

من فوائد الشعراوي في الآية:

قال رحمه الله: **{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ}** وقد تكلم سبحانه لنا - أولاً- عن الآيات المحيطة بنا والتي بها قوام حياتنا من فلق الحب والنوى، وبعد ذلك تكلم عن الشمس والقمر، ثم تكلم عن النجوم، كل هذه آيات حولنا، ثم يتكلم عن شيء في ذاتنا ليكون الدليل أقوى، إنه سبحانه يأتي لك بالدليل في ذاتك وفي نفسك؛ لأن هذا الدليل لا يحتاج منك إلى أن تمد عينيك إلى ما حولك، بل الدليل في ذاتك ونفسك، يقول سبحانه : **{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}** [الذاريات: 21]. أي يكفي أن تجعل من نفسك عالماً، هذا العلم موجود فيه كل ما يثبت قدرة الحق، وأحقيقته بأن يكون إلهاً واحداً، وإلهاً معبوداً. **{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}** ينطبق على هذا القول أنه إخبار من الله، وأنه - أيضاً- استقراء في الوجود، الذي نسميه التنازل للماضي؛ لأنك لو نظرت إلى عدد العالم في هذا القرن، ثم نظرت إلى عدد العالم في القرن الذي مضى تجده نصف هذا العدد، وإذا نظرت إليه في القرن الذي قبله، تجده ربع تعداد السكان الحاليين. وكلما توغلت في الزمن الماضي وتذهب فيه وتبعد، يقل العدد وينتهي إلى أن نصل إلى **{نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}**، وهذا ما ذكره الله لنا، ولقائل أن يقول : كيف تكون نفساً واحدة وهو القائل : **{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}** { [الذاريات: 49]. ونقول: إن الحق سبحانه وتعالى خلق النفس الواحدة، وأوضح أيضاً أنه خلق من النفس الواحدة زوجها، ثم بدأ التكاثر . إذن فالاستقراء الإحصائي في الزمن الماضي يدل على صدق القضية . وكذلك كل شيء متكاثر في الوجود من نبات ومن حيوان . تجدها تواصل التكاثر وإن رجعت بالإحصاء إلى الماضي تجد أن الأعداد تقل وتقل إلى أن تنتهي إلى أصل منه التكاثر إنه يحتاج إلى اثنين : **{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا}** { [يس: 36]. ولماذا جاء الحق هنا بقوله : **{مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}** ولم يقل زو جين؟ أوضح العلماء أن ذلك دليل على الالتحام الشديد؛ لأننا حين نكون من نفس واحدة فكلنا - كل الخلق - فيها أبعاض من

النفس الواحدة، وقلنا من قبل : إننا لو أتينا بستيمتر مكعب من مادة ملونة حمراء مثلاً ثم وضعناها في قارورة، ثم رججنا القارورة نجد أن الستيمتر المكعب من المادة الحمراء قد ساح في القارورة وصار في كل قطرة من القارورة جزء من المادة الملونة، وهب أننا أخذنا القارورة ووضعناها في برميل، ثم رججنا البرميل جيداً سنجد أيضاً أن في كل قطرة من البرميل جزءاً من المادة الملونة، فإذا أخذنا البرميل ورميناه في البحر فسترسب المادة الملونة ليصير في كل قطرة من البحر ذرة متناهية من المادة الملونة. إذن ما دام آدم هو الأصل، وما دنا ناشئين من آدم، وما دام الحق قد أخذ حواء من آدم الحي فصارت حية، إذن فحياتها موصولة بآدم وفيها من آدم، وخرج من آدم وحواء أولاد فيهم جزء حي، وبذلك يردنا الحق سبحانه إلى أصل واحد؛ ليشير ويحرك فينا أصول التراحم والتواد والتعاطف.

ويقول سبحانه : **{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ}** والمستقر له معان متعددة يشرحها الحق سبحانه وتعالى في قرآنه . وفي قصة عرش بلقيس نجد سيدنا سليمان يقول : **{أَيُّكُمْ يَأْتِينِي يِعْرَشَهَا}** [النمل: 38].
وأجاب على سيدنا سليمان عفريت من الجن، وكذلك أجاب من عنده علم من الكتاب. ويقول الحق سبحانه : **{فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ}** [النمل: 40]. مستقر هنا إذن تعني حاضراً؛ لأن العرش لم يكن موجوداً بالمجلس بل أحضر إليه . وفي مسألة الرؤية التي شاءها الحق لسيدنا موسى عليه السلام : **{قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}** [الأعراف: 143]. ونعلم أن جبريل كان له استقرار قبل الكلام، إذن فاستقر تأتي بمعنى حضر، وتأتي مرة أخرى بمعنى ثبت . والحق يقول : **{وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}** [الأعراف: 24]. وذلك بلاغ عن مدة وجودنا في الدنيا، وكذلك يقول الحق : **{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا}** [الفرقان: 24]. إذن فالجنة أيضاً مستقر، وكذلك النار مستقر للكافرين، يقول عنها الحق : **{إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}** [الفرقان: 66]. إذن فمستقر تأتي بمعنى حاضر، أو ثابت، أو كتعبير عن مدة زمن الحياة في الدنيا، والجنة أيضاً مستقر، وكذلك النار . ولذلك اختلف العلماء ونظر كل واحد منهم إلى معنى، منهم من يقول : مستقر في الأصلاب ثم استودعنا الحق في الأرحام . ومنهم من رأى أن مستقر مقصود به البقاء في الدنيا ثم نستودع في القبور.

ونقول: إن الاستقرار أساسه قرار حضور أو ثبات، وكل شيء بحسبه، وفيه استقرار يتلوه استقرار يتلوه استقرار إلى أن يوجد الاستقرار الأخير، وهو ما يطمع فيه المؤمنون.

وهذا هو الاستقرار الذي ليس من بعده حركة، أما الاستقرار الأول في الحياة فقد يكون فيه تغير من حال إلى حال، لقد كنا مستقرين في الأصلاب، ثم بعد ذلك استودعنا الحق في الأرحام، وكنا مستقرين في الدنيا ثم استودعنا في القبور. حتى نستقر في الآخرة. إن كل عالم من العلماء أخذ معنى من هذه المعاني. والشاعر يقول:

وما المال والأهلون إلا ودائع ** ولا بد يوماً أن ترد الودائع

ونلاحظ أن هناك كلمة **مُسْتَقَرٌّ** وكلمة مستودع، ومستودع هو شيء أوقع غيره عليه أن يودع. ولكن **مُسْتَقَرٌّ** دليل على أن المسألة ليست خاضعة لإرادة الإنسان. فكل واحد منا **مُسْتَقَرٌّ** به.

ويقول الحق: **{قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}** والتفصيل يعني أنه جاء بالآيات مرة مفصلة ومرّة مجملة؛ لأنّ الأفهام مختلفة، وظروف الاستقبال للمعاني مختلفة، فتفصيل الآيات أريد به أن يصادف كل تفصيل حالة من حالات النفس البشرية؛ لذلك لم يترك الحق لأحد مجالاً في ألا يفقه، ولم يترك لأحد مجالاً في ألا يتعلم، ونلاحظ أن تذييل الآيتين المتتابعيتين مختلف؛ فهناك يقول سبحانه: **{قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** [الأنعام: 97]. وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى: **{قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}** [الأنعام: 98].

والفقه هو أن تفهم، أي أن يكون عندك ملكة فهم تفهم بها ما يقال لك علماً، فالفهم أول مرحلة والعلم مرحلة تالية. وأراد الحق بالتفصيل الأول في قوله: **{لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** الدعوة للنظر في آيات خارجة عن ذات الإنسان، وهنا أي في قوله سبحانه: **{لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}** لفت للنظر والتدبر في آيات داخلية في ذات الإنسان. اهـ.

وقال ابن كثير(275)

(275) تفسير القرآن العظيم لابن كثير

يقول تعالى : **"وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة"** يعني : آدم عليه السلام ، كما قال **"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء"** (النساء : 1) . وقوله : فمستقر اختلفوا في معنى ذلك ، فعن ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وقيس بن أبي حازم ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك وقتادة والسدي ، وعطاء الخراساني : فمستقر أي : في الأرحام قالوا - أو : أكثرهم ومستودع أي : في الأصلاب . وعن ابن مسعود وطائفة عكس ذلك . وعن ابن مسعود أيضا وطائفة : فمستقر في الدنيا ، ومستودع حيث يموت . وقال سعيد بن جبير : فمستقر (في الأرحام وعلى ظهر الأرض ، وحيث يموت . وقال الحسن البصري : المستقر الذي قد مات فاستقر به عمله . وعن ابن مسعود : ومستودع في الدار الآخرة . والقول الأول هو الأظهر ، والله أعلم .

تفسير الآية : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (6) .

تفسير البغوي (276) : قوله تعالى : **"وما من دابة في الأرض"** أي : ليس دابة ، " من " صلة . والدابة : كل حيوان يدب على وجه الأرض . وقوله **"إلا على الله رزقها"** أي : هو المتكفل بذلك فضلا وهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق . وقيل : " على " بمعنى : " من " أي : من الله رزقها . وقال مجاهد : ما جاءها من رزق فمن الله عز وجل ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ، **"ويعلم مستقرها ومستودعها"** : قال ابن مقسم : ويروى ذلك عن ابن عباس ، مستقرها : المكان الذي تأوي إليه ، وتستقر فيه ليلا ونهارا ، ومستودعها : الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : المستقر أرحام الأمهات ، والمستودع المكان الذي تموت فيه ، وقال عطاء : المستقر : أرحام الأمهات والمستودع : أصلاب الآباء . ورواه سعيد بن جبير ،

وعلي بن أبي طلحة ، وعكرمة عن ابن عباس . وقيل : المستقر الجنة أو النار ،
والمستودع القبر ، لقوله تعالى في صفة الجنة والنار " : حسنت مستقرا ومقاما "
(الفرقان - 76 ، "كل في كتاب مبین" أي : كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن
خلقها

تفسير ابن كثير

(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في
كتاب مبین (6)) أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات ، من سائر دواب
الأرض ، صغيرها وكبيرها ، بحريها ، وبريها ، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها أي
: يعلم أين تنتهي سيرها في الأرض ، وأين تأوي إليه من وكرها ، وهو
مستودعها . وقال علي بن أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس : ويعلم مستقرها
أي حيث تأوي ومستودعها حيث تموت . وعن مجاهد : مستقرها : في الرحم
ومستودعها : في الصلب ، كالتي في الأنعام : وكذا روي عن ابن عباس
والضحك ، وجماعة .

التوجيه العلمي

بعد معرفة معنى الكلمتين في اللغة العربية ، وعرفه أقوال المفسرين لهما نلجأ
إلى التوجيه العلمي لمعنى مستقر ، ومستودع

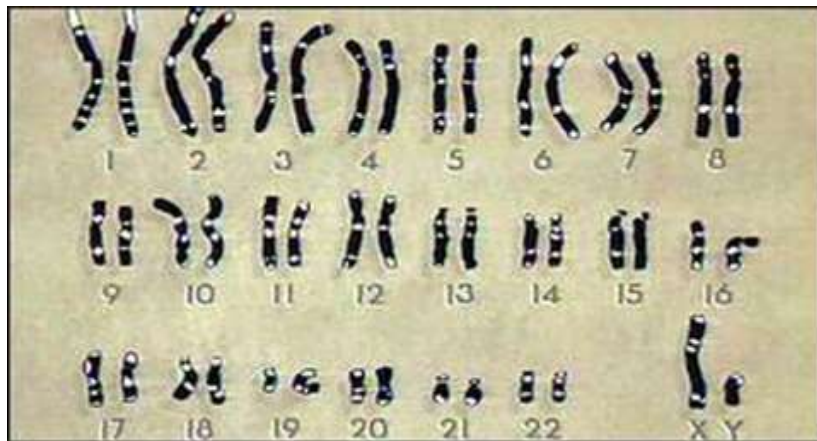
وتبين من آراء العلماء والمفسرين أنهم ركزوا القول على مآل النفس البشرية
فمنهم من قال مستقر في الأرحام ومستودع في الأصلاب ومنهم من قال مستقر
في القبور ، ومنهم من قال مستقر في الجنة أو النار وكل هذه الأقوال تشير إلى
ما تؤول إليه النفس البشرية . لكن بتدقيق النظر والاستدلال فأنى أجد أن الآية
تتكلم عن النشأة من النفس الواحدة وأن هذه النفس الواحدة هي نفس آدم
عليه السلام ولها مستقر ومستودع لصفات الجنس البشري وتعالوا بنا إلى بيان
ذلك

قول الحق سبحانه وتعالى (هو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هي أينا آدم
عليه السلام حتى أمنا حواء فهي منه (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها) النساء 1 . فيكون آدم وحواء عليهما السلام مستودع للجنس

البشرى. وتكون جميع خلايا آدم عليه السلام مستودع للصفات الوراثية للجنس البشرى من النوع الذكر ، وكل خلية من جسده (والذى يحتوى على 100 ترليون خلية) عليها 46 صبغى (مشيج) ، منهما صبغيان يحددان النوع الذكر والأنثى (YX) أى صبغيا يحملون صفات الجنس البشرى وصبغيات يحددان النوع ذكرا كان أو أنثى . واختزل الله عز وجل هذا العدد إلى 23 صبغيا وجعلها فى النطاق المنوية أى نصف ما على بقية خلايا الجسم من صبغيات فيكون العدد 22 صبغيا لصفات الجنس البشرى ، وصبغيا لتحديد النوع (الذكر أو الأنثى) . ومن آدم عليه السلام انتقلت هذه الصفات إلى أمنا حواء وهى مستودعة فى صبغيات خلاياها وكل خلية منهم تحتوى 46 صبغيا ، وجعل الله عز وجل الصفات التى تحدد معالم الأنثى سائدة فى أمنا حواء عليها السلام فى نطاق بويضاتها والتى تحتوى على 23 صبغيا منها صبغى لتحديد الجنس وهو (X).

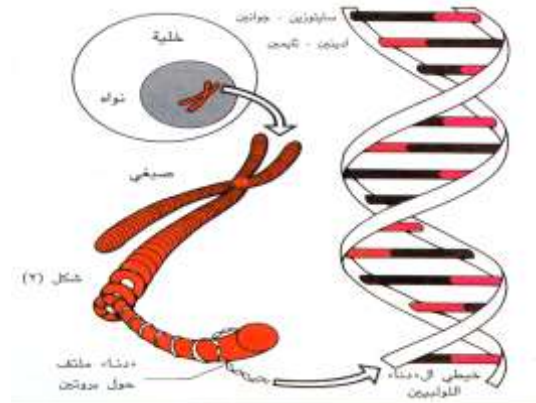
ولنأتى إلى التفصيل لبيان أن آدم عليه السلام كان مستقرا ومستودعا للجنس البشرى:

1 - إن الله عز وجل جعل صفات الجنس البشرى فى جميع أنوية خلايا آدم عليه السلام التى تحتوى على 46 صبغيا وكل صبغى عليه الحمض النووى الذى يحتوى على الجينات التى تحدد الصفات الوراثية ، وبهذا كان آدم عليه السلام هو المقر الرئيسى الثابت لصفات الجنس البشرى وهو مستودع لهذه الصفات البشرية



شكل (1/27) يبين 23 زوج (46) من الصبغيات عليها صفات الجنس البشرى للذكر ، وزوج منهم هو الذى يحدد النوع ذكرا أو أنثى وهو الزوج رقم (23)

2- ولومات آدم قبل خلق حواء منه لانقطعت صفات الجنس البشرى واندرت ، ولكن اقتضت حكمة الله عز وجل أن يخلق من ضلع آدم أمنا حواء وبذلك انتقلت هذه الصفات الوراثية من آدم إلى حواء فى جميع أنوية خلاياها التى تحتوى 46 صبغيا وكل صبغى يحتوى على الحمض النووى الذى يحتوى على الجينات التى تحدد الصفات الوراثية ، وبهذا تكون حواء مقرا ثانيا لصفات الجنس البشرى ، وهى مستودع أيضا للصفات البشرية . ويكون آدم وحواء عليهما السلام مستودعا لأن الصفات الوراثية سوف تنتقل منهما إلى الذرية من بعدهما . إذن آدم عليه السلام هو المقر الرئيسى للجنس البشرى وهو مستودع له لأن الصفات الوراثية للجنس البشرى انتقلت منه إلى غيره وهى أمنا حواء وهذا ما بيته الآية الكريمة (هو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) فأدم عليه لسلام مستقرا ومستودعا للصفات الوراثية للجنس البشرى



شكل (2/27) يبين نواة الخلية التى تحتوى على الصبغيا 46 وكل صبغى عليه الحمض النووى الذى يحتوى على صفات الجنس البشرى

3- ومع اختلاف لبعض الجينات فى الشكل الظاهرى نتيجة لتأثير البيئة يكون اختلاف لون البشرة واتساع حدقة العين أو لونها أو لون الشعر وبأتى باختلاف

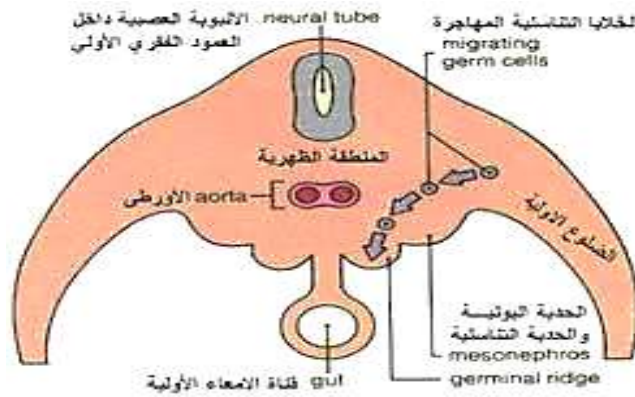
الجنسيات مع احتفاظ الجميع بالصفات الأساسية للجنس البشرى فلا نرى انسانا بصفات القرد كما ادعى داروين فى نظريته للنشوء والإرتقاء



شكل (3/27) يبين اختلاف أجناس البشر على حسب لون البشرة أو العين أو الشعر

4 - وخلق الله عز وجل فى آدم عليه السلام خلايا جنسية أولية وجعلها فى صلبه (ظهره)، وكذلك خلق الله عز وجل فى حواء خلايا جنسية أولية وجعلها فى صدرها (بين ترائبها) . وجعل الله عز وجل الصفات الوراثية للجنس البشرى من آدم عليه السلام ومن حواء عليها السلام مستودعة فى هـ هذه الخلايا الجنسية الأولى فى بداية النشأة ، وكل من هذه الخلايا الجنسية الأولى تحتوى على 46 صبغيا . ولذلك قال الله تعالى فى سورة الأعراف (**واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا** ... (172) ، وقوله سبحانه وتعالى فى سورة الطارق (**فلينظر الإنسان مم خلق (5) خلق من ماء دافق (6) يخرج من بين الصلب والترائب (7)**) والكلام هنا على أصل الإنسان . وبهذا كانت الخلايا الجنسية الأولى التى فى صلب آدم عليه السلام وبين ترائب حواء عليها السلام مستقرا للصفات الوراثية للجنس البشرى وأيضا مستودعا لها حيث تنتقل منها الصفات الوراثية إلى غيرها.

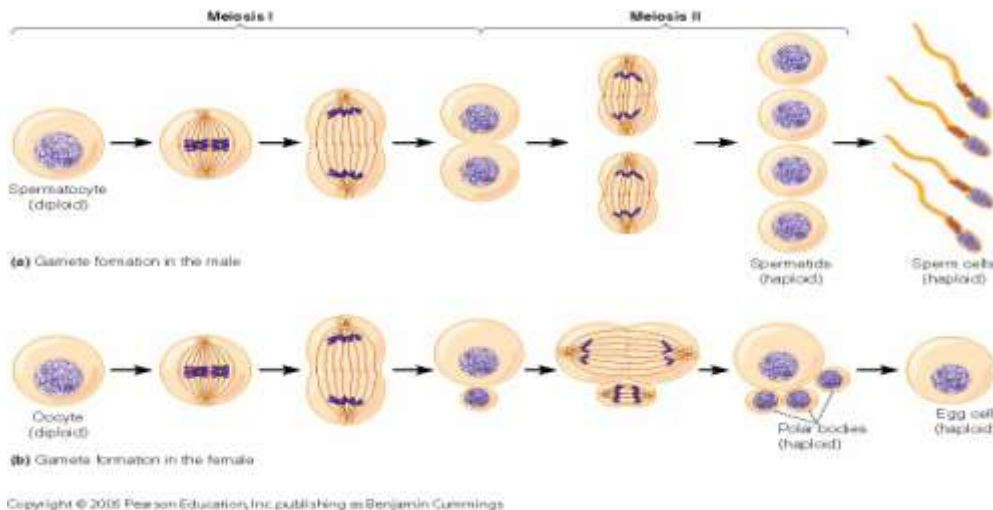
5 - وهذا يبين أن صلب الرجل وصدر المرأة (يخرج من بين الصلب والترائب) هما مستقرا للخلايا الجنسية الأولى التى سوف تهاجر إلى الخصيتين أو المبيضين وفيهما تتكون النطاف المنوية والبويضات فتكون الخصيتين والمبيضين مستقرا مؤقتا ومستودعا لتدفق الحيوانات المنوية والبويضات ، وهذا ما اكتشفه علماء الأجنة فى خلق الجنين فى مراحل الأولى كما فى شكل (4/27).



شكل (4/27) يبين الخلايا الجنسية الأولية التي سوف تهاجر إلى الخصيتين أو المبيضين حسب تكوين جنس الجنين في رحم أمه

6 - وبهذا تكون الخصيتان مستقرتا للحيوانات المنوية التي تحمل الصفات الوراثية للجنس البشري ، ويكون المبيضان أيضا مستقرتا للبويضات التي تحمل صفات الجنس البشري ، وبهذا كانت الخصيتان لآدم عليه السلام ، والمبيضان لحواء عليها السلام مستقرتا للصفات الوراثية ومستودعا للذرية من بعدهما .

7 - وفي كل من الخصيتين والمبيضين توجد الخلايا الجنسية والتي تكون النطاف ويتم اختزال عدد الصبغيات في كل من الحيوان المنوي والبويضة إلى 23 صبغيا وبذلك تحتوى كل من النطاف المنوية ، والبويضات على 23 صبغيا .



شكل (5/27) يبين انقسام الخلايا الجنسية لتعطى النطاف المنوية ونطاف البويضات في أعلى الصورة تكوين نطاف الحمنويات وفي أسفلها تكوين نطاف البويضات

8 وفى هذه النطفاء سواء التى عند آدم (الحيوانات المنوية) أو حواء (البويضات) 22 صبغيا يتحدد بهم صفات الجنس البشرى ، وصبغيا واحدا عند كل منهما يحدد النوع (ذكرا أم أنثى) 9 أما عن الصبغى الذى به يتم تحديد النوع (ذكرا أو أنثى) والتى استودعها الله النطفاء المنوية فى آدم عليه السلام فيكون نصف عددها يحتوى على الصبغى (Y) والنصف الآخر على الصبغى (X) فتكون النطفاء Y+ 22 بنسبة 50% ، + 22 X بنسبة 50%

10 -وأما عن الصبغى الذى به يتم تحديد النوع والتى استودعها الله فى بويضات حواء عليها السلام فجميعها يحتوى الصبغى (X) وبذلك تكون جميع البويضات تحتوى على + 22 X بنسبة 100%

11 -وتكون أول ذرية من آدم وحواء عليهما السلام بعد التزاوج واختلاط صبغيات النطفة من آدم (الحيوان المنوى الذى يحمل 23 صبغيا) مع النطفة من حواء (البويضة التى تحمل 23 صبغيا) فى قناة المبيض (قناة فالوب) لتكوين خلايا الجنس البشرى التى تحتوى على 46 صبغيا ، ويكون الجنين ذكرا لو احتوى على الصبغيات 44 + XY ، وتكون أنثى لو احتوت على الصبغيات 44 + XX. ويكون الرحم مستقرا لتكوين الجنين ومستودعا لهذا الجنين الذى يحتوى أما خصيتين إن كان ذكرا أو مبيضين إن كانت أنثى.



شكل (6/27) الأرحام مستقر ومستودع للأجنة ولسففات الجنس البشرى

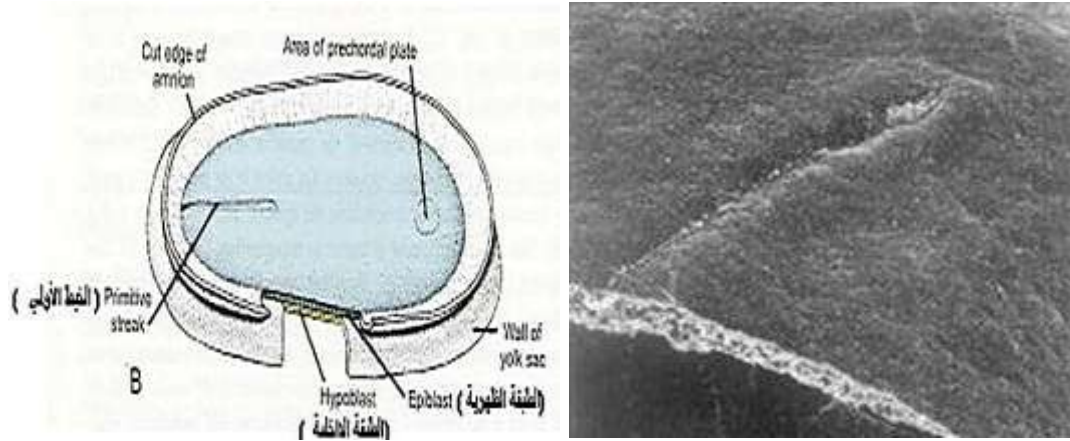
12 - وبهذا تكون الذرية جيلا بعد جيل مستقرا للصفات الوراثية للجنس البشرى ومستودعا لها للأجيال القادمة ولذلك قال الله عز وجل (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) سورة النساء 1

13 - وقد استودع الله عزوجل في آدم وحواء عليهما السلام وفي ذريتهما من بعدهما عجب الذنب والذي منه تثبت الأجسام بعد موتها وبلاها في التراب فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بين النفختين أربعون . قال: أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيت. قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. أي أن أبا هريرة أبي أن يحدد الأربعين هل هي يوماً أو شهراً أو سنة (قال: (أي أبو هريرة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم) : " ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة " (277) وأخرج الإمام مسلم في صحيحه مثله عن أبي هريرة وجاء فيه : (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب) وفي لفظ آخر له : " وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة " (278) وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً: " إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال عجب الذنب".



شكل (7/27) يبين عظم العصعص الذي في نهايته عجب الذنب

²⁷⁷ (صحيح البخاري، كتاب التفسیر سورة الزمر الآية 86 ج551/8 وسورة النبا الآية 18 ج689/8 الطبعة السلفية بمصر تصوير دار المعرفة بيروت)
²⁷⁸ (صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، كتاب الفتوح ج91، 92).



شكل (8/27) يبين القرص الخلوي في نهاية عظم العنق والذي يشكل عجب الذنب ويظهر في الصورة الأولى صورة بالمجهر الإلكتروني للخيوط الأولى والعقدة الأولي آخر عظمه أسفل العمود الفقري مكوناً عجب الذنب إذن هذا الخيط الأولي وعقدته الأولى هما عجب الذنب. بينما يظهر في الصورة الثانية القرص الجنيني مكون من طبقتين ويظهر الخيط الأولي في مؤخرة الطبقة الظهرية الأبييلاس

14 - واستودع الله عز وجل في ذرية آدم وحواء خلايا جزعية وجعلها مستقرة لصفات الجنس البشري ، واستودع فيها قدرتها على الإنقسام والتميز إلى خلايا وأنسجة وأجهزة وجعل لها قدرة على تجديد الخلايا التالفة في جسم الإنسان وهي خلايا تحتوي على 46 صبغياً . والعلماء الآن يركزون أبحاثهم على هذه الخلايا التي تتكاثر وتميز إلى أنسجة الجسم المختلفة من أجل علاج الأنسجة التالفة بالجسم.

15 - وكل خلية في جسم الإنسان (الذي يحتوي على 100 تريليون خلية) هي في الحقيقة مستقر ومستودع وبالمثال يتضح المقال ، فمثلا خلايا إفراز الأنسولين في البنكرياس هي خلايا تحتوي أنويتها على 46 كروموسوم (صبغى) ، وعلي هذه الصبغيات كل الصفات البشرية لهذا الإنسان ، ولكن كل الجينات في حالة خمول بينما الجينات المسؤولة عن إنتاج الأنسولين وحين في حالة نشاط إذا احتاج الجسم إلى الأنسولين. إذا هذه الخلايا تحتوي على جميع صفات الجنس البشري لهذا الجسد فهي مستودع ومستقر لهذه الصفات بالإضافة إلى أنها مستقر ومستودع لهرمون الأنسولين . وقس على ذلك كل خلايا الجسم فالخلايا التي تفرز الهرمونات أو الإنزيمات أو البروتينات على اختلاف أنواعها فكل خلية منهم

تحتوى على 46 صبغى عليهم صفات الإنسان وتفرز الهرمون أو الإنزيم أو البروتين المسؤلة عنه.

16 - بل كل أعضاء الجسم فى الحقيقة هى مستقر ومستودع ألا ترى الكبد فهو مستقر للجليكوجين والصفراء ومستودع لهما ، وعند احتياج الجسم لهما فيتحول الجليكوجين إلى سكر الجلوكوز ليمد الجسم بالطاقة ، وتذهب الصفراء إلى الإثنى عشر لتفتيت الدهون ، ومع ذلك كل خلايا الكبد تحتوى على 46 صبغى عليها صفات هذا الجسم الإنسانى ، وقس على ذلك باقى أعضاء الجسم فالمخ مستقر ومستودع للمعلومات والذكريات ويمكن استدعاؤها منه بسهولة ألا ترى الحفاظ لكتاب الله تعالى الذين حفظوه بالتلقى دون أن يقرؤه كفاقدى البصر هم أسرع استدعاءا للقرآن من المخ عن غيرهم .

17 - بل أجهزة الجسم على اختلاف وظائفها هى فى الحقيقة أيضا مستقر ومستودع فمثلا الجهاز الهضمى مستقر للغذاء الذى يدخله لفترة الإخراج وهو مستودع لما يمتص منه من غذاء مفيد للجسم ، وكذلك الجهاز الدورى فهو مستقر ومستودع للدم ومشتقاته يحتفظ به ولو حدث نزيف شديد مات الإنسان . فضلا عن ذلك جميع خلايا الأجهزة تحتوى على 46 صبغى عليها صفات هذا الإنسان

معانى أخرى للمستقر والمستودع باعتبار ما تؤول إليه النفس البشرية:

1 - وجعل الله عز وجل الأرض قرارا لكل دابة لقوله عز وجل (**أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (61)**) سورة النمل ، كما جعلها أيضا مستودع للموتى فى القبور لحين اخراجهم للبعث والنشور والحساب والجزاء

2 - وجعل الله عز وجل الدنيا مستقر وممر إلى الآخرة وجعلها مستودع للأرزاق لما فيها من مخلوقات لقوله عز وجل : (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ** **إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقَهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)**)

3 - وجعل الله عز وجل النار مستقر لأهلها والجنة مستقر لأصحابها

أوجه الإعجاز العلمى

1 - أن الله عز وجل أخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والأمة من بعده بحقيقة علمية وهى أن آدم عليه السلام هو أصل البشرية وأنه مستقر لصفات الجنس البشرى وقد أثبت العلم الإحصائى والبيولوجى أن أصل البشرية هو آدم

- عليه السلام ، كما أخبرت بذلك الكتب التى أنزلها الله عز وجل على صفوة أنبيائه ورسله وبلغوها للناس جيلا بعد جيل .
- 2- وأن آدم عليه السلام أيضا مستودع لهذه الصفات لأنه نقلها إلى أمنا حواء ، ومنهما انتقلت هذه الصفات إلى الذرية من بعدهما وما زالت تنتقل وسوف تنتقل إلى أن تقوم الساعة ويعرض الناس للحساب والجزاء
- 3- أن الأضلاب للرجال والصدور للنساء هى مستقر للخلايا الجنسية الأولية وهى أيضا مستودعا لصفات الجنس البشرى
- 4- أن الخصيتين والمبيضين مستقرا للنطاف المنوية والبويضات وهما أيضا مستودعا لصفات الجنس البشرى لاحتوائهما على هذه النطاف
- 5- أن الأرحام مستقر للأجنة ومستودع لصفات الجنس البشرى فى هذه الأجنة
- 6- أن الخلايا والأنسجة وأجهزة الجسم كل منها مستقر ومستودع على حسب وظائفها وكل هذه الخلايا التى فى الأنسجة والأعضاء وأجهزة الجسم تحتوى على 46 صبغى عليها صفات هذا الإنسان .
- 7- بعد الممات تكون القبور مستقر للموتى ومستودع للجنس البشرى متمثلا فى عجب الذنب ال ذى لا يبلى فى التراب بل يركب منه الخلق للبعث والنشور والحساب والجزاء .
- 8- أن الجنة مستقر لأصحابها كما أن النار مستقر لأهلها
- والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

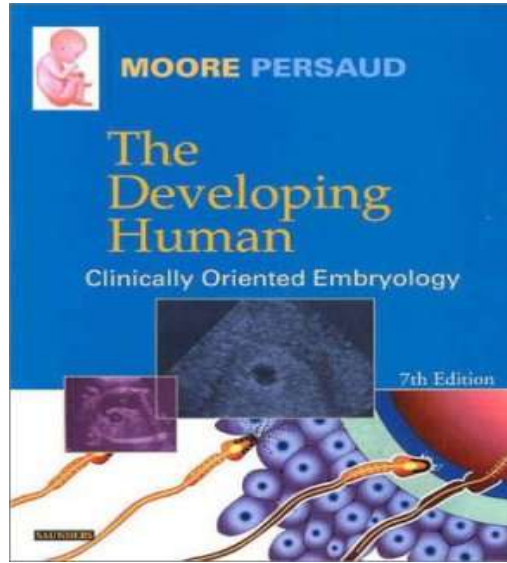
الفصل الثامن والعشرون

علماء الغرب يشيدون بآيات خلق الأجنة فى القرآن الكريم

كثير من علماء الغرب المتخصصين فى علم التشريح والأجنة منهم كيث مور ، تاجاس، وجولاي سيمبسون ، ومارشال جونسون، وبيرسووديشيدون بآيات خلق الأجنة فى القرآن الكريم وإليك عزيزى القارئ أقوالهم التى قالوها فى مؤتمرات علمية وفى كتبهم

من هو كيث مور؟

يعتبر البرفسور كيث مور أشهر عالم لعلم الأجنة والتشريح على مستوى العالم وكتابه تطور الإنسان (the developing human) هو المرجع العلمى الأول لعلم الأجنة فى كليات الطب فى جميع أنحاء العالم .وهو أستاذ علم التشريح والأجنة فى جامعات كندا وأمريكا ، واستلم الجائزة الأكثر بروزا فى حقل علم التشريح فى كندا (جى.سى.بى) جائزة جرانت من الجمعية الكندية لاختصاصى التشريح فى عام 1984 م



شكل(1/28) يبين صورة غلاف كتاب مور وپيرسود(تطور الإنسان)

كيت مور وعلم الأجنة في القرآن الكريم

عُرف مور باعتقاده أن آيات القرآن المتعلقة بعلم الأجنة تقدم دليلاً على أصله الإلهي. قال في مقالة كتبها أن "إشارات القرآن إلى تكاثر الإنسان ونموه متناثرة في القرآن"، وأن "تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بتكون الإنسان لم يكن ممكناً في القرن السابع للميلاد ، ولا حتى منذ مائة سنة. ويؤكد مور أن ما قاله القرآن عن نمو الإنسان يجعل من الواضح أن أصله إلهي (279) قائلاً: "هذا يثبت لي أنه لا بد أن محمداً كان رسولاً من عند الله". وأثارت تعليقات مور على القرآن جدلاً واسعاً لدى علماء الأجنة البارزين مثل بي زي مايرز (280) وغيره. وفي عام 2002 رفض مور مقابلة جريدة وول ستريت (281) بخصوص عمله حول الإسلام معللاً ذلك بأنه "قد مضى عشر سنوات أو 11 على عملي في القرآن"

(279) The Journal of the Islamic Medical Association, Vol.18, Jan-June 1986, pp.15-16A A
Scientist's Interpretation of References to Embryology in the Qur'an Keith L. Moore, Ph.D.,

http://scienceblogs.com/pharyngula/2010/11/islamic_apologetics_in_the_int.php (280)

(281) دانييل جولدن العلماء الغربيون يلعبون دوراً هاماً في الترويج لعلوم القرآن (بالإنجليزية). وال ستريت جورنال

قال كيث مور في المؤتمر السابع للإعجاز الطبى فى القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية 1982: إن مراحل التطور البشرى معقدة وذلك بسبب التغيرات المستمرة التى تطرأ عليه فإنه يصبح بالإمكان تبنى نظام جديد عن التصنيف الجنينى باستخدام الاصطلاحات والمفاهيم التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم والسنة ، ويتميز النظام الجديد بالبساطة والشمولية نسبة إلى انسجامه وعدم تباينه مع علم الأجنة الحالى . لقد كشفت لنا الدراسات المختلفة للقرآن والحديث من خلال جهاز كشف الأجنة - الذى يعتبر مدهشاً- أنه يدخل فى الإقرار الصحيح من علوم تأريخ علم الأجنة ، فإنه لم يكن أحد من البشر يعرف شيئاً عن تطور وتصنيف الأجنة البشرية حتى القرن العشرين ، ولهذا فإن أول من تكلم فى الأجنة البشرية القرآن الكريم ، ولا يمكن بناؤها على الأدلة العلمية للقرن السابع الميلادى ، والاستنتاج الوحيد العلمى هو أن هذه الأوصاف فى القرآن الكريم أو سنة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما كان لبشر أن يعرف هذه التفاصيل فى وقت نزول الوحي ، ولهذا فإن هذا الأمر يعتبر سبقاً علمياً فى القرآن والسنة .

وأتسائل كيف لشخص أمى يعيش فى قرون الظلام أن يتوصل لهذا العلم الحديث إلا أن يكون موحى إليه من الله . وأصبح من الواضح لدى أن هذه الآيات جاءت إلى محمد من الله لأن كل هذه المعرفة لم تكن قد اكتشفت منذ قرون عديدة سابقة وهذا يثبت لدى أن محمداً لا بد أن يكون رسولا من عند الله .

وقد أعلن إسلامه فى المؤتمر الذى عقد عام 1983 و سطر معجزات القرآن فى كتابه الجامعي الشهير تطور الإنسان (The Developing Human: Clinically Oriented Emryology) وهو أشهر كاتب تشريح فى علم الأجنة (نال به جائزة أفضل كتاب طبى لمؤلف واحد) وهذا الكتاب يُدرّس لطلاب الطب فى كليات أمريكا و كندا . وكان يتكلم فيه عن مرحلة التخليق أنها مقسمة إلى مراحل (Stages) إلا أنه تراجع عن هذا المسمى فى مرحلة التخليق الجنينى وسماها أطواراً كما جاء هذا المصطلح العلمى فى قول الله تعالى من سورة نوح (مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً)

ثم قام بإصدار نسخة من كتابه هذا بالإضافة الإسلامية (282) وهذا رابط معلومات بسيطة عن نسخة كتاب كيث مور بالإضافة الإسلامية : (دار طباعة أبي القاسم السعودية)

العالم النايلاندي البروفيسور تيجاتات تيجاسين :

البرفيسور تيجاتات تيجاسين المتخصص بعلم الأجنة هو رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي - تايلند ، وقد أدلى بشهادته بأن هذا الكلام لايمكن أن يصدر من بشر وبعد ذلك نطق بالشهادتين .وعندما أُلقيت الآيات العظيمة من سورة المؤمنون (ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين(14) سورة المؤمنون ، والتي تتكلم عن خلق الإنسان في مؤتمر الإعجاز الطبي السابع في السعودية للقرآن الكريم عام 1982 ، وكان سيادته حاضرا هذا المؤتمر ، وما أن سمع هذا الآيات حتى أعلن على الفور و بدون تردد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقال (من المستحيل أن يكون نبيكم قد عرف كل هذه التفاصيل الدقيقة عن أطوار تخلق ، وتصور الجنين ، من نفسه ولا بد أنه كان على اتصال مع عالم كبير أطلعه على هذه العلوم المختلفة ألا و هو الله)

البروفيسور : جولاي سيمبرون:

هو رئيس قسم التوليد والطب النسائي ، وأستاذ علم الوراثة الجزيئي والإنساني في كلية بايلور للطب، هيوستن، تكساس، الولايات المتحدة الأمريكية . وقد استمع إلى ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا مر بالنطفة ثتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها " وإلى ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عبد الله ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل

(282) <http://www.ahlalhadith.com/vb/showthread.php?t=214214>

الملك فينفخ فيه الروح . ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد). قال من هذين الحديثين الذين يتكلمان عن خلق الجنين فى بطن أمه : يمكننا استخلاص جدول محدد حول التطور الرئيسى للأجنة قبل 40 يوما ، وعليه اعتقد أنه لا يوجد خلاف بين المعرفة العلمية والوحى فى القرآن والحديث ، بل إن الوحى ليدعم أساليب الكشف العلمية التقليدية المعرفة الآن ، وأن القرآن جاء مؤبدا لما تطرقنا إليه مما يدل على أن القرآن هو كلام الله أ.هـ.



لقد شهد هذا العالم أنه يوجد تطابق لما جاء بالأحاديث والقرآن مع ما توصل إليه العلم الحديث وأن الآيات التى تتكلم عن خلق الجنين لم يكن يعرفها بشر فى وقت نزول القرآن الكريم مما يدل على أنها من كلام الله وأن محمدا مبلغ عن ربه.

البروفيسور بيرسود

البروفيسور بيرسود هو أستاذ علم التشريح ، وأستاذ صحة الطفل وطب الأطفال ، وأستاذ التوليد والطب النسائي ، كان رئيس قسم علم التشريح لـ 16 سنة. وهو مشهور فى حقله.



وهو المؤلف لـ 22 كتاب دراسي ونشر أكثر من 181 بحث في مجلات علمية. في عام 1991 إستلم الجائزة الأكثر بروزا التي قدّمت في حقل علم التشريح في كندا، جي. سي. بي. جائزة جرانت من الجمعية الكندية لإختصاصي التشريح قال بيرسوود كيف يمكن لشخص عادى وأمى عاش منذ 14 قرنا أن يتكلم عن أشياء علمية حديثة الاكتشاف بهذه الدقة ا لمذهلة إن هذا يدل على أن هذا القرآن الهاما أو وحيا إلهيا

الدكتور مارشال جونسون⁽²⁸³⁾:

أستاذ فخري للتشريح وعلم الأحياء التتموي في جامعة توماس جيفرسون في فيلادلفيا ، بنسلفانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية. كان أستاذ التشريح هناك ، لمدة 22 سنة ، ورئيس قسم التشريح ، ومدير للمعهد بو دانيال. وكان أيضا رئيسا لجمعية البحث في عجائب المخلوقات. له أكثر من 200 من المنشورات.

وفي عام 1982 ، أثناء المؤتمر الطبي السابع في الدمام بالمملكة العربية السعودية ، قال جونسون في عرض ورقة بحثه ما ملخصه : إن القرآن لا يصف فقط تطوير الشكل الخارجي ، بل يؤكد أيضا المراحل الداخلية التي تكون داخل الجنين ، من إنشاء وتطوير ، مع التركيز على الأحداث الكبرى المعترف بها في العلوم المعاصرة." كما قال : " بما أنني عالم ، فلا يسعني إلا أن أتعامل مع

⁽²⁸³⁾ <http://www.thetrueaman.com/site/ar/index>.

الأشياء التي يمكن أن ترى على وجه التحديد ، يمكنني أن أفهم علم الأجنة وعلم الأحياء والتنمية ، يمكنني أن أفهم الكلمات التي تترجم لي من القرآن الكريم . كما أعطيت مثلاً من قبل ، ولو أنني أنقل نفسي إلى ذلك العصر ، مع معرفتي ما أعرفه اليوم ، من وصف للأشياء ، إلا أنني لا يمكن أن أصف الأشياء التي وصفت ، حتى الآن لا أرى أي شيء يتعارض مع مفهوم أن التدخل الإلهي كان له علاقة في كتابة هذه المعلومات.

يقول الشيخ الزنداني التقينا مرة مع أحد الأساتذة الأمريكيان بروفيسور أمريكي من أكبر علماء أمريكا اسمه بروفيسور مارشال جونسون فقلنا له : ذكر في القرآن أن الإنسان خلق أطوارا فلما سمع هذا كان قاعدا فوقف وقال : أطوارا ؟! قلنا له : وكان ذلك في القرن السابع الميلادي ! جاء هذا الكتاب ليقول : الإنسان خلق أطوارا !! فقال : هذا غير ممكن .. غير ممكن .. قلنا له : لماذا تحكم عليه بهذا ؟ هذا الكتاب يقول : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ (6) سورة الزمر ، (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) سورة نوح فقعد على الكرسي وهو يقول : بعد أن تأمل : أنا عندى الجواب : ليس هناك إلا ثلاث احتمالات : الأول : أن يكون عند محمد ميكروسكوبات ضخمة .. تمكن بها من دراسة هذه الأشياء وعلم بها ما لم يعلمه الناس فذكر هذا الكلام ! الثاني : أن تكون وقعت صدفة .. وهذه جاءت صدفة الثالث : أنه رسول من عند الله قلنا : نأخذ الأول : أما القول بأنه كان عنده ميكروسكوب وآلات أنت تعرف أن الميكروسكوب يحتاج إلى عدسات وهي تحتاج للزجاج وخبرة فنية وتحتاج إلى آلات وهذه معلومات بعضها لا تأتي إلا بالميكروسكوبات الألكترونية وتحتاج كهرباء والكهرباء تحتاج إلى علم ، وهذه العلوم لا تأتي إلا من جيل سابق و لا يستطيع جيل أن يحدث هذا دفعة فلا بد أن للجيل الذي قبله كان له اشتغال بالعلوم ثم بعد ذلك انتقل إلى الجيل الذي بعده ثم هكذا ...أما أن يكون ليس هناك غير واحد فقط .. لا أحد من قبله ولا من بعده ولا في بلده ولا في البلاد المجاورة ، والرومان كذلك كانوا جهلة ما عندهم هذه الأجهزة ، والفرس والعرب كذلك ! واحد فقط لا غير هو الذي عنده كل هذه الأجهزة وعنده كل هذه الصناعات وبعد ذلك ما أعطاهما لأحد من بعده .. هذا كلام ما هو معقول ! قال : هذا صحيح صعب نقول : صدفة ..ما رأيك لو قلنا لم يذكر القرآن هذه الحقيقة في آية بل ذكرها في آيات ولم يذكرها في آية وآيات إجمالاً بل أخذ يفصل كل طور : قال : الطور الأول يحدث فيه وفيه والطور

الثاني كذا وكذا والطور الثالث .. أياكون هذا صدفة ؟ ! فلما عرضنا التفاصيل والأطوار وما في كل طور قال : الصدفة كلام غلط !! هذا علم مقصود قلنا : ما في تفسير عندك : قال : لا تفسير إلا وحي من فوق !!

الفصل التاسع والعشرون

صفات الإنسان كما بينها القرآن

اختلف العلماء خصوصا علماء النفس والاجتماع فى وصف الإنسان ، فمنهم من قال هو حيوان ناطق ، ومنهم من قال هو حيوان مفكر ، ومنهم من قال هو حيوان مبدع . وهذه التعريفات كلها فى غير محلها لأن المملكة الحيوانية تشترك مع الإنسان فيها . ها هى صفات النطق يشترك فيها كل مخلوق من الدواب التى تدب على الأرض قال الله عزوجل فى كتابه العزيز حاكيا عن سيدنا سليمان (وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16). سورة النمل ، وقال عز وجل (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) سورة النمل . وأما بقية الحواس فهى معلومة للقاصى والدانى أن كل ما يدب على الأرض يسمع ويبصر ويتذوق ويحس ويشعر ويفكر ويتحرك ولا مشاحة فى ذلك ، وليس هناك فرق بين الإنسان وبين كل ما يدب على الأرض فى هذه الحواس .

وأودع الله فى الدواب عقلا تفكر به فتسعى به على الرزق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا (284) ، فمن ذا الذى حرك فى الطيور السعى على الرزق إنه الله الذى أودع فيها عقلا تفكر به وتتحرك من خلاله . بل جعل الله للدواب التى تدب على الأرض من الأجهزة كالجهاز الهضمى والتنفسى والدورى والتناسلى والعصبى والبولى بل وجهازا للمناعة كما فى الإنسان مع بعض الاختلافات البسيطة فى التركيب وليس فى الوظيفة . وقد ثبت من تشریح العلماء لأمخاخ الحشرات أن لها مخا به مناطق للذاكرة . انظر إلى مملكة النحل عندما تخرج شغالة تستكشف الطريق للرحيق وتعود للخلية وتعطى اشارات محددة وحركات محددة لمعالم الطريق الذى ذهبت إليه وعادت منه فتخرج الشغالات

²⁸⁴ رواه الترمذى 2345 وقال حديث حسن ، وأخرجه أحمد 30/1 ، وابن ماجه 4164 ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم 318/4

إلى هذا الطريق دون أن تضلّ منهن واحدة وبذهبن إلى المكان المحدد الذي بينته الشغالة الكشافة بحركاتها وإشاراتها (285). بل نجد أن للحشرات عيوناً مركبة ليست في الإنسان ، وللطيور قوة إبصار ليست في الإنسان ، وغريزة الأمومة في المملكة الحيوانية قد تفوق التي عند الإنسان في بعض النواحي كالحماية والرعاية والتغذية.

ولكن الذي خلق الإنسان وهو رب العزة سبحانه وتعالى الذي حدد صفات ه التي يختلف بها عن غيره من المخلوقات ، وبين ذلك في القرآن الكريم ، وفيه صفات كثيرة لخلق الإنسان ، وخلقته التي يتميز بها عن غيره من المخلوقات منها : ضعيف ، ينوس ، كفور ، كنود ، قنور ، فخور ، ظلوم ، عجول ، هلوع ، جزوع ، منوع ، قنوط ، مجادل ، طاغي ، خصيم ، نسيب ، مصاهر ، منتشر ، مستعمر ، مكابد ، اجتماعي يكون الشعوب والقبائل هذه بعض الصفات المذكورة في القرآن التي وصف بها الإنسان ، واعلم ان هذه الصفات قد تكون موجودة في المسلم والكافر فهي غير مخصصة بالكافر ، قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في تفسيره لسورة الكهف : " إذا مر بك مثل هذا في القرآن الكريم (الإنسان) فلا تحمله على الكافر إلا إذا كان السياق يُعَيِّنُ ذلك، فإذا كان السياق يراد به ذلك، صار هذا عاماً يراد به الخاص، لكن إذا لم يكن في السياق ما يعين ذلك فاجعله للعموم، اجعله إنساناً بوصف الإنسانية، والإنسانية إذا غلب عليها الإيمان اضمحل مقتضاها المخالف للفطرة²⁸⁶ " أ.هـ وإليك عزيزي القارئ التفاصيل.

1. الضعف في تكوين الجسد

لقوله عز وجل : (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (28) سورة النساء ، وقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (54) سورة

²⁸⁵ كتاب (هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه براهين رسالته عبد الله بن عبد العزيز المصلح الطبعة الثالثة ص470 رابطة العالم الإسلامي- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

²⁸⁶ (<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?p=905425>)

الروم ، وقوله تعالى : **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (20)** سورة المرسلات . فصفة الضعف لازمة للإنسان من مهده إلى لحده كما بينت في هذا الكتاب ، وقد يظهر ضعفه أمام ما هو أضعف منه ألا ترى الفيروسات وهي كائنات صغيرة متناهية الصغر لو أردنا أن نراها بالعين المجردة علينا أن نكبر صورتها تحت الميكروسكوب الالكترونى مليون مرة ، ومع ذلك تفتك بالإنسان فى أيام كفيروس الإيبولا ، أو تسبب له عجزا كفيروس شلل الأطفال ، أو تدمر جهازه المناعى فلا يقدر على مقاومة أضعف أنواع البكتريا والفطريات كفيروس الإيدز . قس على ذلك ضعفه أمام البكتريا والفطريات والطحالب الممرضة ، وضعفه أمام الحشرات السامة كالعناكب ، وضعفه أمام الزواحف كالثعابين والتماسيح ، وضعفه أمام الحيوانات السريعة

2. الهلع والجزع عند الشر والمنع عند الخير:

لقوله عز وجل : **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)** سورة المعارج . هكذا حال الإنسان جزوعا عند الشر ، منوعا عند الخير وهما صفتان لانهما فى معظم المخلوقات الأخرى سوى الإنسان لحرصه على الدنيا .

قال الإمام بن كثير فى تفسيره لهذه الآيات: يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدينية) : **إن الإنسان خلق هلوعا** (ثم فسره بقوله (: **إذا مسه الشر جزوعا** (أي : إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير **وإذا مسه الخير منوعا** (أي : إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ، ومنع حق الله فيها . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن علي بن رباح : سمعت أبا يحدث عن **عبد العزيز بن مروان بن الحكم** قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : **شر ما فى رجل شح هالع ، وجبن خالع .** " ورواه أبو داود ، عن عبد الله بن الجراح ، عن أبي عبد الرحمن المقرئ به ،

وليس لعبد العزيز عنده سواه . ثم قال : (**إلا المصلين**) أي : **الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه** ، وهداه إلى الخير وبسر له أسبابه ، وهم المصلون (**الذين هم على صلاتهم دائمون**) (قيل : معناه يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم . قاله ابن مسعود ومسروق **إبراهيم النخعي** . وقيل : المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع ، كقوله) : **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** [(المؤمنون : 1 ، 2] . قاله عتبة بن عامر . ومنه الماء الدائم ، أي : الساكن الراكد . وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا دأبوا عليه وأثبتوه ، كما جاء في الصحيح **عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " : أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل . " وفي لفظ : " ما دأب عليه صاحبه " ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا دأب عليه . وفي لفظ : أثبتته ، وقال قتادة في قوله) : **الذين هم على صلاتهم دائمون** (ذكر لنا أن دانيال عليه السلام ، **نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم** فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن . وقوله) : **والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** (أي : في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات . وقد تقدم الكلام على ذلك في " سورة الذاريات . " وقوله) : **والذين يصدقون بيوم الدين** (أي : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ؛ ولهذا قال) : **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** أي : خائفون وجلون ، (**إن عذاب ربهم غير مأمون**) (أي : لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى . وقوله : **والذين هم لفروجهم حافظون** أي : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله [فيه] ولهذا قال : **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم** (أي : من الإماء ،) **فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** وقوله) : **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** (أي : إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يخذروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها**

صفات المنافقين ، كما ورد في الحديث الصحيح " : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " . وفي رواية : " إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر . " وقوله (: **والذين هم بشهاداتهم قانمون** (أي : محافظون عليها لا يزيدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ،) **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** (البقرة : 283).

قال صاحب الظلال : لكأنما كل كلمة في هذه الآيات لمسة من ريشة مبدعة تضع خطأ في ملامح هذا الإنسان . حتى إذا اكتملت الآيات الثلاث القصار المعدودة الكلمات نطقت الصورة ونبضت بالحياة . وانتفض من خلالها الإنسان بسماته وملامحه الثابتة . هلوعا . جزوعا عند مس الشر ، يتألم للذعته ، ويجزع لوقعه ، ويحسب أنه دائم لا كاشف له . ويظن اللحظة الحاضرة سرمدًا مضروبًا عليه ؛ ويحبس نفسه بأوهامه في قمقم من هذه اللحظة وما فيها من الشر الواقع به . فلا يتصور أن هناك فرجا ؛ ولا يتوقع من الله تغييرا . ومن ثم يأكله الجزع ، ويمزقه الهلع . ذلك أنه لا يأوي إلى ركن ركين يشد من عزمه ، ويعلق به رجاءه وأمله . . منوعا للخير إذا قدر عليه . يحسب أنه من كده وكسبه فيضن به على غيره ، ويحتججه لشخصه ، ويصبح أسير ما ملك منه ، مستعبدا للحرص عليه ! ذلك أنه لا يدرك حقيقة الرزق ودوره هو فيه . ولا يتطلع إلى خير منه عند ربه وهو منقطع عنه خاوي القلب من الشعور به . . فهو هلووع في الحالتين . . هلووع من الشر . هلووع على الخير . . وهي صورة بائسة للإنسان ، حين يخلو قلبه من الإيمان . ومن ثم يبدو الإيمان بالله مسألة ضخمة في حياة الإنسان . لا كلمة تقال باللسان ، ولا شعائر تعبدية تقام . إنه حالة نفس ومنهج حياة ، وتصور كامل للقيم والأحداث والأحوال . وحين يصبح القلب خاويًا من هذا المقوم فإنه يتأرجح ويهتز وتتأوه الرياح كالريشة ! ويبت في قلق وخوف دائم ، سواء أصابه الشر فجزع ، أم أصابه الخير فمنع . فأما حين يعمره الإيمان فهو منه في طمأنينة وعافية ، لأنه متصل بمصدر الأحداث ومدبر الأحوال ؛ مطمئن إلى قدره شاعر برحمته ، مقدر لابتنائه ، متطلع دائما إلى فرجه من الضيق ، ويسره من العسر . متجه إليه بالخير ، عالم أنه ينفق مما رزقه ، وأنه مجزي على ما أنفق في سبيله ، معوض عنه في الدنيا والآخرة . . فالإيمان كسب في الدنيا يتحقق قبل جزاء الآخرة ، يتحقق بالراحة والطمأنينة والثبات والاستقرار طوال رحلة الحياة الدنيا

وصفة المؤمنين المستثنين من الهلع ، تلك السمة العامة للإنسان ، يفصلها السياق هنا ويحددها : **(إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون)** . والصلاة فوق أنها ركن الإسلام وعلامة الإيمان ، هي وسيلة الاتصال بالله والاستمداد من ذلك الرصيد . ومظهر العبودية الخالصة التي يتجرد فيها مقام الربوبية ومقام العبودية في صورة معينة . وصفة الدوام التي يخصصها بها هنا : **(الذين هم على صلاتهم دائمون)** . تعطي صورة الاستقرار والاستمرار ، فهي صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل وهي صلة بالله مستمرة غير منقطعة . . . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل شيئاً من العبادة أثبتته - أي داوم عليه - وكان يقول : " وإن أحب الأعمال إلى الله تعالى ما دام وإن قل " . . . لملاحظة صفة الاطمئنان والاستقرار والثبات على الاتصال بالله ، كما ينبغي من الاحترام لهذا الاتصال . فليس هو لعبة توصل أو تقطع ، حسب المزاج ! **(والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)** . وهي الزكاة على وجه التخصيص والصدقات المعلومة القدر . . وهي حق في أموال المؤمنين . . أو لعل المعنى أشمل من هذا وأكبر . وهو أنهم يجعلون في أموالهم نصيباً معلوماً يشعرون أنه حق للسائل والمحروم⁽²⁸⁷⁾

فيا عجباً لهذا الإنسان الجزوع المنوع لو نظر نظرة تأمل لوجد إن الكون كله مسخر لخدمته دون أن يطلب على ذلك أجراً منه . وبالمثال يتضح المقال ، إن مملكة النحل تعمل لخدمة الإنسان ، وتأمل معي قول الله عز وجل في سورة النحل لكى تتف على هذه الحقيقة **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)** ، فهذا وحى من الله عز وجل للنحل أن تتخذ بيوتها لها من الجبال والشجر ومما يعرش الناس به بيوتهم وهذه هي أماكن مصانعها للعسل ، ثم أمرها الله عز وجل أن تخرج من هذه البيوت لتسلك الطرق التي ذللها الله عز وجل لها بسهولة ويسر للحصول على الرحيق ثم تعود إلى بيوتها ومصانعها لتصنع شراباً يخرج من بطونها فيه شفاء للناس . إنها تعمل طواعية دون أن تأخذ أجراً على ذلك آتوني بمجموعة من الناس تكذب وتكده وتعمل

²⁸⁷ (تفسير سورة المعارج - فى ظلال القرآن

لخدمة غيرها - دون صلة للقرابة بينهم - ولا تأخذ أجرا على ذلك ؟ ولذلك تأمل نهاية الآية الكريمة **(إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)** فلا بد من التفكير والتدبر والتأمل فى هذا . وقس على ذلك ما يخرج من بطون الأنعام من لبن خالص سائغ للشاربين يقول تعالى فى سورة النحل **(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (66))** فهل طلبت الأنعام يوما ما أجرا على ذلك أو امتنعت يوما ما عن ذلك ؟

3. القدرة على الانتشار:

لقوله عز وجل : **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20))** وهذه ميزة للإنسان دون غيره وهى القدرة على الانتشار ، إن بنى آدم عليه السلام انتشروا فى ربوع الأرض فى قاراتها ودولها وبيدائها ونجوعها وبراريها وسواحلها وفى كل مكان منها نجد الإنسان ، ولا نجد هذا فى المملكة الحيوانية بل كل فصيلة منها لها أماكن تعيش فى البيئة التى تناسبها ولا تتواجد فى غيرها إلا نادرا كما فى حال الهجرة للتزاوج ثم تعود إلى موطنها الأصلي كما الحال فى بعض الطيور والأسماك

قال بن كثير: يقول تعالى : **(ومن آياته)** الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ، **(ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)** ، فأصلكم من تراب ، ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقه ، ثم مضغة ، ثم صار عظاما ، شكله على شكل الإنسان ، ثم كسا الله تلك العظام لحما ، ثم نفخ فيه الروح ، فإذا هو سميع بصير . ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته ح تى آل به الحال إلى أن صار بيني المدائن والحصون ، ويسافر فى أقطار الأقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ويتكسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ، ودهاء ومكر ، ورأي وعلم ، واتساع فى أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه . فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم فى فنون المعاش والمكاسب ، وفاوت بينهم فى العلوم والفكرة ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة ؛ ولهذا قال تعالى **(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) .**

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد وغندر ، قالا حدثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ، وبين ذلك(288) .

فالإنسان مدنى بطبعه يميل إلى تعمير الأرض فيبنى ويشيد البيوت والقصور والمصانع والشركات والمؤسسات إلى غير ذلك لقول الله عز وجل (وَالَّذِي تَمْوَدَّ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) سورة هود . والإنسان مستعمر فى الأرض طالب لعمارتها ، و هو بانى الحضارات وله تاريخ مدون منذ القدم وهذا ما لا يقدر عليه باقى المخلوقات على الأرض.

4. نسيب مصاهر

لقوله عز وجل : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) سورة الفرقان وهذه الصفة هى من أهم ما يتميز به الإنسان ، أن جعله الله عز وجل نسبا وصهرا للترابط الأسرى والمجتمعى . ولا نجد هذا فى المملكة الحيوانية.

قال بن كثير عليه رحمة الله تعالى : وَقَوْلُهُ تَعَالَى : " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا " الآية أَي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ضَعِيفَةٍ فَسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ وَجَعَلَهُ كَامِلَ الْخَلْقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَى كَمَا يَشَاءُ " فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا " فَهُوَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ وَلَدَ نَسِيبٌ ثُمَّ يَتَزَوَّجُ فَيَصِيرُ صِهْرًا يَصِيرُ لَهُ أَصْهَارُ وَأَخْتَانُ وَقَرَابَاتُ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا " .

5. القدرة على تكوين الشعوب والقبائل :

²⁸⁸ (ورواه أبو داود والترمذي من طرق ، عن عوف الأعرابي، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

لقوله عز وجل " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " (الحجرات 13) هكذا حال الإنسان بعد الإنتشار وبالميزة السابقة وهى جعله نسبا وصهرا ، فإذا به يكون ال شعوب والقبايل . فهذه أجناس شتى من بنى البشر منها العرب ، والأرمن ، والترک ، والفرس ، والإفرنج إلى غير ذلك .

قال بن كثير: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا لِلنَّاسِ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَهَمَّا آدَمُ وَحَوَّاءُ وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَهِيَ أَعَمُّ مِنَ الْقَبَائِلِ وَبَعْدَ الْقَبَائِلِ مَرَاتِبٌ أُخْرَى كَالْفَصَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَالْعِمَائِرِ وَالْأَفْخَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالشُّعُوبِ بَطُونُ الْعَجَمِ وَبِالْقَبَائِلِ بَطُونُ الْعَرَبِ كَمَا أَنَّ الْأَسْبَاطَ بَطُونُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ لَخَّصَتْ هَذَا فِي مُقَدِّمَةِ مُفْرَدَةٍ جَمَعْتَهَا مِنْ كِتَابِ الْأَشْبَاهِ لِأَبِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَمِنْ كِتَابِ " الْقَصْدِ وَالْأَمَمِ فِي مَعْرِفَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ " فَجَمِيعُ النَّاسِ فِي الشَّرْفِ بِالنِّسْبَةِ الطَّيِّبَةِ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سَوَاءٌ وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ الْغِيْبَةِ وَاحْتِقَارِ بَعْضِ النَّاسِ بَعْضًا مِنْهَا عَلَى تَسَاوِيهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " أَي لِيَحْصُلَ التَّعَارُفُ بَيْنَهُمْ كُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَتِهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ " لِتَعَارَفُوا " كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَي مِنْ قَبِيلَةٍ كَذَا وَكَذَا وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ كَانَتْ حَمِيرٌ يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَخَالِيفَهَا وَكَانَتْ عَرَبٌ الْحِجَازِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلِهَا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " أَي إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّقْوَى لَا بِالْأَحْسَابِ وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْبَخَّارِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ ؟ قَالَ " أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ " قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ قَالَ " فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ قَالَ " فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسَأَلُونِي ؟ " قَالُوا نَعَمْ قَالَ " فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا (289) "

(289) وَقَدْ رَوَاهُ الْبَخَّارِيُّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ طُرُقٍ عَنْ عَبْدِ بَنِ سَلِيمَانَ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ حَدِيثَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ

6. العجلة فى اتخاذ القرار والفعل و الحكم على الأمور :

لقوله عز وجل : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } [الأنبياء: 37] وقوله عز وجل **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11) (الاسراء)** وهذه صفة رديئة فى الإنسان وهى التعجل فى كثير من نواحى حياته مما قد يعود عليه بالخسران الممين ، ومن هنا أضرب المثال : عندما اتخذ الإنسان الأوروبى وتبعه من تبعه من بنى البشر بوضع مسحوق اللح م والدم والعظم إلى علائق المجترات (الأبقار والأغنام ، والماعز والغزلان) لكى يزيد وزنها وبكثر لبنها كانت النتيجة هو اصابته بمرض جنون البقر وعندما أكل الإنسان من لحوم هذه الأبقار ومن قبل أن تظهر عليها أعراض المرض أصيب بالجنون وتهتك نسيج مخه حتى أصبح كقطعة الاسفنج ثم نادى العالم أجمع بمنظماته الدولية وهيئاته العلمية بالعودة إلى تغذية هذه الحيوانات على العشب والكلا أى نادوا بالعودة إلى الفطرة السليمة . هذا قرار عاجل من الإنسان كانت عاقبته خسران أنفوس أمواله وصحته وفقدان أعز ما يملك وهى نفسه أو نفس عزيزة عليه⁽²⁹⁰⁾.

قال القرطبي وغيره من المفسرين: { **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ** } قال ابن عباس وغيره : هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له : **اللَّهُمَّ أَهْلِكْهُ**، ونحوه . { **دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ** } أي كدعائه رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ العافية؛ فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشَّرِّ هلك لكن بفضله لا يستجيب له فى ذلك . نظيره: { **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ** } [يونس:11]. وقيل: نزلت فى النضر بن الحارث، كان يدعو ويقول : { **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** [الأنفال:32]. وقيل: هو أن يدعو فى طلب المحذور كما يدعو فى طلب المباح، { **وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** } أي ومن طبيعة الإنسان العجلة، يتعجل بالدعاء على نفسه ويسارع لكل ما يخطر بباله، دون النظر فى عاقبته .

وقال الطاهر بن عاشور فى التحرير والتنوير : والمقصود من قوله : { **وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** } الكناية عن عدم تبصره وأن الله أعلم بمقتضى الحكمة فى

²⁹⁰ (انظر بحثنا (الخطر فى تغيير الفطر بين جنون البقر و جنون البشر) كتاب المؤتمر العلمى الثامن للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بدولة الكويت

توقيت الأشياء {ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم} [يونس: 11]، ولكنه درج لهم وصول الخير والشر لطفاً بهم في الحالين .

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء/ 11] (يَدْعُ) الدعاء: طلب ما تعجز عنه من قادر عليه . وأهل النحو يقولون . إن الفعل: ماضٍ ومضارع وأمر . فالأمر: طَلَبٌ من الأعلى إلى الأدنى، فكلّ طلب من الله لخلقه فهو أمر، أو من الأعلى من البشر للأدنى . أما إن كان الطلب من مُسَاوٍ لك فهو التماس أو رجاء . فإن كان الطلب من الأدنى للأعلى، كطلب العبد من ربه فهو دعاء .

لذلك نجد التدقيق في الإعراب يحفظ لله تعالى مكاتته وبعظمه، فنقول للطالب : أعرب: ربّ اغفر لي، فيقول : اغفر، فِعْلٌ دالٌّ على الدعاء، لأنه لا يجوز في حقّ المولى تبارك وتعالى أن نقول : فعل أمر، فالله لا يأمره أحد . فأول ما يفهم من الدعاء أنه دلّ على صفة العجز والضعف في العبد، وأنه قد اندكت فيه ثورة الغرور، فعلم أنه لا يقدر على هذا إلا الله فتوجه إليه بالدعاء .

(بالشّر) بالمكروه، والإنسان لا يدعو على نفسه، أو على ولده، أو على ماله بالشر إلا في حالة الحنق والغضب وضيق الأخلاق، الذي يخرج الإنسان عن طبيعته، ويُفقد التمييز، فيتسرّع في الدعاء بالشر، ويتمنى أن ينفذ الله له ما دعا به، ومن رحمة الله تعالى بعباده ألاّ يستجيب لهم هذا الدعاء الذي إن دلّ فإنما يدل على حُمقٍ وغباء من العبد . وكثيراً ما نسمع أمّا تدعو على ولدها بما لو استجاب الله له لكانت قاصمة الظهر لها، أو نسمع أباً يدعو على ولده أو على ماله، إذن : فمن رحمة الله بنا أن يفوت لنا هذا الحمق، ولا يُنفذ لنا ما تعجلناه من دعاءٍ بالشر . قال تعالى: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ} [يونس: 11] أي: لو استجاب الله لهم في دعائهم بالشر لكانت نهايتهم .

وإن كنت تُسرّ وتسعد بأن ربك سبحانه وتعالى فوت لك دعوة بالشر فلم يستجب لها، وأن لعدم استجابته سبحانه حكمةً بالغةً، فاعلم أن لله حكمة أيضاً حينما لا يستجيب لك في دعوة الخير، فلا تقلّ : دعوتُ فلم يستجب لي، واعلم أن لله حكمة في أن يمنعك خيراً تُريده، ولعله لو أعطاك هذا الخير لكان وبالاً عليك .

إذن: عليك أن تقيس الأمرين بمقياس واحد، وترضى بأمر الله في دعائك بالخير، كما رضيت بأمره حين صرف عنك دعاء الشر، ولم يـ ستجب لك فيه . فكما أن له سبحانه حكمة في الأولى، فله حكمة في الثانية.

وقد دعا الكفار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم، فقالوا : **{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ..** **{[الأنفال: 32] وقالوا: {أَوْ تُسْقِطِ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا }[الإسراء: 92]**

ولو استجاب الله لهم هذا الدعاء لَقَضَى عليهم، وقطع دابرهم، لكن لله تعالى حكمة في تفويت هذا الدعاء لهؤلاء الحَمَقِي، وها هم الكفار باقون حتى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة . وكان المنتظر منهم أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، لكن المسألة عندهم ليست مسألة كفر وإيمان، بل مسألة كراهية لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولما جاء به، بدليل أنهم قَبَلُوا الموت في سبيل الكفر وعدم الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن طبيعة الإنسان العجلة والتسرُّع، كما قال تعالى : **{ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ }** **{[الأنبياء: 37]** فكثيراً ما يدعو الإنسان بالخير لنفسه أو بما يراه خيراً، فلا يجد وراءه إلا الشر والتعب والشقاء، وفي المقابل قد يُنزل الله بك ما تظنه شراً، ويسوق الله الخير من خلاله . إذن: أنت لا تعلم وجه الخير على حقيقته، فدع الأمر لربك عز وجل، واجعل حظك من دعائك لا أن تُجَابَ إلى ما دعوت ، ولكن أن تظهر ضراعة عبوديتك لِعِزَّةِ ربك سبحانه وتعالى . ومعنى : **{دُعَاؤُهُ بِالْخَيْرِ.}** أي: أن الإنسان يدعو بالشر في إلحاح، وكأنه يدعو بخير. وعليك بالتفويض لله تعالى والرضى بما منح وما منع فهو أعلم بمصالح عباده وبمآلات الأمور . كما قال تعال : **{ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** هذا(291) والله تعالى أعلم.

7. المكابدة :

لما يتعرض له من نوازل وابتلاءات لقوله عز وجل : **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4) قد يقول قائل إن الكائنات جميعا تعاني من كبد في الحصول على لقمة العيش وعلى التزاوج وعلى مصاعب الحياة فهي تشترك مع الإنسان في هذا وأقول هذا صحيح ، ولكن يفترق عنها الإنسان في اختياره للعبودية لله عز وجل وهو يعلم أن في الآخرة جنة ونار ، وقد يكابد من أجل الثبات على دينه مع كثرة الإضطهاد . بل ويكابد من أجل مرضاة الله عز وجل فيكابد في حرمان نفسه من لذة الطعام والشراب والجماع بالصيام ، ويكابد في قيام الليل فيمنع نفسه من النوم ، ويكابد في الإخلاص في عبادته لله عز وجل فيمنع نفسه من الرياء . بل والأصعب من ذلك أن يكابد نفسه بمنعها عن غيها وعن شهواتها يقول الله عز وجل ﴿ وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) ﴾ [سورة يوسف] . ، ويكابد مع الشيطان كما في سورة الأعراف: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(27)﴾. فيحصن نفسه ضده بالتوحيد الخالص لله رب العالمين ، وبالذكر والدعاء والطاعة والعبادة ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) هكذا رواه مسلم (292) حفت ووقع في البخاري حفت ووقع فيه أيضا حجت وكلاهما صحيح . فهذه معنى المكابدة المذكورة في الآية والله أعلم**

قال بن كثير : قَوْلُهُ تَعَالَى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ وَجَرِيحٌ وَعَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي كَبَدٍ قَالَ فِي شِدَّةِ خَلْقِ أَلَمٍ تَرَى إِلَيْهِ وَذَكَرَ مَوْلَاهُ وَنَبَاتِ أَسْنَانِهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ " فِي كَبَدٍ " نُطْفَةٌ ثُمَّ عَلَقَةٌ ثُمَّ مُضْغَةٌ يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ قَالَ مُجَاهِدٌ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى " حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا " وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا وَمَعِيشَتَهُ كُرْهًا فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " فِي شِدَّةٍ وَطَلَبِ مَعِيشَةٍ وَقَالَ عِكْرَمَةُ فِي شِدَّةٍ وَطُولٍ وَقَالَ قَتَادَةُ فِي مَشَقَّةٍ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِصَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ سَأَلَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " قَالَ فِي قِيَامِهِ وَاعْتِدَالِهِ فَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ وَرَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَوْدُودٍ سَمِعْتُ الْحَسَنَ

قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " قَالَ يُكَايِدُ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرًا مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَفِي رَوَايَةٍ يُكَايِدُ مَضَائِقَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " قَالَ آدَمُ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْكَبْدَ وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مُكَابِدَةَ الْأُمُورِ وَمَشَاقِفَهَا.

8. يخلف بعضه بعضا ولا يندثر حتى تقوم الساعة :

لقول الله عز وجل (انى جاعل فى الأرض خليفة) سورة البقرة ، ويكون خليفة فى الأرض بمعنى يخلف بعضه بعضا لقول الله عز وجل : (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) سورة يونس. فكم من مملكة حيوانية عاشت حيناً من الدهر ثم اندثرت كالديناصورات وبعض الزواحف العملاقة وبقى الإنسان يخلف بعضه بعضا

9. كثير الجدال

لقول الله عز وجل : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) سورة الكهف وهذه صفة أخرى رديئة فى الإنسان وهى كثرة الجدال مع أن النبى صلى الله عليه وسلم حذرنا منه بقوله صلى الله عليه وسلم وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محققاً، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه(293)

10 – ظلوم كفار

²⁹³ (حسنه الألبانى فى " الصحيحة " برقم (273) وفى " صحيح أبى داود" برقم (4015) وفى " صحيح الجامع " برقم (1464) وفى " صحيح الترغيب والترهيب" برقم (139) و(2648) و (2927))

لقول الله عز وجل: **وَأَتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)**. **سورة إبراهيم**. هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرب على المعاصي مقصر في حقوق ربه كَفَّارٌ لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به(294)"

11- يئوس كفور

قال تعالى: **(وَلَيْنُ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيئُوسٌ كَفُورٌ (9))** سورة هود

يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيراً، ولم يَرَجْ بعد ذلك فرجاً. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، فهو فرح بما في يده، بطر فخور على غيره (295) " ، وفي إيراد صيغتي المبالغة في **(لَيئُوسٌ كَفُورٌ)** ما يدل على أن الإنسان كثير اليأس ، وكثير الجحد عند أن يسلبه الله بعض نعمه ، فلا يرجو عودها ، ولا يشكر ما قد سلف له منها . وفي التعبير بالذوق ما يدل على أنه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله بها عليه ، لأن الإذابة والذوق: أقل ما يوجد به الطعم ، والمعنى: أنه إن أذاق الله سبحانه العبد نعماءه من الصحة والسلامة ، والغنى بعد أن كان في ضرر من فقر أو مرض أو خوف ، لم يقابل ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه ، بل يقول ذهبت المصائب ال تي ساءته من الضر والفقر والخوف والمرض عنه وزال أثرها ، غير شاكر لله ، ولا مثن عليه بنعمة(296)"

12- كنود

قال تعالى: **(إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6))** سورة العاديات ، والكنود قال الحسن: هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه(297)"، والمراد بالإنسان هنا الجنس، أي أن جنس الإنسان، إذا لم يوفق للهداية فإنه(لكنود) أي كفور لنعمة الله عز وجل

(294) تفسير السعدي

(295) تفسير ابن كثير

(296) فتح القدير باختصار يسير

(297) تفسير ابن كثير

كما قال الله تبارك وتعالى: (وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً (72) سورة الأحزاب. وقيل: المراد بالإنسان هو الكافر، فعلى هذا يكون عامًّا أريد به الخاص، والأظهر أن المراد به العموم، وأن جنس الإنسان لولا هداية الله لكان كنودًا لربه عز وجل ، والكنود هو الكفر، أي كافر لنعمة الله عز وجل، يرزقه الله عز وجل فيزداد بهذا الرزق عتوًّا ونفورًا، فإن من الناس من يطغى إذا رآه قد استغنى عن الله، وما أكثر ما أفسد الغنى من بني آدم فهو كفور بنعمة الله عز وجل ، يجحد نعمة الله، ولا يقوم بشكرها، ولا يقوم بطاعة الله لأنه كنود لنعمة الله(298)"

13 - طاغي

قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى (6) سورة العلق ، كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى فإنه يطغى، من الطغيان وهو مجاوزة الحد، إذا رأى أنه استغنى عن رحمة الله طغى ولم يبال، إذا رأى أنه استغنى عن الله عز وجل في كشف الكربات وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى الله ولا يبالي ، إذا رأى أنه استغنى بالصحة نسي المرض ، وإذا رأى أنه استغنى بالشبع نسي الجوع ، إذا رأى أنه استغنى بالكسوة نسي العري ، وه كذا فالإنسان من طبيعته الطغيان والتمرد متى رأى نفسه في غنى ، ولكن هذا يخرج منه المؤمن، لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين، فهو دائمًا مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، يسأل ربه كل حاجة، ويلجأ إليه عند كل مكروه، ويرى أنه إن وكله الله إلى نفسه وكله إلى ضعف وعجز وعورة ، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، هذا هو المؤمن ، لكن الإنسان من حيث هو إنسان من طبيعته الطغيان(299) قال ابن أبي حاتم: حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو عُميس، عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادي في الطغيان(300)"

14 - ينوس قنوط

(298) تفسير ابن العثيمين

(299) نفس المرجع السابق

(300) تفسير ابن كثير

قال تعالى : (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) (49) سورة فصلت هذه هي طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال فهو لا يمل ، من دعاء الله ، في الغنى والمال والولد ، وغير ذلك من مطالب الدنيا ، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل ، ولا كثير منها ، فلو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة ، وإن مسه المكروه ، كالمرض ، والفقر، وأنواع البلاء فيئوس قنوط من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك ، ويتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب ويطلب(301) "

15 - قنوط

قال تعالى : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُوطًا) (100) سورة الإسراء ، وجاء في تفسير (قنوطاً) (عن قتادة قال: بخيلاً ممسكاً)(302) "

16 - خصيم مبین

قال تعالى:(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) (4) سورة النحل ، هذا هو الإنسان المخلوق من ماء مهين فإذا به يَقْوَى وَيَغْتَرُّ، فيصبح شديد الخصومة والجدال لربه في إنكار البعث ، وغير ذلك (303) " فالخصيم هو شديد الخصومة ومبين بينها في نفي البعث قائلاً (مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) كما جاء في سورة يس (304)

³⁰¹ (تفسير السعدي باختصار يسير

³⁰² (تفسير الطبري.

³⁰³ (تفسير السعدي

³⁰⁴ (تفسير الجلالين

الفصل الثلاثون

غذاء الإنسان كما بينه القرآن

إن غذاء الإنسان كما بينه القرآن الكريم يتمثل فى :

1. غذاء الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام فكان أكله من ثمار الجنة عندما كان فى الجنة ثم كان غذاؤه من الأرض عندما أهبط إلى الأرض . وهذا يشهد إلى أن طعام أهل الجنة لا يختلف عن طعام أهل الأرض كثيرا ، وإلا لرفض آدم الأكل من طعام الأرض ، ولم يذكر أى اعتراض من آدم وحواء على الأكل من الأرض ، ولو كان ثمة اعتراض لبينه رب العزة سبحانه وتعالى الذى بين أقوال اليهود فى ربهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بِالْيَدِ الْيَمِينِ كَيْفَ نَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَاللَّيِّنَاتُ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ قُلُوبًا وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّسَارَى لَكَاذِبُونَ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ جَاءَهُ الْبَغْيَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَلَّمَا أَوْقَوْا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاءَهَا

اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) سورة المائدة ، وقول الكافرين في أنبيائهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرًا ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) . بل لم يستحيي الله عز وجل أن يضرب مثلا ببعوضة في كتابه العزيز قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) . والأحاديث على كثرتها تشير إلى أن طعام أهل الجنة يشبه طعام أهل الأرض في دنياهم . إن أول طعام يُتَجَفَّ اللَّهُ به أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده ، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة " فأتى رجل من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : " بلى " قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فنظر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : " ألا أخبرك بإدامهم ؟ بالام والنون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون ، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً (305) " . قال النووي في شرح الحديث ما ملخصه : " النزل : ما يعد للضيف عند نزوله ، وتكفأها بيده ، أي : يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي ، لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها ، ومعنى الحديث : أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف العظيم ، ويكون طعاماً ونزلاً لأهل الجنة ، والنون : الثور ، وال (بلام) : لفظة عبرانية ، معناها : ثور ، وزائدة كبد الحوت : هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد ، وهي أطيبها (306) " . وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن سلام سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - أول قدومه المدينة أسئلة منها : " ما أول شيء يأكله أهل الجنة ؟ فقال : زيادة كبد الحوت (307) " .

(305) مشكاة المصابيح: (56/3)

(306) شرح النووي على مسلم (136/17)

(307) النهاية لابن كثير: (270/2) .

2. ثم غذاء النطف (الحيوان المنوى فى الخصيتين والبويضة فى المبيض يتغذيان على المكونات الغذائية من الدم .
3. ثم غذاء الجنين فى بطن أمه يتغذى على المكونات الغذائية التى فى دمها .
4. ثم غذاء الطفل الرضيع على لبن الأم حتى الفطام
5. ثم غذاء الانسان بعد الرضاعة على ما ينبت من الأرض وعلى ما يتغذى على ما ينبت من الأرض

ومن الطبيعى أن يكون غذاء الإنسان على أصل المادة التى خلق منها . وكما هو معلوم من الآيات الكونية والآيات الشرعية أن الإنسان مخلوق من جسد وروح . والجسد مخلوق من التراب والماء حتى صار طينا يقول الله عز وجل : **(يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ .. (5) سورة الحج ،** ويقول سبحانه وتعالى فى سورة النور : **﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (45)** ويقول سبحانه وتعالى فى سورة المؤمنون : **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12)**، ويقول سبحانه وتعالى فى سورة ص : **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74)** وهكذا تشير الآيات أن أصل خلق الإنسان التراب ، ثم خلط الماء بالتراب فصار طينا ، وبدأ الله عز وجل خلق الإنسان من الطين لقوله تعالى فى سورة السجدة **(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ (7)** ثم كان بعد الخلق من الطين والتسوية للصورة التى عليها الإنسان الآن ، نفخ الله فى هذا الجسد من روحه ، فتحول الطين إلى دم ولحم وعصب وعظم ، ودبت فيه الحياة فأصبح إنسانا يتحرك ويسمع ويبصر ويتكلم . والدليل المشاهد المحسوس لكل ذى لب حاذق عاقل أن الإنسان إذا مات خرجت منه الروح ، وبخروج الروح منه تتوقف جميع الحواس فلا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم ولا يتحرك ، ويصير جسدا متيبسا منفوخا إذا طرقت عليه يكون له صلصلة ، ثم يصير طينا أسودا له رائحة كالحما المسنون ، ثم يعود وكأنه طين لازب له لزوجة ، ثم يصير طينا ، ثم يتبخر منه الماء فيصير ترابا. أى أن الانسان يعود إلى سيرته الأولى من الخلق ويندرج فى م راحل الإعادة من الصلصال الفخار إلى أن ينتهى بالتراب عكس بداية الخلق تماما حيث

يبدأ من التراب وينتهي بالصلصال الفخار ثم النفخ فى الروح ، وفى حالة الموت تنزع الروح أولا ثم يعود الجسد إلى التراب ، وصدق الله العظيم إذ يقول " **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كَنَّا فَاعِلِينَ** (104)" سورة الأنبياء

أى أن الإنسان عبارة عن جسد مخلوق من التراب ، ونفخ الله عز وجل فيه من روحه بعد تسويته ، أى من بعد اتمام خلق الجسد من السلالة من الطين على الوجه الذى نراه ، ورآه من قبلنا ، وسوف يراه من بعدنا جسدا معتدلا لا نراه فى صورة أى مخلوق آخر فى عالم الحيوانات والطيور والحشرات والمخلوقات البرية والبحرية ، وصدق الله العظيم إذ يقول **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)** سورة التين. وصورة الانسان المعاصر هى الصورة التى كان عليها الانسان منذ أن خلق الله آدم عليه السلام ، وهى الصورة الباقية كما هى إلى أن تقوم الساعة ، وهى الصورة التى يعرفها الناس جميعا ، وهذا بغض النظر عن كبر حجم الصورة أو صغر حجمها لأن الأحاديث وردت فى بيان أن آدم عليه السلام كان طوله ستين ذراعا وأن الانسان يقل فى الطول تدريجيا .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن غذاء الجسد والروح على أصل المادة التى خلق منها فيتغذى الجسد على كل ما يخرج من التراب من نبات وزروع وفاكهة ، وعلى المنتجات الحيوانية والداجنة والأسماك بعدما تحوله الأنعام والطيور وكائنات أخرى تعيش فى البحار والأنهار من غذاء تحصلت عليه من الأرض فيصير غذاء يتغذى عليه جسد هذا الانسان وبهذا يكون **غذاء الجسد من نفس المادة التى خلق منها (الأرض)**

ويكون غذاء الروح من المادة التى خلقت منها وهى الروح ، ولما سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح جاءه الرد من رب العالمين : **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)** سورة الاسراء

وحيث أن الروح (من أمر الله) ، وامر الله بالنسبة للمكلفين يتمثل فى افعال كذا ولا تفعل كذا (أى الأوامر والنواهي) فيكون غذاؤها على ما أمر الله ، وعلى ما نهى الله . فمن امتثل لشرع الله فاز فى الدنيا والآخرة ، ومن أعرض عن شرع الله خسر الدنيا والآخرة يقول الله تعالى : **(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَاتِيَنكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ**

أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) سورة طه

لطيفة:

إذا اهتم الانسان بغذاء الجسد على حساب غذاء الروح أصبح انسانا شهوانيا تتحرك عنده الشهوة بحرارة فيخلد ببطنه وجسده إلى الأرض ، لأن الانسان البطين هو العظيم البطن، والبطن هو الكثير الأكل، والمبطن هو الذي يكثر الأكل حتى يعظم بطنه ، والبطنة هي كثرة الأكل ، وقيل: (البطنة تذهب الفطنة) ، وجاء عند أبي نعيم في الطب النبوي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسم، مورثة للفشل، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلح (308). ويقال قد بطن الرجل بطنا : إذا أشر من الشبع ومن كثرة الأكل ، وقد بطن الرجل: عظم بطنه. بينما إذا اعتدل الانسان في طعامه وشرابه فلم يكن مسرفا فيهما صلح حاله وفاز عند ماله .

ومن جهة أخرى إذا اهتم الانسان بغذاء الروح على الجسد كالذي يصوم الدهر ، أو يزيد عن صيام النوافل ، أو يحرم نفسه من بعض الأطعمة ، ظنا منه أن هذا زهدا في الدنيا فقد يأتي عليه يوم لا يستطيع القيام بالعبادة على الوجه الأكمل . ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصيام مخافة من اعتلال الجسد. وهكذا أمرنا شرعنا الحنيف بالاعتدال في الطعام والشراب حفاظا على غذاء الجسد والروح معا ، ونهانا عن الاسراف في الطعام والشراب لقول ربنا في سورة الأعراف (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (31) ، ولقول رسولنا ﷺ : (مَا مَلَآ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ يَحْسِبُ ابْنُ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقَمِّنُ صُلبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثَلَّثَ لِطَعَامِهِ

(308) راجع: كشف الخفاء 286/1؛ والمقاصد الحسنة ص 124 و 144)

وَتَلْتُمُ لِشْرَابِهِ وَتَلْتُمُ لِنَفْسِهِ (309) الحديث ، وكما قال الحارث بن كلة طيب العرب (الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسم ما اعتا⁽³¹⁰⁾)

رحمة الله بعباده

ولقد بين الله سبحانه وتعالى المحرمات من الأطعمة في كتابه العزيز ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ونهى سبحانه وتعالى عن الاسراف في الطعام والشراب حتى لو كان حلالا . كما بين سبحانه وتعالى المحرمات من الأطعمة كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، ومن الأشرية كشرب الخمر والمسكرات والمفترات كالدخان والحشيش والأفيون وماشابه ذلك . كما أن حماية صحة الانسان باتباع شرع الله ، لأن الشارع الحكيم بين في القرآن والسنة النبوية المطهرة ضرر الأطعمة المحرمة على صحة الانسان وحذر منها ، ومن يقترف ما حرمه الله يؤدي بنفسه إلى التهلكة بما يتعرض له من أمراض خطيرة ربما تعجزه عن العمل ويؤدي ذلك إلى ضياع ماله سواء بعلاجه من هذه الأمراض أو بعجزه عن العمل . وبالجملة نجد أن الانسان الذي يمثل لأوامر الله يحفظ ماله ونفسه وهذان الأمران من مقاصد الشريعة الغراء ، ومن رحمته سبحانه وتعالى بعباده أنه أباح للإنسان الطعام والشراب الحلال

إباحة الأكل من الطيبات

ولقد أباح العليم الخبير للناس جميعا تناول الطيبات من الرزق فقال سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) وقال تعالى في سورة البقرة (وَمَا ظَلَمْنَا عَلَيْكُمْ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(57)). وفي سورة البقرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن

³⁰⁹ (رواه الترمذي وصححه الألباني

³¹⁰ (قال ابن القيم في زاد المعاد(4/104) ((وأما الحديث الدائر على السنة كثير من الناس : (الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسم ما اعتا فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كلة طيب

العرب ، ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم

طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172). ، وفى سورة المائدة (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ(4). ، وفى سورة المائدة (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين(5) ، وفى سورة المائدة (يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين(87) ، (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون (88) ، وفى سورة الأعراف (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون(32) ، وفى سورة الأعراف أيضا (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون(157) ، وفى سورة يونس (ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون(93) وفى سورة الإسراء (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (70) ، وفى سورة المؤمنون (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) ،

من سرد هذه الآيات يتبين لنا الأتى:

1. أن طعام الذين أوتوا الكتاب (وهم كل من أنزل الله عليهم كتابا من السماء وآمنوا به دون تحريف من اليهود والنصارى لأنهم قريبي عهد برسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم حل لنا
2. أن الحكم بالحل أو التحريم للمأكولات والمشروبات بدون دليل شرعى فهو تعدى على الله بغير علم ، ومن يفعل ذلك يكون قد نصب نفسه مشرعا وإلها من دون الله ، ولذلك سماه الله عز وجل بالمعتدى

3. أن الله عز وجل أمر الرسل بالأكل من الطيبات فقال سبحانه وتعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) والرسول مأمورون بتبليغ شرع الله عز وجل إلى الناس فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى بين في جميع الشرائع السماوية الأكل من الطيبات وتحريم الأكل من الخبائث والميتة والدم والخنزير وما أهل لغير الله به من الخبائث

4. وبين سبحانه وتعالى أن أكل الطيبات من الطعام والامتناع عن أكل الخبيث من الطعام يستوجب شكر الله عز وجل ولا يكون ذلك إلا بسبب النتائج المترتبة على أكل الطيب من الطعام وأهمها نعمة الصحة والعافية ، ولما في الخبيث من الطعام من أضرار محققة بالعافية والصحة

تفصيل الحرام من الطعام والشراب:

وفصل الله عز وجل للإنسان الحرام مما يأكله ويشربه لقلوه سبحانه وتعالى:

1- قوله تعالى : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة:173)

2- و قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُحِيَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسْقُ الْيَوْمِ الْبَئِيسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة:3)

3- و قوله : (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:145)

4- و قوله : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النحل:115) .

5-(وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمهتدين) (119) سورة الأنعام

لقد حرم الله على الناس جميعا ، من لدن آدم عليه السلام إلى آخر فرد فى الدنيا وإلى أن تقوم الساعة ، الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، وما ذبح على النصب . فلو كان أهل التوراة والإنجيل فى شرعهم ما يبيح لهم أكل الخبائث لعارضوا النبى فى ذلك ، وحيث أنه انتفت المعارضة ولم يقم لها دليل فثبت النهى بتحريم الخبائث فى شريعتهم . وأن الله عز وجل بين أن أكل الطيبات هو من باب توجيه العادة لله عز وجل وحده لا شريك له ، وهذا الأمر ثابت من قوله عز وجل (**إن كنتم إياه تعبدون**) كما فى سورة البقرة آية 172 (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) فمن أكل الطيبات كان متوجها بالعبادة إلى الله عز وجل ، ومن أكل الخبائث لم يكن متوجها بالعبادة لله وحده وإنما كان متبعا للشيطان وخطواته . ومن المعلوم أن أكل أو شرب الخبائث يبعد الإنسان عن الله عز وجل إما لغيب عقله وإما لفساد قلبه وانحلال أخلاقه وسوء سلوكه . وقد ثبت أن الغذاء يؤثر فى صاحبه وأن الله عز وجل بين أن الشيطان يأمر الناس بالقول على الله بغير علم ، وهذا الأمر أيضا ثابت من قوله سبحانه وتعالى : (**يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) (168) **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** (169)) ومن هنا نستطيع أن نقول أن الذين يحلون الحرام أو يحرمون الحلال هو قول على الله بغير علم ، لأن رب البشر جميعا والذى أنزل الشرائع السماوية كلها واحد وهو الله رب العالمين.

ومن صفات الله عز وجل العدل وأنه يحكم بين عباده بالقسط ولا يتحقق العدل بين الناس منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها إلا إذا كان تحريم الخبائث قائما منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وأنزل الله ذلك على جميع الرسل السابقين لشريعة الإسلام وهذا ظاهر من قوله تعالى فى سورة المؤمنون (**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعمالوا صالحا إني بما تعملون عليم**) (51) ، والرسل مأمورة بتبليغ شرع الله للناس فالأمر لهم بالأكل من الطيبات هو أمر للأمم التى أرسلوا إليهم ، ولا يظن ظان أن الرسل قصرُوا فى تبليغ الرسالات السماوية والشرائع الدينية لأن الله أقام على الأمم وعلى رسلهم الحجج القوية التى يستشهدوا بها

يوم القيامة وكفى بالله شهيدا . ومحمد صلى الله عليه وسلم يجيء شهيدا على الأمم السابقة يوم القيامة كما ورد فى سورة النساء (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42) وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لحق بأهل الكتاب وسألهم عن الحلال والحرام فأجابوه وهذا باب طويل لا يسعه هذا المقام .

ولابد أن نعرف أن المحرمات القطعية لن تتسخ بتبدل الشرائع السماوية ، وهذا أصل عظيم لأن المحرمات القطعية كالقتل والزنا والربا والسرقه وأكل أو شرب النجاسات هى حرام على جميع البشر منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها . وأن تحريم المحرمات القطعية من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة جاءت بها جميع الشرائع السماوية على الأمم السابقة بما لا يدع مجالاً للشك ، حيث لا يستقيم أبداً أن يظن ظان أن الله أباح أكل لحم الخنزير ، أو شرب الخمر ، أو قتل النفس بغير حق ، أو السرقه ، أو الزنا ، أو الربا ، أو غيرها من الكبائر ، ثم يحرم ذلك كله أو بعضه على أمة من الأمم أو مجموعة من الأمم دون غيرهم .

إن الإنسان هو الإنسان الذى خلقه الله عز وجل وهو من ذرية آدم عليه السلام ولقد بين الله عز وجل أن الله كرم بنى آدم فقال سبحانه وتعالى فى سورة الإسراء (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (70) فهذه الآية دليل قوى على تكريم الله عز وجل لبنى آدم ، وهذا التكريم يستدعى الحفاظ على ذرية آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة ، ولا يكون ذلك إلا من خلال أكل الطيبات ولذلك قال الله سبحانه وتعالى (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) ، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً (وهذا لكل من كان أو كائن أو سيكون من ذرية آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة)

الأمر الآخر لم يثبت حتى الآن أن شريعة من الشرائع السماوية التى أنزلها الله قد نسخت حكماً من الأحكام الشرعية التى تتعلق بالمحرمات القطعية ونجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد فصلت لنا الحرام من الأطعمة ، فوجد محرمات على التأييد فلا يحل أكلها إلا للضرورة القصوى ، ونجد محرمات على التأقيت لعله عارضة فإذا انتفت العلة انتفى الحكم وأليك عزيزى القارئ هذا التفصيل

أولا- المحرمات لعله ذاتية (على التأيد) من القرآن الكريم

1. الميتة
2. الدم
3. لحم الخنزير
4. لحوم البشر
5. ما أهل لعير الله به

الأدلة على ذلك

1. **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)**

البقرة

2. **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115)** سورة

النحل

3. **(أیحب أحدکم أن یأکل لحم أخیه میتا فکرها تموتوا تقوا الله إن الله تواب رحیم(12) سورة الحجرات**

ثانيا - المحرمات لعله ذاتية (على التأيد) وأدلتها من السنة الصحيحة المطهرة

1. كل ذي ناب من السباع
2. كل ذي مخلب من الطي

الأدلة على ذلك :

- ♣ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير رواه مسلم).
- ♣ وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل ذي ناب من السباع فأكله حرام).
- ♣ كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيوانات الشديدة الضرر على صحة الإنسان كالفأرة من القوارض والغراب

ثالثا المحرمات (على التأقيت) لعله عارضة وأدلتها من القرآن الكريم:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

فالمخنقة ، والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع مع التزكية يحل أكلها ، أما إذا لم تزكى فيحرم أكلها مع أن الأصل فيها أنها حلال ، ولكن حرمت لهذه العلة العارضة التي طرأت عليها . قال الإمام بن كثير : فى تفسيره لهذه الآية: أن المراد بذلك قوله (والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه العوارض ، ولهذا قال {إلا ما ذكيتم} يعنى منها فإنه حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه ، ولهذا قال تعالى : {أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم} أي إلا ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها فى بعض الأحوال . وقوله تعالى : {غير محلي الصيد وأنتم حرم} قال بعضهم : هذا منصوب على الحال والمراد بالأنعام ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم ، ويعم الوحشي كالظباء والبقر والحمير ، فاستثنى من الإنسي ما تقدم ، واستثنى من الوحشي الصيد فى حال الإحرام ، وقيل: المراد أحلنا لكم الأنعام ، إلا ما استثني منها لمن التزم تحريم الصيد ، وهو حرام لقوله {فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم} أي أبحنا تناول الميتة للمضطر بشرط أن يكون غير باغ ولا متعد ، وهكذا هنا أي كما أحلنا الأنعام فى جميع الأحوال فحرموا الص يد فى حال الإحرام ، فإن الله قد حكم بهذا ، وهو الحكيم فى جميع ما يأمر به وينهى عنه ، ولهذا قال الله تعالى: {إن الله يحكم ما يريد}

رابعا المحرمات على التأقيت لعله عارضة وأدلتها من السنة النبوية المطهرة

- النهى عن ركوب الجلالة وأكل لحمها وشرب لبنها :-

• قال الشيخ سيد سابق (311) عليه رحمة الله : وورد النهى عن ركوب الجلالة وأكل لحمها وشرب لبنها فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرب لبن الجلالة" (312) وفى رواية : (نهى عن ركوب الجلالة) " رواه أبو داود ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية ، وعن الجلالة: عن ركوبها واكل لحومها" (313)

والجلالة هى الحيوانات من الإبل والبقر والغنم أوالطيور مثل الدجاج والأوز التى يؤكل لحمها والتى تأكل العذرة أو قاذورات الشوارع وغيرها فهى فى هذه الفترة لا يؤكل لحمها (لما تسببه من أمراض خطيرة للإنسان) حتى يتغير ربحها . فإن حبست بعيدة عن العذرة زمنا ، وعلقت طاهرا فطاب لحمها وذهب اسم الجلالة عنها حلت ، لأن علة النهى التغير وقد زالت .

هذا بيان من رب العزة سبحانه وتعالى بتفصيل الحرام رحمة بعباده

(311) فى فقه السنة ج1 ص 26

(312) رواه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه الترمذى

(313) رواه أحمد والنسائى وأبو داود

الفصل الحادى والثلاثون

الهرمونات وبناء الذات

لقد خلق الله عز وجل فى جسم الإنسان نظاما يعمل على تنظيم حركة ووظائف الأعضاء ، وهذا النظام يكون من خلال غدد صماء أو غير صماء تفرز هرمونات أو انزيمات لى يتم المحافظة على بناء وحيوية ونشاط هذا الجسم ، وأى خلل فى هذا النظام يؤدى إلى خلل التركيب البنائى للجسم و فى حركة ووظائف الأعضاء مما يسفر عن حالات مرضية لا يتم علاجها إلا من خلال معالجة هذا الخلل. والهرمونات (Hormones) أو الحائثات هي مركبات حيوية يتم تصنيعها فى غدد ضمن الأجسام الحية لتقوم بوظائف حيوية مختلفة ، استقلالية وبنائية ، فهي مواد كيميائية معقدة للغاية تفرزها خلايا خاصة بكميات ضئيلة جدا حسب حاجة الجسم إليها. وقد ينشط إفرازها خلايا عصبية مثل إفراز الهرمونات عند الخوف والغضب. كما أنها تهبى حالة الجسم حسب البيئة الخارجية ، ولها دور مهم فى

العمليات الحيوية التي يقوم بها الكائن الحي . فكل هرمون له دوره ومتخصص في عمله .

والهرمونات عبارة عن نظام معجز في جسم الإنسان يعمل على بناء الجسم وتنظيم وظائف الأعضاء ، ولولا هذا النظام ما قامت وظيفة لأى عضو من أعضاء هذا الجسم ولا قامت حياة لهذا الجسم ولذلك لا يمكن للإنسان المحافظة على حياته على وجه هذه الأرض إلا بعمل دقيق لنظام هرمونى متكامل الأركان وإلا حدث خلل شديد فى الوظائف الحيوية للجسم⁽³¹⁴⁾

فمثلا أنظمة التناسل الموجودة في جسم المرأة ، وفي جسم الرجل لها آليات مختلفة في العمل ، غير أن هذه الآليات المختلفة يكمل بعضها بعضاً بتناسق وبدقة ؟ أي أنها تعمل ضمن إطار نظام متكامل ، وفي النتيجة يأتي مخلوق جديد إلى الدنيا . أي أن تكوين الإنسان وإخراجه من إنسانين مختلفين ومن جسدين مختلفين يعد من أعظم المعجزات المتحققة وهي معجزة خلق الإنسان . إن الإنسان يولد (سواء كان ذكر أو أنثى) وبجسمه مجموعة من الخلايا التناسلية ، ولكي تتحقق هذه المعجزة فإن التحضيرات اللازمة والضرورية تبدأ من المرحلة الجنينية (خلايا الحدة التناسلية بجوار الكلية كما بين ربنا عز وجل - من بين الصلب والترائب) في جسم الجنين ، ثم هجرة هذه الخلايا إلى الخصيتين إن كان الجنين ذكراً ، أو المبيضين إن كان الجنين أنثى ، ويتم هذا فى الأربعين يوماً الأولى من الحمل . ثم تأتي مرحلة البلوغ والتي فيها تتحول الخلايا التناسلية في جسم الرجل وفي جسم المرأة إلى طور فعال تنتج فيه النطاف المنوية أو البويضات ، ولا شك أن النظام الهرموني هو أهم عنصر في هذه العملية . كما أنه يقع تحت إشراف وسيطرة الدماغ⁽³¹⁵⁾

وتعتبر الغدة النخامية هي الغدة المهيمنة التي تتحكم في جميع الغدد الأخرى ، وهي اصغر الغدد وتوجد في النصف السفلى من الرأس . وهي تفرز هرمونات تحفيزية لافراز هرمونات متعددة في الجسم مثل هرمون الثيروكسين من الغدة

⁽³¹⁴⁾ Neave N (2008). *Hormones and behaviour: a psychological approach*. Cambridge: Cambridge Univ. Press. ISBN 978-0521692014. Lay summary – Project Muse.

⁽³¹⁵⁾ Nussey S, Whitehead S (2001). *Endocrinology: an integrated approach*. Oxford: Bios Scientific Publ. ISBN 978-1-85996-252-7.

الدرقية وهي أكبر الغدد وتوجد في الرقبة ولها دور مهم في عملية أيض النشويات والتمثيل الغذائي وهي أيضا أكثر الغدد معرضة للتضخم نتيجة لنقص اليود في الطعام. كما يوجد هرمون التستوستيرون وهو الذي يظهر صفات الرجل عن صفات المرأة . وهرمون الأدرينالين وهو هرمون القلق مثل ما يحدث في أوقات الاختبارات . وتوجد الهرمونات في الجسم بمئات الملايين . ومنهما هرمون الأنسولين والجلوكاجون اللذان يضبطان تواجد السكر في الدم

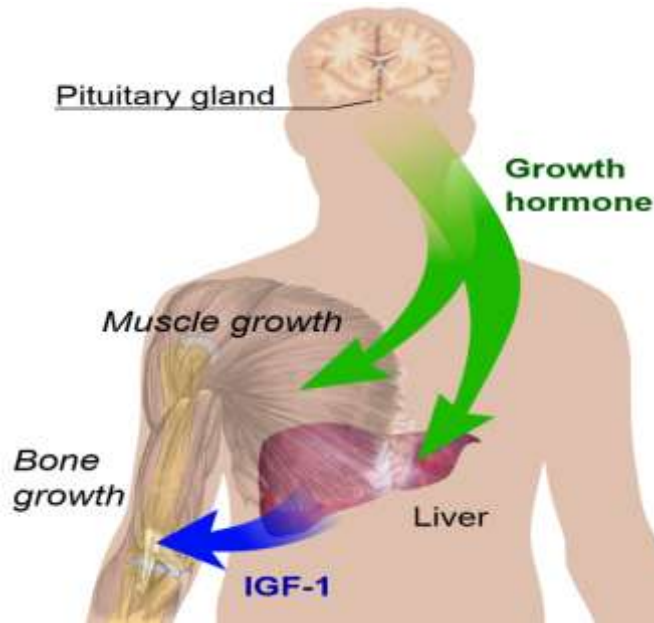
تأثيرات الهرمونات

للهرمونات تأثيرات بالغة على نمو الجسم فمثلا هرمون النمو (Growth hormone (GH) هو هرمون بروتييني بيتيدي يقوم بتحفيز النمو وتحفيز تكاثر الخلايا وتجديدها في البشر وبعض الحيوانات الأخرى. وهرمون النمو عبارته عن حمض أميني , سلسلة وحيدة متعددة الببتيدات يتم إنتاجها وتخزينها ومن ثم إفرازها عن طريق خلايا منمية للجسد (somatotroph) في الأطراف الجانبية للغدة النخامية الأمامية (anterior pituitary). هرمون النمو 1 (growth hormone 1) الذي يفرز طبيعيا في الحيوانات يدعى بهرمون السوماتوترويين (somatotropin)

يستعمل هرمون النمو كدواء في الطب لمعالجة اضطرابات النمو في الأطفال ومعالجة نقص هرمون النمو في البالغين (Growth Hormone Deficiency). إلا أن كفاءة وأمان هذا الاستعمال لم تختبر في تجارب طبيّة محكمة حتى الآن . في الوقت الحاضر، لا يزال هرمون النمو موضوعا معقداً جداً، ولا زالت العديد من وظائفه مجهولة⁽³¹⁶⁾

³¹⁶ (Powers M (2005). Deidre Leaver-Dunn; Joel Houglum; Harrelson, Gary L *Principles of Pharmacology for Athletic Trainers* .Slack Incorporated Slack Incorporated .332–331 .[ISBN-1 5-594-55642](https://doi.org/10.1002/9781118155642)

وبفرز هرمون النمو من الغدة النخامية⁽³¹⁷⁾ نتيجة بعض المستحاثات الطبيعية مثل (الرياضة - النوم العميق) وهو لا يعمل بشكل مباشر لكنه يشجع الكبد على إفراز عوامل نمو تشبه الأنسولين تسمى (السوماتوميدينز) -IGF-1، IGF-1-IGFBP3- وتقوم عوامل النمو إلى جانب هرمون النمو بالعمل بشكل خاص على جزء من العظام تسمى صفائح النمو حيث تتم عملية نمو العظام إذ يقوم كل من هرمون وعوامل النمو بحثّ خلايا صفائح النمو على التكاثر الأمر الذي يؤدي إلى إطالة العظم ، كذلك له تأثير بنائي قوي فهو يزيد من تصنيع البروتين ويساعد على تحويل الدهون إلى طاقة مما يقلل حجم الدهون وبالتالي لا يؤدي إلى زيادة الوزن كما يعتقد أهالي المرضى ، كذلك يقوي الأنسجة ا لرخوة والأربطة والغضاريف مما له الأثر الكبير في منع حدوث هشاشة العظام .



شكل (1/31) يبين تأثير هرمون النمو على تكوين البروتينات في الكبد وعلى تكوين العظام وتكوين العضلات

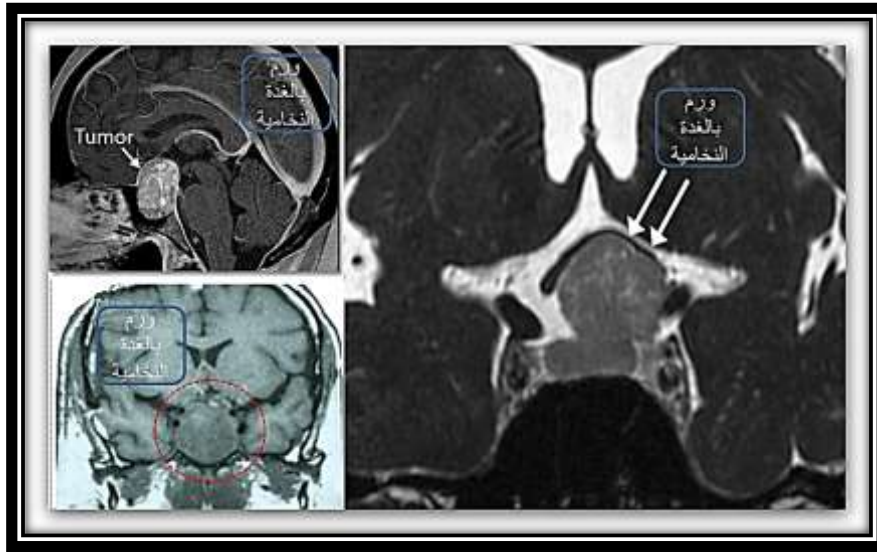
⁽³¹⁷⁾ الغدة النخامية هي معجزة من معجزات الخالق سبحانه وتعالى فهي تزن حوالي نصف حجم حبة الفول السوداني) ويبلغ قطرها سنتيمتر واحد ، تقع في تجويف عظمي في أسفل قاعدة الدماغ تسمى السرج التركي Sella Turcica لأن شكلها يشبه سرج الفرس التركي ويسمىها البعض "سيدة الغدد" لأنها المنظمة لباقي الغدد وهي تتكون من فصين اثنين يختلفان عن بعضهما البعض من حيث التركيب والوظيفة. مع منطقة تحت المهاد Hypothalamus بواسطة سوية نخامية Pituitary Stall

وظائف هرمون النمو: وبالإضافة إلى زيادة الطول عند الأطفال والمراهقين، يملك هرمون النمو تأثيرات أخرى كثيرة في الجسم ومنها : يزيد الاحتفاظ بالكالسيوم ، ويقوي ويزيد من تمعدن العظام ، يزيد كتلة العضلات من خلال تضخم القسم العضلي (sacromere) ، يحفز تكسير الدهون ، يزيد إنتاج البروتين ، يحفز نمو جميع الأعضاء الداخلية باستثناء الدماغ ، يلعب دورا في التوازن ، يقلل من امتصاص الجلوكوز من الكبد ، يعزز استحداث السكر (gluconeogenesis) في الكبد⁽³¹⁸⁾ ، يساهم في معادلة وظيفة البنكرياس ، يحفز الجهاز المناعي

مشاكل تسببها زيادة إنتاج هرمون النمو

المرض الأكثر شيوعا لفرط إنتاج هرمون النمو هو ورم في الغدة النخامية (بالإنجليزية: pituitary adenoma) يتألف من خلايا منمية جسمية من الغدة النخامية الأمامية. هذه الأورام الغدية حميدة وتنمو ببطء، وتقوم تدريجيا بإنتاج هرمون النمو أكثر فأكثر . بعد سنوات من نمو هذه الأورام، تكون المشاكل السريرية الرئيسية هي تلك التي يصاحبها زيادة في هرمون النمو . وفي نهاية المطاف، قد يصبح الورم الغدي كبيرا بما يكفي ليسبب الصداع، ويخل بالرؤية من خلال الضغط على الأعصاب البصرية ، أو التسبب في نقص هرمونات الغدة النخامية الأخرى.

³¹⁸ (King ،MW (2006".Structure and Function of Hormones: Growth Hormone ."Indiana State University.16-01-2008 .



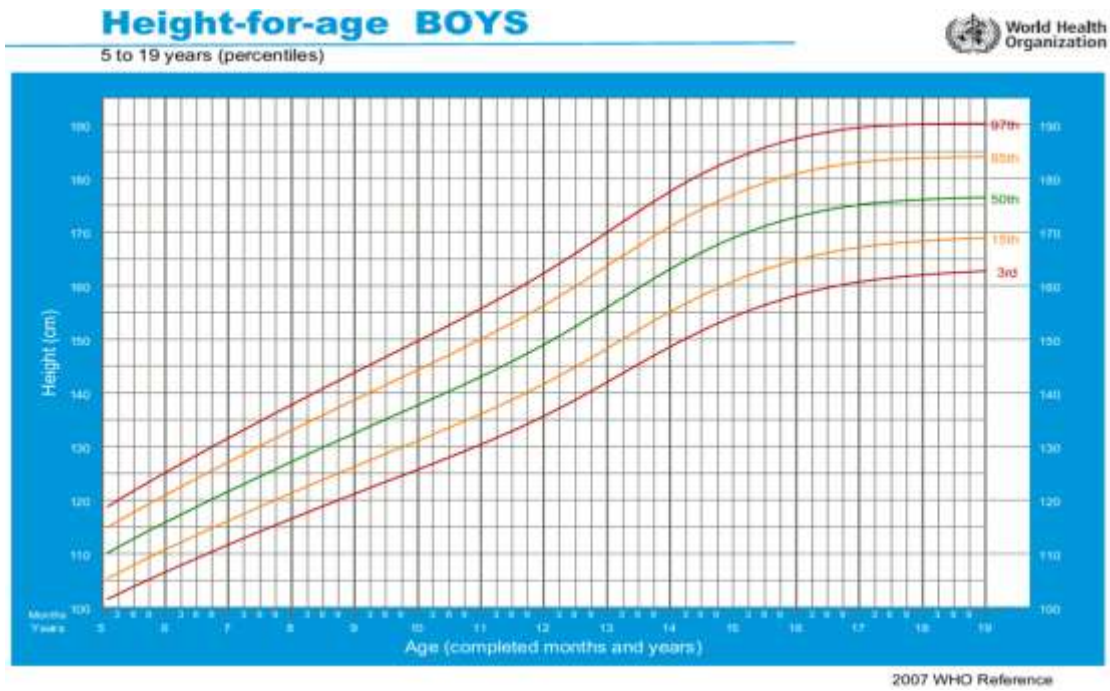
شكل (2/31) ورم بالغدة النخامية مما يؤدي إلى زيادة إفراز هرمون النمو ومشاكله المرضية

زيادة هرمون النمو لفترة طويلة تسبب تشنخ عظام أصابع اليدين القدمين والفك. وبتنح عن ذلك ، ثقل في الفك وزيادة حجم الأصابع وهو ما يسمى بداء الأكروميغالي (Acromegaly). المشاكل المصاحبة قد تشمل زيادة التعرق، والضغط على الأعصاب (مثل متلازمة النفق الرسغي (carpal tunnel syndrome) ، وضعف العضلات، وبصاحبها زيادة الجلوبيولين الرابط لهرمون الجنس (SHBG) ومناعة الانسولين، أو حتى شكل نادر من مرض السكري من النوع 2، وانخفاض الوظيفة الجنسية.

وعادة ما يتم التعرف على الأورام المفرزة لهرمون النمو (GH-secreting tumors) في العقد الخامس من العمر. ومن النادر جدا حدوث مثل هذه الأورام في مرحلة الطفولة، ولكن عندما يحدث ذلك، فإن زيادة هرمون النمو يمكن أن تسبب النمو المفرط، وهو ما يدعى بداء العملاقة (Gigantism).

والاستئصال الجراحي هو العلاج المعتاد للأورام المنتجة لهرمون النمو . في بعض الظروف، قد يستخدم العلاج الإشعاعي المركز أو مضاد هرمون النمو مثل دواء بيجفيزومانت (pegvisomant) لتقليص حجم الورم في أو لتعطيل وظيفته . ويمكن استخدام أدوية أخرى مثل أوكريتوتايد (octreotide) (منشط

السوماتوستاتين) وبروموكريبتين (bromocriptine) (منشط الدوبامين) وذلك لمنع إفراز هرمون النمو لأن كلا من السوماتوستاتين والدوبامين تثبط إطلاق هرمون النمو من الغدة النخامية الأمامية بواسطة هرمون إطلاق هرمون النمو . وتقوم منظمة الصحة العالمية بعمل دراسات حول العالم لمعرفة مشاكل النمو الناجمة عن نقصان هرمون النمو وهذه لوحة لمنظمة الصح العالمية نشرت في 2007 تبين نسب النمو عند الأطفال قياسا على أطوالهم في المراحل العمرية المختلفة (شكل 3/31)



شكل (3/31) منحني نسب النمو عند الأطفال قياسا على المرحلة العمرية والطول

الخواص الدوائية

يفرز الهرمون أو الإنزيم في الدم مباشرة من خلال غدد خاصة تسمى بالغدد الصماء كما أنه هناك نوع آخر من الإنزيمات تفرزه غدد قنوية مثل الغدد اللعابية الموجودة تحت اللسان وهي تفرز إنزيم الأميلاز الذي يساعد على تفتيت النشويات مما يؤدي إلى سهولة هضمها وامتصاصها. وهناك نوع ثالث من الغدد

يسمى بالغدد المشتركة والتي تفرز هرمونات في الدم مباشرة وهرمونات خارجية مثل غدة البنكرياس⁽³¹⁹⁾

لقد جعل الله تعالى جميع أنشطة وفعاليات النمو والتطوير في جسم الإنسان تحت نظم يسيطر عليها الدماغ . فالدماغ يقيم جميع الرسائل الآتية من مختلف أعضاء الجسم ثم يرسل أنسب الأجوبة وبأقصر وقت إلى الأماكن المناسبة ، وهو يستخدم النظام الهرموني كوسيلة في التخابر وفي الاتصال . لقد خلق الله تعالى نظاماً وشبكة اتصالات في غاية الروعة والدقة ، وتقوم جزيئات الهرمونات بوظيفة الثرموستات (ذلك الجهاز الذي ينظم الحرارة في أى جهاز كهربائى كالثلاجة والفریزر وحضانات التفريخ في شركات الدواجن) . فعندما ترتفع درجة الحرارة في الجهاز يفصل الثرموستات ، وعندما تقل درجة الحرارة عن الحد المطلوب يشتغل الثرموستات فيعطى اشارة للسخان أو المبرد بالعمل . كذلك تقوم الهرمونات بهذه الوظيفة فلها على الخلايا التي تفرزها مستقبلات تقيس نسبة الهرمونات في الدم فلو زادت نسبة الهرمونات توقفت الخلايا عن افرازها ، ولو نقصت نسبة الهرمونات نشطت الخلايا في افرازها كما يحدث في افراز هرمون الإنسولين والجلوجاكون فيزيد الإنسولين عندما ترتفع نسبة السكر في الدم ويقل الجلوجاكون ، والعكس صحيح يرتفع الجلوجاكون ويقل الإنسولين عندما تقل نسبة السكر في الدم . وهناك نظام آخر للهرمونات يعمل بنقل الأوامر الصادرة من الدماغ إلى الخلايا ذات العلاقة فيحفزها على الإنتاج كما يحدث في الهرمونات التناسلية . وه كذا تتم في الجسم جميع الفعاليات الضرورية لحياة الإنسان . إن الهرمونات تسير في الدم ولكنها تختار خلايا محددة دون غيرها ، إنها عملية انتقاء واصطفاء أودعها الله عز وجل في الهرمونات ومستقبلاتها على الخلايا . إن قدرة الله عز وجل في استقبال خلايا معينة لهرمون بعينه دون الآخر لدليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى فهو بقدرته جعل لكل خلية من خلايا الجسم مستقبلات تستقبل بها الهرمونات والسيتوكينات لكي تقوم بوظيفتها المطلوبة منها . كما يوجد أيضا نظام يعمل على إيقاف استقبال هذه الهرمونات أو السيتوكينات إذا وصلت إلى ذروتها فيتم إيقاف تدفقها عبر الدم . ولكن يجب ألا ننسى هنا أن الهرمونات لا تملك وعياً كما يملكه الإنسان ، ولا تملك شعوراً ولا

³¹⁹⁾ <http://www.hormone.org>

إدراكاً لكي تقوم بتعين الاتجاهات ومعرفة ما تحمله ولمن تحمله ، فهي لم تتلق أي تدريب في هذا المجال ولم تملك هذه القابلية بعد سنوات من المران ومن التجارب ، ولكنها تفتح لها أبواب الخلايا المنوطة بها وهي المستقبلات Cell receptors . فالهرمونات هي بمثابة ساعي البريد الذي يدق أبواب صاحب الرسالة الموجهة وهي عبارة عن جزيئات معقدة جداً لا يمكن شرحها إلا بمعادلات ورموز كيميائية معقدة .

إن قيام جزيء الهرمون بمعرفة ما تحمله من رسائل وإلى أي خلية تحملها، ومواصلة سيرها في الظلام الدامس للجسم (الذي يكبرها بمليارات المرات) دون أن تضل طريقها، ثم قيامها بتنفيذ هذه الوظيفة على أحسن وجه ودون أي قصور، هذا كله عمل خارق ومعجزة مدهشة . ويكفي هذا المثال فقط لمعرفة مدى كمال وروعة الأنظمة التي أودعها الله تعالى في جسم الإنسان

تبدأ فعاليات هذا النظام الهرموني في العادة لدى الإنسان وهولا يزال جنيناً في رحم أمه، وتستمر حتى لحظة وفاته. والغدد التناسلية هي من الأعضاء التي تشرع في إبداء الفعاليات نتيجة تأثير الهرمونات . غير أن إفرازات الهرمونات المتعلقة بالغدد التناسلية تبدأ عند مرحلة البلوغ، وذلك خلافاً للهرمونات الأخرى . وعند مرحلة البلوغ يبدأ " الهايبوثالاموس " وبدعى بالعربية " ما تحت السري البصري " الموجود في الدماغ (والذي يعد مدير للنظام الهرموني) بإرسال الأوامر إلى الغدد النخامية (وهي من الغدد المرتبطة به) لكي تصدر أوامرها المحفزة للأعضاء التناسلية . إن هذا النظام الهرموني التناسلي مرتبط بالزمان والمكان أي أن الهايبوثالاموس Hypothalamus يكون على علم بما يجري في جسم الإنسان فهو يعرف - مثلاً - العمر الذي وصل إليه الإنسان وهل تم استكمال جميع الشروط المادية المواتية لبدء النظام التناسلي أو لا وهي مرحلة البلوغ ، وهو يتصرف في ضوء هذه المعلومات . ويتعبير آخر فإنه يقوم بحساب العمر، وعندما يدرك أن ذلك الشخص قد وصل إلى مرحلة البلوغ يقوم بإصدار الأوامر الضرورية لغدد الإفرازات الأخرى، أي يقوم بإرسال الرسائل (أي الهرمونات) الضرورية إلى الأعضاء التناسلية في أنسب الأوقات، فتتحقق بذلك التحولات والتطورات الضرورية في تلك المرحلة بما يحقق حفظ نسل هذا

الإنسان المعجز. إن هذه الوظيفة التي يقوم الهاييوثالامس بها بدأت منذ خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام ومن بعده حواء عليها السلام ثم الذرية منهما ومن بعدهما إلى أن تقوم الساعة ، بل يقوم هذا العضو الموجود لدى مليارات الأفراد الموجودين حالياً ولدى الذين عاشوا من قبل والذين يأتون من بعد حتى تقوم الساعة. والانسان على وجه الأرض يمارس حياته الطبيعية بإنجاز هذه المهمة بكل دقة وكفاءة دون تعطل أو توقف ، ولا شك أن كون قطعة من اللحم بحجم بضعة سنتمترات مكعبة على وعي بالزمن وقيامها بتعبيرات معينة حسب السنوات المنصرمة بل وكلما تقدم الانسان فى العمر يقل افراز هذه الهرمونات مما يضعف العملية التناسلية عنده ، وهذا أمر غريب يستدعي الوقوف عنده والتفكير فيه . فمن الذى أعطى كل هذه المعلومات لهذه الغدد كي تتصرف بتلقائية دون توقف بل تتصرف وفق الحالة الزمانية للخلايا التناسلية . فكيف يقوم الهاييوثالامس بمثل هذا الحساب ؟ أهناك من يقوم بتعليمه بما يجب عليه علمه، أم أنه قد أكتشف هذا الأمر بنفسه ؟ كيف عرف - يا ترى - بأنه من الضروري نمو وتطوير الغدد التناسلية لاستمرار نسل الإنسان ؟ وكيف حسب الزمن المناسب والملائم الذي يجب فيه البدء بإفراز الهرمونات ؟ وكيف يستطيع معرفة الهرمون المعين الذي يقوم بتحفيز النظام التناسلي في ذلك الوقت الملائم من بين الهرمونات العديدة التي يقوم الجسم بإفرازها ؟ وهل الخطط المستقبلية التي يقوم بوضعها والتدبيرات التي يتخذها في هذا الخصوص راجعة إلى رؤيته المستقبلية البعيدة المدى ؟ أم إلى تدبير الخالق سبحانه وتعالى فإنه جل شأنه وعظمت قدرته يقول فى محكم التنزيل **"الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين(7)"** سورة السجدة ، ويقول سبحانه وتعالى : **"سبح اسم ربك الأعلى (1)الذى خلق فسوى (2)والذى قدر فهدي(3)"** سورة الأعلى . نعم إن كل شئ خلقه قدر له وظيفته والقيام بها فى أحسن حال . إن مرحلة الإخصاب والتناسل تبدأ من سن البلوغ وتقل تدريجياً حتى سن الشيخوخة عند الرجال والعجز عند النساء و السؤال المهم لماذا ينتظر حتى يصل جسم الإنسان إلى الوضع المناسب من الناحية الفسيولوجية للتناسل ، وليس قبل هذا أو بعد هذا ؟ ولا تصل هذه الهرمونات التناسلية إلى أى عضو آخر فى جسم الإنسان دون الأعضاء التناسلية فهى على علم ودراية بالزمان والمكان فلا تخطئ أى منه ما . إن القدرة التي تدير كتلة اللحم الصغيرة هذه التي لا تملك سمعاً ولا بصرًا ولا عقلاً والتي تتصرف وكأنها كائن عاقل ، إن هذه القدرة عظيمة تتجاوز كل

قدراتنا وتخيلاتنا وفكرنا وتعلو عليهم، وهي قدرة لا مثيل لها ولا ندر، إنها قدرة الخالق سبحانه وتعالى وعز وجل.

ليست المصادفات ولا أي قوة أو مصدر آخر هو الذي يحيط الهايوثالامس علماً بالزمان وبمروره، وبالمكان وما يحتويه من خصيتين أو مبيضين أو مشيمة أو رحم إن الله تعالى هو المدبر لكل هذا، وهو الذي يهب هذا العضو كل هذه القابليات والخواص، أي هو الذي يلهم هذه الكتلة الصغيرة من اللحم ما يجب عليها عمله.

الهرمونات التي تستطيع تمييز الجنس

يقوم الهايوثالامس (ما تحت السرير البصري) بالخطوة الأولى في افتتاح مرحلة البلوغ لدى الرجل ولدى المرأة بإرسال هرمون جوناوتروبين (gonadotropins) إلى الغدد النخامية عن طريق الدم، فتبدأ هذه الغدد بإفراز الهرمونات المحفزة للأعضاء التناسلية حسب الأوامر الصادرة من الهايو ثالاموس، وهذه الهرمونات هي هرمون LH وهرمون FSH ويتم إفراز هذين الهرمونين في الرجل وفي المرأة على السواء، غير أن تأثيرهما يكون مخ لفاً فيهما. ويكون تأثيرهما مختلفاً اختلافاً كبيراً فيما بينهما مما يدعو إلى الدهشة ، فمثلاً الهرمون المسمى FSH هو الهرمون المسؤول عن ظهور وتكوين البويضة في النساء بينما يكون الهرمون نفسه هو المسؤول عن تكوين الحيوانات المنوية في الرجال ! أما هرمون LH فهو الهرمون المسؤول عن جعل بويضة المرأة في حالة حره، كما يساعد على إفراز هرمون البروجستيرون progesterone الذي يهيئ رحم المرأة لاستقبال الجنين . ولكن الهرمون نفسه يقوم بمهمة مختلفة جداً عند الرجال ، لأنه يقوم بتحفيز الخلايا لإفراز هرمون تستوستيرون (testosterone)، وهو الهرمون الذي يساعد على ظهور خواص الرجولة وتكوين الحيوانات المنوية أيضاً . ولا شك أنه من المثير أن تكون لنفس الهرمونات تأثيرات مختلفة في الأجسام المختلفة .

عندما يتم إفراز هرمون في جسد رجل يعلم هذا الهرمون أن هذه الخلايا تعود لرجل، ويقوم بعمل تغييرات حسب هذا العلم مثلاً يؤدي هذا الهرمون إلى زيادة العضلات في جسد الرجل وغلظ الصوت ونمو اللحية . والهرمون نفسه والذي يفرز نتيجة التفاعلات الكيماوية نفسها نراه يقوم بتأثيرات مختلفة في جسد

المرأة، بل مضادة تقريباً لتأثيراته في جسم الرجل، فهو يعطي صوت الرجل للرجل وصوت المرأة للمرأة (يزيد صوتها نعومة) ويتسبب في نمو الثديين في المرأة. فإذا كان بمقدور الهرمون التمييز بين جسد المرأة وجسد الرجل فمعنى هذا أنه على علم بكيمياء جسد الرجل وبكيمياء جسد المرأة ويعلم تشريح هذين الجسدين، وهذا يستوجب أن يكون مهياً بقدرة الخالق سبحانه وتعالى على هذا التمييز

إن معظم الناس لا يملكون أي معلومات حول الهرمونات المؤثرة في جسد الرجل وفي جسد المرأة، ولا حول العلاقات أو الفعاليات المختلفة الجارية فيهما ولا كيفية جريان هذه الفعاليات، وهم لا يعلمون شيئاً عن سلسلة القيادة وسلسلة الأوامر الصادرة ولا عن الرسائل العديدة الصادرة والواردة، ولا يعلمون أن نمو الجسم وتطوره مرتبط بهذه الرسائل العديدة الصادرة والواردة، ولا يدركون أن أي خلل - مهما كان ضئيلاً - في هذه المنظومات يؤدي إلى مشكلات حياتية كبيرة، وإضافة إلى هذا فهم لا يملكون أي سلطة أو قدرة في آلية هذه المنظومة وانسيابية عملها . وهذا شيء طبيعي جداً لمن لم يتلق تعليماً خاصاً في هذا الموضوع، ولكن الشيء الغريب والشيء غير الطبيعي أن تكون لمجموعة من الجزئيات مثل هذا العلم وهذه المعلومات وهذه المعرفة الواسعة ؟

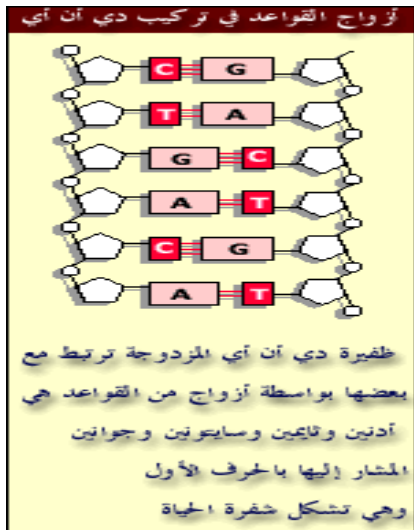
والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : من أين تملك الهرمونات هنا علم الكيمياء؟ ثم إنها لا تقتصر على معرفة كيمياء جسم الإنسان وحل رموزه بل هي تتصرف وكأنها عالم كيمياء ، فتصل إلى الأجزاء الضرورية في الجسم كما تقوم بتوجيه الخلايا الأخرى وتحفيزها لإنتاج الهرمونات اللازمة عند الضرورة . فكيف ملكت مجموعات الجزئيات هذه (المحرومة من الشعور والإدراك) مثل هذا العقل القادر على إنجاز كل هذه الأمور ؟ من الواضح أن مثل هذا العقل لا يعود طبعاً إلى هذه المجموعة من الجزئيات التي نطلق عليها اسم " الهرمونات " والحقيقة لاشك فيها أن مثل هذا النظام لم يظهر نتيجة المصادفات أو نتيجة تأثيرات وعوامل أخرى. يوجد تفسير واحد فقط لهذا الوضع الخارق وغير الاعتيادي، وهو أن هذا التعبير والتصبيط والتنظيم البيوكيميائي الخاص في جسد الرجل والمرأة يشير إلى وجود تخطيط وتصميم وتخطيط واع ومقصود، وهذا التصميم وهذا

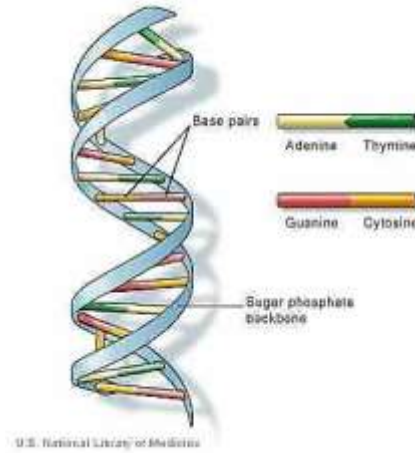
التخطيط يعود إلى الله تعالى وإلى علمه اللانهائي ومهمة الإنسان - في هذا المجال - في التفكير بعمق وتأمل هذا الفن الرفيع والباهر والاستسلام لربه الذي يحكم كل شيء في هذا الوجود "سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لكف بربك أنه على كل شيء شهيد) سورة فصلت

53

دائرة معارف الخلية:

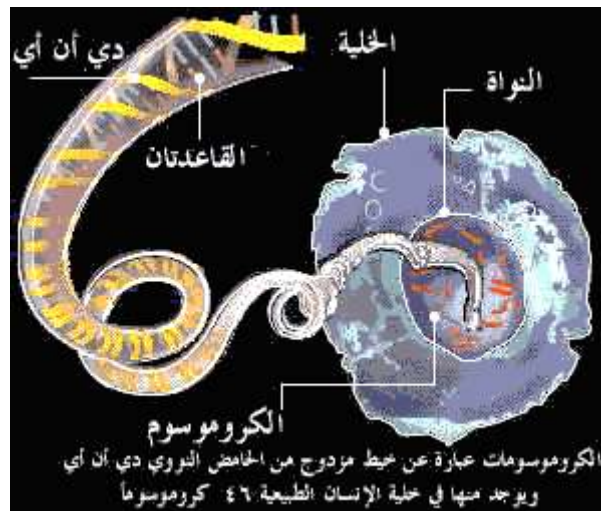
من جهة أخرى تعالوا بنا نتعرف على دائرة معارف الخلية بل إن شئت قل دائرة معارف الجسم في كل خلية من خلال الحمض الريبوزي النووي المنزوع الأوكسجين (DNA) هو أحد الجزيئات الحيوية والذي يحتوي على التعليمات الجينية التي تصف التطور البيولوجي للكائنات الحية ومنها البكتريا والفيروسات والخمائر والفطريات والطحالب . وهو يحوي التعليمات الوراثية اللازمة لأداء الوظائف الحيوية لكل الكائنات الحية . كما يعتبر وسيلة التخزين الطويل الأجل للمعلومات الوراثية وهي الوظيفة الأساسية لجزيئات ال.د.ن.ا بالإضافة إلى أنه يمكن من خلال هذه الجزيئات الحصول على المعلومات اللازمة لبناء خلايا وأنسجة وأعضاء الكائن الحي وبما يحتويه من بروتينات وكربوهيدرات ودهنيات وانزيمات وهرمونات. وتسمى قطع ال.د.ن.ا (DNA) التي تحمل معلومات وراثية يمكن ترجمتها لبروتينات بالموروثات أو الجينات . وكيميائياً؛ يتكون ال.د.ن.ا من سلسلتين من البوليمرات تشكل حلزون مزدوج ، هذه السلسلتين تتكون من وحدات بنائية (بوليمر) تسمى النيوكليوتيدات. وتتكون كل نيوكليوتيدة من ثلاثة جزيئات هي: سكر خماسي دي اوكسي ريبوز (سكر ريبوزي منقوص الأوكسجين)، مجموعة فوسفات ، وقاعدة نيتروجينية ، وهي عدة أنواع إما جوانين (G) أو ادينين (A) أو ثيمين (T) أو سيتوزين (C). وترتبط تلك النيوكليوتيدات مع بعضها البعض برابطة تساهمية ويتم الإرتباط بين جزيئات السكر والفوسفات بشكل متتابع لتكوين ما يعرف بهيكل سكر الفوسفات . بناء على قواعد الإرتباط، فإن كل سلسلة دنا تحتوي على قواعد نيتروجينية سترتبط ببعضها (الأدينين مع الثيامين و الجوانين مع السايروسين) برابطة هيدروجينية مكونة بذلك حلزون مزدوج (شكل 4/31).





شكل (4/31) يبين تركيب الحمض النووي الد.ن.ا وعليه القواعد النيتروجينية

إن جميع المعلومات الضرورية لإدارة عمل الخلية والنسيج والعضو الانساني موجودة ومخبوءة في جزئية DNA والتي تعين جميع خواص ذلك الإنسان في المستقبل مودعة في هذه الجزينات والإنسان لا يزال عبارة عن بويضة ملقحة حديثاً ، أي أن هذه المعلومات والخواص المتعلقة بالإنسان (بدءاً من لون العين إلى طول القامة إلى جميع الأمراض التي يكون قابلاً للإصابة بها في المستقبل) كل هذه المعلومات محفوظة بعناية في جزء صغير من بدن الإنسان لا يمكن رؤيته إلا بالمجهر الإلكتروني . وجزينات DNA موجودة في نواة كل خلية من خلايا جسمنا وبالبالغ عدده ا مئة ترليون خلية . و يبلغ متوسط قطر الخلية عشرة ميكرونات (الميكرون يساوي وحداً من الألف من المليمتر) وأن طول الحمض النووي بداخله متران فإن هذا لأمر عجاب وقدرة إلهية عظيمة لا يملكها إلا الخالق سبحانه وتعالى . فإذا علمنا هذا دهشنا كيف أن معلومات غزيرة وكثيرة جداً قد سُجّلت وخزنت في مثل هذا الحيز الصغير جداً .



شكل (5/31) يبين نواة الخلية وبها الكروموسومات التي عليها الحمض النووي



شكل (6/31) يبين الحمض النووي الذي عليه جميع تركيب وصفات جسم الإنسان

فإن شبهنا الـ DNA الذي يضمن دوام الكائن الحي ضمن تخطيط وبرمجة معينة) بدائرة معارف ستكون الكروموسومات هي مجلدات وأجزاء دائرة المعارف هذه . وعندما توجه العلماء لدراسة الجينوم البشري في أواخر التسعينيات من القرن العشرين ، ودرسوا منه حتى الآن ثلاثون ألف من الجينا ، أما بقية الجينات فللعلماء جهد كبير لمعرفة من خلال الدراسات التي تتم في معامل البيولوجيا الجزيئية حول العالم . ويحتوي الجينوم البشري، على سبيل المثال، على 3 مليارات زوج من هذه القواعد (لورمزنا لكل قاعدة بحرف من حروف الكتابة وكتبناها في صفحة ورقية (320) من النوع A4 لملأت 3 آلاف كتاب يحتوي كل

Yamada, NA; Rector, LS; Tsang, P; Carr, E; Scheffer, A; Sederberg, MC; Aston, ME; (320) Ach, RA; Tsalenko, A; Sampas, N; Peter, B; Bruhn, L; Brothman, AR. "Visualization of Fine-

كتاب على 500 صفحة، أي لشكل مجموعها كتاب كبير يبلغ ارتفاعه ارتفاع ناطحة السحاب مبنى إمباير ستيت



شكل (7/31) يبين التابع النيوكليتيدي على الحمض النووي وهذه الأحرف تمثل القواعد النيتروجينية (A,T,G,C) الأربعة مع اختلاف التابع بينهم

ويحتوي الجسم البشري على نحو 100 تريليون (100,000,000,000,000,000) خلية! ولو تم ربط الحمض النووي من هذه الخلايا مع بعض لأصبح طوله يعادل طول المسافة بين الأرض والشمس ذهاباً وإياباً⁽³²¹⁾، وتتخذ الكروموسومات أماكنها في جزيئة DNA أزواجاً أزواجاً، وهذا أمر مهم، ففي مرحلة خلق كل إنسان يأتي نصف هذه الكروموسومات من الأب والنصف الآخر من الأم. والكروموسومات الآتية من الأم (وعددها 23 كروموسوماً) تشكل أزواجاً مع الكروموسومات الآتية من الأب (وعددها 23 كروموسوماً أيضاً.) أي أن الكروموسومات الموجودة في نواة خلية كل إنسان (وبالبالغ عددها 46 كروموسوماً) تشكل 23 زوجاً من الكروموسومات . غير أن

Scale Genomic Structure by Oligonucleotide-Based High-Resolution FISH." Cytogenet Genome Res 132 (4), Feb. 2011:248-254. DOI: 10.1159/000322717

³²¹ (The Language of God , Francis Collins , 2007 , ISBN 13: 978 1 84739-092)

للكروموسوم الثالث والعشرين وضعًا خاصًا، فغالبًا ما يشار إلى الكروموسوم الثالث والعشرين إما بإشارة Y أو بإشارة X ففي الرجال يكون أحد الكروموسومين في الزوج الثالث والعشرين من نوع Y والثاني من نوع X أما في النساء فكلا الكروموسومين في الزوج الثالث والعشرين من نوع XX وهنا يرد إلى خاطر هذا السؤال : بما أن عدد الكروموسومات في كل خلية من خلايا كل إنسان هو 46 كروموسومًا فكيف يكون عدد كروموسومات الطفل الآتي إلى الدنيا من اتحاد خلايا الرجل مع خلايا المرأة 46 كروموسومًا أيضًا؟! إذن كيف يكون للطفل الوليد 46 كروموسومًا ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تعرف أمام الأنظار معجزة أخرى من معجزات الخالق .

هذه زهيرات من بساتين الهرمونات والجينات تدل على أن الله عز وجل جعل دراسة تراكيب الإنسان أمرا معجزا لابد له من بيان على أيدي المتخصصين في كل زمان ومكان .

الفصل الثاني والثلاثون

ضعف الإنسان كما بينه القرآن

لا يخفى على أحد من البشر مدى الضعف الذي يعتريه أمام أضعف المخلوقات ، بل ربما لأهون المشاكل يعتريه نوع من الضعف النفسى ، ولذلك يقول ربنا عز وجل **(وخلق الانسان ضعيفا 28)** سورة النساء ، وهذا بيان من رب العزة سبحانه وتعالى لحال الإنسان فى جميع أحواله أنه يعتريه الضعف من مهده إلى لحدده بأى من وجه من وجوهه سواء كان ضعفا حسيا أو معنويا ، يقول الله عزوجل **(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِّن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ 54)** سورة الروم

أنواع ضعف الإنسان

للإنسان مواطن ضعف كثيرة منها

- ضعف البنية الجسمانية ، وقد بينت فى الفصول السابقة هذا الضعف فى المرحلة الجنينية وحتى خروجه من بطن أمه
- ضعفه بالنسبة إلى خالقه
- ضعفه بالنسبة إلى الكون الذى يعيش فيه لقول الله عز وجل **(لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** سورة غافر
- ضعفه أمام أضعف الكائنات الدقيقة (البكتريا والفيروسات ، والفطريات والطحالب)
- ضعفه أمام الشهوات ، مثل شهوة النساء ، وحب البنين ، وحب المال والذهب والفضة ، وحب الخيل ، وحب الأنعام ، وحب الحرث والركون إلى

متاع الدنيا وإهمال السعى إلى الآخرة لقول الله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيول المسومة والأنعم والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المناب(14) سورة آل عمران

- ضعف الرأى
- ضعف العزيمة (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما)
- سورة طه
- ضعف الطفولة
- ضعف اليتيم
- ضعف الشيخوخة
- ضعف الخدم والرقيق
- ضعف الفقر
- ضعف الدين
- ضعف المرض - ضعف الهَمِّ - ضعف الكفر - ضعف الأقلية - ضعف الغربة - ضعف الأسر - ضعف المدنيين في الحروب - ضعف الموت - ضعف القبر - ضعف يوم القيامة.

واقع الأمر أن كل الناس ضعفاء ! فلن يُعَدَمَ إنسان صورة من صور الضعف،

فكلنا خُلِقنا من ضعف، ونحن إلى الضعف صائرون!

وهذا كلام نفيس قال الحسن البصري قال : مسكين ابن آدم ، محتوم الأجل ، مكتوم الأمل ، مستور العلل ، يتكلم بلحم ، وينظر بشحم ، ويسمع بعظم ، أسير جوعه ، مطيع شعبه ، تؤذيه البقة، وتنتنه العرقة ، وتقتله الشرقة ، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ويضرب الله المثل على ضعف الإنسان ويبين أنه مثل ضعف الذباب فيقول الله عز

وجل (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن

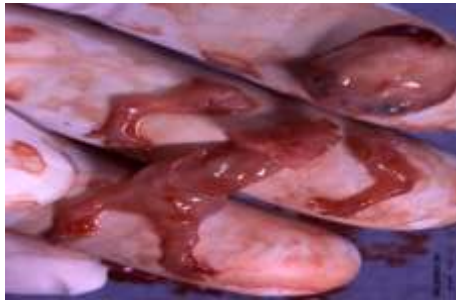
يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف

الطالب والمطلوب(الحج 73)

وهذا هو نبي الله موسى عليه السلام يشهد لهذه الأمة(أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالضعف ، وقد صرح **موسى** في حوارهِ مع رسول الله ليلة المعراج أن أمة الإسلام فيها صورة من الضعف ؛ فقال لرسول الله عندما علم منه أن الله قد

فرض على أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة "يَا مُحَمَّدُ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَوْتُ نَبِيَّ
إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأَمَّتْكَ أَوْجَعُ أَجْسَادًا
وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ فَوَلِّحْ عَنكَ رَبُّكَ!".

وقد وصف رسول الله أصحابه بالضعف -ولا يُقَلِّلُ هذا أبدًا من شأنهم- فأبو ذر
من كبار الصحابة ومن سابقهم، ومع ذلك يخاطبه رسول الله قائلاً "يَا أبا ذر، إِنِّي
أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ
يَتِيمٍ".

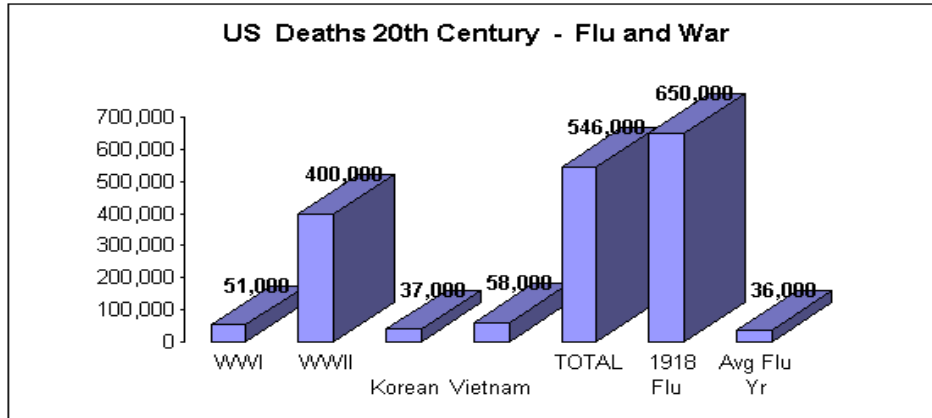


شكل(1/32) جنين سقط تأمل مدى الضعف الذي فيه حتى بعد تكوين العظام والعضلات

ضعف الإنسان أمام أضعف الكائنات الحية

إن الإنسان قد يغتر بقوته يوماً ما لكنه يعترف بضعفه أمام أضعف الكائنات
لونظرنا إلى الذين ماتوا من أوبئة الأنفلونزا في القرن العشرين لوجدنا أنهم
يزيدون على مائة مليون فرد حول العالم - وباء 1918 - 1919 اصاب ما يزيد عن 200
مليون من البشر ومات ما يزيد على 100 مليون spanish flu H1N1 (Barry 2004) نسبة
الوفيات 2.5% ، ووباء 1957-1958 مات مع 5.4 - 6 مليون من البشر وهي الإنفلونزا الآسيوية
H2N2، وباء 1968-1969 وهي انفلونزا هونج كونج أودى بحياة 1.5 - 2 مليون من البشر
H3N2

وبمقارنة الذين قتلوا من الأمريكان في الحرب العالمية الأولى والثانية وحرب فيتنام وكوريا ،
والذين ماتوا من وباء الأنفلونزا نجد أن الذين قتلوا في هذه الحروب 546000 ، بينما الذين
ماتوا من الأنفلونزا 650000



شكل (2/32) حالات الوفيات من أوبئة الأنفلونزا مقارنة بالذين قتلوا في الحرب العالمية الأولى والثانية وحرب كوريا وحرب فيتنام في الولايات المتحدة الأمريكية

وإذا نظرنا إلى أوبئة الطاعون التي اجتاحت أوروبا وقتلت منهم حوالي 137 مليون من السكان⁽³²²⁾ وانتشر في أوروبا من القرن السادس حتى القرن السادس عشر وما زالت بعض الحالات تظهر مفردة في بعض المناطق ، ويقول الأوربيون لولا الطاعون لتقدمت أوروبا 150 سنة إلى الأمام

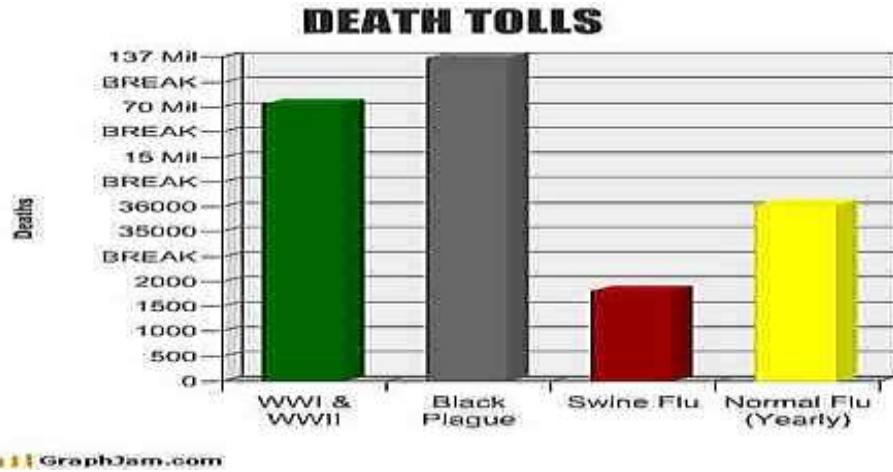


شكل (3/32) بين خريطة اجتياح الطاعون لدول العالم أفريقيا وآسيا وأوروبا

Cohn, Samuel K. (2003). *The Black Death Transformed: Disease and Culture in Early Renaissance* (³²² Europe. A Hodder Arnold. p. 336. ISBN 0-340-70646-5.



شكل (4/32) خريطة من منظمة الصحة العالمية في 2013 تبين انتشار الطاعون في بلدان العالم



شكل (5/32) يبين مقارنة الذين ماتوا من الحرب العلمية الأولى والثانية ، والذين ماتوا من الطاعون وإنفانزا الخنازير 2009 والإنفلونزا الموسمية

وظهر الجدرى⁽³²³⁾ في روما في القرن الثاني الميلادي (165-180)؛ في أكثر من 20 مليون مصاب ، وفي القرن الثالث الميلادي دخل هذا الوباء معظم البلدان

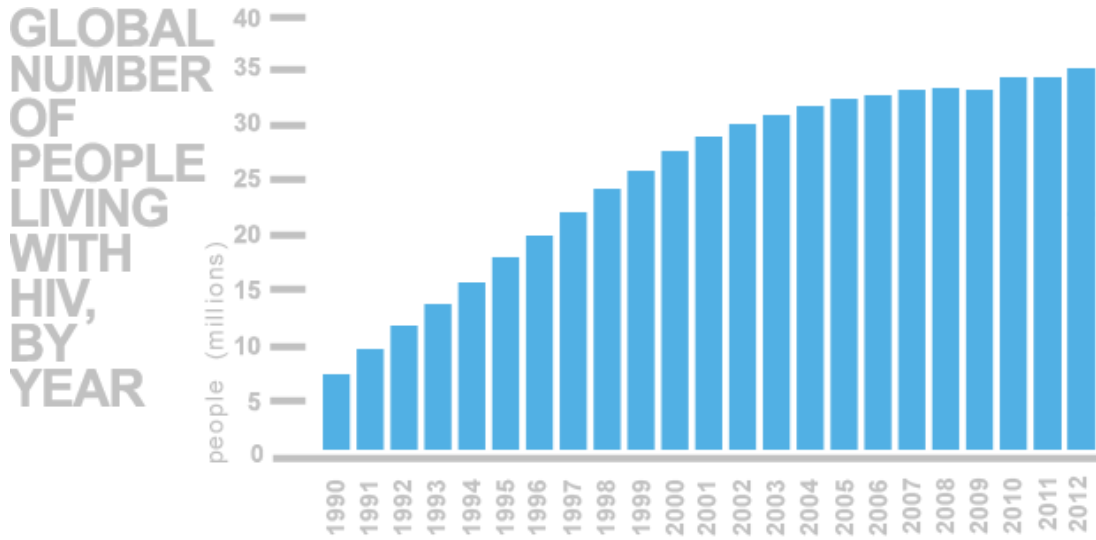
Smallpox and Vaccinia Donald A. Henderson' and Bernard Moss' Bookshelf » Vaccines : (323)
NCBI <http://www.ncbi.nlm.nih.gov/bookshelf/br.fcgi?book=vacc&part>

الأوروبية فيما عرف بالوباء القبرصي ، وفى القرن السادس عشر الميلادى اجتاح هذا الوباء أوروبا فيما عرف بوباء هسبانيولا ، وفى القرن الثامن عشر الميلادى اجتاح هذا الوباء أوروبا وأسيا وأمريكا وأفريقيا ومحا 90% من سكان خليج ماساسويتشس ومالا يقل عن 30% من سكان شمال غرب المحيط الهادى ، وفى القرن التاسع عشر الميلادى وفاة 95% من الأمريكيين الأصليين ، ووفاة 50% من سكان استراليا الأصل بين فى السنوات الأولى للإستعمار البريطانى ، وفى القرن العشرين فمن المقدر أن الجدري كان مسؤولا عن 300-500 مليون حالة وفاة . ومؤخرا فى 1950 وفى وقت مبكر من الحالات تقدر ب 50 مليوناً من مرض الجدري فى العالم كل سنة



شكل (6/32) حالات من مرض الجدري الذى اجتاح العالم وتسبب فى وفاة 500 مليون فى القرن العشرين

وفيروس الإيدز الذى اجتاح العالم ولم يتم توقيفه حتى الآن رغم الاستعمالات الكثيرة للأدوية المضادة له واللقاحات إلا أنها جميعا باءت بالفشل .وقد قدرت منظمة الصحة العالمية عدد الإصابات والوفيات فى نشراتها بالملايين وقد وصل عدد المحملين للفيروس حتى عام 2012 بخمسة وثلاثين مليوناً أغلبهم من دول إفريقية ومن أمريكا اللاتينية



شكل (7/32) يبين احصائية الحاملين لفيروس الإيدز حسب مؤشرات منظمة الصحة العالمية

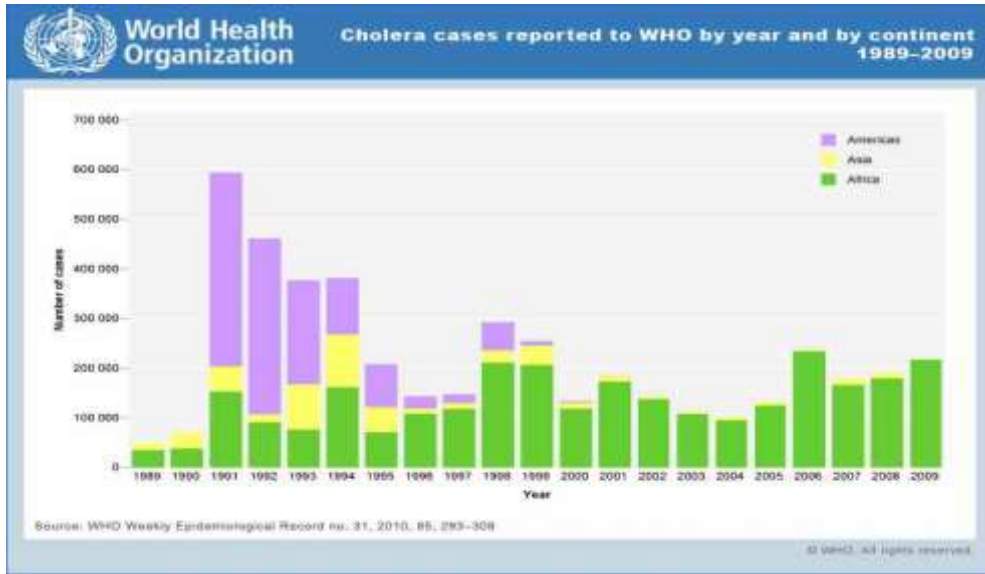
ورغم أن فيروس الإيدز فيروسا ضعيفا إلا أنه يقوم بتدمير جهاز المناعة مما يؤدي إلى ضعف المقاومة الطبيعية للجسم ضد الميكروبات التي تغزوه (شكل 8/32) فتهاجمه هجوما شرسا يؤدي إلى الوفاة



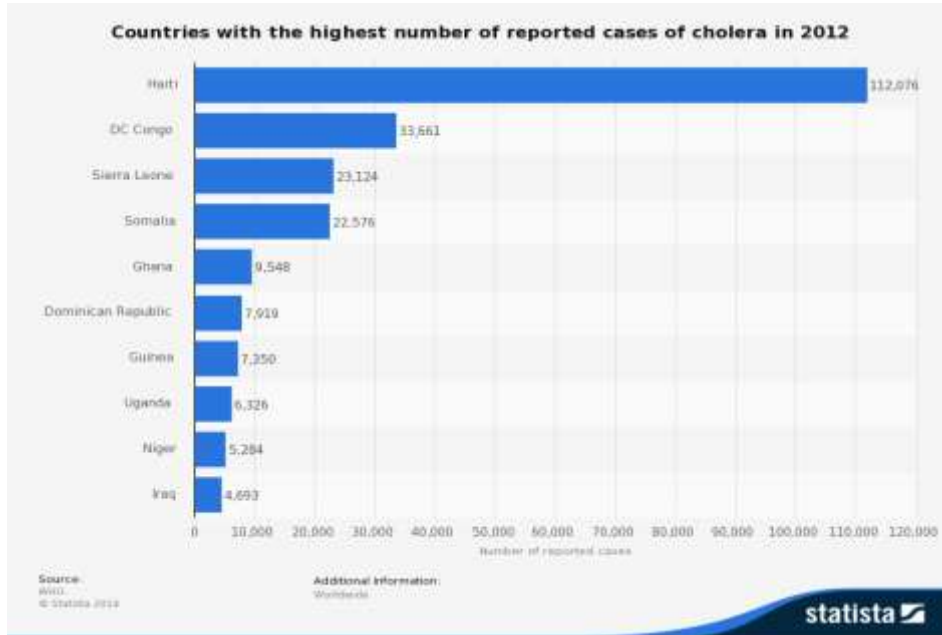
شكل (8/32) يبين اصابات فى الفم نتيجة غزو فطر الكانديدا بسبب ضعف المناعة الناتجة عن الإصابة بفيروس الإيدز

وأوبئة الكوليرا ليست منا بعيد ، فقد ظهر أول وباء للكوليرا 1816-1826 واقتصر على شبه القارة الهندي وبدأ انتشار الوباء في البنغال، ثم انتشرت في مختلف أنحاء الهند بحلول 1820. حوالى عشرة ألف من القوات البريطانية وعدد لا يحصى من الهنود لقوا مصرعهم خلال هذا الوباء ، وظهر فى الصين واندونيسيا وتقدر حالات الوفاة فى الهند بين 1817-1860 بنحو 15 مليون شخص. ومات عدد آخر حوالى 23 مليون نسمة بين 1865-1917 فى أوروبا وأسيا وحفرت المقابر الجماعية . وظهر بعد الوباء الأول ستة أوبئة أخرى ليصل عددهم إلى

سبعة حول العالم . وقد تعرضت منطقة الحجاز في الفترة من 1831م - 1916م لعدة أوبئة من الكوليرا. ولا يزال بعض الأوبئة تظهر في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وأسيا وقد سجلت منظمة الصحة العالمية هذه الأوبئة ، وبينما لجدول التالي أوبئة الكوليرا التي ظهرت متتابعة في العالم



شكل (9/32) يبين عدد حالات الكوليرا حول العالم كما سجلتها منظمة الصحة العالمية حتى 2009



شكل (10/32) يبين عدد الحالات المسجلة للكوليرا حتى عام 2012

أوبئة كثيرة كان سببها أضعف المخلوقات من البكتريا والفيروسات والفطريات إلا أنها استطاعت أن تدمر هذا الإنسان المغتر بنفسه مع ضعفه الملحوظ ، ولذلك يذكرنا ربنا عز وجل دائما بقوله (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (6) الذي خلقك فسواك فعدلك(7) فى أى صورة ماشاء ربك(8) سورة الإنفطار

ضعف الشيطان أمام قوة إيمان الإنسان:

ومع كل هذا الضعف الذى يعترى الإنسان فقد جعل الله عز وجل الشيطان ضعيفا أمام المؤمن يقول الله عز وجل : (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76) (النساء) ، ويقول ربنا عز وجل : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(42) والإنسان المؤمن عندما يعتربه نزغ من الشيطان الرجيم يستطيع أن يتغلب عليه بالإستعاذة بالله منه يقول الله عز وجل (واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم(200) سورة الأعراف ، وروى الإمام البخارى والإمام مسلم بسنديهما واللفظ للبخارى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته صلى الله عليه وسلم، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر: فأنت أحق أن يهين يا رسول الله فقال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهنبنى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيهآ يا ابن الخطاب، والذي نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكآ فجآ قط إلا سلك فجآ غير فجآ(324)

(324) رواه البخارى 3683، ومسلم 2396

نعم لابد وأن نعترف بالضعف ، ولكن لابد وأن تتقوى عليه بأركان الإيمان التي ذكرها ربنا عز وجل في كتابه العزيز في قوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (285) سورة البقرة ، وفي الحديث الصحيح عند الإمام البخارى بسنده عن عمر بن الخطاب وهو حديث جبريل عليه السلام الذى جاء يعلم الأمة أمر دينها وذكر فيه (أخبرنى عن الإيمان قال أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) فهذه هى أركان الإيمان الستة التى لو حققها المسلم لأطمئنت نفسه وعاش سعيدا فى الدنيا والآخرة

الفصل الثالث والثلاثون

الشيخوخة

الشيخوخة هي مرحلة عمرية يعترى صاحبها الضعف والوهن ، وهي تتاج تقاعس في عمل الجينات مرتبط بالزمن ، وتأمل معي قول ربنا عز وجل : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شِيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(67) سورة غافر. والشيخوخة وهي مرحلة الضعف التدريجي الذي يضطر الإنسان لها إلى الاعتماد على مساعدة غيره في القيام بشؤون نفسه، ويصير مرة أخرى ضعيفاً كما كان في طور الطفولة فالإنسان يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً ، وفي الشيخوخة المتأخرة يدخل في طور من الخلق لا يعلم فيه شيئاً كما قال الله عز وجل: (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً(5) سورة الحج. إنها دورة الحياة وأطوارها التي يمر بها جسم الإنسان إذا امتد به العمر. ضعف ثم قوة ثم ضعف وشيبة



شكل (1/33) علامات الشيخوخة على كبار السن

وتعرف على مظاهر العمر ، ومراحل الضعف التي تعتري الإنسان فى قوله تعالى (**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**) (٥٤) سورة الروم هذه هى مراحل الحياة الدنيا : ضعف ثم قوة ثم ضعف أى أن الإنسان عبارة عن قوة بين ضعفين

وقد بين سبحانه وتعالى الضعف الأول الذي خلقهم منه فى آيات من كتابه العزيز : (**ألم نخلقكم من ماء مهين(20) سورة المرسلات ، وقال : (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين(4) سورة النحل ، وقال تعالى : (فلينظر الإنسان مم خلق(5) خلق من ماء دافق(6) سورة الطارق**

وقال فى الضعف الثانى : (**ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لى لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير(70) سورة النحل، وقال: (ومن نعمه ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون(68) سورة يس**

وأشار إلى القوة بين الضعفين فى آيات من كتابه كقوله تعالى: (**إليها الإنسان ما غرك بربك الكريم(6) الذى خلقك فسواك فعدلك(7) سورة الإنفطار، وقوله تعالى (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين(4) سورة النحل ، وقوله عز وجل (**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً**) (54) سورة الروم ، وتقرأ كلمة ضعف بفتح الضاد وبضمها والضم أولى ، واختار حفص القراءة بالضم وفاقا للجمهور للحديث الوارد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عطية العوفى أنه أعنى ابن عمر قرأ عليه صلى الله عليه وسلم : من ضعف بفتح الضاد ، فرد عليه - صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقرأها بضم الضاد (325). وتعتبر فترة المراهقة هى طور الشباب ، وهو طور الانتقال من الطفولة إلى الرجولة ، فتزداد القدرات البدنية ، والعقلية، والنفسية بالتدرج حتى تصل إلى قمته فى سن الخامسة والعشرين ، وتستمر بهذا الزخم إلى سن الخامسة والأربعين (وهى مرحلة الرجولة الكاملة) ثم يبدأ منحني الجسد فى التدهور ليدخل فى دور الكهولة ثم الشيخوخة. ويسمى القرآن الكريم مرحلة الرجولة باسم مرحلة بلوغ المرء أشده فيقول : (**حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدي وأن****

(325) والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه ، ورواه غيرهما ،

أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين(15)
سورة الأحقاف. وهي قوة تشهد لله الخالق بأنه هو وحده وإهياها , ومرتبها,
ومنظمها حسب علمه وحكمته وقدرته.

من مفردات الضعف كما وردت في القرآن الكريم:

وجاءت مفردات كثيرة في كتاب الله تعالى تشير إلى الضعف منها "شيبا": وقد
وردت هذه الكلمة في قصة سيدنا زكريا عليه السلام بقوله تعالى: **"قَالَ رَبِّ إِنِّي
وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا(4)"** سورة مريم.

ووصف القرآن الكريم الشيخوخة ، والكبر في السن و من بلغها بأسلوب يفيد
الاسترحام لما فيها من الضعف في البنية والوظائف، مثل : **(مسنى الكبر**
**(الحجر:54، (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) البقرة:266، (وَقَدْ بَلَغَنِ الْكِبَرِ) آل عمران:40، (وَقَدْ
بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا) مريم:8، (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) القصص:23. لكى ينه السامع
والقارئ لكتاب الله تعالى على حسن التأدب في المعاملة مع كبار السن الذين
أصابهم الكبر والضعف**

الشيخوخة في السنة المطهرة

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير فيها إلى هذه
المرحلة العمرية منها ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه " : اغتتم خمسا قبل خمس شبابك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل
موتك(326) ، وقال المناوي : " اغتتم خمسا قبل خمس أي افعل خمسة أشياء
قبل حصول خمسة أشياء حياتك قبل موتك يعني اغتتم ما تلقى نفعه بعد موتك
فإن من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فاقترض منك لك
وصحتك قبل سقمك أي اغتتم العمل حال الصحة فقد يمنع مانع كمرض فتقدم
المعاد بغير زاد وفراغك قبل شغلك أي اغتتم فراغك في هذه الدار قبل شغلك

³²⁶ (أخرجه الحاكم في المستدرک رقم(7846) 4 / 341 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه ، وابن أبي شيبة رقم(34319) 7 / 77 ، والقضاعي في مسندالشهاب رقم(729) 1 / 425، وصححه
الألباني في صحيح الجامع رقم(1077) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم335.

بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتنم فرصة الإيمان لعلك تسلم من العذاب والهوان وشبابك قبل هرمك أي اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتقدم على ما فرطت في جنب الله وغناك قبل فقرك أي اغتنم التصديق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيرا في الدنيا والآخرة فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها⁽³²⁷⁾ ، وحث صلى الله عليه وسلم المسلم على تحديد أهداف للمستقبل يسعى لتحقيقها وأهمها مرضات الله عز وجل ، باتباع قوله صلى الله عليه وسلم : (خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله)⁽³²⁸⁾ . وبين صلى الله عليه وسلم ثواب إكرام أهل الشيخوخة وحث عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : ما أكرم شاب شيخاً من أجل سنه إلا قبض الله له عند سنه من يكرمه⁽³²⁹⁾ . وهذا الحديث فيه طلب التواصل بين الأجيال لأهميتها بربطها مع بعضها ، وبين صلى الله عليه وسلم أن من أراد أن يعظم الله عز وجل فالسبيل إليه بإكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القرآن والسلطان المقسط أي العادل في حكمه بشرع الله بين الناس ، لأنه ليس عدل إلا في تطبيق شرع الله عز وجل فيقول صلى الله عليه وسلم: (ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشبهة المسلم وحامل القران غير الغالي فيه والجافي عنه واكرام ذي السلطان المقسط⁽³³⁰⁾) ، وقال الحميدي في مسنده⁽³³¹⁾: ثنا سفيان قال ثنا ابن أبي نجيح قال أخبرني عبيدالله بن عامر أنه سمع عبدالله بن عمرو يقول : قال ثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا" وللحديث طريق ثان عند البخاري في الأدب المفرد برواية محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " ليس منا من لم يعرف حق

³²⁷ (فيض القدير للمناوي 16/2)

³²⁸ (رواه أحمد والترمذي وصححه عن عبد الله بن بشر بلفظ خير الناس من طال عمره وحسن عمله

³²⁹ (رواه الترمذي وقال حديث غريب

³³⁰ (رواه ابو داود

³³¹ (رواه الحميدي في مسنده (2/586) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (1/62) من طريق الحميدي به ، وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، فقد احتج بعبدالله بن عامر اليحصبي ، ولم يخرجاه قلت : إسناده صحيح فقط ، قال عثمان الدارمي في رتبته (رقم 469): " وابن أبي نجيح ، عن عبيدالله بن عامر عن عبدالله بن عمرو ، من عبيدالله ؟ فقال (يعني يحيى بن معين) : هو ثقة " ، وبقية رجال السند ثقات قول الحاكم : " فقد احتج - (يعني مسلم بن الحجاج) - بعبدالله بن عامر اليحصبي " ، ردّه البيهقي في شعب الإيما ن (7/458 - طبعة الكتب العلمية) وقال : " ثم زعم - يعني شيخه الحاكم النيسابوري أنه عبدالله بن عامر اليحصبي ، وغلط فيه إنما هو عبيدالله بن عامر المكي "

كبيرنا، ويرحم صغيرنا(332) . " ، وفي تكريم كبار السن روى البخاري عن أبي سعيد بن سمره بن جندب رضي الله عنه قال : « كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : غلاماً فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا ههنا رجلاً هم أسن مني»

ومن النماذج الحية على توقير الكبار في السن واحترامهم في الاسلام اعطاء كبير السن افضلية في امامة المسلمين في حالة التساوي في حفظ القران وقراءته والعلم بالسنة ، وكذلك اعطاء الكبير حق الكلام قبل الصغير في المجالس ، وبشكل عام وجوب اجلاله ، وايضاً حثه صلى الله عليه وسلم للشباب على بر اصدقاء ابيه واقاربه يقول صلى الله عليه وسلم (إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه) رواه مسلم.

المعنى اللغوي للشيخوخة:

قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط : الشَّيْخُ والشَّيْخُونُ : مَنْ اسْتَبَانَ فِيهِ السِّنُّ، أَوْ مِنْ خَمْسِينَ أَوْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ إِلَى آخِرِ عُمُرِهِ أَوْ إِلَى الثَّمَانِينَ ، والشَّيْخُ هُوَ مَنْ أُدْرِكَ الشَّيْخُوخَةُ ، وَهِيَ غَالِبًا عِنْدَ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعَمْرِ، وَهُوَ فَوْقَ الْكَهْلِ وَدُونَ الْهَرَمِ ، وَهُوَ ذُو الْمَكَانَةِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ فَضْلٍ أَوْ رِيَاةٍ . قال الله تعالى : (هذا بعلي شيخاً(72) سورة هود، (وأبونا شيخ كبير(23) سورة القصص.

الشيخوخة كاصطلاح علمي:

الشيخوخة Ageing أو aging هي عملية الهرم والتقدم بالعمر التي تصيب الكائنات الحية نتيجة تناميها . وهي عبارة عن خلل وتلف في عمليات النظام الحيوي للجسم مع مرور الوقت والزمن . والشيخوخة أصبحت تدرس حالياً كعلم يتناول النواحي الثقافية والاقتصادية والصحية ودراسات الوعي والتغيرات الاجتماعية والديموغرافية من أجل الوصول بكبار السن إلى السعادة وبعدهم عن الكآبة. ويرى بعض الباحثين ، تقسيم المسنين من خلال مدخل العمر الزمني إلى فئات أكثر تخصيصاً وتشمل الكهل (60-75 سنة) ، والشيوخ (75-85 سنة) ،

³³² (رواه البخاري في الأدب المفرد(355) ، وأخرجه الترمذي(8/ص108-109 -عارضه الأحمدي) قال : حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق به قال الترمذي"حديث محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب حديث حسن صحيح"

والهرم (85-100 سنة) ، والمعمر من بلغ مائة عام فأكثر ، ومنهم من يرى أن الكهولة من 40- 50 سنة والشيخوخة من 50- 60 سنة ، والهرم من 60- 70 ، وأرذل العمر من 70 – 80 سنة



شكل(2/33) منحنى الضعف والقوة فى مراحل عمر الإنسان بالزمن

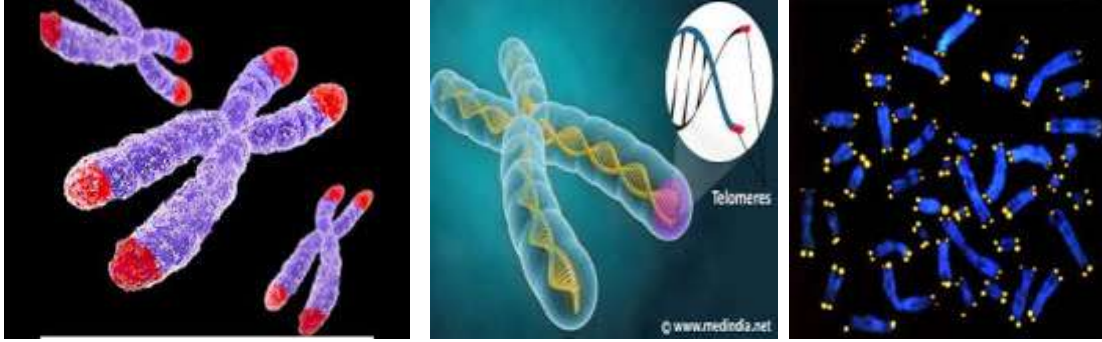
ما يتحكم فى تحديد العمر:

يقول الأخصائيون: إن للإنسان ثلاثة أعمار: عمر يحدده التقويم (أي الزمن) ، عمر بيولوجي (حيوي) تحده طريقة قيام الجسم بوظائفه الأساسية ، وعمر سيكولوجي (نفسى) وهو الذي يبدو علينا فى تصرفاتنا ومواقفنا من الحياة . ويقال بهذا الصدد إن الشيخوخة «حالة نفسية» ليس لها من الأهمية إلا ما نعطيها نحن لها».

التوجيه العلمى:

كثر الجدل والكلام عن لماذا يهرم الإنسان ولماذا يتدهور صحيا مع كبر سنه ؟ . فى الحقيقة هذا التدهور الصحى هو نوع من التدمير الذاتى المبرمج(Phenoptosis) فى جينات الخلية الحية. ومن أجل الوصول إلى حقيقة هذا الأمر لابد وأن نفهم ما يحدث على مستوى الخلية . فقد اكتشف العلماء أخيراً آلية مهمة تبدأ بقده جينات الشيخوخة لتحتها على العمل والتأثير وهى: أن العمر المحدد للحياة فى خلايا الجسم البشرى يحدد من قبل نواكيب من مادة الـ"دي-إن-إيه" DNA (وهى المادة الوراثية فى نوى الخلايا) سميت:

"التيلوميرات" telomeres، ترى في نهايات الكروموسومات⁽³³³⁾ على شكل أغلفة covers تغطي الجينات المسئولة عن الهرم aging في الخلية.



شكل (3/33) يبين توضع التيلوميرات على نهاية الكروموسومات والتي بنقصها تؤدي إلى الشيخوخة

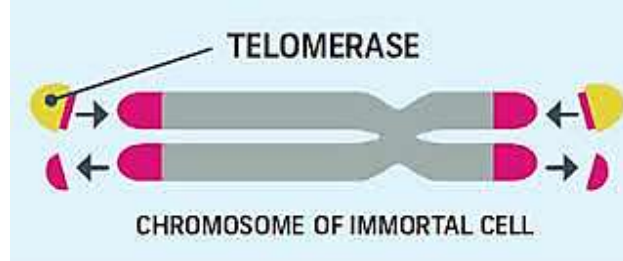
وفي كل مرة تقوم الخلية بعملية إنقسام خلوي جديدة فإن التيلوميرات فيها تصبح أقصر طولاً، حتى يأتي وقت تكون التيلوميرات فيها أقصر ما يمكن فتتكشف جينات الشيخوخة التي كانت تغطيها وتمنعها من العمل والتأثير، وبهذا تحين مرحلة الشيخوخة أو موت الخلية Senescence of Cells عندما تبدأ جينات الشيخوخة في العمل.

وتنتيجة لاكتشاف العلماء أيضاً خاصية مميزة موجودة في جميع أنواع الخلايا السرطانية وهي قدرتها على الإنقسام السريع المستمر (الإنقسام المخلد) immortal cellular division بسبب وجود أنزيم "التيلوميريز" (telomerase)⁽³³⁴⁾ في خلاياها والذي يحافظ على طول التيلوميرات في الخلايا السرطانية بصورة دائمة نتيجة تغطيته للتيلوميرات لهذا لا ينقص طولها وبهذه الطريقة تحافظ الخلايا

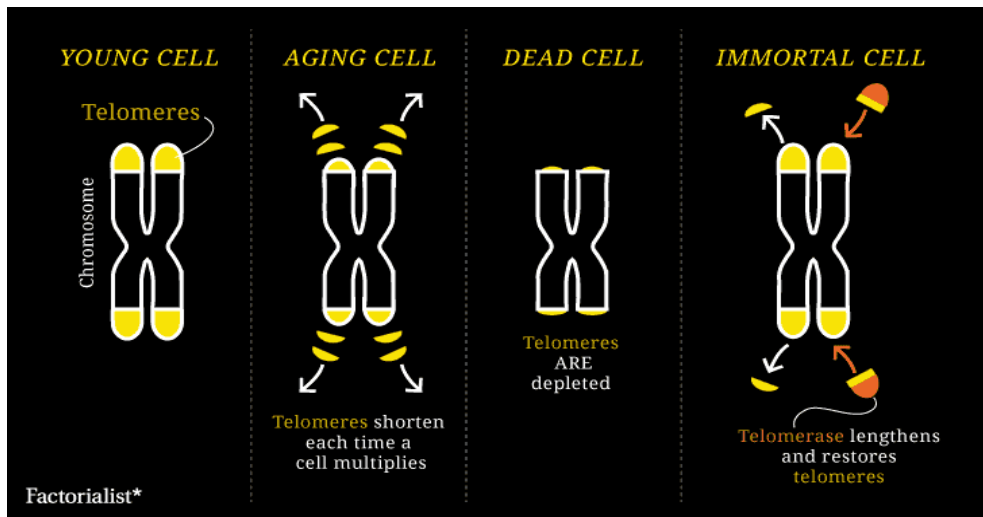
Moyzis,R.K., Buckingham,J.M., Cram,L.S. et al. (1988) A highly conserved repetitive ⁽³³³⁾ DNA sequence, (TTAGGG)_n, present at the telomeres of human chromosomes. Proc. Natl Acad. Sci. USA, 85, 6622–6626.

Shay,J.W. and Wright,W.E. (2000) Implications of mapping the human ⁽³³⁴⁾ telomerase genes (hTERT) as the most distal gene on chromosome 5p. Neoplasia, 2, 195–196.

السرطانية على نفسها من الهرم ، ولذلك فكر العلماء⁽³³⁵⁾ في استخدام هذا الإنزيم في عودة الشيخوخة إلى الشباب



شكل (4/33) انزيم التيلوميراز ومنع نقصان التيلميرات من كروموسومات الخلايا السرطانية



Yang,J., Chang,E., Cherry,A.M., Bangs,C.D., Oei,Y., Bodnar,A., Bronstein,A., Chiu,C.P. (³³⁵ and Herron,G.S. (1999) Human endothelial cell life extension by telomerase expression. J. Biol. Chem., 274, 26141–26148.

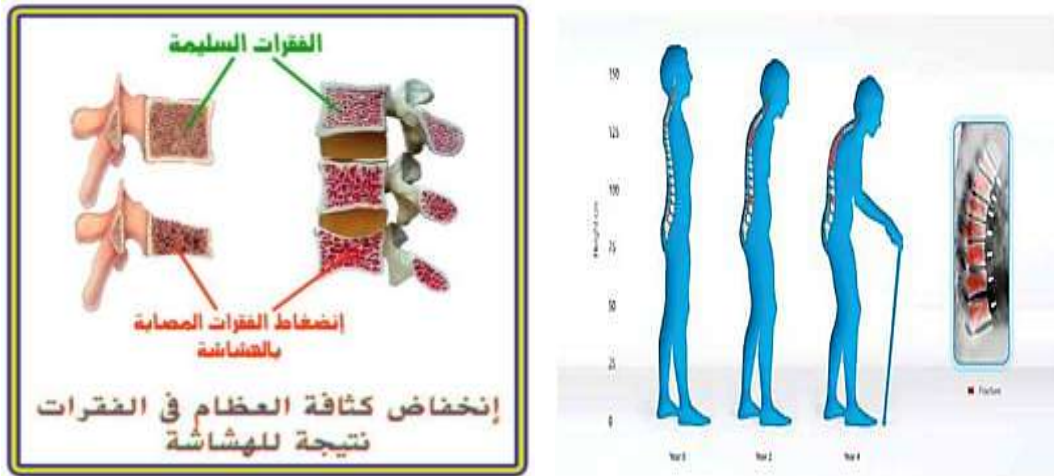
شكل (5/33) يبين الكروموسومات وعليها التيلوميرات مع اختلاف طولها وقصرها من الخلايا الشابة والخلايا الهرمة (3، 4) ، وعدم وجودها في الخلايا الميتة (2) واتحاد إنزيم التيلوميراز مع التيلوميرات في الخلايا السرطانية (1)

بينما وجد العلماء أن معظم خلايا الجسم النشطة والقادرة على الإنقسام لا تمتلك مثل هذا الإنزيم ماعدا الخلايا الجذعية Stem Cells في نخاع العظم Bone Marrow التي تظل تنقسم حتى موت الجسم الذي يحويها والخلايا الجذعية جعلها الخالق العظيم المبدع تمتلك هذه الخاصية فلا تهرم أبدا، وفي ذلك حكمة إلهية بالغة فإن الإنسان لا يستطيع العيش بدون خلايا الدم و خلايا المناعة التي تحمي الجسم بإذن الله من الأمراض وتصد عنه غوائل الأعداء. ولقد استفاد العلماء من اكتشاف هذه الحقائق العلمية الباهرة وهم يحاولون اليوم تطبيق استنتاجاتهم من هذه الإكتشافات في مجالات طبية هامة تفيد البشر، مثل: إمكانية إعادة الشباب والحيوية والنشاط لخلايا وأنسجة الجسم الهرمة Revitalization of cells وذلك بمحاولة إنتاج مواد تحث إنتاج إنزيم التيلوميراز ليحافظ على أو يعيد طول التيلوميرات أو إنتاج نوع من البروتينات التي تستطيع منع النقص في طول التيلوميرات وكذلك إنتاج نوع من العلاج المناعي أو اللقاح يوجه لتثبيط إنزيم التيلوميراز النشط في الخلايا السرطانية فيعجل بنقص طول تيلوميراتها والذي يؤدي إلى قدح آليات هرمها ويساعد بذلك على إيقاف انقسامها ثم اندثارها والشفاء من شرورها بإذن الله القادر على كل شيء.

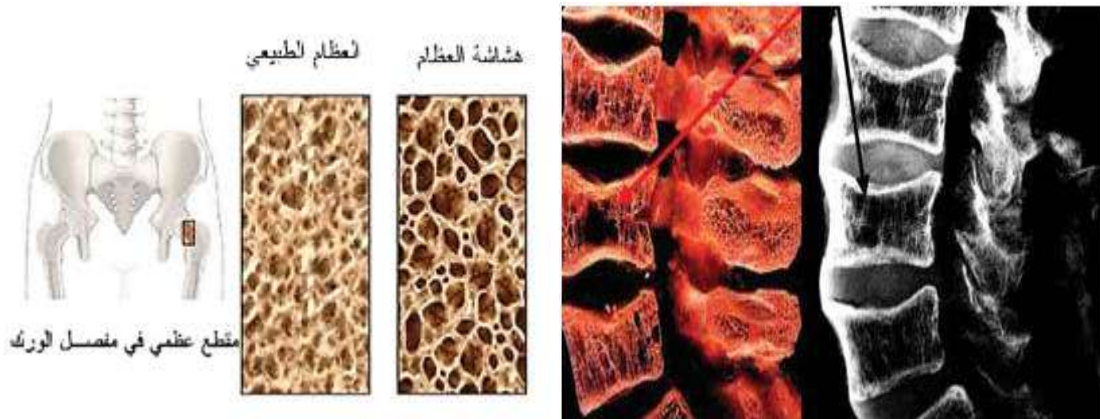
بالرغم من أكتشاف أهمية التيلوميرات وأثر جينات الشيخوخة في المساهمة في إحداث شيخوخة خلايا جسم الكائن الحي، لكن يجب أن لا نغفل أهمية تأثير العوامل الأخرى مثل، الضغوط النفسية والاجتماعية وضغوط الحياة التي تبكر بالشيخوخة (336)

Serrano,M. and Blasco,M. (2001) Putting the stress on senescence. Curr. Opin. Cell (336 Biol., 13, 748–753.

ومن أخص علامات الشيخوخة الظاهرة قول الحق سبحانه وتعالى **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا(4)** سورة مريم. وقد ثبت طبيًا أن عظام الإنسان تبلغ الذروة في سن الخامسة والثلاثين ثم تأخذ في الضمور والتناقص بمعدل ثابت هو ٢٪ سنويًا للرجال أما المرأة فإن معدل فقد العظام يصل إلى ١ ٪ سنويًا خصوصًا بعد انقطاع الطمث. وتزايد معدلات الهدم علي معدلات البناء فإن الهيكل العظمي يدخل في مرحلة الوهن نظرا لامتلانه بالفراغات الناتجة عن تناقص مادة الكالسيوم , وبذلك تزداد هشاشته (Osteoporosis), ويسهل كسر أي جزء منه في الوقت الذي تتباطأ سرعة التئامه , ومن أكثر العظام المعرضة للكسر عند كبر السن عظام الورك والمعصم والعمود الفقري , ويحصل الكسر عند اقل صدمة . وعادة ما تتضاعف فقرات العمود الفقري مؤدية إلى قصر القامة , أو حدوث تحدب في الظهر نتيجة لضعف العضلات وتآكل الغضاريف , مما يحدث آلاما شديدة , ويؤدي إلى التهاب المفاصل . ويرجع وهن العظم عند كبر السن إلى توقف إفراز أعداد من الهرمونات المهمة , وإلى نقص واضح في أعداد من الفيتامينات أهمها فيتامين (D) مما يؤدي إلى نقص معدلات امتصاص الكالسيوم من الدم , كذلك يتسبب في هذا المرض أية زيادة في إفراز هرمون جار الدرقية المعروف باسم (Para-Thormone) والذي يعمل علي نخر العظام , كما أن نقص هرمون التستستيرون يؤدي إلى عدم امتصاص الكالسيوم وترسيبه فيالعظام مما يجعل الجسم في احتياج مستمر له فيأخذه من العظم مما يؤدي إلى هشاشة العظام وبالتالي انحناء العمود الفقري وقصر الطول وكسور لأقل الأسباب



شكل (6/33) يبين انخفاض كثافة العظام مما يؤدي إلى هشاشتها وقصر الطول في مرحلة الشيخوخة



شكل (7/33) يبين هشاشة العظام وانحناء في فقرات العمود الفقري نتيجة الشيخوخة

والعلامة الثانية هي الشيب ، والشيب هو ابيضاض الشعر بفقدانه مادته الملونة الموجودة بخلايا التلوين (Melanocytes) في عمق البصيلة الشعرية ، ويتناقص عدد خلايا التلوين بمعدل 1% في كل سنة تقريبا ، ويخضع نشاطها إلى مفعول هرمون خاص ، وينقص إفرازه تدريجيا مع تقدم العمر يضعف نشاط خلايا تلوين الشعر فيبيض لونه بالتدرج .

ومع تقدم الإنسان في العمر تأخذ حواسه في الضعف التدريجي وذلك من مثل قدرات السمع، والبصر، والتذوق، والشم، واللمس، من الأدعية المحببة إلى قلب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قوله الشريف: اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت

علاج الشيخوخة في الإسلام:

- يكمن علاج الشيخوخة بتطبيق ما جاء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة في الطعام والشراب الذي أساسه
- عدم الإسراف في الطعام والشراب (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)
- والتجوع (الصيام)، وعدم الشبع (المعدة بيت الداء)
- والمحافظة على الصحة والرياضة (علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل)
- حسن العمل والرجاء فيما عند الله عز وجل (خيركم من طال عمره وحسن عمله)
- تجنب العادات المذمومة كالتدخين وتعاطي الخمر وسائر أشكال الأدمان،
- المداومة على الصلاة في المساجد- والذكر وقراءة القرآن ففيها طمأنينة النفس وبعدها عن الاكتئاب
- تحرى التغذية الجيدة التي تمد الجسم بما يحتاج دون افراط او نقصان

اعتبارات في الشيخوخة:

- وهناك مجموعة من الاعتبارات ينبغي أن يدركها كل مسن:
 - 1- ليست الشيخوخة كلها ضعفاً ولا هي كلها قوة وقد تكون أيام الشيخوخة من أكثر أيام الحياة إنتاجاً.
 - 2- الشيخوخة حالة نفسية قبل أن تكون عضوية؛ فينبغي عدم الاعتماد على المعيار الزمني للشيخوخة.
 - 3- ربما تضعف الملذات الجسدية والمادية في الشيخوخة، إلا أن الملذات الفكرية والروحية والدينية تقوى عند المسنين.
 - 4- على المسن أن يتقبل حياته كما هي، وأن يعتقد أنه قادر على ابتكار

أشياء جديدة.

كما يتوجب على الأبناء توفير أوجه الرعاية، والتي تتمثل فيرد الجميل تجاه والديهم الشيخ

ما يجب تجاه المسنين:

- تقديم الرعاية الطبية والصحية للمسنين.
- الاهتمام بالصحة النفسية للشيخ المسن ، وإشعاره بالحب والحنان ، وأن أهله بحاجة ماسة إليه.
- تنمية العلاقات الاجتماعية وتوسيع دائرة صداقات المسن مع المتكافئين معه سنًا وثقافة ومستوى.
- الحرص على ملء وقت فراغهم.
- تشجيع المسن على البحث والقراءة حتى تبقى ذاكرته حية .

بر الوالدين من مظاهر احترام الاسلام للشيخوخة:

وحرص الاسلام على تنظيم العلاقات الاسرية والاجتماعية على اساس من العدل والمساواة والتعاون والاخاء والحرمة والمحبة والمودة والسكينة والعطف والتضامن والتساند والتكافل والوحدة والاتحاد . واذا كان الاسلام قد حرص على صون كرامة الانسان في كل مراحل عمره، فقد عني عناية خاصة بتوقير الكبار واحترامهم والعطف عليهم والاحسان ا ليهم وخاصة الوالدين . فقد حث الاسلام الانسان على بر الوالدين والاحسان اليهما في كل مراحل العمر وضرورة رعايتهم خاصة عندما يكبرون، حيث يصبحون اكثر حاجة للرعاية والعناية والشعور بالطمأنينة والامن بعد ان ادوا الرسالة تجاه ابنائهم واطنانهم .

قال الله تعالى: **وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** سورة الاسراء: اية 23

آية جامعة فى بر الوالدين والاحسان إليهما وجاءت منزلتها بعد عبادة الله عزوجل ومعنى قضى أى أور وأوجب . ثم يمضى الامر الالهى يقول **(واخفض**

لهما جناح الذل من الرحمة، **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) فتدعو الى الدرجة العليا من الرحمة بالوالدين الكبيرين بحيث يشعر الولد والبنت والديهما بعمق ما يشعران به من رحمة بالوالدين واجلال لهما . ولان الانسان مهما بلغ من العطف والتراحم تظل قدرته قاصرة عن الوفاء بحق والديه . لذلك فهو يلجا الى من لا تنفذ ينايع رحمته، داعيا اياه ان يجزيهما الجزاء الاوفى، لقاء رحمتها به وتربيتها اياه في صغره، ولا يقتصر الارشاد القراني للابناء في تعاملهم مع الاباء كبار السن على النهي عن خشونة القول وانما ينتقل الى الامر باحسان القول، وتحري الكريم من الالفاظ في مخاطبتهم، مراعاة لشعورهما واعزازا لهما ، يقول الله عزوجل: **وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفا** سورة لقمان: اية 15.

ومن برهم النفقة عليهم وهي واجبة على الأبناء تجاه الآباء والأمهات والأجداد والجدات وإن علوا... فإن انعدم الأولاد، ولم تكن لكبار السن مدخرات أو موارد مالية، انتقل واجب الإنفاق إلى الدولة، ممثلة في النظام الحكومي، حسب مبدأ كفالة المحتاجين، وبمقتضى الضمان الاجتماعي المقرر في الإسلام . وهذا ما تشير إليه الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء في الحديث الشريف : "إيما عرصة أي بقعة أصبح فيهم امرؤ جائعاً، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى" (أخرجه أحمد والحاكم). **وَعَنْ جَايْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا. وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي فَقَالَ: (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ). (أخرجه ابن ماجه).**

أوجه الاعجاز العلمي

- حقيقة الضعف في مشوار الحياة من المهد إلى اللحد
- حقيقة القوة بين الضعفين يعلمها القاصي والداني وأشار الله عز وجل كمرحلة عمرية محددة بين ضعفين
- حالة الشيب تأتي بعد مرحلة الضعف(ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيباً)
- المشيئة قبل الخلق
- العلم قبل القدرة

الفصل الرابع والثلاثون

أرذل العمر (الزهايمر)

مرض الزهايمر - الخرف المبكر Alzheimer's disease سمي باسم العالم الألماني ألويس الزهايمر Alois Alzheimer الذي اكتشفه عام 1906 , وأشهر من أصيب به هو الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجين⁽³³⁷⁾ . وهناك 4.5 مليون مصاب بهذا المرض في الولايات المتحدة الأمريكية , وعادة ما يتوفي المريض في فترة 8 سنوات من تشخيص المرض وفي بعض الحالات عاش المرضى حتى 20 عاما من بعد التشخيص . وعموما فانه يصيب الافراد الذين تزيد أعمارهم عن 65 سنة، وعلى الرغم من إمكانية ظهور بوادره في سن أقل . وفي عام 2006 أصيب 26.6 مليون شخص بالزهايمر على مستوى العالم⁽³³⁸⁾ ، وهذا العدد يمكن أن يكون أربعة أمثال بحلول 2050.

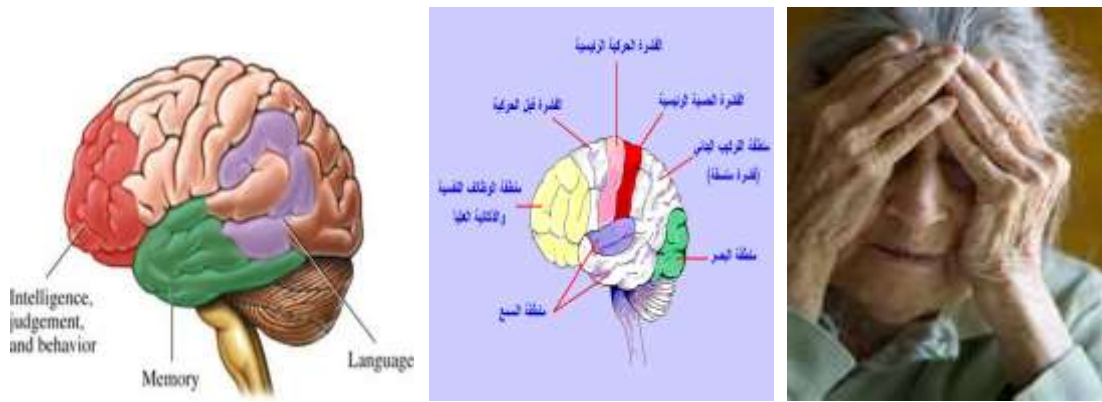
وفي الشخص السليم تنتقل الإشارة العصبية خلال الخلايا العصبية السليمة ومن خلية إلى أخرى من خلال الموصلات العصبية الكيمائية . بينما في مرض الزهايمر فإن مناطق من نسيج المخ يحدث بها تلف وبالتالي فإن بعض الإشارات لا تصل مما يسبب ظهور أعراض المرض .

يعتبر مرض الزهايمر والذي يسبب الخرف الشيخوخي SDAT ، هو مرض مستعصي وانحلالي والذي يشكل أكثر الامراض شيوعا عند الشيخوخة . وهذا

³³⁷ (https://en.wikipedia.org/wiki/Alzheimer%27s_disease)

³³⁸ (2006 prevalence estimate: Brookmeyer R, Johnson E, Ziegler-Graham K, Arrighi HM. *Forecasting the global burden of Alzheimer's disease. Alzheimer's & Dementia.* 2007 [Retrieved 18 June 2008];3(3):186-91

المرض أكثر الأسباب للإصابة بخلل عقلي شديد (339) dementia ويسبب خلا شديدا بالإدراك والتصرفات مما يؤثر على التواصل الاجتماعي وقدرات العمل . تكون اكثر الأعراض شيوعا التي يمكن التعرف عليها هي فقدان الذاكرة ، مثل صعوبة تذكر الحقائق التي تعلمها المريض حديثا (340). وعندما يلاحظ وبشك الطبيب أو النفساني في وجود مرض الزهايمر، فإنه يؤكد هذا التشخيص عن طريق التقييم السلوكي والتجارب الإدراكية، وعادة ما يعقبها فحص المخ بالاشعة المقطعية إذا كان متاحاً.



شكل (1/34) يبين رجل شيخ كبير في السن مريض بالزهايمر (وهو) ومراز المخ التي تتأثر بالمرض تدريجياً (وسط ويسار)

ويتطور المرض، تشتمل الاعراض على التشوش، والهياج، والعدوانية، والتقلبات المزاجية، وانهيار اللغة، وفقد الذاكرة على المدى الطويل، وقلة الاحساس بالألام نتيجة لقلة حواسهم ، وتدرجياً تفقد وظائف الجسم، مما يؤدي في النهاية إلى الوفاة (341). ومن الصعب تقدير التكهن الفردي نظراً لاختلاف مدة المرض . ويتطور مرض الزهايمر لمدة غير محددة من الزمن قبل أن يصبح ظاهراً تماماً ويمكن له أن ينمو بدون تشخيص لسنوات . ويعتبر متوسط الحياة المتوقعة بعد

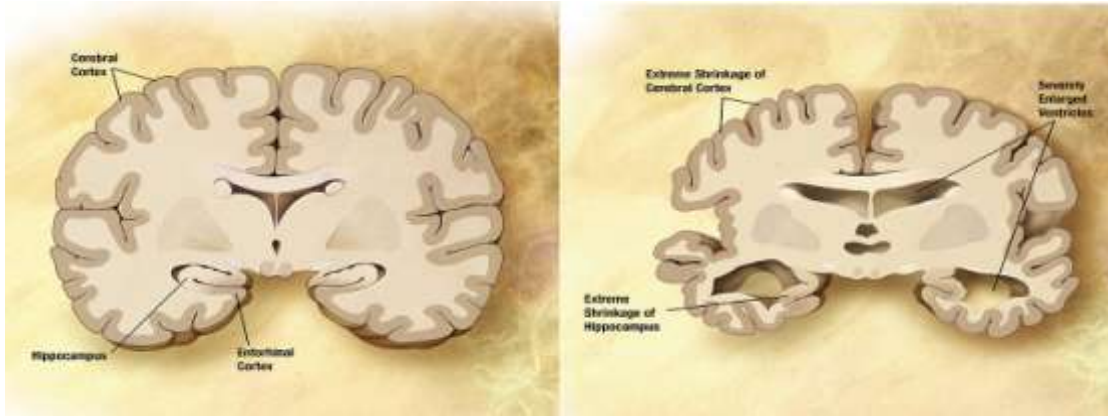
Berchtold NC, Cotman CW. Evolution in the Conceptualization of Dementia and (339) Alzheimer's Disease: Greco-Roman Period to the 1960s. *Neurobiology of Aging*. 1998;19 Mendez MF (November 2012). "Early-onset Alzheimer's disease: nonamnesic subtypes (340) and type 2 AD". *Archives of Medical Research* 43 (8): 677–85. (Ballard C, Gauthier S, Corbett A, et al. (19 March 2011). "Alzheimer's disease.". *Lancet* 341 (9770): 1019–31

التشخيص ما يقرب من سبع سنوات . ويعيش أقل من 3% أكثر من 14 سنة بعد التشخيص.

إشارة علمية لمرض الزهايمر في كتاب الله تعالى : في آية جامعة لمراحل العمر من التراب إلى التراب ذكر الله عز وجل مرض الخرف أو الزهايمر في قوله عز وجل في سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَیْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ويقول أيضا في سورة النحل: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَقَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70) .

ففي هاتين الآيتين إشارة علمية دقيقة لما ينتاب المسن من خرف عقلي حتى أنه ينسى ما تعلمه في حياته الدنيا . قال الإمام بن كثير في تفسيره للآية من سورة النحل : يخبر تعالى عن تصرفه في عبادته ، وأنه هو الذي أنشأهم من العدم ، ثم بعد ذلك يتوفاهم ، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم - وهو الضعف في الخلقة - لئما قال الله تعالى (: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير [(الروم : 54] وقد روي عن علي -رضي الله عنه - في أزدل العمر [قال [خمس وسبعون سنة . وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ؛ ولهذا قال (: لكي لا يعلم بعد علم شيئا (أي : بعدما كان عالما أصبح لا يدري شيئا من الفند والخرف ؛ ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور ، عن شعيب ، عن أنس بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو : " أعوذ بك من البخل والكسل ، والهرم وأزدل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات (342).

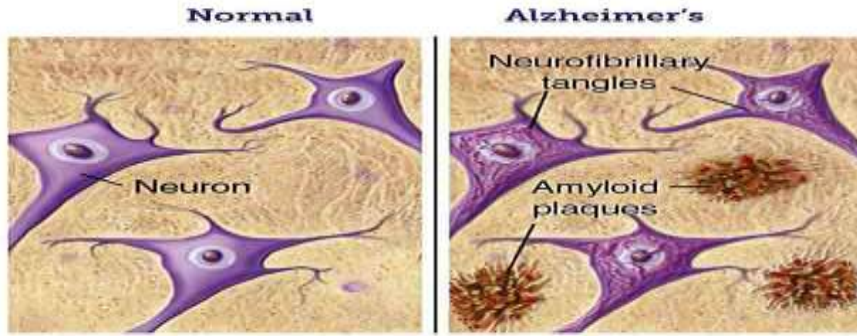
(342) ورواه مسلم من حديث هارون الأعوربه



شكل (2/34) يبين مقارنة بين دماغ طبيعي (جهة اليسار ومخ كبير في السن في جهة اليمين) وبه اضمحلال

وقد وصف مكتشف المرض وجود رقع أو لويحات (343) plaques حول خلايا المخ ، وتشابكات أو كتل tangles داخل خلايا المخ وذلك عند الفحص المجهرى لأنسجة المخ ، ومازال هذا الوصف حتى الآن كأنه هو السمة المميزة لهذا المرض.

Normal vs. Alzheimer's Diseased Brain



© 2000 by BrightFocus Foundation

BrightFocus®
Foundation
Cure in Mind. Cure in Sight.

شكل (3/34) ترسيب لويحات الأميلويد على الخلايا العصبية

³⁴³(Brookmeyer R., Gray S., Kawas C..Projections of Alzheimer's Disease in the United States and the Public Health Impact of Delaying Disease Onset .*American Journal of Public Health* .42-1337:(9)88;1998 .doi/10.2105AJPH.88.9.1337 .PMID 9736873.

وتتكون اللويحات (344) من نوع من البروتين الموجود بالمخ يسمى بيتا أميلويد beta-amyloid، بينما تتكون الكتل داخل الخلايا العصبية كخيوط ملتوية بفعل تشوه يصيب بروتينا آخر يسمى تو tau، وقد لاحظ العلماء أن هذه البروتينات تزيد ضمن نظام معين - حيث تبدأ بالتواجد بمناطق المخ المسئولة عن الذاكرة والتعلم ثم بقية المناطق - كلما تقدمنا في العمر ولكنها تكون أكثر بكثير عند مرضى الزهايمر، والعلماء لم يتوصلوا تحديدا لدور هذه البروتينات ولكن الخبراء يعتقدون أنها تمنع توصيل الإشارات بين الخلايا العصبية وتعرقل الأنشطة اللازمة لاستمرار حياة الخلية . وما هو مؤكد لدي العلماء هو أنه بمجرد ظهور المرض يكون قد سبقته عملية موت وتحلل طويلة - تمت لسنوات - لخلايا المخ التي تقوم بحفظ المعلومات واسترجاعها . ويموت الخلايا العصبية ، يتقلص المخ ويحدث به ضمور ، ويفقد شكله المتجدد.

Alzheimer's Disease



Healthy Brain



Mild Alzheimer's Disease



Severe Alzheimer's Disease

شكل (4/34) وتبين قطاع لمخ طبيعي (يسار) ثم قطاع لحالة الزهايمر بسيط (وسط) ثم قطاع لحالة شديدة (يمين)

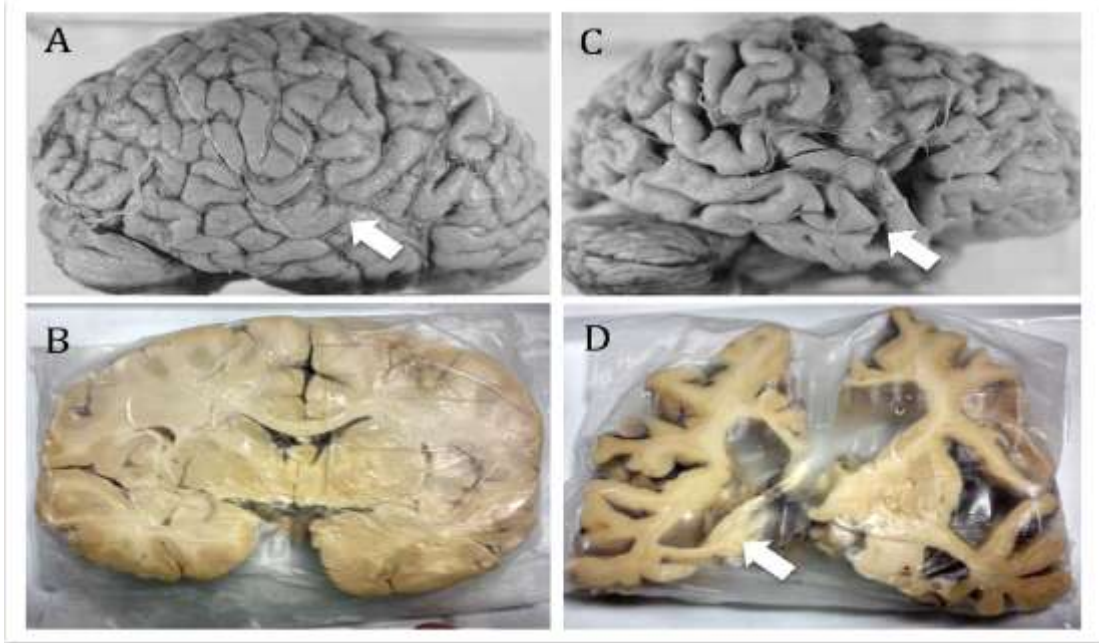
سبب مرض الزهايمر - الخرف المبكر

³⁴⁴ Querfurth HW, LaFerla FM (28 January 2010). "Alzheimer's disease". *The New England Journal of Medicine* 362 (4): 329-44

لم يتمكن العلماء من التعرف حتى الآن علي السبب الواضح والمباشر لهذا المرض، و لكن نتيجة للأبحاث المستمرة لما يقرب من 15 عاما تمكنوا من التعرف علي مجموعة من العوامل التي من الممكن أن تتضافر لتؤدي في النهاية إلى مرض الزهايمر. وأهم هذه العوامل:

1- التقدم بالعمر: وهو أكثر العوامل المشجعة لظهور المرض، حيث أن غالبية المرضى يصابون به بعد سن الخامسة و الستين ، و تزداد فرصة المرض بنسبة الضعف كل خمسة أعوام تالية لهذا السن حتى تصل إلى نسبة 50% عند سن 85.

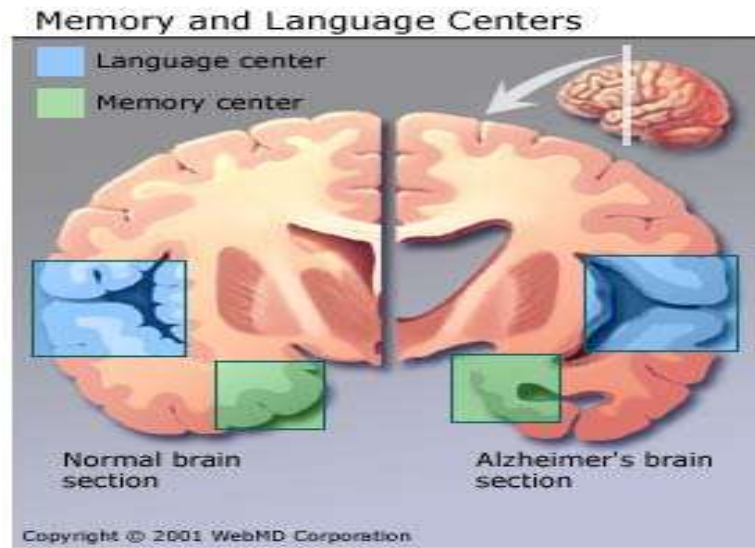
- 2- العوامل الوراثية: حيث أن فرصة حدوث المرض تزيد عند الذين أصيب أحد والديهم أو أجدادهم بهذا المرض مقارنة بالأشخاص الطبيعيين .
- 3- الأمراض التي تؤثر علي الأوعية الدموية الموجودة في المخ .
- 4- إصابات الرأس الخطيرة تزيد من فرص الإصابة بالمرض .



شكل (5/34) يبين تلف في بعض الخلايا العصبية في المخ تتيجو الزهايمر(يسارC,D) مقارنة بمخ طبيعي (يمينA,B)

الأعراض

وتبدأ الأعراض بتناقص في الذاكرة مع عدم القدرة على القيام بالوظائف اليومية ثم اضطراب في الحكم على الأشياء و أحيانا التوهان وأيضا بعض التغيرات في الكلام (مثل صعوبة استدعاء الكلمة مع القدرة على ترديدها وإدراك معناها و فقدان المتزايد للقدرة على الكلام progressive aphasia. و الصورة لأسفل على اليمين تبين مواقع مراكز الذاكرة واللغة بقطاع في المخ والتي تتأثر بالمرض بالمقارنة إلى قطاع في الشخص السليم إلى اليسار



شكل(6/34) يبين خلل في مركز الكلام-باللون السماوي والذاكرة باللون-الفسقي- في مخ مرض بالزهايمر(يمين) ، ومخ سليم(يسار)

ويفقد المصابون بالزهايمر القدرة على التعرف على الأماكن ، أو من يحبونهم ، ولا يستطيعون الاهتمام بأنفسهم كما أن المرض يستمر بين ثمانية إلى عشر سنوات، بالرغم من أن بعض المصابين به قد يموتون في مرحلة مبكرة ، أو قد يعيشون لفترة 20 عاما.

ويمكن ملاحظة الأعراض من خلال الملاصقين للمريض فإنهم يهتمون بالتعرف على أي خلل بالذاكرة و المشاكل المتعلقة بالنشاط اليومي مثل الطبخ و التنظيف و التصرف في النقود و الضياع و الحيرة أو تشوش الذهن و العناية بالأمور

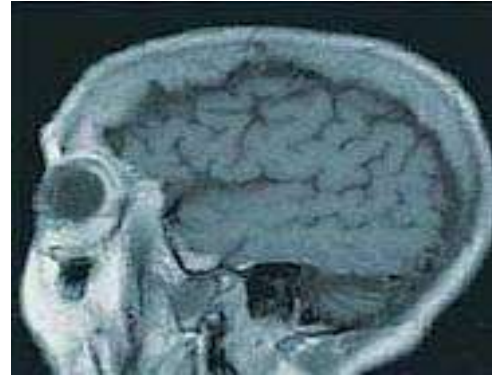
الشخصية. أو وجود خلل في الإدراك cognitive impairment أو تغيرات في الكلام , language dysfunction

تشخيص مرض الزهايمر - الخرف المبكر (أرذل العمر)

يعتمد التشخيص على الأعراض والعلامات . وقد يحتاج الأطباء لبعض التحليل المعملية . كما يطلب الأطباء صور الأشعة المقطعية وصور الرنين المغناطيسي للمخ brain MRIs or CT scans والتي تظهر ضمور المخ



إصابة خفيفة بالزهايمر



للمخ الطبيعي



إصابة شديدة



إصابة متوسطة

شكل (7/34) يبين مسح للمخ واختلافات شدة الإصابة بمرض الزهايمر

علاج مرض الزهايمر - الخرف المبكر

للآن لا يمكن للعلاج أن يساعد على إبطاء تطور مرض الزهايمر - الخرف المبكر، أو الشفاء من المرض بصورة قطعية ولكن العلاج يلطف من الأعراض علاوة على أن توفير الخدمة الجيدة للمريض و دعمه يجعل الحياة أحسن . ومع أن أغلب ما عرف عن هذا المرض كان خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة إلا أنه هناك جهود متسارعة و موسعة لمعرفة المزيد عن المرض ومتابعة الأبحاث لإيجاد طرق أحسن لعلاج وتأخير ظهوره ومنع تطوره .

ممارسة الرياضة تقوي من مرض الزهايمر أو الخرف المبكر

نشرت أبحاث^(345 ، 346) بحثت الناس في أواسط العمر على ممارسة الرياضة للوقاية من الإصابة بالخرف عند تقدم العمر بهم . واكتشف الباحثون أن الأشخاص الذين أصيبوا بالمرض كانوا أقل نشاطا وممارسة للرياضة عن نظرائهم.

الإعجاز العلمي في قوله تعالى : **وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**

هكذا نجد الإشارة العلمية الدقيقة في كتاب الله عز وجل عن هذا المرض منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان بينما لم يتطرق إليه العلماء إلا في 1906 أي منذ قرن من الزمان وهذا يدل على أن القرآن الكريم هو كتاب علم وهداية للناس أجمعين

ولنتأمل قوله عز وجل : **(ومنكم من يرد إلى أردل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا)** فإن هذه الآية الكريمة أعطتنا عدة حقائق علمية منها أن مرض الخرف المبكر يكون في مرحلة متقدمة في العمر ، وأنه لا يظهر لصغار السن ، وأن السمة الرئيسية في هذا المرض هي فقدان الذاكرة ، وأن المعلومات التي كانت مخزنة من قبل قد فقدت مما يدل على تلف الخلايا التي كانت تختزن هذه

³⁴⁵ Forbes D, Thiessen EJ, Blake CM, Forbes SC, Forbes S (4 December 2013). "Exercise programs for people with dementia". *The Cochrane Database of Systematic Reviews* 12: CD006489.

³⁴⁶ Rabins PV, Blacker D, Rovner BW, et al. American Psychiatric Association practice guideline for the treatment of patients with Alzheimer's disease and other dementias. *The American Journal of Psychiatry*. December 2007;164

المعلومات وهذا ما اثبتته العلم الحديث فى خلال الدراسات المكثفة التى تمت فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين

الخاتمة

هذا الكتاب بيان لرحلة خلق الإنسان من أول آدم عليه السلام إلى خلق حواء منه ، وخلق عيسى بن مريم من عذراء بتول بلا زوج ، حتى خلق الذرية من آدم وحواء عليهما السلام. فى هذه الرحلة المباركة تتأمل وتتفكر وتتدبر الآية القرآنية التى وردت فى سورة الحج من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَّبِّئَ لَكُمْ وَنَقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ونستعين على فهمها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى نفس الموضوع بالنظر والتدقيق والاستدلال ، وبشروح المفسرين لها من أئمة السلف ، ونستشهد على ما فيها من دلالات علمية لم تكتشف إلا فى القرن العشرين والقرن الحادى والعشرين بخير شاهد فى هذا العصر وهو

العلم ، وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة فصلت: (سْتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَقَاقِ
وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
(53)

إن الإنسان ليقف خاشعا للذي خلقه فصوره ، وشق سمعه وبصره ، وهو يتأمل
أوجه الإعجاز في نفسه ، التي بينها رب العزة سبحانه وتعالى في الفاظ
مختصرة من آياته البينات النيرات في كثير من سور القرآن الكريم ، أو على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة المروية عنه صلى الله عليه
وسلم. هذه الألفاظ المختصرة دونت فيما بعد كمصطلحات علمية دقيقة
(كالنطفة ، والعلقة ، والمضغة) في كتب أشهر علماء الأجنة على مستوى
العالم والذين أسلموا لله رب العالمين بعدما تبين لهم الحق المبين من كتاب رب
العالمين ، أمثال كيث مور ومارشال جونسون ، وبيردسو ، وهم الذين تخصصوا
وكرسوا حياتهم وجهدهم في دراسات تتعلق بخلق الجنين في بطن أمه ،
واكتشاف تطوره لقيه باستخدام أدوات العلم الحديثة كالمناظير والسونار وأجهزة
مسح الدماغ وأجهزة مسح القلب الكهربائية

من هذه الرحلة الطيبة المباركة تتأمل عظمة الخالق سبحانه وتعالى في آيات
الخلق ، وتتيقن من صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ هذا
القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما فيهما من أوجه كثيرة للإعجاز العلمي
. كما تتيقن من أن القرآن والسنة النبوية المطهرة فيهما اشارات عديدة من علوم
الطب والتشريح والأجنة وأنهما هداية وعلم لمن يبحث عن الحق ويريد أن
يتعلمه. والله أسأل أن يجعله ذخرا لي ولكل من نشره إلى يوم الدين

الفقير إلى عفوره

أ.د./ حنفي محمود مدبولي جامعة بنى سويف

جمهورية مصر العربية

السبت الموافق 28 شعبان 1437 هـ الموافق 4 يونيو 2016

Appendix 1

The Chronological Development of The Unborn Child

بيان تطورات خلق الجنين فى بطن أمه بالمدة الزمنية ذلك من كتب وأبحاث العلماء

Sixth Week الأسبوع السادس	Timing الوقت بالتحديد	Source مصدر المعلومة
The upper and lower lips are forming. تكون الشفَى العليا والسفلى	Early in 6th week after fertilization	Moore, p 523
The tongue is developing. تطور اللسان	Early in 6th week after fertilization	Moore, p 523
The eye is obvious, reflecting the fact that the retinal pigment has formed. العين ظاهرة مما يعكس تكون صبغة الشبكية	6th week after fertilization	Moore, p 94
The upper and lower eyelid primordia appear. ظهور جفن العين العلوى والسفلى	6th week of development.	Larsen, p 259
The primordia of the fingers, called digital rays, start to develop. تكون بدائى للأصابع	6th week after fertilization	Moore, p 94
Hiccups first occur. يحدث تكون لأجزاء من المخ	6th week after conception	Roodenburg, p 32
The ends of the limb buds become flattened to form foot plates. تكون وتفلطح نهائيات القدمين	6th week of development	Sadler p 172
The oral cavity is developing. تطور تجويف الفم	6th week	Sadler, p 376
Spontaneous movements, such as twitching of the trunk and limbs, have been reported. حركات تلقائية للجزع والأطراف السفلى	6th week after fertilization	Moore, p 94
The pelvis is developing. تطور الحمض	6th week	Sadler, p 308

Movement of the muscles is being controlled by the nervous system. تحرك العضلات من خلال الجهاز العصبي	6th week after conception	Rugh, p 34
It is believed that the majority of women do not realize they are pregnant during the first six weeks after conception. غالب الأمهات الحوامل يعتقدن أنهن غير متأكدين من الحمل فى الأسابيع الستة الأولى	6th week after conception	Rugh, p 54
The testes become identifiable. تصبح الخصيتين محددتين	6th week	O'Rahilly, p 210
The ureter is developing. تطور الحالب	6th week	Sadler, p 308
Some salivary glands appear. ظهور بعض الغدد اللعابية	About 6th week after fertilization	Moore, p 236
General movements first occur. ظهور أول حركات عامة	6th -7th weeks after conception	Roodenburg, p 31
The fetus normally moves spontaneously. يتحرك الجنين تلقائيا	6th-8th weeks after conception	de Vries (1982), p 318
The heart is contracting at a rate of 40 to 80 beats per minute, as measured with an electrocardiogram. تقلص عضلات القلب ليعطى من 40 - 80 دقة فى الدقيقة كما قيست بجهاز القلب الكهربائى	6th - 7th weeks after conception	Rugh, p 53
The salivary glands begin to develop تطور الغدد اللعابية	6th - 7th weeks after fertilization	England, p 90
The uterus forms. تكون الرحم	6th - 7th weeks	Larsen, p 175
The vagina forms. تكون المهبل	6th - 7th weeks	Larsen, p 175

General movements first occur. حدوث حركات عامة للجنين	6 1/2 - 7 1/2 weeks after conception	Nijhuis/de Vries, p 5
The aorta is developing. تطور الشريان الأورطي	Day 36 of development	Larsen, p 156
Ear swelling is present. ظهور انتفاخ الأذن	Day 36 after fertilization	Sadler, front pages
The oral and nasal cavities are confluent. ظهور التجاوبف الأنفية والغمية	Day 36 after fertilization	Moore, p 5
All of the muscle blocks have appeared. كل التكتلات العضلية ظهرت	Day 36 after conception	Rugh, p 46
The pancreas is developing. تطور البنكرياس	Approximately day 36	Sadler, p 281
The thyroid is developing. تطور الغدة الدرقية	Approximately day 36	Sadler, p 281
Digital rays are present in the foot plates. ظهور إشعة فى صفائح القدم لتكون الأظافر	Days 36-42 of development	Sadler, p 110
Digital rays are present in the hand plates. ظهور إشعة فى صفائح اليدين لتكون الأظافر	Days 36-42 of development	Sadler, p 110
The feet have become distinct. القدمين أصبحت محددة	Day 37 of development	Larsen, p 209
Foot plates are formed on the lower limb buds. صفائح القدم تتكون على عقد الساقين	Day 37 after fertilization	Larsen, p xii
The thigh has become distinct. الفخذين أصبحتا محددتين	Day 37 of development	Larsen, p 209
Pigment can be seen in the retina. رؤية الصبغة فى الشبكية	Days 37-40 after fertilization	Moore, p 91
The eye muscles begin to form.	Day 38 after	Rugh, p 47

بداية تكون عضلات العين	conception	
Finger rays are visible. مشاهدة أشعة نهايات الأصابع	Day 38 of development	Larsen, p 209
Finger rays are developing. تطور أشعة نهايات الأصابع	Day 38 after fertilization	Sadler, front pages
The upper and lower jaws begin to fuse in the midline of the face. التحام الفك العلوى والفك السفلى فى منتصف خط الوجه	Day 38 after conception	Rugh, p 47
The nose is formed. تكون الأنف	Day 38 after fertilization	Moore, p 5
It is probable that the heartbeat of the embryo is similar to an adult's heartbeat. احتمال أن ضربات القلب تشبه ضربات قلب الإنسان البالغ	Week 5 1/2 after conception	Rugh, p 53
The urinary bladder is developing. تطور المثانة	Day 39 after fertilization	Sadler, front pages
The pancreas is developing. تطور البنكرياس	Day 39 after fertilization	Sadler, front pages
The liver is developing. تطور الكبد	Day 39 after fertilization	Sadler, front pages
The eyelids are developing. تطور جفون العينين	Day 40 after conception	Moore, p 238
The eyes become pigmented. تلون العينين	Day 40 after conception	Rugh, p 47
The diaphragm forms. تطور الحجاب الحاجز	Day 40 after conception	Rugh, p 47
The forehead is developing. تطور جبهة الدماغ	Day 40 after fertilization	Moore, p 238

The jaws are well-formed. تكون الفكين بوضوح	Day 40 after conception	Rugh, p 47
The lower jaw is developing. تطور الفك السفلى	Day 40 after fertilization	Moore, p 238
The kidneys are forming. تكون الكليتين	Day 40 of development	Larsen, p 156
The nostrils are developing. تطور فتحتى الأنف	Day 40 after fertilization	Moore, p 238
The teeth begin to form. بداية تكون الأسنان	Day 40 after conception	Rugh, p 47
The earliest reflexes begin. أول انعكاس حركى للجنين لمؤثر خارجى	Day 42 after conception	Rugh, p 47
The penis begins to form. بداية تكون العضو الذكري	Day 42 after conception	Rugh, p 47

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع	الفصل
	طلاقة القدرة فى خلق الإنسان	الفصل الأول
	بيان كيفية خلق الإنسان	الفصل الثانى
	فضل الإنسان بعلم الرحمن	الفصل الثالث
	خلق حواء عليها السلام	الفصل الرابع
	خلق عيسى بن مريم عليه السلام	الفصل الخامس
	خلق الذرية كما بينها رب البرية	الفصل السادس
	تاريخ علم الأجنة	الفصل السابع
	مراحل وأطوار خلق الجنين	الفصل الثامن
	مرحلة النطفة	الفصل التاسع
	نطفة الذكر	الفصل العاشر
	نطفة الأنثى	الفصل الحادى عشر
	النطفة الأمشاج	الفصل الثانى عشر
	الذرية والقدرة على التزاوج	الفصل الثالث عشر
	انقسام البويضة المخصبة	الفصل الرابع عشر
	أطوار مرحلة التخليق	الفصل الخامس عشر
	طور العلقه	الفصل السادس عشر
	طور المضغه	الفصل السابع عشر

	طور العظام	الفصل الثامن عشر
	فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا	الفصل التاسع عشر
	رفع الإشكال في حديث جمع الخلق	الفصل العشرون
	ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ	الفصل الحادي والعشرون
	التصوير في الأرحام	الفصل الثاني والعشرون
	الظلمات الثلاث	الفصل الثالث والعشرون
	تحديد جنس الجنين	الفصل الرابع والعشرون
	وليس الذكر كالأثني	الفصل الخامس والعشرون
	ثم نخرجكم طفلا	الفصل السادس والعشرون
	مستقر ومستودع	الفصل السابع والعشرون
	علماء الغرب يشيدون بآيات خلق الأجنة في القرآن الكريم	الفصل الثامن والعشرون
	صفات الإنسان كما بينها القرآن	الفصل التاسع والعشرون
	غذاء الإنسان كما بينه القرآن	الفصل الثلاثون
	الهرمونات وبناء الذات	الفصل الحادي والثلاثون
	ضعف الإنسان كما بينه القرآن	الفصل الثاني والثلاثون
	الشيخوخة	الفصل الثالث والثلاثون
	أرذل العمر (الزهايمر)	الفصل الرابع والثلاثون